"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

أدب الرحلة في شعر محمد بشير عبد الرحمن: داليته في الرحلة إلى الأراضي المقدسة أنموذجا

إعـــــداد:
الدكتور موسى كليم القالي والدكتور ماهر هارون ماهر
قرية اللغة العربية، انغالا- نيجيريا

الملخص

أدب الرحلة هو تلك الآثار التي تتناول انطباعات المؤلف عند اختلائه في بلاد مختلفة لغايات شتى، فيصف فيها ما شاهده من عادات البشر وسلوكهم وأحوالهم الاجتماعية وغير ذلك. ويعتبر أدب الرحلة واحدا من أجمل الآداب، وله قيمته الفنية التي تتمثل في عرض مواده بأساليب أدبية ترقى به إلى مستوى الخيال الفني، فليس هو مجرد وصف للمشاهدات، وقد أسهم الشعراء قديما وحديثا في إثراء المكتبة العربية بهذا النوع من الأدب. كما سجل أدباء نيجيريا رحلاتهم العلمية والتزوارية كثيرا في شعرهم، ويعد الشاعر الشاب محمد البشير عبد الرحمن من بين مَن أسهموا في أدب الرحلة. ولغزارة مادة الشاعر في المجال رأى الباحثان أن يقوما بدراسة نموذج من قصائده الرحلية، وتم اختيار قصيدة رحلته إلى الأراضي المقدسة حاجا ومعتمرا، وسيتقيد البحث بدراسة القصيدة مستكشفا مواضع الرحلة والمشاهدات الأخرى، وإلقاء الضوء على الخصائص والجمال الفني الذي تستحوذ عليه القصيدة.

المقدمة

أدب الرحلة هو أدب يتقيد بتسجيل الرحلات الاستكشافية وغيرها، وهو قديم النشأة عند العرب، والقطع المتناثرة التي نجدها في القصائد الجاهلية ذات الأغراض المتعددة تدل على وجود بدايات لهذا النمط في التراث العربي. لقد انتشرت هذا النوع من الآداب على أيدي المستكشفين والجغرافيين ومن سواهم، والذين اعتنوا بنقل الأحداث التي شاهدوها وعايشوها خلال رحلاتهم.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وبالرغم من اختلاف أسباب الرحلات لدى الرحالة، إلا أنَّ هذا الأدب قد سجل المشاهدات والاستطلاعات واحتفظ لنا بها، فظلت متعة للقارئ، فهو يحتل ركنا مهما من الأدب العربي.

ويوجد في العصر الحديث تراث ضخم من أدب الرحلة يتمتع بالقيمة العلمية والفنية؛ إذ تحوي كتبه معلومات جغرافيا وتاريخية وانثلوجية، وتتحلى كتبه بتصوير أدبي رفيع في معالجة قضايا الحياة وحضارات الشعوب. ولقد راج سوق هذا الأدب في الديار النيجيرية، فتوسَّله علماؤها وتوفرت لهم انتاجات ضخمة وقيمة. والشاعر محمد البشير عبد الرحمن قد استعان بأدب الرحلة في نقل صور كثير من حركاته الرحلية، وجاء بشعر رائع من جملته (فائيته) في رحلته إلى الأراضي المقدسة، التي تناول فيها الأحداث التي اكتملت بها رحلته.

ومن أجل اكتشاف قيمة مجهود الشاعر في هذا الميدان، رأى الباحثان القيام بدراسة (فائية) الشاعر في رحلته إلى مكة والمدينة بقصد أداء الحج والعمرة، وستنحصر الدراسة في خلفية تاريخية عن الشاعر، وعرض القصيدة، واكتشاف خصائصا، ومعالجة الجوانب الفنية فيها، وسيسلكان المنهج الوصفي التحليلي في دراسة القصيدة، كما سيستعينان في جمع معلومات البحث بالكتب والدوريات والمواقع الإلكترونية وغيرها.

محمد بشير في سطور

ولد محمد بشير بن عبد الرحمن بن حسن لأسرة من قبيلة الفضالة العربية بمدينة غَمْبَارُو- انغالا ولاية بَرْنُوْ عام ١٩٧٦م، فترعرع بين أحضان والديه، فتلقى مبادئه الأولية في مسقط رأسه ابتداء من البيت أخذ المبادئ عن والده، ثم أرسل إلى خلوة المقرئ الغوني أبي بكر أبه النوح. ولما قوي عوده أرسله والده إلى الخلاوي خارج غمبارو بقصد حفظ القرآن الكريم، فتنقل بين أماكن عديدة كـبِدَيْرِي بمنطقة مَرْتَيْ، ومَيْدُغُرِي عاصمة ولاية بَرْنُوْ، وكَاوْرِي بمنطقة كُوْنْدُغَا، وغيرها من القرى، وساعده الحظ فأتقن حفظ القرآن الكريم وأجيز برواية ورش وحفص وقالون في سن مبكر[1].

لقد انخرط الشاعر في مسيرته العلمية في نهج المدارس النظامية فتحصل على الشهادة الابتدائية من معهد الشيخ محمد البشير بغَمْبارُو- انغَالَا عام ١٩٩٣م، ثم تحصل على شهادة دورة الحفاظ بكلية الكانمي للدراسات الإسلامية بمَيْدُغُرِي عام ١٩٩٩م، بالإضافة إلى ذلك، فإن محمد بشير قد حاز حظا عظيما من الثقافة الإسلامية والعربية بحيث أخذ عن علماء يشار إليهم

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

بالبنان، أمثال والده الشيخ عبد الرحمن حسن، والشيخ الشريف عثمان البشير، والشيخ عثمان عبد الله يحيى (كُوْلُوْمِي)- رحمهم الله تعالى، كما استمع كثيرا إلى دروس الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني- رضي الله تعالى عنه وغيرهم من العلماء، فتمكن في الفقه المالكي، والحديث الشريف ومصطلحه، وأصول الفقه، وعلم التوحيد، وعلم التصوف، وعلوم اللغة من نحو وبلاغة، وكذلك الأدب العربي.[٢]

لقد تكونت قريحة محمد بشير الشاعرية من جراء اطلاعه وقراءته التراث الشعري العربي، وحفظه للدواوين الست للشيخ إبراهيم إنياس الكولخي- رضي الله تعالى عنه وأرضاه، إذ كانت شاغله الشاغل طيلة لياليه، فساعده ذلك وتمكنه من فنون البلاغة والعروض، وقد من الله تعالى عليه ببصيرة ثاقبة وحادة في الحفظ.[٣]

لقد عالج الشاعر بالإضافة إلى الأغراض التقليدية من مدح ورثاء، ووصف، وتوسل، قضايا اجتماعية كتدهور الأمن والاقتصاد في وطنه، فجاء شعره هادفا إلى إصلاح المجتمع، فبدى شعره رائقا، يستخدم فيه المجاز لكي يمكنه من رسم صوره الخيالية التي يريد إبلاغها إلى المتلقي.

لمحة عن أدب الرحلة في التراث العربي

تعتبر الحركة سمة أساسية في التركيب الجسدي والنفسي للإنسان، وقد جعلها الله تعالى ضرورية لحياة الإنسان، تتسق مع الهدف من خلقه الذي هو تعمير الأرض وعبادة الله تعالى: {وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة} [البقرة: ٣٠]، وتشير كتب التاريخ الطبيعي والأنثروبولوجيا وغيرها إلى أن الإنسان لم يتوقف عن الحركة والترحال لحظة، بل ظل على مدى العصور يتطلع بتفكيره إلى الآفاق البعيدة بحثا عن إجابة لتساؤلاته عن الطبيعة بكيف؟ ومتى؟ وأين؟ مما جعل رغبته إلى التطلع إلى الجديد تزداد دائما بالرغم من الوعي الراقي والإنجازات التقنية التي جعلت العالم كله كالقرية الصغيرة.[٤]

أ- مفهوم أدب الرحلة:

الرحلة في معناها الوضعي تعني الانتقال من مكان لآخر؛ لتحقيق غرض معين، وقد وجد (أدب الرحلة) بزمن بعيد قبل أن يأخذ هذا المصطلح مكانه في قائمة فنون الأدب العربي، إلا أنه لم يظهر تحت مسمى (أدب الرحلة)، وإنما كان يظهر أحيانا ضمن كتب التاريخ أو الجغرافيا أو السيرة الذاتية أو كتب الاعتراف أو أدب الاعتراف، فهذه التسمية (أدب الرحلة) وليدة هذا العصر وما

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

شهده من دراسات ومصطلحات وتقسيمات لفنون وألوان المعرفة الأدبية. مع شيوع هذا المصطلح ظلت المشكلة قائمة فيما يتعلق بوجود تعريف دقيق لأدب الرحلة.[٥]

هناك الكثير من التعريفات التي يحاول كل منها أن يقيد مفهوم (أدب الرحلة)، ومن أقربها إلى حقيقة مضمون المفهوم ما يلي:

"يعرف أدب الرحلات باعتباره مجموعة الآثار التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته من بلاد مختلفة يقصدها لغايات شتى، ويصف ما يراه من عادات البشر وسلوكهم كما يعتني بذكر الأحوال الاجتماعية والاقتصادية".[٦]

وجاء في تعريفه سياق آخر يقول: "هو الأدب الذي يضمنه الكاتب الرحالة انطباعاته، ومشاهداته في الأقطار المختلفة التي يزورها، وتشتمل على وصف الطبيعة الجغرافية، كما تشتمل على وصف عادات الناس وتقاليدهم وأنماط حياتهم وتفكيرهم".[٧]

يتفق التعريفان من وجه ويختلفان من وجه آخر؛ يتفقان في كون أدب الرحلة هو تلك الآثار التي سجلت انطباعات الرحالة، وما لمسوه من الطبيعة متحركا كان أو ساكنا، بغض النظر عن دوافع الرحلة ومضمون الآثار؛ ويختلفان في أن التعريف الثاني اعتبر أدب الرحلة جزء أصيلا من الأدب إلا أنه أراد توضيح مهمته بين أنواع الأدب، والمفهوم من عبارته كون الأثر لابد من أن يتضمن تعبيرا بارعا؛ بينما التعريف الثاني يفتح الباب لكل موروث يروي عن الرحلة.

ومثل هذا الاختلاف طبيعي في سياقات تعريف المادة إذا تعددت العبارات؛ لأن الموهبة اللغوية تختلف من فرد لآخر، إذا فالغاية من التعريف هي ارتباط هذا النوع من الأدب بالرحلة وتسجيل مشاهداتها وتاثيراتها، وقد تحقق المراد من سياق التعريفين، فلا داعي إذا إلى استرفاد الأكوام من التعريفات.

ب- نشأة أدب الرحلة وتطوره:

لقد ارتبطت طبيعة الإنسان بالرحلة منذ أن وطئت قدمه الأرض عندما أهبط الله تعالى آدم وحواء من الجنة إلى الأرض، كما جاء في محكم التنزيل: {فأزلهما الشيطان فأخرجهما مما كانا فيها وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين} [البقرة: ٣٦]، فكان هذا الهبوط من بساتين الجنة إلى سطح الأرض هو أول رحلة قام بها الإنسان. إذن، فالرحلة قديمة قدم حياة الإنسان على الأرض، فبالرغم من صعوبة وسائل النقل في العصور البشرية السالفة

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

استطاع الإنسان أن يجوب الآفاق ويطوف على العالم على قدر طاقته ليسجل لنا تاريخ البلاد القريبة والبعيدة، فيكون مرجعا وثائقيا ومجال بحث في الميدان الأدبي.

يمكن إرجاع نشأة أدب الرحلة في التراث العربي إلى العصر الجاهلي بحيث توجد نماذج منه مبعثرة في ثنايا نصوصهم الشعرية، حيث يصف فيها بعضهم تنقلاتهم بوصف المشاهد التي مروا بها أثناء الرحلة. ولقد ألف العرب الرحلة وخاصة التجارية، منذ عهد بعيد تأخذ اتجاهاتها في الشتاء والصيف، كما ذكر القرآن العظيم رحلة قريش: {لإيلاف قريش. إيلافهم رحلة الشتاء والصيف} [قريش: ١-٢].

وقد أخذت الرحلة بعد مجيء الإسلام أشكالا عديدة لأغراض أغلبها دعوية ومعرفية، حتى وفرت للأجيال المراجع الضخمة من التاريخ والعادات وجغرافية البلدان المختلفة، "ويعد القرن السادس الهجري من أكثر القرون العربية الإسلامية التي شهدت نهوضا ملحوظا بأدب الرحلة"[٨]

خلف الرحالة العرب آثارا ضخمة، ومن ضمن كتبهم في أدب الرحلة العربي في هذا العصر (كتاب الأقاليم)، و(البلدان الكبير)، و(البلدان الصغير)، و(أنساب البلدان): للغوي المؤرخ هشام الكلبي(ت حوالي ٢٠٦هـ)، و(مروج الذهب ومعادن الجوهر): للمسعودي، و(تحفة الألباب ونخبة الأعجاب): لأبي حامد الغرناطي، و(نزهة المشتاق في اختراق الآفاق): للشريف الإدريسي (٥٦٠هـ) الذي وضع الخرائط لجميع أنحاء العالم المعمور آنذاك، وصمم كرة من الفضة صورة كافة تضاريس العالم، و(رحلة ابن جبير): لأبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني (ت ٦١٤هـ) هو الذي اكتملت على يديه ملامح أساسية لأدب الرحلة العربي، و(تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار): لأبي عبدالله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطه، يعد كتابه أكثر كتب الرحلة إمتاعا وجاذبية، فضلا عن احتوائه على كمّ هائل من المادة الأدبية والجغرافية والإثنوجرافية[٩]

وبهلول العصر الحديث (ق ١٣هـ / ق ١٩م) حتى الآن، عادت الرحلات العربية بعد فترة من الركود، إلى البزوغ والازدهار من جديد في ثوب مختلف، فاتصل العالم الغربي بالعالم العربي من جديد وأخذ يتزايد مبلغ بعثات علمية من قبل العرب إلي العالم الغربي كثيرا، فتوجهت رحلات العرب إلي أوربا بشكل هائل، وعنيت كتبهم بوصف مناظر بلدان أوربا الطبيعية وما شاكل ذلك، ثم اهتموا برحلاتهم نحو الولاية المتحدة الأمريكية بشطريها. ومن أشهر من قام من العرب برحلة بالمعني الحقيقي للكلمة في هذا العصر الحديث محمد عمر التونسي سنة ١٩٠٣م، ألف كتابا في

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

رحلته بعنوان (تشحيذ الأذهان)، ومنهم رفاعة بك الطهطاوي بكتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز)، وعبد العزيز الثعالبي الذي رحل إلي العالم الإسلامي كله طوال ثلاثين عاما، وذكر مشاهداته ومشاعره في مذكراته: (وفي هذا العصر بالذات أصبح أدب الرحلة فنا من فنون الأدب، بينما كان قبلُ دراسة تاريخية وجغرافية حية)[١١]

ج- دوافع الرحلة:

تدعو الإنسان إلى الرحلة دواع عديدة متنوعة بتنوع حاجة الرحالة أو المسافر؛ لأن رغبات الناس في الرحلات لا تتحد كما لا تتحد وسائلها، وبالرغم من ذلك يمكن حصرها في الأغراض التالية كما سطرها قنديل[١٢]

١- **دوافع دينية**، كالارتحال للحج إلى الأماكن المقدسة امتثالا لأمر الله تعالى بقوله: {وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق} [الحج: ٢٧].

٢- **دوافع علمية**، كالرحلة للاستزادة من العلم في المناطق التي اشتهر أبناؤها بالعلوم المختلفة كالفقه والطب والهندسة والكشوفات الجغرافية وغير ذلك.

٣- **دوافع سياسية**، كالوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى جهات أخرى بقصد تبادل الآراء في توطيد العلاقات القائمة بين الطرفين، ومناقشة سبل الأمن والسلام بين دولتين.

٤- **دوافع ثقافية وسياحية**، وهي رغبة التنقل وتغيير الأجواء والمناظر بالمشاهدة والمغامرة، ومعرفة الجديد من الطبيعة، واكتساب الخبرة عن أحوال البيئة الجديدة.

٥- **دوافع اقتصادية**، والقصد منها فتح أسواق جديدة للمنتجات المحلية، وعقد علاقات لتبادل السلع وتعهد الأسواق المختلفة لبيع حجم من البضائع كبير، وإدرار الربح الكثير.

٦- **دوافع صحية**، كالسفر لطلب العلاج في المستشفيات الحديثة المتطورة حيث تتوفر الآلات التقنية الحديثة ، وقد تكون الرحلة فرارا من الوباء، أو أي حدث يمس الصحة.

٧- **دوافع أخرى متفرقة**، ولا يمكن حصر الدوافع كما لا يمكن حصر رغبات الإنسان، ومن ذلك ضيق العيش، والفرار من العقوبة مثلا وغير ذلك.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

بالإضافة إلى هذه الدوافع التي هي السبب الرئيس الباعث إلى تسطير هذا الأدب، فإن له قيمته الجديرة بالذكر، وهي:

١- قيمة علمية فيما تحويه كتب الرحلات من معلومات جغرافية وتاريخية أو أنثلوجية وغير ذلك.

٢- قيمة أدبية وتتجلى في كون الكثير من هذه الرحلات كتب بأسلوب أدبي رفيع، يتميز بالتصوير الحي، والوصف الدقيق، فالقارئ لكتب الرحلات يشعر بالمتعة الكبيرة وكأنه عاش في البلاد التي يروي عنها الرحالة. والقيمتان العلمية والأدبية متلازمتان لا تنفصل أحداهما عن الأخرى.[١٣]

ولأدب الرحلة في نيجيريا سوق رائجة، وذلك أن اللغة العربية دخلت أراضي نيجيريا، وخاصة مملكة كانم وسلطنة صُكُتُوْ في صحبة الإسلام، وقد أصبحت العربية لغة الدين والديوان في البلدين، فاستطاع علماء البلاد أن يتمكنوا من إجادة اللغة العربية، ويحيطوا بمعظم فنونها مما شجع على قرضهم الشعر، وقالوا في مختلف الأغراض، وسلكوا فيه الأساليب المتنوعة، فأتوا بتراث ضخم وقيم.

ومن ضمن هؤلاء الشيخ آدم عبد الله الإلوري- رحمه الله تعالى- الذي يعد ممن بذلوا الجهد الكبير في نشر الثقافة العربية في جنوب غربي نيجيريا، يقول في رحلته التربوية إلى الأزهر الشريف:

رأيت بلادي بالتقاليد أرهمت ** تقدمها أضحى عن ضل الدين نائيا
لهذا خرجت أقصد الأزهر العلا ** لإسقاط ريب القلب مما بدى ليا [١٤]

ويقول الشيخ أبوبكر المسكين – رحمه الله تعالى- وهو من رواد الثقافة العربية الإسلامية، وأحد قادة الصوفية لاسيما في برنو، يقول الشيخ في أرجوزته (الرحلة الفاسية):

وبعد فالمقصود بالنظام ** رحلتنا إلى الإمام السامي
أحمد من جاء على الختام ** للأولياء النجب الكرام
زيارة رابعة أراني ** أكتبها لمطلب عراني[١٥]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

والشاعر محمد بشير هو الآخر قد أدلى بدلوه في منابع الأدب، العربي فتكونت له شاعرية فذة، وأنجز الكم الهائل من الشعر في مختلف الأغراض من ضمنها شعر الرحلة، وخير مثال لجهده في ذلك القصيدة المدروسة.

عرض وتحليل للقصيدة المدروسة

القصيدة من الطويل وتتألف من ثمان وخمسين بيتا[١٦] يروي الشاعر أحداث رحلته إلى الحرمين بقصد أداء مناسك الحج لعام ١٩٩٩م، وقد وصف فيها، وتضرع وتبتل وصلى على رسول الله- صلى الله عليه وسلم. وستتناول الدراسة هذه القصيدة من خلال ثمانية مقاطع يُعالج، كل مقطع منها موضوعا منفردا من رحلة الشاعر، وتأخذ الدراسة شكلها كالتالي:

المقطع الأول: (البيت ١-٤):

١- طويت طريقا للمطار المثقف** بكانُوْ[١٧] إلى أرض الحبيب المشرّف
٢- فلما انتهينا للمطار أتوا لنا** بطائرة تحوي جموعا تصنف
٣- سمونا عليها فاستوت وتشمر** وكان الدعاء بالطيف وألطف
٤- تشق بنا الأجواء أربع ساعة** فتمّ وصال عند جَدّة موقف

يسجل الشاعر من رحلته إلى أرض حبيبه، ويقصد به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأول نقطة انطلاق حدثت له بعد مغادرة داره، وهو المطار (مطار أَمِينُ كَنُوْ الدولي) بمدينة كَنُو- نيجيريا المتصف بالجودة لاحتوائه على أحدث الأدوات المستلزمة في المطارات العصرية، وفور وصول المطار أعدت طائرة عظيمة الهيكل وقد ضمت خليطا من الركاب تختلف شعوبا وألوانا. فلما أخذ الركاب مقاعدهم من الطائرة بعد الإجراءات اللازمة، شرعت في الإقلاع تشق الجو في سرعة هائلة، ففزع الركاب إلى الدعاء، حتى إذا استقامت في سيرها اجتازت بهم المسافة في مدة أربع ساعات، فإذا بها تحط في مطار جَدَّة الدولي بالمملكة العربية السعودية.

المقطع الثاني: (البيت ٥-١٢):

٥- وقوفي بجدة اليوم قد طاب موقف ** به زال همي والكروب ستكشف
٦- فتي زورة أحلى الزيارات كلها** أتيت وأنعام الإله ترفرف
٧- لقد ساقني حبي لأحمد ليتني** أشاهده إن جئت بالباب عاكف
٨- لجدة جئنا والمطار كما ترى** بأنوار طه الهاشمي مزخرف[١٨]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٩- نـزلنـا بـه والحمـد لله وحـده** شممت شذًا منه بدت لي أحرف
١٠- حروف بنور خطها بان صادرا** من الضـفة اليمنى إلى فتهدف
١١- تصاحبـني منـذ النـزول بجدة** وأنــوارها حـولي بـها متلفلف
١٢- أغـادر يومي جـدة متوجـها ** إلى مـكة والظرف كان مصيف

وفي هذا المقطع لم يتمالك الشاعر سروره عندما هبطت بهم الطائرة بمطار جدّه، فقد وجد أن سعادته قد بلغت ذروتها؛ لأنه بدأ يستنشق شذا عرف طيب مزوره المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم، وقد تلاشت عنه همومه، ولشده ابتهاجه يرى أن الإضاءة التي تنير مطار جدة ليست إلا قبسا من أنواره صلى الله عليه وسلم، والمتعة التي يشعر بها الشاعر تعجز المعاجم اللغوية عن التعبير عنها. ويستخدم الشاعر الرمز في الأبيات الثلاثة الأخيرة ليعبر عن الشعور بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم له، فيتخيله نورا يصحبه في كل تحركاته وسكناته، ثم لم يلبث أن غادر مدينة جده في نفس اليوم الذي حل به فيها.

المقطع الثالث (البيت ١٣- ١٩):

١٣- دخــلنا ببسـم الله مـكة فانــجـلت **سمـوش من الأبدان إذ هي تكسف
١٤- فضــاء لنـا البـدر الـذي دام نوره ** كسـوت به علـما لدنا مشــرف
١٥- نفى الجهل عني ساعتي صرت واعيا ** ونلت من الأسـرار ما لم أوصف
١٦- تبـدد كـل الهـم والغـم وانطـوى ** ومازال إلا الأجـر فينا مضاعف
١٧- وصـلت بحمـد الله مـكة سالمـا ** بلا كلـفة مني ولا مـا يؤسف
١٨- سـوى معظـم الزوار بـيض وإنني ** لبست سوادا في الجـموع موصّف
١٩- حملـت ذنــوبا كالجـبال تثاقـلا ** وجئـت لعـل الله بالعفـو يتـحف

يعكس الشاعر في هذا المقطع الانطلاق من جدة إلى مكة المكرمة، إذ كانت الدنيا صيفا، وهنا يصور لنا مكة في شكل شعاع انعكس على بصيرته التي كانت منكسفة فنارت لذلك الانعكاس، فحل العلم فيه محل الجهل، وحاز من الأسرار الربانية ما به زال همه وغمه. ويحاول الشاعر في هذا المقطع أن يكشف لنا عن حالة من الأسف وجدها في نفسه حيث اسودّ لونه من جراء الذنوب والآثام بينما بقية الحجيج بيض الألوان لخلوهم من الشوائب الأثيمة، ومع ذلك فهو يأمل في الحصول على عفو الله تعالى.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

المقطع الرابع: (البيت ٢٠- ٢٤):

٢٠- أيا مبدِئ الأكوان يا منشِئ الورى ** قصدتك ربا راحما متلطف
٢١- أيا فاعف عني اليوم كل كبيرة ** وكن لصغاري ماحيا ومنظف
٢٢- لقد غرني وقت الصبا وَهْوَ قد مضى ** وخلفني شيب معيب مخرِّف
٢٣- فأيقنت أن العمر قد زال جله ** فحاولت أن آتي لربي ينظف
٢٤- فيا أسفى من ما جنته جوارحي ** ونفسي لا زالت تخوض وتسرف

يحبذ الإنسان فرصة الاختلاء لمناجاة ربه عندما يجد نفسه في أحرج الأحيان، والشاعر تفرغ في المقطع إلى خالقه يسأله العفو من كل صغيرة وكبيرة من الذنوب، ثم يظهر ندمه على اغتراف المساوئ زمن الصبا، وأنه لم يقلع عن المعاصي حتى اللحظة بالرغم من بلوغه سن الرشد، غير أنه لم ييأس من رحمة الله تعالى، .

المقطع الخامس: (البيت ٢٥-٣٣):

٢٥- فخالفتها حق الخلاف متاركا ** أوامرها حتى الممات أخالف
٢٦- تخليت عن أكلي وشربي وراحتي ** إلى الحرم الأعلى به متعكف
٢٧- عكفت به شهرا تماما ولم أزل ** أزيد اشتياقا قط لا أتكيف
٢٨- فشغلي مدى الأيام ذكر وتارة ** تراني بالبيت الحرام أطوّف
٢٩- فطورا تراني بين مروة والصفا ** وطورا تراني عند زمزم أغرف
٣٠- شربت مياها من بيار عديدة ** ولكن بهذا الماء تمّ التصوّف
٣١- هو الخمر عين الخمر إن تك عارفا ** فإن لم تكن أهلا فدعني أعرّف
٣٢- سكرنا به يوم السموات أمطرت ** لنا العلم والعرفان يجري مرادف
٣٣- هناك أرى ماحي الضلال محمد ** تريّحني آثاره وتكيّف

ينقل الشاعر إلى المتلقي في هذا المقطع حالته عند الاعتكاف في الحرم المكي، بحيث أنه خالف هوى نفسه فتخلى عن الراحة، وشمر للعبادة يطوف ويسعى ويسجد، والحال قد غمره الشوق الشديد إلى الازدياد من النسك. ويزيد أنه بتناوله ماء زمزم- وزمزم لما شرب له- تحقق في السلوك الصوفي، فبلغت به النشوة أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم كلما وقف على آثاره التي يجد فيها رائحة النفس والاطمئنان.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

المقطع السادس: (البيت ٣٤- ٤٠):

٣٤- فأهلا وسهلا بالمدينة مرحبا ** محطة نصر المُنْحَمِنَّا[1] المشرّف
٣٥- هنيئا لها نعم المدينة إنها ** من المدن أحلى بل من المدن أثقف
٣٦- بها الروضة الخضرا مقام محمد ** ومسجده الأعلى بها متزخرف
٣٧- حوت كل خير ثم بطنا وظاهرا ** بآثارها الحسنى فهمّي مخفّف
٣٨- بها نُصر الإسلام من قبل مكة ** بسكانها نال النبِي من يكاتف
٣٩- لقد نبع الإحسان منها مدفقا ** لكل بلاد الأرض مدنا وخُلّف
٤٠- فطوبى لمن زار المدينة قاصدا ** حبيبا له في الله والحجب تكشف

وهنا يتحدث الشاعر عن وسائل الوصول إلى المدينة المنوّرة، فيأخذ المتلقي إليها فجأة حتى لا تنقطع لذة القيام بمكة، فطاف الشاعر بخياله حول مدن الدنيا فلم يجد أحلى وأجمل منها، وذلك أنها تضم الروضة النبوية الشريفة، بالإضافة إلى مزاياها الأخرى، فالمدينة هي التي انطلق منها جيش المسلمين ففتح مكة المكرمة، والمدينة هي التي آوت النبي وأصحابه المهاجرين، فطوبى لمن زار النبي صلى الله عليه وسلم الذي بزيارته تنكشف الحجب عن العبد السالك.

المقطع السابع: (البيت ٤١- ٥٢):

٤١- أيا سيدي سر المهيمن أحمد** خديمك من برْنُوْ أتى الباب واقف
٤٢- أتأذن لي أم أرجع الدار خائفا** فإن لم أجد رؤياك فالأمر موسف
٤٣- لبابك تم الوصل جئت مسلما** إليك جميعَ الأمر أنت المصرّف
٤٤- تصرّف بما قد شئت فيَّ فإنني** أسيرك لا ألوي لغير أعكف
٤٥- رجائي ضمانا في العلوم بأسرها** ومعرفة من فوق ما كان يعرف
٤٦- وجد لي بعين لا كعيني عادة ** بها أكشف الأسرار طرفا وأعطف
٤٧- وتلبسني ثوب التقى وتتوّجنْ ** بتاج من النور السني المعقِّف
٤٨- كذلك رزقا واسعا دون كلفة ** لنفسي وأولادي ومن بي يرادف
٤٩- وهب لي في الأخرى ضمان شفاعة ** إذا وزن الأعمال لا أتخفف
٥٠- ونلني نظرا منك في كل لحظة** وتلحقني بالسابقين وتعطف
٥١- أفض لي رضى من خالقي ثم والدي** ووالدتي هب لي رضاها مضاعف

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٥٢- جــزاهم إلـهي كل خـير فإنـهم ** هبــوا ليَ كل الخير والله يخلف

في هذا المقطع يروي الشاعر ثمرة رحلته التعبدية، فيختلى إلى الروضة الشريفة لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم، فيبدأ نداءه بأداتين (الهمزة والياء) معبرا عن عظمة المنادى وكاشفا عن لهفته الشديدة، ويردف ذلك بتعريف نفسه على وجه التذلل بأنه من بلاد بَرْنُوْ وينتمي إلى خدام الحضرة المحمدية، وقد جاء طالبا إذن الزيارة وها هو أمام الروضة الشريفة يتوسل بمزوره- عليه أتم الصلاة وأزكى السلام- إلى الله تعالى راجيا الحصول على المعرفة والعلوم، والبصيرة النافذة، والتحلي بالتقى، والرزق الواسع له ولأولاده ومن تعلق به، بدون كد. ومن ضمن أمنيات الشاعر التي يرجو تحقيقها الشفاعة يوم القيامة، ورضى الخالق، ورضى الوالدين، ثم يبدي بإلحاح تعطشه إلى الفوز برؤية المصطفى صلى الله عليه وسلم.

المقطع الثامن والأخير: (البيت ٥٣- ٥٧):

٥٣- عليك مــن العبد الحقير تحية ** لقــد تم نظـمي هاهـنا أتوقّـف
٥٤- عليك صــلاة الله ثم سلامــه ** صلاة بها فـقري يزول وُيصــرف
٥٥- عليك صــلاة الله ثم سلامــه ** صلاة بها همّي مدى الدهر يُكشف
٥٦- عليك صــلاة الله ثم سلامــه ** صلاة بهـا شــمل العــدو متلّـف
٥٧- عليك صــلاة الله ثم سلامــه ** صلاة بها بــدر العــداوة يُخسـف

في هذا المقطع تتضح للمتلقي كيفية انتهاء زيارة الشاعر للمصطفى عليه الصلاة والسلام، ولأهمية هذه الزيارة اختار الشاعر لها صورة ختام مثيرة بحيث حلاها بالتحية العطرة المكررة على صاحب الروضة، صلى الله عليه وسلم، ثم أبدى كامل تواضعه تسربلا بقميص التواضع ليؤذن بانتهاء الرحلة الميمونة.

ملاحظات:

١- تشعر فاتحة القصيدة بأن الشاعر شمر عن ساق الجد للرحلة دون صحبة فرد من أقرابائه، بشهادة قوله: (طويت طريقا للمطار)، وإنما صحب الزملاء إما في الطريق إلى المطار مستندا إلى الوسيلة التي أدت بالكل إلى المطار عندما يقول: (فلما أتينا للمطار).

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٢- وبقوله في البيت (١١) (تشق بنا الأجواء أربع ساعة ** فتم وصال عند جدة) إفادة المتلقي أن المسافة بين كَنُوْ وبين جدة جوا تستغرق هذه المدة، وفي ذلك تنبيه إلى المسافر بين المدينتين ليستعد لهذه الرحلة الطويلة.

٣- ويستفيد المتلقي أن مغادرة الشاعر جدة إلى مكة تمت في اليوم الذي حطوا فيه بجدة، وذلك حاصل من إشارته في البيت (١٢) (أغادر يومي جدة) التي تفيد بأن الشاعر لم يمكث في جدة أكثر من يوم واحد.

٤- السواد الذي يقصده الشاعر في قوله (لبست سوادا في الجموع) لا يعني به سواد البشرة، بل إنما يعني به سواد القلب من جراء المعاصي. والظاهر أن الشاعر يتواضع في هذه العبارة، وإلا فمن أين لمن اسودّ قلبه أن يذعن لنداء الحج والقيام بالنسك وخاصة ذات الرحلة الطويلة والبعيدة؟!

٥- أن المدة التي قضاها الشاعر في رحلته تزيد على الشهر، إذ استغرق الاعتكاف من الرحلة شهرا كاملا، أضف إلى ذلك السفر إلى المدينة والأيام التي أمضاها في زياة الروضة الشريفة، والتي لا يتأتى الغرض منها في يوم وليلة، بل يتم في بضعة أيام.

٦- وأخيرا، يتضح من الجولة القصيرة في معاني القصيدة أن الشاعر لم يذكر عن العودة من الرحلة شيئا. وهذا يلهم أن الحاجة الملحة للشاعر هي شوقه إلى زيارة الأماكن المقدسة بقصد الحج والعمرة، وقد تم له ذلك، واطمأنت به نفسه، وقرت عينه، فكأنه لا يرى في ذكر غير تلك المرابع الطيبة وأحداثها حديثا يلذّ على لسانه، وترتاح إليه نفسه، فأمسك عن الرواية بنهاية الزيارة في المملكة العربية السعودية.

لمسات فنية في القصيدة

القصيدة العربية هي موضوع شعري مكوّن من أبيات تتغير خصائصها الشكلية مع تعاقب العصور؛[٢٠]وقد أخذت وضعا خاصا منذ نشأتها إلى اكتمالها، فهي تبتدئ بذكر الأطلال والوقوف عليها، ووصف الناقة والصحراء وغير ذلك، ثم تنتقل إلى الغرض الرئيسي فتختتم بشيء من الحكمة أو من الطرافة؛[٢١]كانت هذه العادة سائدة حتى بداية العصر العباسي، ثم أخذ بعض الشعراء الانسلاخ منها، فابْتُدِئَت القصيد بما يُرى مناسبا للبيئة الجديدة.[٢٢]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

والشاعر محمد البشير مقلد للقدامى في بعض الجوانب، ولذا جاءت قصائده متسقة المعاني، واضحة الاتجاه في تصوير المناسبات. والقصيدة المدروسة جاءت على المنحى التقليدي من الناحية الموسيقية، إلا أنها اتبعت أسلوبا مستحدثا من الناحية الافتتاحية.

أ- بنية القصيدة الشكلية:

بما أن لكل شاعر إحساسه الخاص وشعوره تجاه ما يحيط به من الطبيعة أو البيئة، فإنه قد تختلف نظرة الشاعر عن غيره، وينطبع ذلك على إدراكه المعاني وتصويراتها، وعلى هذا الأساس ستتم دراسة هذه القصيدة شكليا من أجل الوصول إلى بنيتها الفنية.

حسن المطلع من الوسائل المكملة لشكل القصيدة العربية، هو كون مطلع النص مترجما لما يأتي بعده، وعلى حسب تعبير ابن الأثير هو أن يجعل الشاعر أول الكلام من شعره دالا على المعنى المقصود من ذلك الكلام[٢٤]وذلك لأن المطلع هو أول ما يطرق سمع المتلقي، وبه ينوه على ما يلي من كلام في القصيدة. ولقد انطبعت هذه الظاهرة على معظم شعراء نيجيريا، إذ حاول معظمهم التجديد في المطالع متبعين أسلوب المحدثين. وعلى هذا النهج بنى شاعرنا قصيدته المدروسة بقوله:

طويت طريقا للمطار المثقـف** بكَانُوْ[٢٥]إلى أرض الحبيب المشرّف

وعند الاستماع إلى هذا المطلع يتجلى للمتلقي أن الغرض من القصيدة هو وصف رحلة قد قام بها الشاعر، وما ساعد المتلقي على سرعة إدراك المراد إلا المطلع الجذاب الذي يدل على براعة الشاعر في الاستهلال.

ويتخلص الشاعر من مقدمته إلى الغرض منها بدون إشعار، وحسن التخلص هو الانتقال مما بدأ به الشاعر قصيدته إلى غرضه الرئيس منها[٢٥]من دون أن يقطع كلامه ويستأنف كلاما آخر، إلا أنه لابد من رابط بين المعنى المتقدم واللاحق يشعر بأن المعنى المتقدم سبب في المعنى اللاحق. وبالتامل في القصيدة يتضح للمتلقي أن الشاعر قد أجاد التخلص من مطلع قصيدته ببراعة إذ أحكم الربط بين المعنيين السابق واللاحق من غير أن يشعر المتلقي بالانتقال، فقال:

فلما انتهينا للمطار أتوا لنا** بطائرة تحوي جموعا تصنف

هذا فيما يخص حسن التخلص؛ وأما من زاوية تحسين المقطع فمن المعتاد أن يكون لكل بداية نهاية، ونهاية القصيدة تسمى مقطعا، وهو أن يكون آخر الكلام الذي يقف عليه الأديب مستعذبا حسنا لتبقى لذته في الأسماع[٢٦]وسعيا وراء الجودة في المقطع، اقتفى الشاعر نهج

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

القصائد الدينية التي تختتم بالصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، فاختار شاعرنا هذا النوع فاختتم به قصيدته في عدة أبيات إذ يقول:

عليك مـن العبد الحقير تحية** لقـد تم نظـمي هاهـنا أتوقّـف

وإذا نظرنا إلى العاطفة التي هي شعور الإنسان الذي يختلج نفسه تجاه شخص ما أو فكرة معينة[٢٧]فهي شعور انفعالي يسيطر على الشاعر ويجعله يعبر عن مشاعره بصورة تختلف عن الحلات العادية. إذن فهي عنصر مهم من عناصر الأدب، بها يؤثر الأديب في الآخرين، فالأديب بِدُون عاطفة يستمتع بنصه القارئ، ولا يحس بالجمال والروعة[٢٨]فيجب أن تتسم العاطفة بسمة الصدق الذي بها يتم التأكد من صحة هذا العمل، ومن شعور الأديب وإحساسه الحقيقي بهذه التجربة كما يرى سيد قطب[٢٩]

ومن ذلك يحس المتلقي بالتأمل في النص التالي من القصيدة بعاطفة قوية، حيث أصدر الشاعر كلمات من قرارة نفسه معبرا بها عما ينطوي عليه ضميره، فجاءت بتعبير سلس متماسك الأطراف بعيدا عن التكلف، والتخلص من هذه الشواهد أن شاعرنا قد اصطبغ بعاطفة منبعثة من قلب مفعم بشعور وإحساس قويين في المادة، تأمل أيها القارئ قوله:

وقوفي بجدة اليوم قد طاب موقف **به زال همي والكروب ستكشف

فتي زورة أحلى الزيـارات كلـها ** أتيـت وأنعـام الإله ترفـرف

لقد ساقـني حبي لأحمـد ليـتني ** أشاهده إن جئت بالبـاب عاكف

يعبر الشاعر هنا بشعوره القوي بالفرح إذ سجل هذه الزيارة التي بشرته بانجلاء الكربات عنه وبتخيم ظلال النعمة عليه، ودافعه إلى هذه الزيارة هو حبه المخلص لنبيه عليه الصلاة والسلام، هذا الحب الذي يكاد يتجلى عيانا للمتلقي لولا أنه كان سرا وجدانيا يمتنع عن التمثيل أمام العين المجردة.

ومن الناحية العروضية أنه إذا التفت المتلقي إلى القصيدة ودقق النظر في موسيقاها، وجد أن الشاعر وظّف البحر الطويل في قصيدته التي جاءت على العروض المقبوضة (مفاعلن) والضرب المقبوض مثله (مفاعلن)، ويلاحظ أن الشاعر قد استخدم الجوازات العروضية في أبيات كثيرة، ويمثل ذلك البيت التالي:

طويت طريقا للمطار المثقـف ** بكَانُوْ إلى أرض الحبيب المشرّف

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ويأتي تقطيع البيت على هذا الشكل:

طَوَيْتُ/ طَرِيقَنْ لِلْ/ مَطَارِلْ/ مُثَقْقَـفِي ** بِكَانُوْ/ إِلَى أَرْضِلْ/ حَبِيبِلْ/ مُشَرْرَفُ

٠II٠II-٠IOII-OIOIOII-IIOII ** OIIOII-OIOII-OIOIOII-IOII

فعول / مفاعيلن / فعولن / مفاعلن** فعولن/ مفاعيلن / فعولن / مفاعلن

ب- الأساليب الأدائية:

الأسلوب هو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه أو لنقله إلى غيره، ويتخذ مجاله من الخصائص الجمالية والسمات التي تخلق اطمئنان النفس. والأساليب التي وظفها الشاعر في بناء القصيدة متنوعة؛ فمنها ما يتعلق بالتراكيب، ومنها ما يتعلق بالمعاني، وقد بنى الشاعر صرح معانيه وتراكيبه على اختيار الكلمات المناسبة للمكان المناسب لها، وتوافق الحروف مع الأصوات. كما وضع النقاد ما تتميز به اللغة الشعرية من غيرها بأن تتلاءم فيها الألفاظ مع المعاني من حيث القوة والجزالة والسهولة، وفقا لموضوع القصيدة: "فأسلوب الشاعر في القصيد يتحلى بروح السلامة في التراكيب، والوضوح في المعاني التي تخلّقت منها روح القصيدة واضحة لا تكلّف ولا تصنيع فيها، ومن ذلك قوله:

فطـورا تـراني بيـن مـروة والصفا ** وطـورا تـراني عند زمزم أغرف

شـربت ميـاها مـن بيـار عـديـدة ** ولكن بهـذا الماء تـمّ التصوّف

فالكلمات التي استخدمها الشاعر في القصيدة مثل (طوْرا، مروءة، الصفا، أغرف، شربت، مياها، تمّ، التصوّف) فجميع هذه الكلمات تتسم بالوضوح وبالسهولة، إلا أن حسن الترتيب وبراعة الصنعة قد ألبست عبارات القصيدة نوعا من الرونق والسلاسة.

هذا، وكذلك استعان الشاعر بأساليب متنوعة من الفن البلاغي الذي خلع على عباراته روعة من الإبداع، ومن الأساليب البيانية التي استخدمها الاستعارة، وذلك في قوله:

لقد ساقني حبي لأحمد ليتني ** أشاهده إن جئت بالباب عاكف

الحب من الحسيات المعنوية، لا ينسب إليه السَّوْق، ولكن الشاعر استغل المجاز العقلي فشبه الحب بما من لوازمه السوق، فحذف المشبه به وهو الإنسان، ورمز إليه بشيء من لوازمه على وجه الاستعارة. وكقوله أيضا:

طويت طريقا للمطار المثقـف ** بكَانُوْ إلى أرض الحبيب المشرّف

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

المراد من الطريق عادة هو المسافة لا عين البقعة من الأرض، فطي المسافة كما يطوي الحصير أمر مستحيل، وإنما المراد الوقت الذي يقضى في قطع المسافة، فاستعار الشاعر صفة الطي للطريق مشبها إياه بشيء يطوى، فذكر من لوازم المشبه ما يدل عليه.

ومما استخدم من البيان الكناية إذ كنى عن صفاء ضمائر الزوار بالبياض، وكنى بلبس السواد عن فساد الضمير أو اسوداد القلب، وعبر باللبس لأن القلب يعم الجسد جميعه بتصرفه في كل عضو، فقال:

سوى معظم الزوار بيض وإنني ** لبست سوادا في الجموع موصف

يتفنن الشاعر في توظيف الأساليب البلاغية فيستخدم الجناس غير التام في تعابيره كما في البيت:

نفى الجهل عني ساعتي صرت واعيا ** ونلت من الأسرار ما لم أوصف

فإنه هناك جناس غير تام بين (الجهل) وبين (الوعي) أي العلم أو الإدراك.

هذا، وقد وظف الشاعر الجمل الإنشائية (أيا مبدئ الأكوان) والخبرية (قصدتك ربا) في سبيل الإفصاح عما في نفسه إذ يقول:

أيا مبدئ الأكوان يا منشئ الورى ** قصدتك ربا راحما متلطف

فالجملة الإنشائية هنا صدرت بأداتين من أدوات النداء هما (الهمزة والياء)، وذلك إبرازا لعظمة المنادى، والجملة الخبرية هي الأخرى خبرها لازم الفائدة؛ لأن المنادى أعلم وأحوط بما عليه حال المنادي.

فتتبع الأساليب البلاغية في القصيدة يجر البحث إلى التطويل، ففي هذا القدر كفاية في الإيضاح، إلا أنه لابد من بعض الملاحظات اللغوية، وذلك أن الشاعر لجأ إلى ارتكاب الضرورة الشعرية انطياعا للقافية لدرجة أدت به إلى الوقوع في بعض الأخطاء النحوية واللغوية، فمن أمثلة الأخطاء اللغوية استعمال الشاعر لكلمة (بيار) بدل (آبار)، في قوله:

شربت مياها من بيار عديدة ** ولكن بهذا الماء تم التصوف

ففي استعمال بيار المتدولة في اللهجة العربية النيجيرية خروج إلى اللغة العامية بدل الفصحى. كما جاء بتمييز العدد (أربع ساعة) مفردا بدلا من الجمع (ساعات)، في قوله:

تشق بنا الأجواء أربع ساعة ** فتم وصال عند جدة موقف

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

أما الأخطاء النحوية التي اضطر إلى ارتكابها الشاعر سعيا وراء توحيد القافية فعديدة، والضرورة هنا غير مسموح بها لتعديها إلى إفساد المعنى، ومن ذلك قوله:

أغادر يومي جدة متوجها ** إلى مكة والظرف كان مصيف

فمصيف في هذا السياق هي خبر (كان)، ولا يمكن رفعها بحال من الأحوال، ولكن الشاعر رفعها طبقا لحركة الروي (الرفع بالضم). ومن نوع هذه الأخطاء رفع كلمة (مضاعف)، وهي حال من (رضاها)، ولا تقبل إلا النصب، كما في البيت التالي:

أفض لي رضىً من خالقي ثم والدي ** ووالدتي هب لي رضاها مضاعف.

الخاتمــة

لقد تم البحث بعون الله تعالى وحوله، فتمخض من الدراسة التعرف على حياة الشاعر وشاعريته، وإظهار ما تضمنت القصيدة من جزئيات تكونت منها الرحلة، وتجلّت القيمة الأدبية للقصيدة من خلال تأملات في المظاهر الشكلية والفنية للقصيدة، بحيث احتوت القصيدة على مكونات النص الأدبي، وخاصة الشعري منه. ولقد سجلت القصيدة نبذة عن حدث جرى في فترة من الزمن، ودلت على أن هذا النوع من الأدب يقوم بدور هام في صيانة التراث الأدبي العربي. ومن الله تعالى نسأل السداد والتوفيق، وأن يجعل هذا البحث مقبولا لديه ولدى طلبة العلم ليكون بابا يوصل الباحثين المقلين إلى توسع الدراسة حول انتاجات الشاعر محمد بشير.

الهوامش والمراجـــــــع

[1] – إبراهيم، دنامه محمد، **الشعر العربي في منطقة انغالا**، رسالة دكتوراه في الأدب العربي، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة ولاية نَصَرَاوَا، كَيْفِي، ص: ٢٠٨.

[2] - عثمان عبد الرحمن ٣٥، مقابلة في داره بميدغري، الساعة ٣٠، ٢ مساء، بتاريخ: ٢٠/٠٦/٢٠١٧م.

[3] - إبراهيم، دنامه محمد، المصدر السابق، ص: ٢١٠.

[4] - قنديل، فؤاد (الدكتور)، **أدب الرحلة في التراث العربي**، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م، ص: ١٩-٢٠.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

[٥] - القاسمي، محمد رضي الرحمن (الأستاذ)، **الرحلة وأدبها في اللغة العربية: دراسة تحليلية**، مجلة الداعي، الصادرة عن دار العلوم، دبوند، جمادى الثانية - رجب ١٤٣٤هـ/ إبريل- يونيو ٢٠١٣م العدد ٥-٧، السنة: ٣٧/ (www.darululoom-deoband.com/arabic/magazine/tmp/13).

[٦] - د. م.، **أدب الرحلات**، www.marefa.org، تاريخ الدخول: ٢٣/٤/ ٢٠١٨م، الساعة: ٣٢:٥ صباحا.

[٧] - يعقوب، إميل بديع (الدكتور) وزميله، **المعجم المفصل في اللغة والأدب**، الجزء الأول، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧م، ص: ١/ ٦٠-٦١.

[٨] - خضر، مجد، **مفهوم أدب الرحلة**، ديسمبر ٢٠١٦م، موقع الموضوع، تاريخ الدخول: ٢٣/ ٤/ ٢٠١٨م،الساعة: ١٦:٥ صباحا.

[٩] - القاسمي، محمد رضي الرحمن (الأستاذ)، المصدر السابق، بتصرف.

[١٠] - المصدر نفسه.

[١١] - القاسمي، محمد رضي الرحمن (الأستاذ)، المصدر السايق.

[١٢] - قنديل، فؤاد (الدكتور)، **أدب الرحلة في التراث العربي**، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م، ص: ١٩-٢٠.

[١٣]- صالح، أشرف، **أدب الرحلة وقيمته**، ٦/١٠/ ٢٠٠٨م، www.elevessatines.sit.viola.fr، تاريخ الدخول: ٢٣/٤/٢٠١٨م، الساعة: ٢٣:٥ صباحا.

[١٤] - المصدر نفسه.

[١٥] - مخطوطة، في مكتبة الغزالي بن الشيخ أبوبكر المسكين، بحارة شيحوري نوز، ميدغري.

[١٦] - إبراهيم، دنامه محمد، **الشعر العربي في منطقة انغالا**، رسالة دكتوراه في الأدب العربي، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة ولاية نَصَرَاوَا، كَيْفِي، ص: ٢١٠)

[١٧] - الأصل "كنو"، ولكن مده الشاعر بإشباع حركة الكاف ربما للضرورة الشعرية.

[١٨] - يود الشاعر أن ينبهنا إلى أن جدة أصبحت الوصل إلى مكة والمدينة، فحلت بها بركة المصطفى صلى الله عليه وسلم، فأصبح كل شيء فيها مصبوغا بتل البركة حتى الإضاءة في المطار والشوارع.

[١٩] - "المنحمنا" اسم من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم.

[٢٠] - **القصيدة**، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، (https: //. ar. wikipedia.org/wiki) زيارة: ٢٨ / ٨/ ٢٠١٧م.

[٢١] - يوسف حسين بكار، **بناء القصيدة في النقد العربي القديم**، ط/١، بيروت، ١٩٨٢م، ص: ٢١٢.

[٢٢] - صافي، كماصر، **مميزات الشعر في العصر العباسي**، نوفمبر، ٢٠١٦م، www.mawdoo3.com، إنزال: ١٥/ ٩ / ٢٠١٧م.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

[٢٣] - ابن الأثير، ضياء الدين محمد بن محمد، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط٢، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٠م، ص: ٢٢٣.

[٢٤] - الصواب كَنُو بدون مد حركة النون كما ينطقها أهلها.

[٢٥] - يعقوب، إميل بديع وزميله، **المعجم المفصل في اللغة والأدب**، مج١، بيروت، دار العلو للملايين، ط١، ١٨٩٧م، ص: ٣١٧.

[٢٦] - النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج٧، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، د. ت.، ص: ١٣٥.

[٢٧] - **القصيدة**، http: /mawdoo3.com، زيارة: ٢٤/ ٨/ ٢٠١٧م.

[٢٨] - ابن الأثير، المصدر السابق، ص: ٩٠.

[٢٩] - الدكتور أحمد بدوي، **أسس النقد الدبي عند العرب**، مطبعة نهضة مصر، ١٩٩٦م، ص: ١٢٠.

[٣٠] - البدوي، زينب الفاتح، **دراسة نقدية مقارنة لشعر عباس محمود العقاد**، مطبعة جامعة الخرطوم، السودان، ٢٠٠٢م ص: ٢٠٣.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

قضايا النَّقد الأدبي في كتب التراث العربي القديم كتاب (طبقات فحول الشعراء) نموذجاً

إعداد
د/ ياسر عبد المطلب أحمد عبد المطلب
أستاذ مشارك قسم اللغة العربية
كلية اللغة العربية- جامعة إفريقيا العالمية - السودان

المستخلص

تَهدفُ هذه الورقة العلمية إلى التّعرف على أهم قضايا النَّقد الأدبي القديم في كتاب (طبقات فحول الشعراء) لابن سلام الجمحي المتوفَى سنة(٢٣٢هـ) من أوائل الكتب التي اهتمتْ بقضايا النَّقد الأدبي العربي القديم- إنْ لم يكن أولها على الإطلاق- كما اعتنتْ الورقة بدراسة أهم القضايا النقدية التي تناولها ابن سلام الجمحي في هذا الكتاب، والمتمثلة في: قضية انتحال الشعر وأسبابه، حيث كان يمثل الانتحال ظاهرة بين الشعراء ورواة الشعر على عهد ابن سلام، كما تحدث عن ثقافة الناقد، وأكد أنّ الناقد يحتاج إلى معايشة الأدب، وأنّ كثرة مُدارَسته للعلم تجعله بارعاً في النّقد، وتحدث- أيضاً- عن نشأة الشعر العربي، كما أرخ لبعض علوم اللّغة العربية، مثل: النّحو وعلم العروض، فذكر أنَّ لأهل البصرة أسبقية بالنحو، وأنّ أبا الأسود الدُّؤلي أول من أسس العربية، كل ذلك وغيره ستكشف عنه هذه الدراسة العلمية بإذن الله تعالى.

المقدمة:

بذل كثيرٌ من النُّقاد والأدباء جهوداً مقدرةً من أجل الحفاظ على التراث العربي القديم من التحريف والتبديل خصوصاً ما تعلق منه بالشعر وأخبار الشعراء، وعلى الرغم من أنَّ

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

أشعار العرب كانت حافلة بالموضوعات الشعرية المتنوعة، ومتفردة بالجيِّد والمتميز من القصائد، إلا أنّ ابن سلام أدرك ثمّة شعراً موضوعاً صنعه ولفَّقه رواة الشعر ونسبوه إلى غير قائليه، وهو يخلو من جماليات الشعر المعروفة.

ولم يكن ابن سلام على قناعة تامة بأنَّ بعض ما دوِّن من شعر، وما رُوِي على ألسنة الرواة في عصره، صحيحا كل الصحة؛ وذلك لأن بعض الرواة لم يأخذوا الشعر من مصدره الأصل، حيث يقول عن الشعر الموضوع:" **وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب، لم يأخذوه عن أهل البادية، ولم يعرضوه على العلماء**"(٥).

فهو بهذا يُبيّنُ أنّ ثمَّة حَكَمَين يُقبل حُكمهما في صحة الشعر أو وضعه، وهما: أهل البادية، والعلماء بفن القول، فهم الذين يدركون مقاييس الشعر، ويمتلكون الذائقة الأدبية بالفطرة، فيميزون صحيح الشعر من زائفه، وجيده من رديئه، حين تُعرض عليهم أشعار الشعراء وقصائدهم.

وبالنظر إلى جملة الكتاب نجد أنَّ ابن سلام قسمه قسمين رئيسين: أما القسم الأول؛ فمقدمة الكتاب، إذ يُلاحظ أنَّه أراد أن يحدد في هذه المقدمة المؤثرات العامة التي تؤثر في الأحكام النَّقدية في شعر الشعراء، حيث اشتملت على قضايا نقدية أدبية رئيسة، تتمثل في: فكرة الانتحال وأسبابه، وثقافة الناقد، والحديث عن نشأة الشعر العربي، والتأريخ لبعض علوم العربية، وهذه الدراسة معنية بتفصيل هذه القضايا الأدبية التي أثارها ابن سلام في كتابه المذكور آنفاً.

وأما القسم الأخر من الكتاب فتحدث فيه عن طبقات الشعراء، فذكر مئة وأربعة عشر شاعراً فحلاً، جعلهم في طبقات هي على الترتيب كما في كتابه: طبقات الشعراء الجاهليين، وطبقة شعراء المراثي، وطبقة شعراء القرى العربية، وطبقة شعراء يهود المدينة، وأخيراً طبقات شعراء الإسلام.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ولما كان موضوع هذه الورقة العلمية دراسة أهم القضايا النَّقدية في كتاب (طبقات فحول الشعراء) والتي سبقت الإشارة إليها- كان لا بُدَّ أن نحدد محاور رئيسة تقف عليها هذه الدراسة لتكشف عن جهود ابن سلام العظيمة، واهتمامه المقدر في سبيل تنقية أشعار العرب مما لحقها من آفة الانتحال والصنعة، وكيف أصَّل للشعر العربي القديم، وبعض علوم اللغة العربية مثل: علم النحو، وعلم العروض؟ إلى غير ذلك من القضايا النَّقدية التي ستقوم هذه الورقة بمعالجتها، وتتمثل تلك المحاور فيما يأتي:

المحور الأول: التعريف بكتاب (طبقات فحول الشعراء) ومؤلفه.
المحور الثاني: منازل الشعراء في الكتاب.
المحور الثالث: أهم قضايا النقد الأدبي الواردة في الكتاب في كتاب(طبقات فحول الشعراء) ومناقشتها.

المحور الأول: التعريف بكتاب(طبقات فحول الشعراء) ومؤلفه

أولاً: التعريف بالكتاب(طبقات فحول الشعراء)

أما عن المعنى اللغوي لكلمة(طبقة) فقد جاء في لسان العرب:" طبقات جمع طبقة، وطَبَقُ كلِّ شيء ما ساواه، والجمع أَطْباق، وطابَقْتُ بين الشيئين إذا جعلتهما على حَذْو واحد وأَلزقتهما، وهذا الشيء وَفْقُ هذا، ووِفاقُه، وطِباقُه، وطابَقُهُ، ومنه قولهم:" والسمواتُ الطِّباقُ"، سميت بذلك لمُطابَقة بعضها بعضاً؛ أَي بعضها فوق بعض، وقيل لأَن بعضها مُطْبَق على بعض"[٥]. ومن هذا المعنى اللُّغوي لهذه الكلمة يبدو أن ابن سلام أراد بـ (الطبقة) جماعة من الشعراء تشابهت أمزجتهم وأهواؤهم في أمر من الأمور.

وعن لفظة(فحل) فقد جاء في معناها:" الفَحْل: الذكَر من كل حيوان، وجمعه أَفْحُل، وفُحول، وفُحولة. قال سيبويه: أَلحقوا الهاء فيهما لتأْنيث الجمع، ورجل فَحِيل: فَحْل، وإِنه لبيِّن

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الفُحُولة، والفِحالة، وفَحَل إبلَه فَحْلاً كريماً: اختار لها، وافْتَحل لدوابّه فَحْلاً، وفَحْل فَحِيل: كريم منجِب في ضِرابه"(٥).

وقد سأل أبو حاتم الأصمعي عن معنى الفحل من الشعراء:" قائلا: فما معنى الفحل؟ قال: يريد أن له مزيّةً على غيره، كمزيّة الفحل على الحقاق"(٥)، والحِقُّ بالكسر: ما كان من الإبل ابن ثلاثِ سنين وقد دخل في الرابعة، والأنثى حِقَّةٌ وحِقٌّ أيضاً، وجمع الحِقاقِ حُقُقٌ، ومنه قول المُسَيّبِ بن عَلَس:

قد نالني منهم على عَدَمٍ مثل الفَسيلِ صِغارُهَا الحُقُقُ

هذا ويعد كتاب(طبقات فحول الشعراء) أقدم كتاب في اهتمامه بقضايا النقد الأدبي العربي القديم، وفي تناوله لطبقات الشعراء بعد كتاب(جمهرة أشعار العرب) لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، المتوفي سنة(١٧٠هـ)، حيث يقول أحد الباحثين:" **طبقات الشعراء لابن سلام هو أقدم كتاب وصل إلينا في الطبقات والنقد العربي بعد كتاب(جمهرة أشعار العرب) لأبي زيد القرشي**"(٥).

وأما عن سبب تأليف الكتاب فيقول ابن سلام في مفتتحه: " ذكرنا العرب وأشعارها، والمشهورين المعروفين من شعرائها، وفرسانها، وأشرافها، وأيامها إذ كان لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب، وكذلك فرسانها، وسادتها، وأيامها، فاقتصرنا من ذلك على ما لا يجهله عالم، ولا يستغنى عن علمه ناظر في أمر العرب فبدأنا بالشعر، وفى الشعر مصنوع مفتعل، موضوع كثير، لا خير فيه، ولا حجة في عربيته، ولا أدب يستفاد، ولا معنى يستخرج، ولا مثل يضرب، ولا مديح رائع، ولا هجاء مقذع، ولا فخر معجب، ولا نسيب مستطرف، وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب لم يأخذوه عن أهل البادية ولم يعرضوه على العلماء"(٥).

فالمتأمل في هذا القول يدرك أن ابن سلام أراد أن يؤلف كتاباً محكماً وموثقاً يتضمن علوم ومعارف لا يستغني عنها من أراد أن يكون ملماً بأحوال العرب، وشجاعتهم، وسيادتهم،

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وأيامهم، وثقافتهم الشعرية، وتراثهم، وأخبار مجتمعاتهم، فهذا الكتاب كما يبدو من مقدمته يمثل جزءاً من هذه الرؤية الواسعة لمعرفة ترثنا العربي القديم.

ثانياً: التعريف بالمؤلف:

جاءت ترجمة ابن سلام في معجم الأدباء، وسير أعلام النبلاء بأنه:" هو محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم الجمحي البصري، أبو عبد الله، مولى قدامة بن مظعون الجمحي، ولد بالبصرة سنة(١٥٠هـ) وتوفي سنة(٢٣١هـ)، حَدَّث عن مبارك بن فضالة، وحمَّاد بن سلمة، وأبِي عوانة، وطبقتهم، وحدَّث عنه أَحمد بن زهير، وثعلب، وأحمد بن علي الأَبار، وعبد الله بن أحمد وأَبو خليفة، وعدد كثير، ابيضت لحيته ورأسه، وله سبع وعشرون سنة، كان عالماً، إخباريّاً، أَدِيباً، بارعاً..

قال الحسين بن فهم:" قدم علينا محمد بن سلام سنة اثنتين وعشرين ومائتين، فاعتلّ علة شديدة، فما تخلّف عنه أحد، وأهدى له الأجلاء أطباءهم، فعاش بعد ذلك عشر سنين، وتوفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وكان ذلك في السنة التي بويع فيها المتوكل بن المعتصم، وقيل توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين بالبصرة"(٨)، فعاش ابن سلام في القرن الثاني أكثر مما عاش في القرن الثالث، لذلك عدّه بعضهم من نقاد القرن الثاني.

المحور الثاني: منازل الشعراء في الكتاب.

قسم ابن سلام طبقات الشعراء على خمس أصناف من الطبقات، فهي على الترتيب السابق ذكره:

١-**طبقات الشعراء الجاهليين**، وقسمها على عشر طبقات، كل طبقة تحتوي على أربع شعراء فحول، وبذلك يكون مجموع الشعراء الجاهليين عند ابن سلام أربعين شاعراً، حيث جعل في

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

مقدمتهم:" امْرُؤ الْقَيْس بن حجر[٨]، ونابغة بنى ذبيان، واسْمه زِيَاد بن مُعَاوِيَة، ويكنى أَبَا أُمَامَة، وَزُهَيْر بن أَبى سلمى[٩]، والأعشى[١٠] وَهُوَ مَيْمُون بن قيس بن جندل بن شرَاحِيل"[١١].

كانت تضرب للنابغة قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها، وكان أبو عمرو بن العلاء يفضله على سائر الشعراء، وهو أحد الأشراف في الجاهلية، وكان حظياً عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة له بالمتجردة (زوجة النعمان) فغضب النعمان، ففر النابغة ووفد على الغسانيين بالشام، وغاب زمناً ثم رضي عنه النعمان، فعاد إليه[١٢].

أما الأعشى فكان يلقب بأبي بصير، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير، وهو أحد أصحاب المعلقات، كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، غزير الشعر، وكان يغني بشعره، فسمي (صناجة العرب)، عاش عمراً طويلاً، وأدرك الإسلام ولم يسلم، ولقب بالأعشى لضعف بصره، وعمي في أواخر عمره، مولده ووفاته في قرية (منفوحة) باليمامة قرب مدينة (الرياض) وفيها داره، وبها قبره.

٢- **طبقة شعراء المراثي**، وهي طبقة بعد طبقة الشعراء الجاهليين، قال ابن سلام بعد الانتهاء من تلك الطبقة:" وصيرنا أَصْحَاب المراثي طبقَة بعد الْعشْر الطَّبَقَات"، فعددهم أربعة شعراء، أَوَّلهمْ متمم بن نُوَيْرَة[١٣] رثى أَخَاهُ مَالِكًا، الخنساء[١٤] بنت عَمْرو بن الْحَارِث بن الشريد رثت أخويها صخراً وَمُعَاوِيَة، وأعشى باهله[١٥]، واسْمه عَامر بن الْحَارِث بن رِيَاح رثى الْمُنْتَشِر بن وهب بن عجلَان، وكَعب بن سعد[١٦] رثى أَخَاهُ أَبَا المغوار"[١٧].

كانت الخنساء من أشهر شواعر العرب، وأشعرهن على الإطلاق، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت، ووفدت على رسول الله ﷺ مع قومها بني سليم، فكان رسول الله ﷺ يستنشدها ويعجبه شعرها، وكان أكثر شعرها وأجوده في رثائها لأخويها (صخر ومعاوية) وكانا قد قتلا في الجاهلية.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٣- **طبقة شعراء القرى العربية**، وهى خمس قرى: الْمَدِينَة، وَمَكَّة، والطائف، واليمامة، والبحرين، وذكر منهم اثنين وعشرين شاعراً، يقول ابن سلام:" وأشعرهُنَّ قَرْيَة الْمَدِينَة، وشعراؤها الفحول خَمْسَة: ثَلَاثَة من الْخَزْرَج، وَاثْنَانِ من الْأَوْس، أشعرهم حسان بن ثَابت"[١٨].

قال أبو عبيدة:" فضل حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبيّ في النبوّة، وشاعر اليمانيين في الإسلام"[١٩] وهو صحابي جليل، وشاعر النبيﷺ، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام، وكان من سكان المدينة، واشتهرت مدائحه في الغسانيين، وملوك الحيرة، قبل الإسلام، وعمي قبيل وفاته، لم يشهد مع النبيﷺ مشهداً، وكانت له ناصية يسدلها بين عينيه، وكان يضرب بلسانه روثة أنفه من طوله.

وذكر ابن سلام من شعراء مكة تسعة في مقدمتهم عبد الله بن الزِّبَعْرَى[٢٠] يقول:" وبمكة شعراء فأبرعهم شعرًا عبد الله بن الزِّبَعْرَى"[٢١] وهو شاعر قريش في الجاهلية، كان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة، فهرب إلى نجران، فقال فيه "حسان" أبياتاً، فلما بلغته عاد إلى مكة فأسلم واعتذر، ومدح النبيﷺ فأمر له بحلة.

وأما الطائف فلم يكن بها شعراء كُثر؛ يعلل ابن سلام قلة الشعر في الطائف وفي غيرها للحياة المستقرة التي ينعم بها أهل الطائف وغيرهم، حيث يقول:" وبالطائف شعر وَلَيْسَ بالكثير، وَإِنَّمَا كَانَ يكثر الشّعْر بالحروب الَّتِي تكون بَين الْأَحْيَاء نَحْو حَرْب الْأَوْس والخزرج، أَو قوم يغيرون ويغار عَلَيْهِم، والذي قلل شعر قُرَيْش أَنه لم يكن بَينهم نائرة وَلم يحاربوا"[٢٢] وقد ذكر من شعرائهم خمسة على رأسهم أَبُو الصَّلْت بن أَبى ربيعَة[٢٣] يقول عنه ابن سلام:"كَانَ كثير الْعَجَائِب، يذكر في شعره خلق السموات وَالْأَرْض، وَيذكر الْمَلَائِكَة، وَيذكر من ذَلِك مَا لم يذكرهُ أحد من الشُّعَرَاء، وَكَانَ قد شام أهل الْكتاب"، وهو شاعر جاهلي حكيم، قدم دمشق قبل الإسلام، وكان مطلعاً على الكتب القديمة، وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر، ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، وهو أول من جعل في أول الكتب: باسمك اللهم[٢٤].

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وعن شعراء البحرين يقول بن سلام:" وفى الْبَحْرين شعر كثير جيد وفصاحة، مِنْهُم: المثقب وَهُوَ عَائِذ بن مُحصن بن ثَعْلَبَة[٢٩]، وَإِنَّمَا سمى المثقب لبيت قَالَه

أَرَيْنَ مَحاسِناً وكَنَنَّ أُخْرى وثَقَّبْنَ الوَصاوِصَ[٣٠] للعيونِ

وذكر منهم أربعة شعراء[٣١].

٤- **طبقة شعراء يهود المدينة:** وبعد فراغ ابن سلام من شعراء البحرين لم يذكر لأهل اليمامة شاعراً واحداً وإنما قال:" وَلَا أعرف بِالْيَمَامَةِ شَاعِرًا مَذْكُوراً"[٣٢] ولكنه عاد إلى المدينة فذكر ليهود المدينة ثمانية شعراء، حيث يقول:" وفى يهود الْمَدِينَة وأكنافها شعر جيد، مِنْهُم: السموأل بن عادياء[٣٣] من أهل تيماء، وَهُوَ الذي كَانَ امْرُؤ الْقَيْس استودعه سلاحة، فَسَار إِلَيْهِ الْحَارِث بن أَبى شمر الغساني، فَطلَبه، فأغلق الْحصن دونه، فَأخذ ابْناً لَهُ خَارِجاً من الْقصر، وَقَالَ: إِمَّا أَن تُؤَدّى إِلَى السِّلَاح، وَإِمَّا أَن أَقتلهُ، قَالَ: اقتله، فَلَنْ أؤديها، ووفَّى، فَضرب بِهِ الْأَعْشَى الْمثل فَقَالَ:

كن كالسموأل إِذْ طَاف الْهمام بِهِ فى جحفل[٣٤] كسواد اللَّيْل جرار[٣٥]

٥- **طبقات الشعراء الإسلاميين**، وكما قسم ابن الشعراء الجاهليين على عشر طبقات، كذلك فعل بالشعراء الإسلاميين حيث قسمهم على عشر طبقات كل طبقة تحتوي على أربعة شعراء، فصار مجموع شعراء هذه الطبقة أربعين شاعراً، وعلى رأس هؤلاء الشعراء جرير بن عطية بن الخطفى، ومنهم: والفرزدق واسمه همام بن غالب بن صعصعة، وإنما سمي الفرزدق لأنه شبه وجهه بالخبزة وهي فرزدقة[٣٦]، ومنهم والأخطل[٣٧] واسمه غياث بن غوث بن الصلت، ومنهم راعى الإبل واسمه عبيد بن حصين بن جندل"[٣٨].

وعليه يكون مجموع الشعراء الفحول عند بن سلام الجمحي في كتابة(طبقات فحول الشعراء) مئة وأربعة عشر شاعراً، في ثلاث وعشرين طبقة، وفي كل طبقة أربعة شعراء فقط، وبهذا نكون قد انتهينا من المحطة الثانية لهذه الورقة العلمية وأسدلنا الستار عن صفحة هي من

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الأهمية بمكان لهذه الدراسة. وفي ما يأتي المحطة الأخيرة، وهي المحور الأساس، وقطب الرحى، والعمود الفقري الذي انبنت عليه هذه الدراسة وقام أساسها.

المحور الثالث: أهم قضايا النقد الأدبي الواردة في الكتاب ومناقشتها

(١) انتحال الشعر:

فكرة انتحال الشعر هي فكرة الشعر المصنوع الذي ينسب إلى غير قائليه، وقد عُدّ محمد بن إسحاق[٣٩] صاحب السيرة) ممن هجّن الشعر وأفسده؛ لأنه أورد في سيرته أشعاراً لأشخاص لم يقولوا شعراً، ثم ذكر كذلك أشعاراً لعاد وثمود، يقول:" وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه محمد بن إسحاق بن يسار مولى آل مخرمة بن المطلب بن عبد مناف وكان من أعلم الناس بالسير، قال الزهرى: لا يزال فى الناس علم ما بقى مولى آل مخرمة، وكان أكثر علمه بالمغازي والسير وغير ذلك فقبل الناس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول: لا علم لي بالشعر أتينا به فأحمله، ولم يكن ذلك له عذراً فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط وأشعار النساء فضلاً عن الرجال ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود فكتب لهم أشعاراً كثيرة وليس بشعر إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف"[٣٦].

وقد استدل ابن سلام على بطلان هذا الشعر بأدلة نقلية وأخرى عقلية، أما أدلته النقلية فقد أورد من القرآن الكريم ما يدل على بطلال زعم ابن إسحاق على وجود أشعار للأمم الهالكة، من أمثال عاد وثمود، حيث يقول متسائلاً:" أفلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر؟ ومن أداه منذ آلاف من السنين؟ والله تبارك وتعالى يقول:﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣٧] أي لا بقية لهم، وقال أيضاً:﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى. وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾[٣٨] وقال في عاد:﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾[٣٩] وقال:﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾[٤٠] وقال:﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾[٤١][٤٢].

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وهكذا يحشد ابن سلام عدداً من الآيات القرآنية الكريمة التي تصور ذهاب كل ما لهذه الأقوام من آثار، ومن ثمَّ يؤكد على عدم إمكانية أن يكون للأقوام السابقة من أشعار، ولعل ابن سلام يريد بذلك أن يبيّن أن ما نسب لتلك الأقوام من أشعار محض وهم كما يقول أحد الباحثين:" فإن ما نسب من أشعار عربية لتلك الأقوام محض وهم، ولا ينبغي إغفال أن ابن سلام قد فعل ذلك كله ليبيّن مبلغ الإساءة التي لحقت الأحكام النقدية بسبب هذه الأشعار الموضوعة"(٤٣).

وأما الدليل العقلي الذي أورده ابن سلام فيقول:" أول من تكلم بالعربية ونسى لسان أبيه: إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما.. وقال أخبرني يونس عن أبي عمرو بن العلاء قال:" العرب كلها ولد إسماعيل إلا حمير وبقايا جرهم وكذلك يروى أن إسماعيل ابن إبراهيم جاورهم وأصهر إليهم"(٤٤).

فقد أشار هنا إلى أن أول من تكلم بالعربية هو إسماعيل بن يعقوب-على رسولنا وعليهما السلام- ولاشك أن إسماعيل- عليه السلام- بعد عاد، وهذا يعني أن اللغة العربية لم تكن موجودة في عهد عاد، فكيف يوجد شعر بلغة لم تكن موجودة أصلاً؟.

أسباب الانتحال:

وأما عن أسباب انتحال الشعر وكثرته في ذلك الزمان فيُرجع ابن سلام بواعث هذا الانتحال إلى أسباب عديدة نذكر منها:

أولاً- التجاء أصحاب المغازي والسير إلى تدوين الشعر على غير دراية بصحة نسبته إلى أصحابه، كما فعل ابن اسحاق في سيرته، يقول ابن سلام:" فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود، فكتب لهم أشعاراً كثيرة، وليس بشعر، إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف"(٤٥).

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ثانياً- عدم صدق الرواة: فقد أُثر تاريخياً انتحال بعض الرواة للشعر، وأشهر الرواة آنذاك حماد الراوية، وكان كثير الانتحال، يقول ابن سلام:" أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال: قدم حماد البصرة على بلال بن أبي بردة، وهو عليها فقال أما أطرفتني شيئاً؟ فعاد إليه فأنشده القصيدة التي في شعر الحطيئة؛ مديح أبي موسى، قال: ويحك يمدح الحطئية أبا موسى، لا أعلم به، وأنا أروى شعر الحطيئة، ولكن دعها تذهب في الناس"(٤٦) وجاء حماد مرة إلى الكميت بن زيد الشاعر، فقال:" أكتبني شعرك. قال: أنت لحّان ولا أكتبك شعري"(٤٧).

ثالثاً- ضياع كثير من الشعر بعد ظهور الإسلام بسبب انشغال الناس عنه بالجهاد وغزو بلاد فارس وبلاد الروم، يقول ابن سلام:" جاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد، وغزو فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح، واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا إلى ديوان مدون، ولا كتاب مكتوب، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت، والقتل، فحفظوا أقل ذلك وذهب عليهم منه كثير... وقال يونس بن حبيب: قال: أبو عمرو بن العلاء:" ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير"(٤٨).

ولما أدركت بعض القبائل العربية- بعد انتهاء الفتوح الإسلامية- قلة أشعارها بسبب موت أو قتل رجالهم، خافت أن تنتهي مآثرها بموت شعرائها، فدفعهم هذا إلى انتحال الأشعار التي تتحدث عن أمجاد القبيلة وبطولاتها.

ومما أورده ابن سلام للشعر المنحول أو المصنوع في ثنايا حديثه عن شعراء الطبقات قوله:" وكان أبو طالب شاعراً جيد الكلام وأبرع ما قال قصيدته التي مدح فيها الرسول- صلى الله عليه وسلم- وهي:

وَأَبيَضَ يُستَسقى الغَمامُ بِوَجهِهِ ثِمالُ اليَتامى عِصمَةٌ لِلأَرامِلِ

وقد زِيد فيها وطُولتْ"(٤٩).

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ويبين ابن سلام إزاء هذه المشكلة أن ثمة حكمين تقبل حكومتهما في صحة الشعر ووضعه، وهما: أهل البادية، والعلماء بالشعر الذين تُعرض عليهم الأشعار فيميزون صحيحها من زائفها، يقول ابن سلام عن الشعر الموضوع:" قد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب لم يأخذوه عن أهل البادية ولم يعرضوه على العلماء، وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه أن يقبل من صحيفة ولا يروى عن صحفي"(١).

ويقرر ابن سلام أن ما زاده الرواة في الأشعار أو وضعه المولدون قد يسهل على الخبراء بالشعر معرفته، أما ما وضعه أهل البادية من أولاد الشعراء أو من غيرهم فإنه قد يجد فيه خبراء الشعر بعض الصعوبات، وفي ذلك يقول ابن سلام:" فلما راجعت العرب رواية الشعر، وذكر أيامها، ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم، وكان قوم قلت وقائعهم، وأشعارهم فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسنة شعرائهم ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار التي قيلت وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا، ولا ما وضع المولدون، وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء، أو الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الإشكال"(١).

ما عرضناه صورة موجزة عن فكرة الانتحال التي عرض إليها ابن سلام في مقدمة كتابه(طبقات فحول الشعراء)، والمتأمل في هذه القضية يرى أن ابن سلام يرجع دافع الانتحال إلى العصبية القبلية أو إلى الرواة، ومهمة الناقد البصير وخبراء الشعر والعلماء به تمييز المنحول والمصنوع من الشعر، يقول ابن سلام:" فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به"(٢)، وقد وضع ابن سلام بين يدي الناقد الأدوات التي يستطيع بها أن يصل إلى تلك الغاية.

(٢) ثقافة الناقد:

أولى ابن سلام ثقافة الناقد قدراً كبيراً من الأهمية؛ وذلك لحرصه الشديد على تنقية أشعار العرب مما لحقها من شعر موضوع، وإنزال الشعراء منازلهم التي يستحقونها، ويؤكد أن الناقد يحتاج إلى معايشة الأدب، كما أن كثرة مدارسة العلم تجعل صاحبه بارعاً فيه، يقول أحد

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الباحثين في هذا الشأن:" فالناقد يحتاج إلى الدُّربة، والممارسة ومخالطة الأدب والأدباء، حتى يصبح بصيراً بأموره، مدركاً الفروق بين الجيد من والأجود، وبين القوي والضعيف"[٣٥].

فلا يعرف النقد إلا من له خبرة، وذوق، وموهبة عالية، وثقافة واسعة، يقول ابن سلام:" وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات: منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان، من ذلك: اللؤلؤ والياقوت، لا تعرفه بصفة، ولا وزن، دون المعاينة ممن يبصره، ومن ذلك: الجَهْبَذَة بالدينار والدرهم، لا تعرف جودتهما بلون، ولا مس، ولا طِراز، ولا وسم، ولا صفة، ويعرفه الناقد عند المعاينة... [٣٦].

فابن سلام يرى أن الناقد الذي يريد التمييز بين جيد الأدب ورديئه، يحتاج إلى تمرس بالأدب حتى يصبح بصيراً بأموره، مدركاً للفروق بين الجيد والأجود، وبين القوي والضعيف، وهو بهذا يتفق مع خلف الأحمر الذي استشهد به في مقدمة كتابه قال قائل لخلف الأحمر:" **إذا سمعت أنا بالشعر أستحسنه فما أبالى ما قلت أنت فيه وأصحابك، قال:" إذا أخذت درهماً فاستحسنته فقال لك الصراف:" إنه ردئ فهل ينفعك استحسانك إياه**"[٣٧].

ولا يشترط في الناقد أن يكون شاعراً كما يقول ابن رشيق:" وقد يميز الشعر من لا يقوله، كالبزاز يميز من الثياب ما لم ينسجه، والصيرفي يخبر من الدنانير ما لم يسبكه، حتى إنه ليعرف ما فيه من الغش، وغيره، فينتقص قيمته"[٣٨].

إلا أن الناقد الشاعر أبصر من الناقد غير الشاعر، يقول ابن رشيق:" وأهل صناعة الشعر أبصر به من العلماء بآلته من نحو، وغريب، ومثل، وخبر، وما أشبه ذلك، ولو كان دونهم بدرجات، وكيف إن قاربوهم أو كانوا منهم بسبب؟ وقد كان أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف الأحمر في حلبة هذه الصناعة؛ أعني النقد، ولا يشقون له غباراً، لنفاذه فيها، وحذقه بها، وإجادته لها"[٣٩].

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

(٣) نشأة الشعر العربي:

كما أسلفنا أن ابن سلام ينفي ما نسب من شعر إلى الأقوام الأولى: كعاد، وثمود، وحمير، ويرى أن الشعر العربي نشأ بأن يقول الشاعر العربي البيت، أو الأبيات القليلة ليعبر بها عن حاجته، ولم يأخذ النظم صورة القصيدة الطويلة إلا في وقت متأخر عندما ظهر من يكافئ على المديح، يقول:" **ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته، وإنما قصدت القصائد وطول الشعر على عهد عبد المطلب، وهاشم بن عبد مناف وذلك يدل على إسقاط شعر عاد وثمود وحمير وتبع..**"[٥٨].

فيبين ابن سلام أن شعر المديح إنما كان على عهد عبد المطلب، وهاشم بن عبد مناف بما أغدقا على الشعراء المداحين من الهبات والعطايا. ولكنه عاد ليقرر أن أول من قصّد القصائد في الشعر الجاهلي في قبيلة ربيعة، وكان أول شعرائها المهلهل بن ربيعة، يقول:" وكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع، المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل: قتلته بنو شيبان"[٥٩].

وفي الموشح للمرزباني، يقول:" أوّل من قصّد القصائد، وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التّغلبي؛ وكان اسم مهلهل عديّا، وإنما سمّى مهلهلاً لهلهلة شعره كهلهلة الثوب، وهو اضطرابه واختلافه، وزعمت العرب أنه كان يدّعى في شعره، ويتكثّر في قوله أكثر من فعله، وقيل:" المهلهل مأخوذ من الهلهلة، وهى رقة نسج الثوب، والمهلهل المرقّق للشعر؛ وإنما سمى مهلهلاً، لأنه أوّل من رقّق الشعر، وتجنّب الكلام الغريب الوحشي، وقال: سألت الأصمعي عن مهلهل، قال: ليس بفحل"[٦٠].

ويقول ابن إسلام:" كان شعراء الجاهلية في ربيعة أولهم المهلهل والمرقشان(الأكبر والأصغر)، وسعد بن مالك، وطرفة بن العبد، وعمرو بن قميئة، والحارث بن حلزة، والمتلمس، والأعشى، والمسيب بن علس... ثم انتقل الشعر من قبيلة ربيعة إلى قيس، يقول:" ثم تحول الشعر في قيس فمنهم النابغة الذبيانى، وهم يعدون زهير بن أبى سلمى من عبد الله بن غطفان،

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وابنه كعباً، ولبيد، والنابغة الجعدي، والحطيئة، والشماخ وأخوه مزرد، وخداش بن زهير.. ثم آل في نهاية المطاف إلى قبيلة تميم فلم يزل فيها إلى عصر ابن سلام، يقول:" **ثم آل بعد ذلك إلى تميم فلم يزل فيهم إلى اليوم**"(٦٠).

ويعلل ابن سلام لأولية الشعر في قبيلة ربيعة بمقتل كليب، فقد أطلق مقتله لسان أخيه المهلهل برثائه وتوعد من قتله فكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهلهل.

وأخيراً ونحن نأرخ للشعر العربي لا بُدَّ أن نذكر طرفاً مما أورده أبو زيد القرشي في كتابه(جمهرة أشعار العرب) في هذا الشأن، حيث ذكر أنّ أول من قال الشعر أبونا آدم عليه السلام، فقال:" قال محمد: أخبرنا أبو عبد الله المفضل بن عبد الله المحبري، قال: سألت أبي عن أول من قال الشعر، فأنشدني هذه الأبيات: من الوافر:

تَغَيّرَتِ البلادُ ومَن علَيها فَوَجهُ الأرضِ مُغبَرٌّ قَبِيْحُ

تغيّركلُّ ذي لونٍ وطَعـمٍ وقلّ بَشاشَةَ الوَجهُ الصّبيحُ

وَجَاوَرَنا عَدوٌّ لَيْسَ يَفنى لَعِينٌ لا يَمُوتُ فَنَسْتَرِيحُ

أَهابِلُ! إن قُتِلْتَ، فإنّ قلبي عَليكَ اليَومَ مُكْتَئِبٌ قَرِيحُ

ثم سمعت جماعةً من أهل العلم يؤثرون أن قائلها أبونا آدم، عليه السلام، حين قتل إبنه قابيل هابيل؛ فالله أعلم أكان ذلك أم لا"(٦٢).

وعلى الرغم من أنّ أبا زيد القرشي قد نقل ذلك في كتابه، إلا أن عبارته الأخيرة تدلل على أنه لم يكن مطمئناً ومتيقناً بل يشك في صحة ما نقل حيث قال:" فالله أعلم أكان ذلك أم لا"، وهي عبارة تدل على الشك وعدم التثبت والتروّي فيما نقل، وذكر أن إبليس عدو الله أجاب آدم، عليه السلام، بهذه الأبيات، فقال من الوافر:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

تَنَحَّ عــنِ الجِنانِ وساكنيها ففي الفِردَوْسِ ضَاقَ بِكَ الفسيحُ

وَكُنْتَ بها وزَوْجَكَ في رَخاءٍ وقلبُكَ مـــن أذَى الدّنيا مَريحُ

فَما بَرِحَتْ مُكايَدتي ومَكري إلى أَنْ فاتَكَ الثّمَــنُ الرّبيحُ

ولَولا رَحَمةُ الرُّحَمنِ أَمْسَى بِكَفّكَ مِنْ جِنانِ الخُلدِ ريحُ

وروي أن بعض الملائكة، عليهم السلام، قال هذا البيت: الوافر

لِدُوا للمَوتِ، وابنُوا للخَرابِ فَكُلُّكُمُ يَصيرُ إلى الذهابِ[٦٣]

(٤) التأريخ لبعض علوم اللغة العربية:

يؤرخ ابن سلام في مقدمته لعلمي النحو والعروض، ويذكر أن لأهل البصرة أسبقية بالنحو، وأن أبا الأسود الدؤلي أول من أسس العربية، وفتح بابها، ووضع قياسها، يقول ابن سلام:" وَكَانَ لأهل الْبَصْرَة فِي الْعَرَبيَّة قدمة، وبالنحو، ولغات الْعَرَب، والغريب عناية، وَكَانَ أول من أسس الْعَرَبيَّة، وَفتح بَابهَا، وأنهج سَبِيلهَا، وَوضع قياسها، أَبُو الْأسود الدؤلي؛ وَهُوَ ظَالِم بن عَمْرو بن سُفْيَان بْن عَمْرو بن جندل بن يعمر، وَكَانَ رجل أهل الْبَصْرَة، وَكَانَ علوي الرأي"[٦٤].

وكان ممن أخذ عن تلاميذه عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، يقول ابن سلام:" ثمَّ كَانَ من بعدهمْ، عبد الله بن أَبِي إِسْحَاق الحضرمى، وَكَانَ أول من بعج النَّحْو، وَمد الْقيَاس والعلل، وَكَانَ مَعَه أَبُو عَمْرو بْن الْعَلَاء، وبقى بعده بَقَاء طَوِيلا، وَكَانَ ابْن أَبِي إِسْحَاق أَشد تجريداً للْقِيَاس، وَكَانَ أَبُو عَمْرو أوسع علماً بِكَلَام الْعَرَب ولغاتها، وغريبها"[٦٥].

وقد عرض ابن سلام لعلم العروض وذكر أن الخليل بن أحمد الفراهيدي أول من استخرج العروض، يقول ابن سلام:" ثمَّ كَانَ الْخَلِيل بن أَحْمد، وَهُوَ رجل من الأزد فاستخرج من

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الْعرُوض، واستنبط مِنْهُ وَمن علله مَا لم يسْتَخْرج أحد، وَلم يسْبقهُ إِلَى مثله سَابق من الْعلمَاء كلهم"(٦٦).

بهذا نكون قد أسدلنا الستار الأخير في هذه الدراسة التي عنيت بالحديث عن أهم القضايا النقدية والأدبية التي تناولها ابن سلام الجمحي في كتابه(طبقات فحول الشعراء)، وما هذه الدراسة إلا محاولة جادة، قصدتُ بها وجه الله تعالى أولاً، ثُمّ حث الباحثين، وأصحاب الهمم العالية للوقوف على آثار ما تركه لنا النقاد العرب الأوائل، ومعرفة نتاجهم الأدبي، ودراسة قضاياهم النقدية الأدبية التي أثاروها في ثنايا كتبه.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير العباد، نبيّنا، وحبيبنا، وسيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصاحبه الكرام، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم العرض والحساب، أمّا بعد.

فبعد هذا الطواف الواسع حول كتاب(طبقات فحول الشعراء) لابن سلام الجمحي، الذي يُعدُّ من أوائل الكتب النَّقدية التي اهتمتْ بقضايا النّقد العربي، واعتنتْ بالشعر وأخبار الشعراء تبيَّن لنا قيمة الثروة الأدبية الكبيرة التي خلَّفها الأسلاف من أفذاذ هذه الأمة إلى المهتمين بقضايا الأدب وفنونه في كل الأزمنة والعصور.

وقد تناولتْ هذا الورقة – بحمد الله تعالى- جميع المحاور الرئيسة التي أشرنا إليها في المقدمة، حيث تمَّ التعريف بالمؤلّف، والتَّعرف على المؤلَّف، وكذلك استعرضنا كل ما تناوله الكتاب من موضوعات رئيسة، وقد جلينا ذلك بوضوح وبيَّناه بالتفصيل، كما وقفت هذه الورقة- طويلاً- على أهم القضايا النَّقدية التي ذكرها ابن سلام الجمحي في هذا الكتاب حيث تبيّن

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

لنا أنّها قضايا نقدية مهمه، اعتنى بها الأدباء والنقاد من بعده؛ فأهم هذه القضايا ظاهرة انتحال الشعر، وقد استدل ابن سلام على بطلان كثير من الشعر بأدلة نقلية وأخرى عقلية. ولهذا لم يروِ ابن سلام إلا ما أقرّه الثقات من الرواة، يقول أحد الباحثين في هذا الشأن:" بل لم يجعل في كتابه باباً للشعراء العباسيين مع أنه من نقاد العصر العباسي جرياً على مبدئه في المحافظة، وهو المبدأ الذي حمله على ألا يعتد كثيراً بالشعر الحديث"[٦٧].

وأخيراً أسأل الله أن تكون هذه الدراسة فاتحة خير في دفع الهمم، وشحذ العزائم التي تعين الباحثين على التعرف على كتب الأقدمين، ومن ثَمَّ عرضها للمتلقين في أحسن صورة وأبهى حلَّة، ولا شك أنّ هناك كثيراً من القضايا النقدية والأدبية في انتظار من يسلط الضَّوء عليها، والله الهادي إلى سبيل الرشاد.

الهوامش والمراجع

١ - انظر طبقات فحول الشعراء/ محمد بن سلام الجمحي، الناشر: دار المدني - جدة، تحقيق: محمود محمد شاكر، ج١ص(٤).

٢ - انظر لسان العرب/ محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى، الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤١٤هـ، مادة (طبق).

٣ - انظر لسان العرب، مادة(فحل).

٤ - فحولة الشعراء/الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (المتوفى: ٢١٦هـ)، تحقيق المستشرق: ش. تورّي قدم له: الدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ص(٩).

٥ - انظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب/ د. عبد العزيز عتيق، الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان، بيروت،الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، ص(٢٨١).

٦ - طبقات فحول الشعراء / محمد بن سلام الجمحي، ج١ ص(٣).

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٧ - معجم الأدباء(إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)/ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)،المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م،ج٦ص(٢٥٤١). وانظر كذلك سير أعلام النبلاء/شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة سنة(١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)،ج٩ص(٥٢).

[٨] - امرؤ القيس، توفي نحو(٨٠ ق هـ = ٥٤٥ م)، انظر ترجمته في الأعلام للزركلي، ج٢ص(١١).

٩ - زهير بن أبي سلمى: ربيعة بن رياح المزني، من مضر، حكيم الشعراء في الجاهلية، توفي نحو(١٣ق هـ = ٦٠٩ م)، انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، السنة: ١٩٩٤م، ج٥ص(٤٠٩).

١٠ - الأعشى، توفي نحو(٧ هـ = ٦٢٩ م)، ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، انظر ترجمته في الأعلام للزركلي، ج٧ص(٣٤١).

١١ - انظر طبقات فحول الشعراء / ابن سلام الجمحي،ج١ص(٥٢).

[١٢] - نابغة بني ذبيان، واسمه زياد بن معاوية بن ضباب، ويكنى بأبي أمامة، توفي نحو(١٨ ق هـ = ٦٠٤ م).، انظر ترجمته في الأعلام/ الزركلي، ج٣ص(٥٥-٥٤).

١٣ - متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي، أبو نهشل(٣٠ هـ - ٦٥٠ م)، شاعر فحل، صحابي، انظر ترجمته في الأعلام للزركلي، ج٥ص(٢٧٤).

١٤ - تُماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد (٢٤ هـ - ٦٤٥ هـ)، الرياحية السُّلَمية، من بني سُليم، من قيس عيلان، من مضر، لها (ديوان شعر)، انظر ترجمتها في الأعلام للزركلي، ج٢ص(٨٦).

١٥ - عامر بن الحارث بن رياح الباهلي، من همدان، شاعر جاهلي، يكنى (أبا قحفان) أشهر شعره رائية له، في رثاء أخيه لأمه (المنتشر بن وهب) أوردها البغدادي برمتها، وقيل: اسمه عمر، انظر ترجمته في الأعلام للزركبي، ج٣ص(٢٥٠).

١٦ - كعب بن سعد بن عمرو الغنوي(١٠ ق هـ - ٦١٢ م)، من بني غنيّ، شاعر جاهلي، حلو الديباجة، أشهر شعره " بائيته " في رثاء أخ له قتل في حرب ذي قار، أولها: "

تقول ابنه العبسيّ قد شبت بعدنا وكل امرئ بعد الشباب يشيب

وهو صاحب الأبيات التي منها:

ولست بمبد للرجال سريرتي ولا أنا عن أسرارهم بسؤول

انظر ترجمته في الأعلام للزركبي، ج٥ص(٢٢٧).

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

١٧ - انظر طبقات فحول الشعراء / ابن سلام الجمحي، ج١ ص(٢٠٣-٢٠٤).

١٨ - طبقات فحول الشعراء / ابن سلام الجمحي، ج١ ص(٢١٥).

١٩ - حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد(٥٤هـ - ٦٧٤م)، انظر ترجمته في الأعلام للزركلي، ج٢ص(١٧٦-١٧٥).

٢٠ - عبد الله بن الزبعري بن قيس السهمي القرشي، أبو سعد (١٥ هـ - ٦٣٦ م)، انظر ترجمته في الأعلام للزركبي، ج٤ص(٨٧).

٢١ - طبقات فحول الشعراء / ابن سلام الجمحي، ج١ ص(٢٣٣).

٢٢ - طبقات فحول الشعراء / ابن سلام الجمحي، ج١ ص(٢٥٩).

٢٣ - أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي، انظر ترجمته في الأعلام للزركبي، ج٤ص(٨٧).

٢٤ - طبقات فحول الشعراء / ابن سلام الجمحي، ج١ ص(٢٦٢-٢٦٣).

٢٥ - العائذ بن محصن بن ثعلبة، من بني عبد القيس، من ربيعة(نحو ٣٥ ق هـ - نحو ٥٨٨ م)، شاعر جاهلي، من أهل البحرين، اتصل بالملك عمرو بن هند، وله فيه مدائح، ومدح النعمان بن المنذر، وشعره جيد فيه حكمة ورقة، انظر ترجمته في الأعلام للزركبي، ج٢ص(٢٣٩).

٢٦ - لسان العرب، مادة(ثقب)

٢٧ - طبقات فحول الشعراء / ابن سلام الجمحي، ج١ ص(٢٧١).

٢٨ - المصدر السابق، ج١ ص(٢٧٧).

٢٩ - السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي، شاعر جاهلي حكيم، من سكان خيبر(في شمالي المدينة) كان يتنقل بينها وبين حصن له سماه (الأبلق)، أشهر شعره لاميته التي مطلعها:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكلُّ رداء يرتديه جميل

وهي من أجود الشعر، توفي نحو(٦٥ ق هـ) – (٥٦٠ م)، انظر ترجمته في الأعلام للزركلي، ج٣ ص(١٤٠).

٣٠ - الجَحْفَل: الجيش الكثير، ولا يكون ذلك حتى يكون فيه خَيْل، والجَحْفَل: السَّيِّد الكريم، ورجل جَحْفَل: سيد عظيم القَدْر، انظر اللسان مادة(جحفل)

٣١ - طبقات فحول الشعراء / ابن سلام الجمحي، ج١ ص(٢٧٩).

٣٢ - الفَرَزْدَقَةُ: القِطْعَةُ من العَجِينِ، انظر القاموس المحيط، فصل(الفاء) ج١ص(٩١٦).

٣٣ - (الْخَطَلُ) الْمَنْطِقُ الْفَاسِدُ الْمُضْطَرِبُ، وَقَدْ (خَطِلَ) فِي كَلَامِهِ مِنْ بَابِ طَرِبَ وَ(أَخْطَلَ)؛ أَيْ أَفْحَشَ، انظر مختار الصحاح مادة(خطل).

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

[٣٤] - طبقات فحول الشعراء، ج١ ص(٢٩٧).

[٣٥] - محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني(١٥١ هـ - ٧٦٨ م)، من أقدم مؤرخي العرب، من أهل المدينة، انظر ترجمته في الأعلام/ الزركلي، ج٦ص(٢٨).

[٣٦] - طبقات فحول الشعراء / محمد بن سلام الجمحي، ج١ص(٧).

[٣٧] - سورة الأنعام، الآية(٤٥).

[٣٨] - سورة النجم، الآيات(٥٠- ٥١).

[٣٩] - سورة الحاقة، الآية(٨).

[٤٠] - سورة الفرقان، الآية(٣٦).

[٤١] - سورة إبرهيم، الآية(٩).

[٤٢] - انظر طبقات فحول الشعراء / محمد بن سلام الجمحي، ج١ص(٧-٨).

[٤٣] - انظر التفكير النقدي عند العرب/ الدكتور عيسى على العاكوب، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، وكذلك دار الفكر، سوريا، دمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، ص(١١٤).

[٤٤] - المصدر السابق، ج١ص(٨-٩).

[٤٥] - طبقات فحول الشعراء / محمد بن سلام الجمحي، محمود محمد شاكر، ج١ص(٧).

[٤٦] - المصدر السابق، ج١ص(٤٨).

[٤٧] - الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء/ أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى المرزباني (المتوفى: ٣٨٤هـ)، بدون تاريخ، وبدون طبعة، ص(٢٥٢).

[٤٨] - انظر طبقات فحول الشعراء / محمد بن سلام الجمحي، ج١ص(٢٥).

[٤٩] - المصدر السابق، ج١ص(٢٤٤).

[٥٠] - المصدر السابق، ج١ص(٤). وثِمال اليتمى أي غياث لهم يقوم بأمرهم. الصحاح مادة(ثمل).

[٥١] - طبقات فحول الشعراء/ ابن سلام، تحقيق محمود محمد شاكر، ج١ ص(٤٦).

[٥٢] - المصدر السابق، ج١ص(٧).

[٥٣] - انظر قراءة في النقد القديم/ د. بسيوني عبد الفتاح، الناشر: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م، ص(١١٩)

[٥٤] - انظر المصدر السابق، ج١ ص(٥).والجهبذة فارسية معناها الزائف والصحيح من الدنانير والدراهم.

[٥٥] - طبقات فحول الشعراء/ ابن سلام، تحقيق محمود محمد شاكر،ج١ص(٧).

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٥٦ - العمدة/ ابن رشيق، ج١ص(٣٥).

٥٧ - المصدر السابق، ج١ص(٣٥).

٥٨ - طبقات فحول الشعراء، ج١ ص(٢٦).

٥٩ - طبقات فحول الشعراء، ج١ ص(٦٩).

٦٠ - الموشح / المرزباني، ص(٨٩).

٦١ - طبقات فحول الشعراء، ج١ ص(٤٠-٣٩).

٦٢ - جمهرة أشعار العرب/ أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (المتوفى: ١٧٠هـ)، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص(٣١)

٦٣ - انظر جمهرة أشعار العرب/ أبو زيد القرشي، (ص(٣١)

٦٤ - طبقات فحول الشعراء، ج١ ص(١٢).

٦٥ - المصدر السابق، ج١ ص(٢٢).

٦٦ - المصدر السابق، ج١ ص(١٢).

٦٧ - انظر أحاديث في تاريخ البلاغة وبعض قضاياها/ د. عبد الكريم محمد الأسعد، الناشر: دار العلوم للطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ص(٣٠).

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

غزليات محمد البخاري بين الأصالة والتقليد: درارسة نقدية.

الدكتور تكُر محمد إنُوا
محاضر بقسم اللغات، جامعة كاشري الفدرالية ولاية غمبي - نيجيريا

مقدمة:

نهض الأدب بنوعيه في نيجيريا خلال القرن التاسع عشر الميلادي (العصر الذي عاش فيه الشاعر) وطرق الناس جميع الأغراض الشعرية ما عدا الغزل، فإن الشعراء تركوه لأسباب تعود إلى الدين حسبما ذهب إليه بعض الباحثين. والأديب الوحيد الذي مال إلى الغزل في تلك الأيام وأفرد له القصائد وافتتح به بعض قصائده هو محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي. لكن بدلا من أن ينال رضى النقاد جردوا له سهام النقد، وسلبوا عنه صفات الحمد، وعابوه بالتكلف المقيت والتقليد الفارط. بناء على هذا رام هذا البحث أن يعاود النظر في تلك التهم ليحقق ما فيها من قوة وضعف. وينطلق من ترجمة الشاعرومكانته الشعرية، فيذكر غزلياته وما فيها من خصائص، ويتعرض لأدلة معارضيه ويذكر قوتها وضعفها، ويرجح الضعف في نهاية المطاف في إطار النصرة للشاعر، ويختتم بالنتائج والمراجع.

محمد البخاري في سطور:

هو العالم النحرير، المنقطع النظير في الشجاعة والفصاحة، له في الجهاد فتوحات كثيرة في بلاد نوبي (Nupe) وغيرها، وله مع كفار هوسا وقائع مشهورة مثل ما دار بينه وبين أمير مَفَرَا وكُنْتَغُورَا (Kontagora)[١] ولد عام ١٧٩٤م في صكتو وترعرع في أخضان والديه، ثم صار في رعاية عمه عبد الله بن فودي ونهل من ينابيعه الناضبة وعيونه الصافية، وتدرب على فنون العلم والأدب وأساليب الحرب وتأثر به حتى في أساليب التفكير والأداء، وذلك يظهر جليا في شعره[٢] لما توفي الشيخ عثمان بن فودي وعزم عبد الله بن فودي على الانتقال من بوطنغ (Bodinga) إلى غُنْدُو(Gwandu) ولّى ابن أخيه محمد البخاري على تمبول (Tambuwal)، وهي قرية على مسافة مائة كلومتر من العاصمة صكتو، فتحول إليها مع لفيف من إخوته[٣] بجانب عمه ووالده فقد

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

أخذ أيضا عن مصطفى والد الشاعر عبد القادر بن المصطفى[٤] توفي عام ١٢٥٥هـ \ ١٨٤٩م في خلافة أخيه أبي بكر عتيق وهو بن خمس وخمسين سنة.[٥]

شاعريته:

تدرب الشاعر على أساليب الفن، واستقى من ينابيع الشعر العربي القديم، وخاصة الشعر الجاهلي. إلى جانب ما آتاه الله من حس مرهف، وذوق سليم، وخيال خصيب، ذكر عنه نقاد الشعر العربي النيجيري أنه حر التفكير، ثاقب الرأي، قوي النظر، فياض في نظمه تأتيه القوافي طيعة حين يريدها، وتنصاب له المعاني فلا تنبو له شارد ولا وارد.[٦] بهذه المقدرة الفذة استطاع أن يصور عواطفه بشكل رائع، ويرسم شخصيته الأدبية بأسلوب شيّق أخّاذ، وحقق فرديته الفنية بألفاظ شفافة ومعان سامية. ولم يزل شاعرا مطبوعا واسع الخيال ينثال منه الشعر انثيال الماء، ولا يقف على طريقه حاجز لغوي ولا عائق تعبيري.[٧] طرق معظم أبواب الشعر العربي القديم من مدح، ورثاء، وحماسة، ووصف، وغزل وغيرها.

غزلياته:

لم يكن الشعراء في القرن التاسع عشر الميلادي ينظمون في هذا الغرض الشعري لأسباب تعود أساسا إلى الدين، وذلك أن البيئة في تلك الأيام لم تكن تتطلب هذا النوع من الشعر لما يسودها من حركة إصلاحية وجهادية. وكان المجتمع مركّزا بشكل خاص على ما تحته طائل ديني.[٨] ولم يتصد لهذا الغرض إلا محمد البخاري، فإنه تعرض للغزل في إطار قصائد خاصة ينشأها بهذا الخصوص، وله في طور آخر قصائد مدح أورثاء يفتحها بأبيات غزلية جريا على منهج القدامى، حتى صار الغزل سمة إمتاز بها من بين شعراء عصره.[٩] وقد ذكر عددا من النساء منهن؛ أم الفضل، أم عمرو، وأم محمد، وأميمة، وآمنة، وغيرهن:[١٠]

خصائصه في غزله:

لم يخرج محمد البخاري بغزله عن إطار ما جرى عليه العرب القدماء من ضرب يجعل المرأة جسدا تشتهى، فيجد القلب لذة الحس، وسعادة الشعور، ومتع العيش، ولم ينزلها محل قداسة

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

من الخيال الهائم الموحى، ولم يهتم بوصف صفاتها المعنوية[١١]فقد وصف أجسادهن ومحاسنهن وقال:

سبتني بأسود مغدودن ** وجب أثيث سُحام حُفـال
وعيني مهاة وثغر شتيت ** وذي أُشَر مثل شوك السيال
وخد أسيل وخصر بتيل ** وردف ثقيل وسوق خدال
وخَلق عميم وخُلق كريم ** وقول رخيم وحسن الدلال[١٢]

ووصف اللقاء:

لقد خبئت بنت الكرام عبيرها ** عشية وافتنا بواد كُروس
فقلت لها لا تخبئي وتضمخي ** ألم تسمعي لا عطر بعد عروس
فقالت كفا ثغري وضوؤه ** سيكفيك عن بدر الدجى وشموس
فريقي أذكى من عبير وعنبر ** وأعذب من شهد وخمر كَؤوس[١٣]

ووصف الفراق والوداع:

قامت تريني يوم ودعتها * كشحا لطيفا طيّه أهضما
ووارد أسود مُغْدَوْدنًا * وجفًّا أثيثا نبته أسحم
و مقلة حوراء مذعورة * وجيدها خشية أن أصرم[١٤]

وقال أيضا:

فجعتك أم الفضل بالهجران ** فبقيت بين الناس كالسكران
وكان في قلبي وجفني جمرة ** مذ بعدتني من جناها الدان
قامت ترائي في القصور بفاهم ** رجل ومقلة شادن ظمآن
وبجيد مغزلة وساق خَدلة ** وترائب كالدر والمرجان[١٥]

ووصف الشجن ولوعة الحزن وسكب الدموع وقال:

قد هجت أحزانا لقلبي ** المستهام المستطار

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وسلبت عن نفسي الغرو ** ر ومطت ما بي من وقار
وتصارم الأجفان منذ ** نأت ديارك عن ديارِي
ما تلتقي إلا من على ** دمع على الخدين جار
وحياة حبي فيك ما ** للقلب دونك من قرار[١٦]

وقال في الرد على العذال:

يا لائمي في حب رعبوبة * كلؤلؤ الغوص أو كالدما
لطيفة الكشحين ممكورة * ترمي الورى عن لحظها أسهما
أقصر فما أنصفت حقا وما * نلت من الرشد نصيبا وما
ما نظرت عيني إلى مثلها * حسنا وإحسانا ورب السما[١٧]

وقال أيضا:

وبيضاء عجزاء ممكورة ** مبتلة كمهاة الرمال
بذلت لها مهجتي وفؤادي ** وما كان لي من عيال ومال
فلا تعذلوني بما قد صنعت ** فذاك قديما صنيع الرجال[١٨]

وقال في وصف ريقهن:

سلا القلب عن كل رعبوبة ** سواها وما القلب عنها بسال
أ أسلو وأنت رشوف ألوف ** أنوف وغُرّك مثل الهلال
وثغرك درّ وريقك خمر ** ووجهك بدر تحيت الليالي
لك الفضل في الناس يأ أم عمرو ** حويت مع الحسن كل المعالي[١٩]

ووصف السهر وذهاب النوم:

يا أخت أحمد إن رز ** ئك هاج لي دمعا بدم
ونفي الرقاد فمذ نعيـ ** ـت إلي طرفي لم ينم

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

غادرتني متحيرا ** مستوحشا بين الأمم
وهواك ما لي حاجة ** لسواك يا بنت الخضم
بل مذ فقدتك لا أرى ** النسوان إلا كالغنم
تالله تفتؤ مقلتي ** عبرى وقلبي ذا ألم[٢٠]

اعتراض النقاد له:

اعترض النقاد لغزلياته هذه من وجوه منها:

أولا: عابوه على شموليته في الغزل وإيقائه حتى في المواطن التي لا تليق به. وهذا، أنه نسب وبكى في قصائد موضوعها الرثاء أو الفخر، أو المدح أو الجهاد. وقالوا: إن الافتتاح بالغزل في الرثاء ووصف المعارك والجهاد غير مختار، لأن هذين الموضعين لا تتطلب المرح ولا النشاط لفظاعتهما وفرط الشجن فيهما، ولاعتمادهما على الجد والصدق لا على الهزل والفكاهة واللهو. ومثل هذه الورطة حسبما ذهب إليه النقاد، يدل على ضعف قريحة الشاعر وقصوره عن الغاية، أو جهله بوضع الكلام في مواضعه.[٢١]

ثانيا: وعابوه أيضا على أن غزله غزل صناعي مثقل بالتقليد وقلة الابتكار، وقالو إنه لم يقل الشعر لأنه يعشق بل نظمه فقط حبا لتقليد هذا الفن الغزلي، من أجل ذلك تجده فاقد الإحساس الشعري، والشعور النفسي الحقيقي.[٢٢]وهذا لأن جل معانيه والصفات التي أضفاها إلى صواحبه صفات التقطها من أشعار العرب الذين يفتتحون قصائدهم بذكر الأطلال وغزل النساء برشاقة الجسم.

ثالثا: وأنه لم يتمكن من معايشة تجربة الحب الواقعي في شعره الغزلي، وذلك أنه يصف ريقهن مع أنه لم يذق.

الدفاع عنه:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

صحيح أنه يكثر من المحاكة للشعراء القدامى وتقليدهم. فالصفات التي خلعها لصواحبه صفات قد سبقه إليها الشعراء. فالنقارن بينه وبين عمر بن الربيعة على سبيل المثال، فإنه وصف اللقاء في قوله:

ما طمعنا بها ولا طمعت ** حتى التقينا ليلا على قدر[٢٣]

ووصف ريقهن:

من يسق بعد النوم ريقها ** يسق بمسك وبارد فصر[٢٤]

ووصف السهر وذهاب النوم:

ألا يا بكر قد طرقا ** خيال هاج لي الأرقا

لزينب إنها همي ** فكيف بحبلها خلقا[٢٥]

ووصف أجسادهن وقال:

خدلجة إذا انصرفت ** رأيت وشاحها قلقا

وساقا وتملاء الخلخا ** ل فيه تراه مختنقا[٢٦]

والخدلجة من النساء: المرأة الممتلءة الذراعين والساقين.

ووصف مشيهن:

تمشي الهوينى إذا مشت فضلا ** فهي كمثل العسلج في الشجر[٢٧]

وهذه الأوصاف كما سبق أن رأينا هي نفس الأوصاف التي خلعها بخاري لمحبوباته. فكأنه فتح ديوان عمر وأخذ منه سطرا سطرا، بندا بندا. إلا أن القارئ لو يتتبع دواوين الشعراء العرب لوجد كل واحد منهم يمشي على هذه الوتيرة. وهذا النوع من التقليد سنة قديمة تواطأ عليها الشعراء القدماء، بعضهم يتأثر ببعض، ولم يرى النقاد أن هذا من قبيل ما يحط من رتبة الشاعر ويسلب عنه المحاسن. وقالوا إن الآثار العلمية والفنية وغير ذلك من الحِرَف والصناعات ثمرة الجدّ الإنساني المتواصل منذ بداية المعمورة، كل جيل يسلم آثاره إلى خلفه، وهذا يزيد عليه أو يحيله حسب ما توفر له من عوامل جديدة. فالحياة البشرية تسير على هذا

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

النمط لإصال تجارب المتقدمين إلى المتأخرين، ولولا ذلك لانسد الباب أمام الجيل الجديد، ولتوقفت الحياة عند حد لا تجاوزه، ولأصيبت الحياة بالعقم والجمود والشلل.[٢٨]

كان من حق كل جيل أدبي جديد أن يستفيد بتجارب سلفه ويضيف إليه ما يمثل شخصيته وتاريخه، يأخذ المعاني والأساليب والصور من أعمال السابقين ثم يحيلها بزيادة أو تنميق. والشاعر مهما استحفل وليس بصحيح أنه حر في عمله، لأنه لا يوجد آثاره من فراغ، ولا يعيش حياته في جزيرة عازلة، فحريته لا بد أن تستند إلى الماضي لئلا تنتهي إلى التشويش.[٢٩]وهذا التغيير الذي يقوم به أثناء النقل هو الذي يعطيه تفرّده، ويحقق له أصالته، ويمنحه ميزته الخاصة.[٣٠] وهذه العملية التحويلية هي التي تفتح أمامنا أبوابا كي نقارن بين البراعات الماضية واللاحقة، ونعرف ما أضافه الشاعر مما يخص تاريخه وظروف عصره، وماذا حققه من تجديد، وهذه الزيادة هي التي تحقق أصالته، وهذا هو المفهوم الصحيح للابتكار والأصالة.[٣١]

ثم إن هناك بعض الألفاظ والمعاني في الشعر لا يقال لمن أخذ شيئا منها إنه قلد فلانا. لأنها شائعة يتكلم بها كل الناس، وليس لأحد فيها حق الاختصاص؛ منها تشبيه الحسناء بالشمس والبدر، ووصف الكريم بالبحر، والبليد بالحجر أو الحمار، والشجاع بالأسد، وكوصف الطلل بالكتاب والرسم، والفتاة بالغزال في جيدها وعينها، والمهاة في حسنها وصفائها.[٣٢]وبناء على هذا نفهم أن محمد البخاري ليس مقلدا لواحد بعينه، وإنما أخذ من تقاليد الشعر القديم كما أخذ غيره من الشعراء القدماء. وأنه لم يأخذ بدون إحالة، وكل قارىء يشهد له بهذا. وأنه عاش في العصر القديم، وليس بشاعر محدث، فعلى هذا فالبخاري شاعر غزلي أصيل وليس غير.

ثانيا:

أما قولهم إن حبه مصنوع غير واقعي، وأنه لم يعايش تجربة الحب الصادق، وأنه وصف ريقهن ولم يذق. يمكن معارضة هذا القول من هذا الوجه؛ هو أن حبه حب صحيح، لأن أكثر من ذكرهن في شعره نساء لابسهن وتزوج ببعضهن في آخر المطاف، وصِرْن من عائلته. فهو بهذا

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

صادق في حبه. ثم إنه على أساس غلبة عاطفة الحب النسوي في شعره حاول بعض العلماء من معاصريه إخراجه عن دائرة العلماء العفيفين وعنونوا ديونه بـ "كتاب الميل على حب النساء"[٣٣] وعلى نفس الأساس مال بعض المعاصرين إلى القول بأن هذه القضية هي التي حالت دون وصوله إلى كرسي السلطة الخلافية لدولة صكتو من بعد وفاة أخيه[٣٤] وإذا كانت قضيته هذه قد اشتهرت إلى هذا الحد فإنه من الشبيه بالمستحيل أن يكون حبه مصنوعا أو مزيّفا. **ثالثا:**

ولعل معظم الباحثين يجهلون عاطفة البخاري، أو أنهم علموها وجهلوا علاقتها بشعره الغزلي. ويحسن بنا أن نتعرض لشرحها هنا. (أولا) من عاطفته أنه يتصف بالرقة والسماحة والدين، وأن له نفسا تذعن للأحكام الشرعية وتلين للذكر الحكيم، والغزل يجنح لهذا النوع من النفس الرقيقة، نفس كان في قرارها صفاء ورخاوة. فعلى أساس هذه الخليقة قدّم بعض النقاد جريرا على الفرزدق في هذا الفن. وقالوا إن جريرا متدين يذوب في الإسلام، فصفّى الإسلام جوهر نفسه فهيأه لينبغ في الغزل؛[٣٥] وكذلك محمد البخاري. (ثانيا) وأنه ينتمي إلى أسرة عريقة في المجد، وكان أبوه هو مجدد عصره، وكانت له سمعة حسنة طارت في الأفاق، وتحت رعايته مملكة واسعة النطاق، ثم إنه بدا للبخاري أن أباه هذا يميل بطبعه عنه إلى أخيه محمد بلّو، ويفضل الأخ عليه، وهذا قد أثار في أعماقه شيئا من الحزن والكمد كما حدث لجرير. إلا أن جريرا على نقيض زميله كان يحس بحرجه من أجل أنه كان ينحدر عن أسرة وضيعة، وليس في مآثرها ما يبهجه، وأمامه خصم يقابله بالأمجاد من الآباء والأعمام والأمهات، ومن ثم صار معه من الشعور بالقصور ما ألبسه خلقا من اليأس، وسربالا من الحزن والألم، وهذا الحزن له أثره البعيد في صفاء نفسه وإرهافها بأن يتفوق في الغزل الرقيق.[٣٦] ولعل نفس الحزن الذي كابده البخاري طول حياته كان مما قدح فيه زناد الغزل. هذا، لأن الحزن فيما زعمه النقاد يجلو النفس، ويجلو ما يصدر عنها وخاصة إذا كان شكوى من حبيب، وإذا اتفق أنه يصدر من نفس محزونة كان ذلك عاملا في البراعة فيه.[٣٧] فعلى هذا نرى أن البخاري ناشيء عن عامل اللاشعوري.

وكان مما يروى عنه، أنه قد ضاق بأمر أبيه أن سأله يوما وقال: "فهل ينجو في الآخرة من أطاع الله وامتثل بأوامره واجتنب نواهيه ولم يطع محمد بلّو؟" فأجاب الأب أن "نعم، لكنه يحسر

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

دنياه ولا تطيب له حياته". فقد صدمته هذه الإجابة فخرج من صكتو في فوره وتوجه تلقاء تمبول، فأدركه ناس من حاشية الأب ومنعوه. وهذه الحادثة قد أحدثت التنافر بالفعل بين محمد البخاري ومحمد بلّو لمدة طويلة، ولم يتصالحا إلا بعد وفاة الأب، وبعد وقعة كلمبينه (kalambina).[٣٨]

والحق أن هذه الحادثة قد تركت عقدة نفسية عند البخاري، وخلفت له الشعور بالهزيمة، التي صارت تلاحقه أين ما سار. فأصبح يرى كأن العالم كله يعارضه، والبشرية كلها تزدريه، من ذلك قوله من قصيدة له:

وحاذر خداع الناس طرا ولا تثق ** بأكثرهم إن الوثوق بهم حسر
فكيف يكون المرء عمدة قومه ** ويأتيه منهم ما يضيق به الصدر
فهذا ورب البيت فيه تناقض ** فما صدقوا والله فيه وما برّوا

وكان قد ولي أمر تَمْبُوَلْ لكنه وما زال يشعر بأن رعيته تنظر إليه بالعين التي ينظر إليه أبوه من عجز وخور، ولا شك أن هذا التفكير تفكير يصدر عن نفس مؤلمة وعاطفة مكلومة. وقال؛

أيا قائلا إن البخاري لم يكن ** يتابع أمور الحي ساؤه أم سر
وليس له رأي سوى ما رأوا له ** وليس له في القوم نهي ولا أمر
وليس بحام عن حماه ودافع ** عن الجار والأتباع إن مسهم ضر
وأموالهم في ضيعة أي ضيعة ** كما دمهم إن قتلوا ضائع هدر
هداديك إن العفو مكرمة فمن ** عفا فله فضل ومن ربه أجر

وقال:

فاصبر فلست على الزمان بقادر ** من عاش يلق عجائب الزمان
أبلغ لأعدائي إذا ما غرهم ** حلمي وإهمالي لهم وليان
إني امرؤ عند الأحبة طفرس ** حلو ومر للذي عاداني

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وهذا الألم الذي كابده لأمد بعيد هو الذي رقق عاطفته ودفعه إلى التغزل، علّه يجد فيه راحة وسلوة. وكان الاشتغال به هو الذي يشفيه في المضايق والهموم، وها هو ذا يقول بعد الإطالة من الشكوى:

فإما تزدريني عشيرتي ** ويظلمني منها المكرّم والغير

فلا تحسبيني يا أميمة عاجزا ** ولا جبنا، لا كما يحسب الغمر

ولكنّ عفوي حسبة وتكرما ** وصونا لعرضي أن يدنسه المزر

دعاهم إلى ظلمي وأغراهمُ به ** وما علموا من أن من شيمتيَ البر

انظر كيف صار يرفع أمره إلى أميمة ويذكر لها ظلم عشيرته وازدرائهم له. سحب ثقته بالرجال وراح يشعر بأن الحب الحقيقي إنما يناله فقط من عند صواحبه من النساء. ويذكر أنه وإن بدا سعيدا في الظاهر فإنه يعايش أزمة في داخله، وتتأجّج في أعماقه نيران من الهم، وقال:

فيا عجبا من عاشق متستّر ** ظواهره صحو وباطنه جمر

إذا ما صحى عن سكره اللهو والصبى ** وآب إلى فهم تأوبه سكر

ولعل البخاري لا يستطيع التمالك عن الغزل حتى لو كانت مصيبته في موت. ومن أجل هذا تجده يشتكي ويبكي ويلوذ إلى الغزل حينما توفي أستاذه وحميمه وعمه عبد الله بن فودي من قصيدة له:

ألا عجبت أميمة من بكائي ** وعولي وانتحابي في النساء

تقول تعجبا مني وعذلا ** فيا للقوم ما لأبي براء

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

عهدناه إذا ما ناب خطب ** جليلا راضيا حسن العزاء

يذكّرنا بآثار وآي ** وأضحى اليوم أجزع من نساء

أقلي من عتابك أم عمرو ** عليّ فلا جناح على بكائي

فإن الصبر يحسن بي، وأبكي ** على فقد الهداة الأتقياء

وقال من رثاء أم محمد:

أيا رزأ بنت الخير أم محمد ** أسلت مع الدمع النجيع على نحري

ثم قال:

ولولى التأسي والحياء وخوف ما ** أتى من فوات الأجر في عدم الصبر

وعلمي بلطف الله بي وبأنني ** بها لاحق عما قليل من الدهر

بكيت عليها بالذي هي أهله ** وطوحت نفسي في المهامة والقفر

ولكنني راض بربي وحكمه ** ومقداره في خلقه الحلو والمر

قد حاول بعضهم في هذا الصدد تشبيهه بأبي فراس الحمداني ومشكلاته مع سيف الدولة، حيث أنهما يشتبهان في شاعريتهما وفروسيتهما، وأن كل واحد منهما عاش في البلاط، وأنه خاض غمار المعارك في سبيل الذود عن حمى الدولة. فلما وقع أبو فراس في إسار أبطأ سيف الدولة في فدائه، فأصدر قصائد تسيل بالفخر عن فروسيته وتعبر عن عاطفة الجزن والعتاب على سيف الدولة، وراحت تلك العاطفة المريرة الجبارة تميل إلى الجنسية تارة. وكذا محمد البخاري في مشكلته مع أبيه ومجتمعه حيث اتصفت قصائده بنفسية جبارة عنيفة مع عاطفة رقيقة تجاه الفتيات.[٣٩]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

مواقف ومعاني تفرد بها البخاري في فنّ الغزل:

ومهما يكن من أمر البخاري فإن مثل غزله هذا لا يتأتى صدوره عن حاك لمجرد التقليد، وخاصة أن له من المعاني ما تفرد بها في هذا الفن، وله فيه من المواقف ما لم يسبق إليها. من ذلك قوله في أخت أحمد وهو يرثيها:

نعم الفتاة حبيت مع **حسن التبعل والكرم
خلقا جميلا ذا تما ** م زانه حسن الشيم
غادرتني متحيرا ** مستوحشا بين الأمم
وهواك ما لي حاجة ** لسواك يا بنت الخضم
بل مذ فقدتك لا أرى ** النسوان إلا كالغنم

ولم يعد الشاعر يرى النساء ويشتهين منذ أن توفيت زوجته إلا كما يرى الغنم. فمَنْ مِن الشعراء صور النساء بهذه الصورة في سياق الصدّ والاعراض؟. والحق أن محمد البخاري هو الذي تفرد بهذا المعنى في تاريخ الغزل العربي.

ومن ذلك تشبيه نفسَه بالسكران في سياق وصف الفراق وقال:

فجعتك أم الفضل بالهجران ** فبقيتَ بين الناس كالسكران

وكأن في قلبي وجوفي جمرة ** مذ بعدتني عن جناها الدان

تحير الشاعر لأن محبوبته فاجعته بإعلان لم يكن يتوقعه وهو أنها تريد الانتقال، ومن ثم أصبح بين الناس يصول ويقول كأنه شرب. أنظر إلى هذه الصورة الرائعة. ونتوقع أنه وحده هو الذي توصل بخياله إلى هذه الدرجة الرفيعة من تصوير الحب بالمسكر، ولعل هذه هي الخمر التي يردد ذكرها في إطار غزلياته.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

رابعا: وإذا سلمنا على سبيل الجدل أن حبه مصنوع، لكن يجب علينا أن نفهم أنه وإن خالف التجربة الواقعية فإنه على الأقل يتفق مع التجربة الفنية، والواقع ليس مما يهم في الأدب، والذي يهم هو حرارة العاطفة. واشتراط صدق الشاعر في التعبير عن مكنون نفسه يقتضي محاكات الواقع الحسي تقليدا أعمى، وذلك لا يكلفه غير جهد التصوير الفوتوغرافي فقط للمحسوسات والعالم الخارجي، فهو بهذا قد تحول من المبتكر المبدع إلى مقلد تقليدا أعمى بالمعنى السلبي لكلمة "التقليد". لأن هذا يحرمه من استغلال عناصر مهمة مثل الخيال، والتاريخ، والأسطورة من العناصر التي تسهم في إغناء تجربته وجعلها أكثر فاعلية وقيمة. بناء على هذا ذهب بعض النقاد إلى أن معايشة التجربة معايشة واقعية ليس مما يهم، والمهم حرارة العاطفة واستجابة الشاعر لمشاعره والقدرة على الاندماج في الموضوع، وقد يحقق الأديب حالة من المعايشة والإثارة عند السامع من خلال التجربة الخيالية أو الأسطورية والتاريخية في حين قد لا يتمكن من تحقيقها من خلال التجربة الواقعية، إذا كان لا يستطيع إحراز الحد اللازم من الحرارة العاطفية لحد يمكنه من الاندماج في موصوفه. ولعله يرضيك هذه الأبيات الخيالية عرضت للشاعر البخاري في إحدى لياليه:

هاج لعيني دمع ودما ** طيف أتى من رشإ أدم

غر خذول يرتعي مفردا ** مقلدا في شفتيه اللما

يا أيها الطيف الذي زارني ** لو كنت حقا لشفيت الظما

يا لائمي في حب رعبوبة ** كلؤلؤ الغوص أو كالدما

لطيفة الكشحين ممكورة ** ترمي الورى عن لحظها أسهما

أقصر فما أنصفت حقا وما ** نلت من الرشد نصيبا وما

ما نظرت عيني إلى مثلها ** حسنا وإحسانا ورب السما

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

قامت تريني يوم ودعتها * كشحا لطيفا طيّه أهضما

ووارد أسود مُغْدَوْدِنًا * وجفًّا أثيثا نبته أسحما

و مقلة حوراء مذعورة * وجيدها خشية أن أصرم[٤١]

ذكرتها وهنا وكم دونها ** جوب قفار ليس فيهن ما

والمحبوبة التي تصدى لها الشاعر في هذا الصدد خيالية، لكنه من خلال اندماجه في موضوعه جاء بشعر رائع يستحق الثناء عليه لما فيه من حرارة وإثارة. وهذه الخصلة وحدها تكفي أن تجعل الشاعر في مصاف الشعراء المبتكرين البارعين. فعلى هذا الأساس أثنى النقاد على أبي نواس في زهدياته، والفرزدق وبشار ووالبة وحسين بن الضحاك في غزلياتهم. فإنهم مجيدون لا لأجل معايشتهم للتجربة الواقعية بل من أجل معايشتهم للتجربة الفنية فحسب[٤٢].

خاتمة:

اشتمل البحث على التعريف بالشاعر محمد البخاري وشعره، وتعرّض لغزله وخصائصه الفنية، وذكر اعتراض النقاد له، وأطال الكلام عن الدفاع عنه. ومن أهم ما توصّل إليه أن الأصالة في غزل محمد البخاري لا يعني عدم التأثر بالشعر القديم وترك الأخذعنه، لكنه يعني الأخذ منه بعد الإحالة والتنميق، ومزجه بما يتفق مع تاريخ الشاعر من ظروف وملابسات. وأن المعارضين للشاعر لعلهم لم ينتهوا لما لديه من عقدة نفسية ورقة إيمانية عملتا في حمله على الغزل ولإجادة في أساليبه. واكتشف البحث كذلك أن للشاعر مواقف تفرد بها في هذا الفن الغزلي. وأنه إن لم يحقق التجربة الواقعية فإنه على الأقل حقق التجربة الفنية في كثير من قصائده ويكفيه ذلك فخرا. والمهم أن نقاد الشعر النيجيري يتجاهلون في أوان كثيرة دور التاريخ وعلاقة ثقافة الشاعر مع صنعته الفنية.

مراجع وإحالات:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

[١] الوزير جنيد، عرف الريحان في التبرك بذكر الشيخ عثمان بن فودي، جامعة بايرو كنو (مخطوط) يقع في أربع وثلاثين صفحة بالخط المغربي ص ١٢

[٢] عبد الباقي شعيب أغاكا: الرثاء لدى محمد البخاري ص ٧

[٣] عبد الباعقي: نفس المصدر ص ٩

[٤] غرب طن ظوهو زاريا، محمد البخاري بن الشيخ عثمان بين فودي و شخصيته الأدبية، (زاريا: مطبعة غسكيا، ٢٠٠٢م) ص ٧٢

[٥] الوزير جنيد، عرف الريحان ص ١٤ ظوهو ص ٥٩

[٦] غرب طن ظوهو ص ١٧٦

[٧] غرب طن ظوهو: نفس المصدر ص ١٧٦

[٨] عبد الله بن فودي: تزيين الورقات، (ألوسي: كنو١٣٨٣هـ) ص ٨ راجع كذلك شيخو أحمد غلادنث حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا (الرياض: العيبكان، ١٩٩٣م) ص ١٢٨

[٩] غلادنثي: المصدر السابق ص ١٠٤

[١٠] غلادنثي: المصد نفسه ص ١١١-١٠٤

[١١] غلادنثي: المصد نفسه ص ١١٢

[١٢] ديوان محمد البخاري، مكتبة جامعة بايرو، الذي تم نسخه من خزانة كتب أمير كنو (مخطوط) وهو الذي كتب بعضهم على غلافه "كتاب الميل على حب النساء". ص٦

[١٣] ديوان محمد البخاري: المصدر نفسه ص١٤

[١٤] ديوان محمد البخاري: المصدر نفسه ص١٢

[١٥] ديوان محمد البخاري: المصدر نفسه ص١

[١٦] ديوان محمد البخاري: المصدر نفسه ص٩

[١٧] ديوان محمد البخاري: المصدر نفسه ص١١

[١٨] ديوان محمد البخاري: المصدر نفسه ص٦

[١٩] ديوان محمد البخاري: المصدر نفسه ص٧

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

[٢٠] ديوان محمد البخاري: المصدر نفسه ص١٣

[٢١] غرب طن ظوهو، مرجع سابق: ص ٢٠٤

[٢٢] شيخو أحمد غلادنث حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا (الرياض: العيبكان، ١٩٩٣م) ص ١٢٨

[٢٣] الإصبهاني، أبو الفرج علي بن حسين الأغاني، الجزء الأول (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب) ص ١٠٣

[٢٤] الإصبهاني، المصدر نفسه ص ١٠٤

[٢٥] الإصبهاني، المصدر نفسه ص ١٠٥

[٢٦] الإصبهاني، المصدر نفسه والصفحة

[٢٧] الإصبهاني، المصدر نفسه ١٠٣

[٢٨] أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي (القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٧٣م) ص ٢٧١

[٢٩] شوقي ضيف، في النقد الأدبي (القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٤م) ص ١٧٦

[٣٠] الجرجاني علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه (بيروت: المكتبة المصرية، ٢٠٠٦م) ص ١٨٥

[٣١] ابن رشيق حسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده (القاهرة : دار الطلائع، ٢٠٠٦) ص٢٥١

[٣٢] الجرجاني في الوساطة ص ١٧٦

[٣٣] وهذا مكتوب على غلاف ديونه الذي في مكتبة جامعة بايرو، والذي تم نسخه من المكتب الخاص لأمير كنو.

[٣٤] غرب طن ظوهو زاريا، محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي وشخصيته الأدبية (زاريا: مطبعة غسكيا، ٢٠٠٤م) ص ٦٣

[٣٥] شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، (القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٧م) ص ٢١١

[٣٦] شوقي ضيف، المرجع السابق: ٢١١

[٣٧] شوقي ضيف، المرجع السابق: ص ٢١٣

[٣٨] غرب طن ظوهو ص ٦١

[٣٩] غرب طن ظوهو ص ١٧٠

[٤٠] أ. د. جهاد المجالي، التجربة الشعرية بين الصدق الفني وصدق الواقع، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ج١٥، ع٢٧، جمادى الثانية، عام ١٤٢٤هـ، ص ٩٣٤

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

[٤١] الوزير جنيد، ديوان البخاري ص ١١

[٤٢] طه حسين، في حديث الأربعاء، الجزء الثاني (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٨م) ص ١٠٣ و ١٠٤ و ص١٠٩ و ١٩٥

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

صور من التسامح في الخطاب النبوي: دراسة أدبية تحليلية

إعداد:
الدكتور ناصر أحمد صكتو والدكتور نور عتيق بلاربي
قسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي صكتو –نيجيريا

الملخص

يتصدى هذا البحث لدراسة أحاديث مختارة من السنة النبوية المطهرة، التي تتمحور حول التسامح. تلك الظاهرة التي يعتبرها الناس اليوم ظاهرة جديدة سبق الغرب الإسلام إليها. والدراسة التي يقوم بها الباحثان تتمثل في عرض تلك النصوص وتحليلها ليظهر بذلك فكرةالتسامح والعفو والإغضاء بصوة واضحة تمثل الإسلام الصحصح. ثم ينطلق البحث إلى دراسة النصوص دراسة أدبية تحليلية ليوضح القيمة الفنية التي تكمن في تلك النصوص من أسلوب وعاطفة وخيال وغير ذلك من الظواهر الفنية التي تكمن في تلك النصوص الشريفة، مما يبرهن على أن الإسلام محمد جذور السلم والتسامح ودعا إليها منذ بزوغ فجره، وذلك باستخدام أساليب راقية وفنون خلابة ممتعة التي من شأنها أن تحبب التسامح إلى قلوب الناس أجمعين.

الكلمات المفتاحية: صور من التسامح في الخطاب النبوي: دراسة أدبية تحليلية

المقدمة

يعتبر التسامح من المصطلحات الحديثة التي تستخدم في السياقات الاجتماعية والثقافية والدينية لوصف مواقف واتجاهيات تتسم بالتسامح والعفو والصفح واحترام الآخرين. تهدف المقالة إلى إلقاء ضوء حول تأصيل الثقافة الإسلامية من الخطاب النبوي الذي يتجه بدعوته إلى البشرية كلها مدعما أسس العدل، ومنهيا عن الظلم والجور، وداعيا إلى التعايش السلمي بين

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

أفراد المجتمع الإسلامي في جو من الإخاء والتسامح بين جميع المسلمين بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم.

سيتجلى في المقالة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالقضايا الاجتماعية الحساسة حيث وضع المنهج السليم للحياة الإنسانية الذي يهدف إلى توطيد الأمن والسلام في الحالة السياسية. وسيظهر في المقالة أيضا الإبداع النبوي المتمثل في التعبير الفني الجميل المؤثر الجذاب الذي يجمع بين شرف المعنى وروعة البيان. سيختار الباحثان خمسة من النصوص النبوية ويتتبعان دلالتها المعنوية وجمالها الفني وستدور محاور المقالة حول النقاط التالية:

- المقدمة
- مفهوم التسامح
- عرض الأحاديث المختارة في معنى التسامح
- دراسة أدبية للنصوص المختارة
- الخاتمة

مفهوم التسامح

التسامح لغة من مادة "سمح يسمح" أي جاد وأعطى، أو وافق على ما أريد منه. ويعني في الاشتقاق التساهل[١] وتسامح في كذا أي تساهل، ومنه بيع السماح وهو البيع بأقل من الثمن المناسب"[٢]

وأما التسامح في مفهومه الاصطلاحي فيعني: "العفو عند المقدرة وعدم ردّ الإساءة بالإساءة والترفع عن الصغائر والسمو بالنفس البشرية إلى مرتبة أخلاقية عالية"[٣] والتسامح بهذا المفهوم مرتبط بهدي النبي صلى الله عليه وسلم الملموس في أقواله وأفعاله. أو يراد بالتسامح: "نسيان الماضي المؤلم بكامل إرادة الإنسان"[٤] أو هو "التخلي عن رغبة الإنسان في إيذاء الآخرين لأي سبب قد حدث في الماضي"[٥]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وقد يطلق التسامح ويراد به الشعور بالرحمة والتعاطف والحنان"[٦] ومن هذه التعاريف يدرك أن التسامح هو أن تفتح قلبك وألا يكون هناك شعور بالغضب ولا لوجود المشاعر السلبية لأي شخص.

من هذا المنطلق يدرك القارئ أن التسامح كَما وصفه هلال بن العلاء الرقي قائلا في بيت له:

لما عفوت ولم أحقد على أحد أرحت نفسي من هم العداوات[٧]

وهومماثل لما ذهب إليه أمير الشعراء في العصر الحديث أحمد شوقي عندما يعبر عن عاطفته نحو التسامح قائلا:

تسامح النفس معنى من مروءتها بل المروءة في أسمى معانيها
تخلق الصفح تسعد في الحياة به فالنفس يسعدها خلق وبشتها[٨]

وقال شاعر في معنى التسامح:

وكنت إذا الصديق أراد غيظي وأشرفني على حنق بريقي
عفوت ذنوبه وصفحت عنه مخافة أن أعيش بلا صديق[٩]

هذا، ويمكن أن يقال إن التسامح هو أن ترى نور الله في كل من حولك مهما يكن سلوكهم معك.

عرض الأحاديث المختارة في معنى التسامح

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أصيب بدم أو خبل –والخبل: الجرح- فهو بالخيار بين إحدى ثلاث؛ فإن أراد الرابعة فخذوا على يديه: أن يقتل أو يعفو أو يأخذ الدية، فمن فعل شيئا من ذلك فعاد فله نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا"[١٠]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أدلكم على خير أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ من عفا عمن ظلمه وأعطى من حرمه ووصل من قطعه، ومن أحب أن ينسأ له في عمره ويزاد له في ماله فليتق الله ربه وليصل رحمه"[١١]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من عفا عند قدرة؛ عفا الله عنه يوم العسرة"(١٢)

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يحب سمح البيع، سمح الشراء، سمح القضاء"(١٣)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من شيء إلا والله يحب أن يعفى عنه ما لم يكن حدّا عن عباده"(١٥)

دراسة أدبية للنصوص المختارة

تمثل هذه الطائفة من الأحاديث النبوية الشريفة أوضح ظاهرة لبناء الإنسان للمجتمع الإسلامي على أساس متين، أساس العفو والتسامح، أساس كظم الغيظ والعطف والحنان، مما يساعد المجتمع على تحقيق التعايش السلمي وتبادل الاحترام بين أفراد المجتمع. وهذا هو المتوقع صدوره من مشكاة النبوة، ذلك لأنها هي الواسطة بين الله سبحانه وتعالى الخالق والكائن البشري المخلوق، فيرسم بهذا لهم خططا بتتبعها يتعودون على العفو والتسامح فيما بينهم فيعيشوا في أمن وأمان وسلام.

وقد رسم عليه الصلاة والسلام تلك الخطط في غاية الروعة التعبيرية وأجمل الصور البيانية بأساليب متنوعة حتى ترسخ في ذهن بني البشر وتصير لهم سجية بل عقيدة يعتقدونها، تشتاق النفوس إلى تطبيقها لما تتمتع به من الجمال والروعة التعبيرية. كما يلمس في هذه النصوص الجمال الفني في روعة العرض وسموّ التصوير، وكما يتسم أسلوبها بالوضوح مفردات وتراكيب، فلا يوجد فيها غرابة ولا تكلف إذ كان بصدد التعليم وتوجيه الخطاب لتربية المجتمع إسلاميا، ووضعِ أسس ودعائم تبنى عليها سياسة الحياة.

من الصور الجيدة في النصوص الكناية وهي: لفظ أريد به لازمة معناه مع جواز إيراد معناه حينئذ"(١٥) وتعتمد الكناية في حيويتها على الإيحاء والتلميح والترميز والإشارة"(١٦) وقد استخدمها

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

في أروع صورها وفي المكان الملائم، وذلك في قوله: "من أصيب بدم أو خبل" ففي هذا كناية عن قتل أخ الإنسان أو أحد أقاربه، فلما كان القتل عزيزا على النفوس وهو من الأمور المنكرة تجاوز في الحديث إيراد لفظة "القتل" فذكر لازمة من لوازمها وهي وقوع المصيبة على التلميح، إذ الدم في اللغة يكنى به عن القتل لأن إراقته تكلف الحياة. فيدرك بهذا الرجل المصاب أن القتل منكر قولا وفعلا حتى أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يصرح به بل كنّى عنه لبشعة لفظته وقبح فعلته، فربما بهذا يتجاوز المصاب ويلجأ إلى العفو والتسامح أو الدية. انظر كيف يغري النص الإنسان إلى العفو والتسامح. فلو كان القتل هو الهدف لذكره في الحديث بصورة غليظة تبعث الغضب في نفس المصاب. وليثبت للمصاب أن عفوه خير من الدية والقصاص أردف قوله: "فمن فعل شيئا بعد ذلك فله نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا" ليشير له بذلك إلى أنه لو قتل القاتل فمقتوله لن يعود حيا أبدا، ولو أخذ الدية لن تكون عنده بمنزلة أخيه لأن المال يفنى، وربما يتكلم عن الأمر بعد ذلك بسوء فيبوء بالنار والخسران، ولهذا وردت لفظة "شيئا" في الحديث نكرة لتدل على أنه مهما قَلّ ما صدر منه بعد القتل أو الدية أو العفو فله نار جهنم، ولكن له الحق في استلام الدية ما دام أن الإسلام سمح له بذلك أما الذي عفا وسمح فأجره على الله، وقد باء القاتل بإثمه وإثم المقتول. فبهذا يتم التسامح والعفو بين المصيب والمصاب بدون إجبار أو تكليف.

ومن الصور الجيدة في النصوص المقابلة، وهي أن يؤتى بمعنيين متواقفين أو معان متواقفة ثم بما يقابلها على الترتيب[١٧] وذلك عندما قال: "إن الله يحب سمح البيع سمح الشراء سمح القضاء" يعرض النص المقابلة بين موقفين موقف البائع وموقف المشتري، فحثّ كل جانب على السمح عند العقد، فلو أمر جانبا دون آخر لفقد التوازن ولكنه أمر كلا الجانبين. وقد تقابل بين البائع والمشتري ليحس كل منهما بأنه إنسان ويحتاج أخوه منه ما يحتاجه هو منه، والإسلام لم يطالبه وحده بالسمح فيشعر بالظلم بل طالب معه أخاه في ذلك، وبذلك يشعر كل منهما بالراحة النفسية ويسمح لأخيه عن رغبته مشعرا العز والارتياح. هكذا اهتم الرسول عليه الصلاة والسلام بهذا الجانب ورسم له خطة تقود إلى العفو والتسامح.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ومن جيد التعبير في النصوص وقوع الطباق في أرقى سماته، ويعني عند أهل الفن "كل كلام جمع فيه بين الضدين"(١٨) وعلى ذلك فالطباق هو "الجمع بين الضدين كالليل والنهار والبياض والسواد"(١٩) وذلك في مثل قوله: "من عفا عمن ظلمه، وأعطى من حرمه، ووصل من قطعه" جمع في النص بين المعاني المتضادة لأن قيمة الأشياء تزداد ظهورا بذكر أضدادها. وجمع بين العفو والظلم، وأعطى وحرم، وبين وصل وقطع. ذلك لأنه يريد من السامع أن يحضر ذهنه لأن المواقف صعبة جدا على الإنسان، فالعفو عن المسيء مثلا يعظمه الإنسان لأن نفسه طبيعيا تميل إلى الانتقام لمن أساء إليه فما بالك بمن ظلمه. كما أن نفسه أيضا تحب جمع المال ولا تحب الإعطاء "وإنه لحب الخير لشديد" (سورة العاديات: ٨) فإخراج الزكاة وصدقات التطوع عزيزة على النفوس فما ظنك في أن يعطي الإنسان من حرمه شيئا، وهكذا إيصال الرحم عزيز على النفس لما في ذلك من الأجر الكثير حتى أن الأحاديث كثرت في ذلك، فإن كان إيصال الرحم مع الذي أوصلك صعب فكيف بالذي قطعك. فليحرك الرسول عليه السلام هذا الشعور الإنساني ويجذب لبه وانتباهه إلى العفو والتسامح جاء بالصورة وأضدادها حتى لا يظن الإنسان أن العفو مطلوب منه في الإساءة القليلة دون الظلم الكبير. ولا يظن أن الإعطاء يكون لمن أعطاه أو الذي لم يحرمه بل يكون أكثر أجرا وثوابا في الذي حرمه. ولا يعتقد أن إيصال الرحم يكون في الذي أوصله دون من قطعه، وكل هذه لا تتم إلا بالعفو والتسامح والتفاهم تمسكا بقوله تعالى: "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين" (سورة الأعراف: ١٩٩)

وكما نلمس ظاهرة الطباق أيضا في قوله: "ألا أدلكم على خير أهل الدنيا والآخرة" فقد طابق بين لفظتي الدنيا والآخرة جذبا لعقل السامع، إذ لو ذكر الدنيا فقط فالذي يحب الآخرة لايهتم بالأمر، وهكذا العكس، أما لما ذكر كليهما فمن المتوقع أن يهتم كل الناس لما يأتي، ومن العجب العجاب أن هذا ليس شيئا سوى العفو والتسامح والصفح واحترام الآخرين.

ومن الصور الجيدة الواردة في النصوص الجناس، وهو "أن تتفق اللفظتان في وجه من الوجوه ويختلف معناهما"(٢٢) في قوله: "فله نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا" في النص جناس الإشتقاق

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

عن طريق اسم الفاعل والمفعول (خالدا/مخلدا)، وقد عمل هذا الجناس في إعطاء قيمة جمالية للقارئ خلال استخدامه اللفظتين، فيتحول بذلك العذاب إلى عذابين: عذاب النار، وغضب الرحمان، فلو أنه يخلد في النار باختياره لكان الأمر أهون عليه ولما شعر بالإهانة والاختناق، أما لما كان الخاسر مخلّدا في النار مجبَرا كان ذلك نوعا آخر من العذاب والإهانة مما يلقي بظلاله على الشقاء الخالد والشعور بالألم والفشل في خلوده في عذاب جهنم وغضب المولى سبحانه وتعالى، وفي ذلك نوع من الترهيب عن الوقوع في هذه المصيبة الخالدة المؤبدة والترغيب في التسامح بأخذ الدية أو بالعفو التام.

وتارة يستخدم في ترتيب الأفعال نظاما رائعا يغري إلى التمسك بالعفو والتسامح، وهو مما حبذه الباحثان في الجمال التعبيري من النصوص ومما صادفه قوله: "من عفا عمن ظلمه وأعطى من حرمه ووصل من قطعه ومن أحب أن ينسأ له في عمره ويزاد له في رزقه فليتق الله ربه وليصل رحمه" فقد استخدم الأفعال الماضية (أعطى، عفا، وصل، أحب) ليدل على طلب رسوخ هذه الصفة في نفس صاحبها وأن يفعلها بدون مقابل لأنه كما صح: "إن الله تعالى لاينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"[٢٣] فلهذا؛ الذي يفعلها لأنه أُجبر عليها أو لغرض دنيوي كمقابل لما يقوم به لا يدخل في ذلك. ثم اختتم الجمل بالأفعال المضارعة (ينسأ، يزاد، يتق، يصل) إيحاء باستمرار الأمر وتجدده مع كل كرة أخرى، ومن حيث تقواه وإخلاصه، أي كلما عفا وسامح نال ذلك الأجر والثواب وبسطة في العمر والرزق.

١- ومن حسن اختيار الأفعال الملائمة قوله: "من عفا عند قدرة عفا الله عنه يوم القيامة" استخدم صيغة الماضي (عفا) دون المضارع (يعفو) في الشرط والجزاء ليدل على أن المشروط منوط بتمام الشرط، فبمجرد أن عفا الإنسان عن أخيه عفا الله عنه، فمن يريد عفو الله تعالى على الدوام فليلازم العفو والتسامح لإخوانه. لكنه خص هنا العفو بكونه مع القدرة وهو من المواقف الصعبة، فغالبا ما يكون عفو الإنسان عندما لم يجد قدرة على الأخذ، ولما كان المسلم دائما يرجوا عفو ربه بادر إلى اقترانه بمقابلة أخيه

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

بالعفو والتسامح والصفح وهذا هو الغرض والهدف. وهذا معنى قوله تعالى: "وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم" (سورة النور:٢٢)

ومن جيد التراكيب استخدامه الجملة الفعلية، أي "الجملة التي يتصدرها فعل تام أو ناقص"[٢٥] عندما يريد أن يفيد التجدد والاستمرار، وذلك مثل قوله: "ألا أدلكم على خير أخلاق أهل الدنيا من عفا عمن ظلمه وأعطى من حرمه ووصل من قطعه ومن أحب أن ينسأ له في عمره ويزاد له في رزقه فليتق الله ربه وليصل رحمه" في النص سلسلة من الجمل الفعلية تفيد التجدد والاستمرار على صفة من الصفات، فقوله: "ألا أدلكم على خير أخلاق أهل الدنيا والآخرة" أورد فيه الجملة بعد حرف التنبيه "ألا" لفْتًا لانتباه الناس لأهمية ما يدعوهم إليه، والجملة الفعلية هنا دالة على أنه كثيرا ما يدلهم على الخيرات في الماضي فاغتنموها، كما هو الحال في الحاضر والمستقبل، وبقية الجمل الفعلية في النص توحي بأن تلك الأعمال مطلوبة من الإنسان بالتجدد والاستمرار وليس أن يفعلها مرة واحدة فقط بل كلما تجددت به حال يطلب منه العفو والتسامح والإعطاء ووصل الرحم، ثم في الأخير جاءت جمل فعلية أخرى لتبرهن على أن جزاءه منوط بالتقوى إذ لا يقدر على المقاومة في هذه المواقف الصعبة إلا التقي فكلما زاد من العفو التسامح زاده الله رزقا وطول عمر.

ومما لاحظه الباحثان أيضا استخدامه الجمل الاسمية، وهي "ما يتصدرها اسم صريح أو مؤول في محل رفع أو اسم فعل أو يتصدرها حرف مشبه بالفعل"[٢٦] حيث تأتي لتفيد الثبوت والدوام، ومن ذلك قوله: "إن الله يحب سمح البيع" فلغرض تعليم القارئ أن الله تعالى اتصف بهذه الصفة قديما وحديثا وهي صفة ثابتة دائمة له لاتغير ولا تبدل استخدم الجملة الاسمية، وأكّد الجملة بحرف التوكيد "إنّ" ليتبادر الإنسان إلى التمسك بها وذلك لما للعفو والتسامح من أهمية في الدين والدنيا، وكونها مما يحبه الله تعالى يبرهن على أن كل من لازمها أحبه الله. وتخيل! إن كان المسلم يسدي ويلحم في فعل الخيرات ليفلح وليحبه الله تعالى فكيف بالصفة التي ذُكر أن الله اتصف بها؛ يحبها ويحب من قام بها؟؟؟

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ويُلمس في النصوص أيضا ظاهرة التكرار مما يزيد الكلام رونقا وجمالا، ويقصد بالتكرار أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو التهويل أو الوعيد[٢٧] ويعمل صوت الحروف على تشكيل النغمات بما تمتاز به من تقطيع وتنغيم[٢٨] لذا يعمل التكرار على إعطاء حيوية للإيقاع من خلال تكرار الوحدات وتناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير[٢٩] فتراه في هذه النصوص تارة يكرر الأصوات وتارة يكرر الكلمات لتكون جرسا يجذب الروح إليها فتشكل أسلوبا يأتي بجرس الألفاظ وتناغم العبارات على منوال جذاب داع إلى الاصغاء.

ومن تكراره الأصوات قوله: "من أصيب بدم أو خبل فهو بالخيار بين إحدى ثلاث فإن أراد الرابعة فخذوا على يديه أن يقتل أو يعفو أو يأخذ الدية فمن فعل شيئا من ذلك فعاد فله نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا" فالنص تشكل من تجمع صوتي بحرف الفاء التي كُررت في النص تسع مرات -وهي صوت مهموس- للإيحاء بالتلطف بالمصاب في لين حتى يعفو من دون إجبار، من أجل ذلك كرر صوت الفاء بكثرة علّ ذلك الهمس يدخل في قلب المصاب ويلينها فيعفو عن القاتل أو يأخذ الديةن وبهذا اتحد الصوت والمعنى في إغراء الإنسان إلى العفو والتسامح.

كما نلمس هذه الظاهرة أيضا في قوله: "من عفا عمن ظلمه وأعطى من حرمه ووصل من قطعه ومن أحب أن ينسأ له في عمره ويزاد له في رزقه فليتق الله ربه وليصل رحمه" فقد كرر صوت الهاء للدلالة على صعوبة الموقف وعظم أجر من تمسك بالعفو والتسامح في مثل ذلك، كما يوحي تكرار صوت الهاء إلى الرفق بصاحب المواقف المذكورة حتى لا يظن أن المتكلم لايعرف صعوبة موقفه، ولا يرثي لحاله، فتكرار الهاء المهموسة في الضمائر المذكورة تكون تنفيسا للكرب الذي ينطويه صاحب الموقف، فكأنه يتنفس معها جلاء للهموم والكروب ليصل إلى موقف العفو الشامل والسمح، فاتفق المعنى والصوت في تنفيس حزن المحزون وحضه على العفو والتسامح.

كما لاحظ الباحثان تكرار الحروف في النص السابق ذكرا، فقد كرر حرف: "من" خمس مرات في قوله: "من عفا" "من ظلم" "من حرم" "من قطع" "من أحب"

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وهذا التكرار يوحي إيقاعا موسيقيا آخر محببا إلى القلوب من خلال تكراره المتقارب للإيحاء لأن النفس البشرية تعزز الأمور المذكورة فيطرب هذا التكرارُ الإنسانَ ويسهل عليه معانقتها ويقبل العفو والتسامح حتى تكون له سجية سهلة التناول.

وتارة يكرر الكلمات لتحقيق قيمة فنية، ومن ذلك قوله: "إن الله يحب سمح البيع سمح الشراء سمح القضاء" كرر هنا كلمة "سمح" في حيث لو استخدم الحرف العاطف لوصلت الرسالة، أما من أجل تلك القيمة الجمالية من تكرار لفظة بعينها كرر اللفظة ثلاث مرات ليوحي بأهمية السمح في كل موقف منها ورسم خطة للبيع الناجح بذلك، فبدأ بسمح البيع لأن البائع أصلا يكون قبل المشتري فعليه بالسمح حتى يأتي إليه المشتري وإلا يذهب إلى مكان آخر، والمشتري عليه بالسمح في الأخذ وفي دفع المقابل إن كان التبادل نقدا، وإلا عليه بسمح قضاء الدين حتى لا يخلق العداوة والشحناء بينه وبين البائع. وبالجملة فالعفو والصفح والتسامح مطلوبة في كل شيء في الحياة البشرية خاصة الإنسان المسلم لأن هذا هو دينه ودنياه.

ولا تخفى لمن له أدنى اهتمام بالسيرة النبوية تلك النماذج الحية من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم التي تؤكد لنا أن ما تدعو إليه النصوص السابقة هو ما عاش عليه الرسول (عليه الصلاة والسلام) عليه وطبقه في حياته، فكان هذا جانبا تطبيقيا لدعوة الناس إلى العفو والتسامح.

ويكفي نموذجا لتلك المواقف من الرسول عليه الصلاة والسلام خاصة في العفو عند المقدرة ما وقع في يوم فتح مكة عندما مكّنه الله في مكة وأهلها، فلو أمر بقتلهم لقُتلوا عن آخرهم، ولو أمر بسبيهم لكانوا عبيدا، وقد استحقوا ذلك لأنهم قلوه وآذوه ظلما وعدوانا، وأخرجوه وحاربوه وآذوا من معه عتوا وطغيانا، لكنه لما وقفوا أمامه أذلة صاغرين قابلهم بالعفو والصفح والتسامح قائلا: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"[٣٠]. ولهذا قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: "لم يكن رسول الله فاحشا ولا متفحشا ولا يجزئ بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح"[٣١] كما أنه عليه الصلاة والسلام لم يؤاخذ لبيد ابن الأعصم عندما سحره بل عفا عنه فقط[٣٢] كما عفا عن اليهودية التي

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

سمته في الشاة[٣٣]. وفي يوم أحد لما شُج رأسه عليه الصلاة والسلام وكُسرت رباعيته جاءه ملَك يستأذنه في إهلاك القوم لكنه عفا عنهم وسامح لهم وقال: "اللهم اهد قومي فإنهم لايعلمون"[٣٤] وهكذا عند مقتل حمزة رضي الله عنه حزن عليه الصلاة والسلام حزنا شديدا لِما رأى من أنهم مثلوا به و واعد قائلا: "لئن ظفرت بقريش لأمثلن بسبعين رجلا منهم" لعظم المصيبة، لكنه أخيرا عفا عنهم وسامحهم على ذلك[٣٥]. ولما دعا أهل الطائف إلى الإسلام أمروا برجمه وإخراجه بعد أن أحزنه ما لقيه من عبد يالين وأمثاله، فجاءه ملّك الجبال يستأذنه في إهلاك القوم لكنه عفا عنهم وقال: "أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له"[٣٦] ولذلك عندما سأله صحابي عن وصية جامعة مانعة حيث قال أوصني يا رسول الله، قال له: "لا تغضب"[٣٧] فعدم العفو والتسامح هو أصل المشاكل في حياة الإنسان.

وعلى هذا سار الصحابة والتابعون تطبيعا لهذه الوصايا في حياتهم، فهانت العظائم في أعينهم، وعفوا عمن ظلمهم، واحترم بعضهم البعض. فهذا سيدنا عمر بن الخطاب يقول تبليغا لما وعاه عن النبي صلى الله عليه وسلم وتحبيبا للعفو والتسامح إلى قلوب الناس: "إن أجود الناس من جاد على ما لا يرجوا ثوابه، وإن أحلم الناس من عفا بعد القدرة، وإن أبخل الناس الذي يبخل بالسلام، وإن أعجز الناس الذي يعجز في دعاء الله"[٣٨]

وهذا الإمام علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه يحكى أن جارية تصب الماء له ليتوضأ، فسقط الإبريق من يدها على وجهه فشجه، فرفع رأسه إليها، فقالت له: إن الله يقول: والكاظمين الغيظ، فقال لها: قد كظمت غيظي، قالت: والعافين عن الناس قال لها: قد عفوت عنك، قالت: والله يحب المحسنين، قال: اذهبي فأنت حرة لوجه الله.[٣٩] لهذا فمن أراد التمسك الحقيقي بالدين الإسلامي عليه بالعفو والصفح والتسامح، فالإنسان لم يُخلق في الدنيا ليعيش وحده، لذا عليه أن يتخذ نفسه مرآة الآخرين، فكلما يحبه لنفسه فليحبّه لغيره، فلن يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه. وما أحسن قول بشار بن برد:

إذا كنت في كل الأمور معاتبا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

فعش واحداً أو صل أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمأت وأي الناس تصفو مشاربه[٤٠]

الخاتمة

ثبت في المقال أن التسامح ظاهرة سبق الإسلامُ المصطلح الحديث إليها، فمنذ خمسة عشر قرنا مضى دعا الرسول عليه الصلاة والسلام الأمة الإسلامية إلى العفو والتسامح فيما بينهم وحضهم على ذلك، وآية ذلك ما مرّ في البحث من أحاديث صحيحة تشيد بأفضلية العفو والتسامح وما أعد الله لمن قام بها من الأجر والثواب والنعيم الخالد في يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، مما يساعد المجتمع في تكوين معاشرة محترمة والتعايش السلمي. وقد تبين خلال العرض والدراسة ما تتمتع به تلك النصوص الداعية إلى التسامح من الروعة التعبيرية، والدقة التصويرية، والجمال الإيقاعي، والتنوع الأسلوبي، والجرس اللفظي التي من شأنها تنشيط القارئ وتحبيب العفو والتسامح إلى قلبه بحيث يتذوقها فيتلذّذ من طعم التسامح في الدنيا والجزاء الأوفى في الآخرة. وكما ظهر جليا أن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت دروسا تطبيقية للتسامح، وعليه عاش الصحابة والتابعون وعباد الله الصالحون، لذا فعلى الأمة العودة إلى كرّتها الأولى والتمسك بالتعاليم الإسلامية القيمة الداعية إلى العفو والصفح والتسامح. والحمد لله رب العالمين.

الهوامش والمراجع

٢- الفيومي أحمد بن محمد بن علي المقري، **المصباح المنير في غريب الشرح للرافعي**، المكتبة العلمية بيروت، ج:١/٢٨٨
٣- إبراهيم مصطفى والآخرون، **المعجم الوسيط**، تحقيق مجمع اللغة العربية نشر دار الدعوة مادة السين، ج:٢ ص: ٤٣١
٤- موقع www.Religious Tolerance. org تاريخ الزيارة ٢٠١٤/٠٧/٢٦م
٥- موقع www. Abouna.org تاريخ الزيارة ٢٠١٤/٠٧/٢٢م

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٦- موقع sedty.com تاريخ الزيارة ٢٠١٤/٠٧/١٢م

٧- أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، **البصائروالذخائر**، تحقيق د. وداد القاضي،نشر دار صادر - بيروت / لبنان الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ/٩٩٩ م، ج:٣ ص:٤٣٥

٨- أبو حيان التوحيدي، **الصداقة والصديق**، نسخة إلكترونية مصدرها المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.

٩- موقع www.Religious Tolerance. org المرجع السابق

١٠- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن القزويني، **سنن ابن ماجه**، باب من قتل له قتيل، نسخة إلكترونية مصدرها المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.

١١- **مصنف ابن أبي شيبة**، الباب الثامن، ج:٨، نسخة إلكترونية، مصدرها: المكتبة الشاملة الإصدار الثاني. ص: ٣١٣

١٢- الطبراني، أبو قاسم، **المعجم الكبير**، نسخة إلكترونية مصدرها المكتبة الشاملة الإصدار الثالث.

١٣- عبد الرؤوف المناوي، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، نشر المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة الأولى ، ١٣٥٦ ج:٢ ص:٣٨

١٤- الإمام مالك، **الموطأ**، باب الحد في الخمر، نسخة إلكترونية مصدرها المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

١٥- الخطيب القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، مطبعة السنة المحمدية القاهرة، ٣٣٦/٢

١٦- إبرهيم خليل، الدكتور، **الأسلوبية ونظرية النص**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط:١، بيروت ١٩٩٧، ص: ١١٨

١٧- الخطيب القزويني، **المرجع السابق**، ص:٤٣١

١٨- القزويني، نفس المرجع، ص: ٤٣١

١٩- ابن حجة الحموي، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، بيروت، ص:٥٧

٢٠- العلوي، يحي بن حمزة، **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، مطبعة المقتطف، القاهرة، ١٩١٤م، ج:٢، ص:٣٥٦

٢١- البغوى، الحسين بن مسعود، الإمام، **شرح السنة**، نشر المكتب الإسلامي - دمشق . بيروت .١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م،ط: ٢ ،تحقيق : شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، ج: ٤ ص:٣٤١

٢٢- خليل أحمد عمايرة، الدكتور، **في التحليل اللغوي**، مكتبة المنان، ط:١، الزرقاء- الأردن، ١٩٨٧، ص:٤٢-٤٣

٢٣- عمايرة، المرجع السابق، ص: ٤٢

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٢٤- ابن أبي الأصبع المصري، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر في بيان إعجاز القرآن**، تحقيق حنفي محمد شرف، القاهرة ١٩٨٠، ج:٣ ص:٣٧٥

٢٥- ماهر مهدي هلال، الدكتور، **جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب**، دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٠، ص: ٢٣٩

٢٦- ماهر مهدي، المرجع السابق، ص: ٢٣٩

٢٧- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، **فتح الباري**، دار الفكر، ج:٨ ص: ١٨

٢٨- المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون تاريخ، ج: ٦ ص:١٨٣

٢٩- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، الطبعة الثانية: ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م، ج:٤ ص: ٥٧

٣٠- النبهاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ، **الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية**، تحقيق محمد عزة، المكتبة التوفيقية، بدون تاريخ. ص: ٦٠- ٦٤

٣١- النبهاني، المرجع السابق، ص: ١٨٠

٣٢- جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال، **الدرر المنثور**، دار الفكر - بيروت سنة ١٩٩٣، ج:٣ ص: ١٧٩

٣٣- النبهاني، **الأنوار المحمدية**، مرجع سابق، ص: ١٨١

٣٤- ابن رجب الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد، **جامع العلوم والحكم**، دار المعرفة بيروت، ط:١، ١٤٠٨هـ، ص: ١٤٣

٣٥- ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، نسخة إلكترونية مصدرها: http://www.alsunnah.com تاريخ الزيارة ٢٠١٤/٦/٢٣م

٣٦- جلال الدين السيوطي، **الدرر المنثور**، مرجع سابق، ج:١ ص: ٣١٨

٣٧- الحموي، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الأزراري، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، تحقيق: عصام شعيتو، ج:١ ص: ١٨٧

مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

إسهامات شعراء صكتو خارج المنطقة الشيخ محمد تكر الباغوي نموذجا

إعداد:
د. عمر عليّ حطيجه
قسم اللغة العربية، كليّة التربية لولاية جغاوا، غمل

الملخص

تعدّ منطقة صكتو من أرقى مناطق شمال نجيريا علمًا وثقافة، لجملة ما أنبتت من العلماء والأدباء منذ الجهاد الإسلامي بصكتو إلى اليوم، وانتشروا في المناطق المجاورة لبثّ ما رزقهم الله من العلم والأدب، فالشاعر محمد تكر البَاغَوِي من أولئك الأدباء الذين وصلوا إلى مناطق برنو لأحد الأغراض المذكورة. لهذا قام الباحث لدراسة مساهماته الأدبية في هذه المنطقة عامة وقصائده في مدح الشيخ أبي الفتح اليرواوي خاصة، متناولاً شخصية الشاعر وعوامل تكوينه الأدبي، وإسهامه في الأعمال الفنية وما تناوله من الأغراض الشعرية في المنطقة، ولاحظ الباحث أن قصائده لوحة فنية ذاخرة تعبّر عن منزلة أدباء منطقة صكتو خاصة والأدب العربي النيجيري عامة.

المقدمة

لقد احتلّ الأدب العربي النيجيري أرقى منازله في عصر الفوديين نظرا إلى كثافة الرسائل والقصائد المتداولة بين الأمراء والعلماء والحكام، فكانت أكثرها تعالج قضايا دينية وسياسية وإجتماعية لمناطق التي تحكمها. وفي القرن العشرين الميلادي وما بعده اتسع مناهل الأدب العربي النيجيري شعرا ونثرا، حيث ظهر نخبة من الأدباء بنظم الشعر وتأليف الكتب والترجمة في ميادين أدبية مختلفة، وذلك لما اغترفوا من الثقافات في مناهلها المتباينة، فكان الشاعر محمد تكر الباغوي ممن أدلو بدلائهم في هذا الحوض، فقد قرض جملة من القصائد في أغراض

مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

متباينة والتي تعبر عن تبحره في الشعر العربي وتمكنه في اللغة العربية. وتجري المقالة على نقاط التالية:

- المقدمة.
- حياة الشاعر محمد تكر وعوامل تكوينه الأدبي.
- مكانته الأدبية في منطقة برنو.
- دوره الشعري وأغراضه الشعرية.
- الخاتمة والهوامش مع المراجع.

التعريف بالشاعر

تعريفه ونسبه: هو الشيخ محمد تكر بن هارون الباغوي[١] المشتهر بـ "مالم تُكُر"، أما والده فهو الشيخ هارون بن محمد الفقيه الصوفي، قدم من بلاد *غُوْبِرْ* إلى قرية *مَشَايَا* فمكث فيها بعض السنوات، ثم انتقل منها إلى قرية دُوْرُنْ بَاغَا {DORON BAGA}، واستقر بها إلى أن وافته المنية رحمة الله عليه سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، فلمّا طاب له المقام أنشأ في منزله حلقة علمية يقصد إليها طلاب العلم،كما يحجّ إليه الناس للإفتاء والتفقّه في الدين. ويستشهد بذلك في أرجوزته قائلا:-

وَأَبُوْهُ هَارُوْنٌ إِمَامُ الأُدَبَا * مِنْ صَكَّتُو جَاءَ لِغُوْبِرْ نَسَبَا[٢]

مولده ونشأته: ولد الشاعر محمد تكر الباغوي يوم الأربعاء ٧ من شهر ربيع الأول سنة ١٣٨١هـ الموافق ١٩٦٢م، في بيت تضاء قاعته بالعلم، بقرية مَشَايَا الواقعة في حكومة محلية غَشُوَا، ولاية يَوبِي حاليا، نشأ الباغوي تحت رعاية وتربية والديه الكريمين في صيانة وعفاف وتقى، وعلى سيرة طيّبة وحالة حميدة من طلب العلم والفطنة والحفظ.[٣] ويقول في الأرجوزة التي قرضها عن مولده:-

سَبْعُ رَبِيعِ أَوْلٍ قَدْ وُلِدَ * تُكُرُ لِهَارُوْنَ فَتًى محمدا

وَسْطَ رَبِيْعٍ فِي انْسِكَابِ المَطَرِ * بُورِكَ فِيْهِ قَدْ أَتَى كَالبَدْرِ[٤]

مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ولما بدأت حركة بُوْكُوْ حَرَامْ في ولاية بَرْنُو وضواحيها، وعظمت اعتداءاتها على سكّان المنطقة، انتقل الباغوي من دورن باغا إلى "مدينة كَلْغُو" في ولاية كَبّي، واستقر بها مع جماعة من طلابه.

تعلّمه: شاء له القدر أن أخذ العلوم من أربابها، وأتى البيوت من أبوابها، فقرأ القرآن على والده وهو لم يناهز العاشرة من عمره، واستظل بدوحته يغترف من أغداقها الجارية مبادئ العلوم الإسلامية حسب المعتاد في بيوت كثير من العلماء في بلاد الهوسا، فلما ناهز عشر سنوات أرسل به والده إلى بعض البلاد المجاورة ليحفظ القرآن، فقرأ القرآن على يد كبار العلماء حتى تمّ له الحفظ والإتقان على يد معلمه الحاج إسحاق ،وأخيرا عاد الشاعر الباغوي إلى دُوْرُنْ بَاغَا سنة ١٣٩٨- ١٩٧٧م.[٥]فقرأ على والده، الأخضري لعبد الرحمن الأخضري، والعشماوي للشيخ عبد اللطيف بن شرف الدين العشماوي، والقرطبي (الأرجوزة) ومقدمة العزية للعلامة أبي الحسن علي الشاذلي، والرسالة لأبي زيد القيرواني، كما انهل منه كتب المديح منها: الهمزية للإمام البوصيري، والبردة للبوصيري أيضا، والعشرينيات لألفازازي، والوترية لمجد الدين محمد البغدادي والشعراء.

فلما استوى على سوقه بادر في تحصيل العلوم الإسلامية، فهضم كتبا دينية جمّة أعانته في توسيع نطاق فكرته، فشدّ الرحال إلى بعض المراكز العلمية المجاورة، فمكث في زاريا واستفاد من علمائها وعلى الطليعة: مالم عثمان ابن مالم نَئِيَا ومالم *بَلاَ كُسْفَا*، ومالم زكريا ومالم ثاني بن الشيخ عبد القادر المشهور بـ " أَكْرَمِي" حيث اغترف منهم علوما جمّة وفنونا عدة، منها: الكتب الفقيّة والسنة النبوية وبعض الكتب اللغوية. كما استعان ببعض علماء كانو وارتوى من معينهم علوما كثيرة، فقرأ عليهم كتبا فقهية وأدبية ولغوية ، ثم استفاد بالشيخ أحمد أبي الفتح اليرواوي في علوم التفسير.[٦]ولما اشتدت الأحوال في المنطقة وعظمت اعتداءات جماعة بوكو حرام على برنو وضواحيها انتقل الباغوي إلى موطن والديه وأجداده "مدينة كلغو" في ولاية كبّي، واستقرّ بها مع جماعة من تلاميذه. وما زال يقرض القريض ويرشد المريد ويخدم القرآن الكريم.

عوامل تكوينه الأدبي: هناك عوامل عدة التي لعبت دورا فعّالا في تكوين شاعرية الشاعر أو الأديب منها ما يلي:

مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

البيئة: ينظر إلى المحيط الاجتماعي على أنه عامل فعّال في التأثير على الشخصية الأدبية و منتوجاتها أيًّا كانت هذه الشخصية، لأن المجتمع منبع التجربة الإنسانية التي يعمل الأديب في توضيحها وتوصيلها إلى إخوانه من بني البشر.[٧]فالمحيط الاجتماعي الذي عاش فيه الشاعر هو بلاد *كانم-برنو* التي كانت مركزا إسلاميا هاما، ومأوى للعلماء والزوّار من مختلف مناطق غرب إفريقيا. وقد احتلت *كانم-برنو* مكانة عالية في التعاليم الإسلامية حيث تُوفد الطلاب إلى الأزهر الشريف طلبا للعلم والمعرفة منذ أن وطأ الإسلام قدميه في نيجيريا. ومن الجدير بالذكر، أن المنطقة مستوطن الأوائل الذين أنبتت بهم *إِنغَزَرغَمُو وكُوكَاوَا*، حيث أسسوا الكتاتيب والدهاليز والزوايا العلمية يبثّ فيها العلوم الدينية والثقافة العربية، كما تأوي إليها كتيبة لطلاب العلم من البلدان المجاورة كمنطقة:كَنُو، وكَشِينَا، وبَوْشِي، وصُكُتُو، وزَنْفَرَا، وأَدَمَاوَا.[٨]

المزاج: إن الإنسان ابن بيئته وبطبيعتها يترعرع وبثقافتها يتروى، وبتعاليمها يهتدي، وعلى هذا سهّل الله للباغوي سبيل الممارسة العلمية في حلقة والده، حيث يحتفل إليها طلاب العلم في مختلف مراحلهم مغترفين من حوض والده أفانين العلوم المختلفة، فأنار له هذا المزاج العكوف والانتظام على التحصيل، كما ورث له هذا المزاج الانتقال إلى دهاليز كبار العلماء بكتبه الحافلة ينهل منها العلوم بين أقرانه، ويهضم كل ما ألقى من درس أو كتاب، ولا يترك كتابا يدرس في حلقة من الحلقات إلاّ افتقد ضالته واكتسبها.

الثقافة: نشأ الشاعر الباغوي في أسرة عالمة ومتدينة ذات جذور عميقة في الثقافة الإسلامية والعربية، فإذا كانت الثقافة تؤثر في الإنسان مادياً ومعنويًا، فلا غرابة أن يتشكل للباغوي وعي ديني ثاقب، وفيض علمي شاسع، وإرشاد إلهي خالص، لأن القرآن الكريم منهله الأول والسنة المطهرة غدقه الثاني ثم الكتب الفقهية واللغوية مَعِينُه الثالث.

إنطلاقا من ذكاء الباغوي وانهماكه في القراءة انهماكًا استطاع هضم كتب دينية كثيرة وقراءة كتب لغوية جمّة، ويحقق ذلك كثرة تنقلاته بين الدهاليز في مدن مختلفة، وكُتلة الكتب التي قرأها على مشايخه الأجلاء،كما قادته فكرته العميقة، وإطلاعه الدؤوب، وحرصه الشديد على قراءة الكتب الأدبية،كالمقامات الحريري والدواوين الشعرية كمختار الشعر الجاهلي، وما يتعلق

مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

بالمديح النبوي كديوان الإمام البوصيري والعشرينيات لعبد الرحمن الفازازي ودواوين الشيخ إبراهيم الكولخي.[٩] وانطلاقا مما ذكر فإن القارئ لقصائد الباغوي يجدها مكتظة بأنواع ثقافته المختلفة ووعيه وذخيرته الجمّة، يحشد فيها منهجه وعقيدته ونزعته الصوفية، هذا، فيمكن القول بأن هذه العوامل المجتمعة كافية في صنع هذا الشاعر، وإخراجه فحلاً يستحق أن يحتفل به، وأن يهنئ قومه به والأمة الإسلامية جمعاء.

مكانته الأدبية في منطقة ميدغري

إنه من الطبيعي أن يكون لكل عالم مشهور ثروة علمية يستفاد بها سواء منثورة أومنظومة أو كليهما، إلا أن الشاعر الباغوي كرّس جهده في نظم القصائد، ولم يصادف الباحث بشيء من منثوراته، ولعل السبب في ذلك عكوفه على الأشعار العربية والقصائد المديحية في أطوار مراحله التعليمية، وكونها شغله الشاغل في حّله وترحاله. أضف إلى ذلك ما يتمتّع به من الهفاوة والتكرّم من قبل الشيخ أبي الفتح وقت الانشاد.

ولقد حفلت مكتبة الأديب الباغوي بمخطوطات عربية جمّة، حيث استخدم قلمه السيّال في سرد جملة من القصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وشيخه (الشيخ أحمد أبي الفتح اليرواوي)، كما استوظف نفس الآلة في المراثي وغير ذلك. وقد يعتبر الباغوي قرض القصائد مسرحا لتسجيل تجاربه وأفكاره وعقيدته وما تحتضنه ضميره من أفراح وآلام. ففي خلال هذه الحقبة الزمنية استطاع الشاعر أن ينشأ مؤلفات جمّة وقيّمة، ومتباينة الأغرض. هذا، فلا يسع المجال للباحث أن يورد جميع إنتاجات الشاعر، إلا أنه يضفي ضوء على أن جلّ قصائده قرضها في مدح الشيخ أحمد أبي الفتح اليرواوي، حيث يربو عددها على ثمان وعشرين قصيدة، في أبيات تناهز ألف وثمانمائة (١٧٠٠)، حتى كان يلقب بحسّان الحضرة الفتحية. ويقول في ذلك:

وَأَصْبَحْتُ حَسَّانَ أَعْتَابِ مَنْ * لَهُ الفَتْحِ فَصَّلْتُ قَوْلِي فُصُوْلَا

وَأَمْدَحُ ذَا الْفَتْحِ مَدْحًا كَمَا * غَدَا الْكَعْبُ يمْدَحُ طَهَ الرَّسُوْلَا[١٠]

ويمكن حصر بعض هذه المنظومات في الآتي:-

قصيدة "فتح العلاّم": وهي جملة من القصائد تقع في ثلاثمائة واثنين وثلاثين (٣٣٢) بيتا، بتاريخ (٢٠١١/١٠/١٢م). وتحتوي على تسعة قصائد من بحور متباينة، وأغراض عدّة. منها "هائية

مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الثناء في مدح المصطفى"، وتقع في٢٠ بيتا، مدح فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بصفاته الخُلقية والخَلقية مع ذكر معجزاته وإرهاصاته. وتليها "وسائل القدوم لحضرة القطب المختوم" والتي تنطوي على ١٢٩ بيتا، مدح فيها الشيخ أبو العباس أحمد التجاني، كما تناول فيها فضل طريقته ومكانة من التزم بأورادها، ثم توسّل بمشايخ طريقته الكرام. ثم قصيدته "رسالة الأحباب في مدح أبو الفتوحات" والتي تقع في ١٠٨ بيتا، مدح فيها الشيخ أبي الفتح اليرواوي، وصرّح فيها اشتياقه إليه، كما ذكر فيها النبي صلى الله عليه وسلم وخاصته الأعلام، والتحريض على اتباع الأولياء وحبهم. وذكر فيها مكانة الشيخ أبي الفتح بين المشايخ، وأولاده الأنجاب البررة. وقد توالت بقية القصائد على هذا المنوال.

قصيدة "كوثر الأمداح والتفادي": هو ديوان يحتوي على القصيدتين اللتين تقعا على ٨٩ بيتا، من بحر الكامل المجزوء، بتاريخ (٢٠٠٦/٣/٢٧م). استهل فيها بمدح الشيخ اليرواوي، واشتياقه إليه. ثم انتقلت به ذكريات الماضي نحو المدن التي التمس فيها علومه يسرها واحدة تلو أخري مع ذكر ما اجتنى فيها من العلوم، ثم تخلص إلى تعداد مناقب شيخه اليرواوي. وتلي هذه "قصيدة الأشواق للمشتاق" والتي يظهر فيها شدّة شوقه وغرامه نحو هذا الممدوح، وما يشتعل في قلبه من نار الهوي والمحبة. ثم عدل إلى ذكر آل الشيخ وما يتجلى فيهم من المناقب.

قصيدة "العقد الفريد": تحتوي القصيدة على تسعة وتسعين بيتا، دالية القافية من بحر الرجز المجزوء، (٢٠٠٠/٧/١٤م). مدح يسرّد فيه أسماء أبناء الشيخ أبي الفتح اليرواوي على حساب طبقاتهم وأجناسهم.

قصيدة "منتهى الوطر" هي قصيدة نظمها الشاعر في مدح الشيخ اليرواوي، كانت رائية القافية من بحر البسيط، وتقع في ١١٩ بيتا، نظمها يوم (٢٤-٦-١٤١٧هـ).نوّه فيها الشاعر بسجايا الممدوح وخصاله الكريمة، وأشاد فيها منزلته العلمية ومرتبته في الطريقة التجانية. كما تجلّى في القصيدة وصف زاوية الممدوح وأصحابه وتلاميذته.

مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

قصيدة "القطوف الدانية" وهي فائية من بحر البسيط، متوّجة بقوله:" أسألك مرافقتك في الجنة"، وتقع في عشرين بيتا، وتاريخ نظمها (١٠-١٢-٢٠١١م). هي مدحة أنشأ الشاعر يصف فيها شوقه وحنينه نحو الممدوح، وربح تجارته في مصاحبة الممدوح آملاً رضاه وراجيا ضمانه، وسائلاً مرافقته في الجنة الخلد.

ومهما يكن من أمر، فهذا غيض من فيض ما قرضه الباغوي في مدح الشيخ أبي الفتح اليرواوي، والذي فتح له الطريق لنيل المكانة والمنزلة في منطقة دورن باغا عامة ولدى الشيخ أبي الفنح اليرواوي عامة.

شاعرية تكر الباغوي

ومن الجدير بالذكر أن الشاعر تطرّق أغراضا شعرية كثيرة التي تؤكد تمكنه في الصناعة الشعرية وإلمامه في الفنون العربية. ومن الأغراض التي دار في فَلَكِهَا، وقرض في ساحتها الشعر ما يلي: المدح، والرثاء، والوصف، والشكوى، والعشق والحنين، والحِكَم، والاستعطاف، والعتاب، والألغاظ، وغيرها مما قرض على صعيد المناسبات. فأما المدح لدى الشاعر فهو أكثر الأغراض قرضا وأوفرها ذكرا وأجَلّها مرتبة كونه الغرض الذي كرّس فيه جهده لمدح شيخه وفاءا واحتراما. وسيورد الباحث لمسات مما قاله الشاعر في هذه الأغراض المتباينة:

المدح: كان فن المدح هو الفلك الذي تدور حوله عاطفة الشاعر الباغوي، وحوضه الذي يغترف منه، فكان جلّ قصائده في مدح الشيخ اليرواوي، وله قصيدة رائية عنوانها: المسمات "منتهى الوطر في مدح الشيخ أبي الفتح"، والتي تقع في مائة وتسعة عشر بيتا (١١٩) على بحر الكامل. وهي من طلائع القصائد التي قالها في يبرزشوقه إلى الممدوح، ويصف بيته بكعبة المحتاجين ودوحة للعلم والمعرفة وملاذا آمنا لمن افتدح، كونه القطب الذي جمعت فيه الشرف والمكارم . ومطلعها:-

لِمَنِ الدِّيَارُ بِمُنْتَهى الْوَطرِ * مَأْوَى الْمَعَارِفِ مُنْتَهى الظَّهرِ
دَارُ لِقُطبٍ جَامِعُ القَدَرِ * ذِي الفَتْحِ مَنْ هُوَ سَاطِعُ الفَجرِ

مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ومقطعها:

وَلَنَا جَمِيْعًا وَالّذِيْنَ مَضَوا * لِسَبِيْلِهِمْ وَلِمُنْتَهى الْوَطرِ[١١]

وأما في تائيته التي عنونها "بحر الأمداد الإلهية" التي تقع في تسع وتسعين بيتا، وهي على بحر الطويل، استهلها بمطلع تقليدي يعلن فيها الحب الجم للشيخ اليرواوي مع تنويه بما يقاسيه من العشق والغرام تجاهه، فذكر الديار لأصحابه فوقف واستوقف، فبكى واستبكى،مفيضا دموعه وفاءا منه وقضاءا لما استدان، يقول في مطلعها:

شَمَمْتُ أَرِيْجًا مِنْ دِيَارِ الْأَحِبّةِ * فَجِدّوا صَحَابِيْ ثُمّ عِدُّوا لِنُزْهَةِ

دِيّارُ حَبِيْبٍ لَا أَرَاهَا بَعِيْدَةً * فَعُوجُوا بِنَا يَا قَوْمِ صَوْبَ المَدِيْنَةِ

وَنُطْفِي نِيَاراً فِي الْفُؤَادِ تَوَقّدَتْ * بِفَيْضِ دُمُوْعٍ مِنْ عُيُونٍ قَرِيْحَةِ

ومقطعها:

وَصَلَّى إِلَهِي لِلنّبِيّ وَآلِهِ * شَمَمْتُ وَرَبّي مِنْ أَرِيْجِ الْأَحِبَّةِ[١٢]

الرثاء: للشاعر في المراثي قصائد رثى بها والده ومشايخه، منها ميميته التي قالها في والده المرحوم الشيخ هارون، يبرز فيها تغيّر الأجواء عيشه من محيط الترح والفرح إلى سيول الحزن والقلق لفقد والده وأستاذه ومربّيه، مشيرا إلى أن كوكبه الدري قد أَفَلَ وغاب عن مرآه، ثم استطرد بقوله تعالى:" كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام"، ومطلعها:

فَوَا أَسَفَى عَلَيْكَ أَيَا إِمَام * حَبِيْبُ اللهِ هَارُونُ الهُمامِ

تَكَدّرَتِ البِلاَدُ لَهَا قِتَامٌ * صُرُوفُ الدَّهْرِيَعْقِبُهُ الظَّلاَمُ

لِفَقْدِ أَبِي أُسْتَاذِي غَمَامِي * غُرُوبُ الشَّمْسِ يَعْقُبُهُ الظَّلاَمُ[١٣]

مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وللشاعر مرثية رَثّى بها شيخه أبي الفتح يحكي فيها المفاجئة التي صادفته من غياب هذا الكوكب الدُرّي، ووالده الرُوحي، بألفاظ يحكمها النأي، والتأبين، والتغزية. ومعان تتقطّع به الأمعاء لهذه المفاجئة التي تكدّرت البلاد لأجله، وكادت الجبال أن تخرّ لفراقه، يقول فيها:

وَلِلّهِ حَمْدِي إِنّ رَبّي هُوَ الْحَقّ * فَصَبْراً بِمَا يَقْضِي وَأَحْكَامُهُ رِفْقُ
تَغَيَّرتِ الدُّنِيَا كَأَنْ غَيّرَتْ لَنَا * تَطَاوَلَ لَيْلُ الهَمّ وَاتّسَعَ الخَرْقُ
تَصَبّرْتُ حَتَى عِيْلَ صَبْرِي وَأَحْرَقَتْ * نِيَارَافْتِرَاقِ قَلْبِ مَنْ لَا لَهُ طَوْقُ
لِفَقْدِكَ يَا سِرّ الوُجُودِ وَرُوحُهُ * أَبَا الفَتْحِ يَا غَوْثَ العِبَادِ لَكَ السَبْقُ(الطويل)

الوصف: لم يكن الوصف من الأغراض التي يهتم بها الشاعر قياسا لمدائحه- فكان كالراعي يرعى حول الحمى فوقع فيه صدفة- فوصف أهالي برنو بالثراء والكرم، كما وصف أراضيها بمعقل للتجار ولما تحتل بها من الأرزاق في بحرها وبرّها، ومقصد للعلماء ودوحة للعلم والمعرفة لما منّ الله عليها من حفظة القرآن، وينطوي هذا في داليته المسماة بـ"البرناوية" التي تقع في خمس وثلاثين بيتا، ومطلعها:

شَاقَتْكَ بَرْنُوْ عَقِيْلَةَ الـ * أَتْرَابِ رُغْمَ الْحَسّدِ
وَسَبَتْ فُؤَادَكَ أَرْضُنَا * بَرْنُو النَّعِيْمُ لِـوُرَّدِ
ومقطعها: وعلى النبي وآله * صلوات ربّ الأعبد[١٥](الكامل المجزوء)

الفخر: للباغوي هائيته في الفخر وهي على البحر الطويل، قرضها مفتخرا بشيخه بأنه أدوم أقطاب عصره في هذه المنزلة وأقربهم نسبة إلى سيد الخلق، كونه الذي فتح للناس أبواب الخير والهداية، حتى صار منزله معقل للعلماء ومأوى للمريديين يغترف منها العلوم والتصوّف من مناهلها العذبة متفيّئين تحت دوحته الشامخة. يتحدى معاصري الشيخ بهذه المناقب التي قَلَّ توفّرها في مشايخ عصره. ومطلعها:

إِذَا قِيلَ مَنْ أَبْقَى عَلَى عَرْشِ قُرْبِهِ * وَأَدْوَمُ فِي الْأَقْطَابِ فِي فَيْضِ بَحْرِهِ
نَقُوْلُ أَبُو الْفَتْحِ الذِي كَانَ فَتْحُهُ * مَعَ النَصْرِ مِنْ رَبّي وَأَحْمَد خَلْقه

ومقطعها:

مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

أَتَاكُمْ أَخُو الْإِمْلَاقِ لَمْ يَرْجُ غَيرَكُم * رِضَاكُمْ هُوَ الْمَأْمُولُ يَقْضِي بِفَتْحِه(الطويل)

الغزل: من الأغراض الشائعة لدى الصوفيين يتغزّلون في ذات الله العليا لما يتجلى في أعماق قلوبهم من حبّ إلهيّ خالص، وجذب نفسيّ غارق، حيث تفيئ النفس إلى حضرة خالقها،كما تحقق ذلك في المديح النبوي. ففي داليّته "كوثر الأمداح والتفادي"من البحر الكامل المجزوء، تغزّل الباغوي بشيخه حبًّا وعشقاً وغراماً، فوصفه بالظبي مغدقة بطيب العيش في الرُّبَى، مكهولة العين ومرتاحة البال في رياض مُؤَمَّنَة تطوف بين العراك لمرد يانع، وهذه الرياض الناعمة المؤمّنة هي المدينة الفتحية في يَرْوَ "ميدغري" أي منزل الشيخ. يقول في مطلعها:

مَغْنَى الْحَبِيْبِ مَدِيْنَةٌ * فِي يَرْوَ عَيْنُ الْمَوردِ
أَشْتَاقُ ظَبْيًا فِي الرُّبَى * بِرَبِيْعِ عَيْشٍ أَرْغَدِ
مَكْحُولَ عَيْنٍ يَخْتَلِي * فِي الرَّوْضِ دُوْنَ مُشَرّدِ
وَيَنُوشُ مَرْدًا يَانِعًا * تَحْتَ الْعَرَاكِ الْأَمْلَدِ
ومقطعها: أَبْغِيْ الْقَرَى وَبِكَوْثَرِ الـ* أَسْرَارِ كُنْتُ كَفَرْقَدِ
بِالْحَمْدِ أَخْتِمُ رَبَّنَا * فَاخْتِمْ لَنَا بِتَشَهّدِ[٧](الكامل المجزوء)

العتاب: كان العتاب من الأغراض التي تناولها الباغوي في رائيته المسمات بـ" الأعجوبة" يعاتب فيها رجالا فاضوا عليه طوفان الحقد والحسد، وأقروا تجاهه أعينهم السّآمة وسلاسلهم الضّارة لما يعلن من غرامه وفنائه حبّا وأجلالا للشيخ، فَنَكَّرُوا له لينقطع به الوصل مع الشيخ. واستهل القصيدة قائلا:

عَجَبًا لِمَنْ فِي حُبِّهِ غَرَرُ * أَوْ فِي مَعَاقِدِ وُدِّهِ غَدْرُ
وَيُرِيْدُ وَصْلاً بِالْحَبِيْبِ وَذَا * عَيْنُ الْخَنُوْنِ وَحَقَّهُ هَجْرُ
وَلَهُ سَرَابُ الْقَاعِ ذَاكَ لَهُ * قَدْ خَابَ إِنّ شَرّابَهُ شَرَرُ
إِنّ السَّفَاهَةَ كَاسْمِهَا أَبَدًا * هَلْ بَعْدَ أَلْفِ خِيَانَةٍ عُذْرُ
ومقطعها مِنْ إِرْثِ جَدِّكَ فَاسْقِ خَادِمَكُم * مَا لَيْسَ يَنْفَدُ شَيْخَنَا بَدْرُ[٨](الكامل)

مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الشوق والغرام: من الأغراض التي تناولها الشاعر الشوق والغرام، ودواليته التي تسمى بـ"خمرة العشّاق" برهان قاطع على شدّة الشوق والغرام الذي يعانيه الشاعر، وما انسكب على خدّيه من سيول الدموع لما يتعجعج في قلبه من اشتعال نيران المحبة والمودّة. فَرَطُبَ لسانه بذكره، والتزم فكره بطيفه، حتى ودّعه النوم في لياليه. ومطلعها:

وَلِلّهِ حَمْدِي بِهِ أَبْتَدِي * وَلَا أَنْتَهِي ذِكْرَمَنْ أَجْتَدِي
جَرَتْ أَدْمُعِيْ لَمْ يَكُنْ عَنْ دَدِ * تَجَدَّدَ حُبِّي إِلَى مُرْشِدِي
لِيَ الشَّوْقُ فِي الشّيَخِ لِي عِشْقُهُ * وَذِكْرٌ وَفِكْرٌبِهِ سَرْمَدِي
نَفَى النَّوْمَ حُبَّيْهِ عَنْ قَيْسِهِ * وَلَيْلَاهُ زَادَتْهُ فِي الْمَوْعِدِ

ومطلعها: سَلَامَيْنِ مِنْ أَوّلِ الْأَعْبُدِ * إِلَى آخِرِالدَّهْرِ لَمْ تَنْفُدِ"(الكامل المجزوء)

الشكوى: ومن الجدير بالذكر أن للباغوي هائية عَنونها بـ"رسالة اليتيم" يشكو فيها بعد ديار الممدوح مع غرامه المدمن لِلّحَاق بها، ووقف متحيرا يُرَدّدُ ذكر الممدوح ويستهدي عن دياره كالحمامة المشرّدة تغرّد على الأغصان طلباً لرفيقها.كما أعلن فداء نفسه لمن بَشّره برضى الممدوح له، معبّرا لو صدّ عنه أبواب الوصال سيلتزم مهما يقاسي الشدائد لأن اجتناب الممدوح سيكون ذُلاً له. ومطلعها:

أَبْكِي عَلَى بُعْدِ الدِّيَا * رِ أَوَدُّ لَوْ تَبْدُوا قِبَابُهْ
فَأُخُوا الْغَرَامِ مُغَرَّدٌ * فِي ذِكْرِمَنْ فِيهِ انْجِذَابُهْ
مِثْلُ الْحَمَامَةِ فِي الْغُصُوْ * نِ عَلَى الْهَدِيْلِ بَدَا اغْتِرَابُهْ

ومقطعها: هَذِي الرِّسَالَةُ لِلْيَتِيْ *مِ إِلَى الْكَفِيْلِ هَمَى رِبَابُهْ"(الكامل المجزوء)

الاستغاثة والتوسل: لقد خصّ الباغوي لهذا الغرض لاميته يتضرّع بها إلى الله ويتوسّل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يحقق له مناه ويقبل له رجاءه، استنادا بقوله "أجيب دعوة الداع إذا دعاني". ومطلعها:

أَيَا رَبِّ يَا ذَا الْخَلْقِ وَالأَمْرِمَنْ لَهُ * خَزَائِنُ كُلّ الْخَيْرِ مُعْطِ لِمَنْ سَأَلْ
وَيَاحَيُّ يَا قَيُّومُ يَا فَرْدُ مَنْ لَنَا * سِوَاكَ عَظِيمَ الْمَنّ يَا خَيْرَمَن بَذَلْ
أُنَادِيْكَ بِالذَّاتِ الْعَلِيَّةِ وَبِاسْمِهَا * وَأَمْرُكَ بَيْنَ الكَافِ والنُونِ لم تَزَلْ

مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

تَقَبَّلْ بِفَضْلٍ مِنْكَ سُؤْلِي وَالرَّجَا * لِقَوْلِكَ فَادْعُوْنِي أَجِبْ لِلَّذِي امْتَثَلْ
ومقطعها: عَلَيْهِ صَلَاةُ اللهِ ثُمَّ سَلَامُهُ * صَلَاةً لِفَتْحِ الْبَابِ مَا انْسَدَّ وَانْقَفَلْ[١](الطويل)

الحِكَم: كما له الحكم بعض الأبيات ينوّه فيها أهمية حواس الخمس وفوائدها للإنسان وحكمة التي اقتضت إلى صنعها، وهي صنع الله الذي أتقن كل شيء، يقول فيها:

حَوَاسُنَا خَمْسٌ حَقِيْقُ الْعَيْنِ * نَسْمَعُ بِالْأُذْنِ نَرَى بِالْعَيْنِ
نَذُوقُ بِاللِّسَانِ أَنْفُ الزَّيْنِ * لِلشَمِّ وَالْكَفُّ لِلَمْسِ اللَّيْنِ

وأضفى في أبيات أخرى ألاّ يغترّ المرء بالصبى أو الغنى لأنهما غريبان زائلان مهما بلغ يفاعة الصبى أو الشبابة كما تهجر الأرزاق مهما جُمِعَ وَاكْتَزتّ. وأما العلم فهو شاف للأمراض من الشبابة إلى الشيخوخة، كما أنه شفاء للغنى والفقر. وستدوم فوائده في الإنسان مهما بلغ. يقول في ذلك:

اَلصَّبَى وَالْغِنَى غَرِيْبَانِ جَاءَا * مِنْ إِلَهِي إِلَيْكَ مَحْضَ الْعَطَاءِ
يَسْتَعِدّانِ لِلرُّجُوعِ إِلَيْهِ * فَاطْلُبِ الْعِلْمَ فِيْهِمَا تَشْفَ دَاءِ
إِنّ حِفْظَ الْعُلُوْمِ لِلشَّابِ سَهْلٌ * وَكَنَقْشٍ لِلشّيْخِ فِي صَفْوِ مَاءِ[٢٢]

وعلى هذا الضرب تتجلى أفكار قصائد الباغوي، يتناولها بأغراضها المختلفة، منتقلا من قالب إلى آخر يعبّر ما تستضيفه نفسه، مصطفيا بأفكار ومعان متسلسلة في قالبها ومتناثرة في مغراها.

الخاتمة: تناولت المقالة عرضا سريعا عن إسهام الشاعر الشيخ محمد تكر بن هارون الباغوي في فن المدح خاصة والأدب العربي النيجيري بأغراضه المختلفة عامة على ضوء قصائده المديحية، فدرس الباحث سيرة الشاعر وعوامل تكوينه الأدبي، ثم انطلق إلى دراسة نموذجية مشيرا إلى منهج الباغوي في بناء القصيدة من مطلعها إلى مقطعها، واستعان الشاعر بعاطفته الجيّاشة في تنظيم أفكاره بأسلوب وضّاء مع الإنتظام بجوانب الصور البديعية الرائعة. الأمر الذي يظهر صدق عاطفة الشاعر من جهة ولوحة فنّية ذاخرة تعبّر عن منزلة الأدب الإسلامي النيجيري. ومن النتائج التي توصل إليها الباحث ما يلي:

مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

- لقد أنتجت منطقة كبي طبقات مختلفة من العلماء والأدباء الذين خدموا العربية والأدب منذ زمن الجهاد الإسلامي بصكتو إلى اليوم.
- إسهام الشيخ محمد تكر الباغوي للشعر العربي النيجيري خارج منطقته الأصلية.
- ولعل الباغوي كان من الشعراء المحافظين الذين لا يلهثون وراء الأشكال الجديدة بمجرد ظهورها، ويظهر ذلك من خلال الأغرض الشعرية التي تناولها.
- استطاع الباغوي أن يتناول الموضوعات المطروقة بفنية عالية، ولا يرجع تفوقه في ابتكار المعاني التي لم يسبق إليها، وإنما في طريقة تصويرها بأساليب تملك القلوب.

الهوامش والمراجع

[١]- نسبة إلى دورن باغا، قرية تقع على ضفة بحيرة تشاد في ولاية برنو، لقد اشتهرت اهالي هذه القرية بصيد الأسماك.

[٢]- محمد تكر الباغوي، أرجوزة في تاريخ ولادة الشاعر، ص:١

[٣]- المرجع نفسه، ص:١

[٤]- المقابلة مع الشاعر في منزله ببلد كَلْغُوْ، وَلَايَةُ كَبّ، ٢٠١٥/٢/٣م

[٥]- المشافهة مع الشاعر في بيته يوم: ٢٠١٥/٢/٣

[٦]- المشافهة مع الشاعر في بيته يوم: ٢٠١٥/٢/٣

[٧]- مهدي سأتي صالح، الجذور التاريخية لحضارة الهوسا وانعكاس ذلك على حركة الشيخ عثمان بن فودي، مقالة نشرت ضمن بحوث العلمية للإحتفال باشيخ عثمان بن فودي، ص:٧

[٨]- محمد الحاج ميدغو، ديوان حدائق ذات بهجة للشيخ أبي بكر غنيمي البرناوي: دراسة أدبية, بحث قدم ألى غسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي، صكتو،لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية، ٢٠١٣م

مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

[٩]- مشافهة مع الشاعر في منزله يوم الثلاثاء ٢٠١٥/٢/٣

- الباغوي، قصيدته فيض الرباني في مدح الشيخ أبي الفتح اليرواوي، وتحتوي على ٣١٣ بيتا، ٢٠٠١م، ص: ٥[٦]

- الباغوي، قصيدة "منتهى الوطر في مدح الشيخ أبي الفتح البحر، وتحتوي عاى ١١٩ بيتا، ١٤١٧هـ\١٩٩٧م[١]

- الباغوي، قصيدة "بحر الأمداد الإلهية في مدح الحضرة الفتحية" ، عدد أبياتها ٩٩ بيتا، ٢٠٠١\٩\١٥

-الباغوي، مرثيّته لوالده، ص[٣]:١

- الباغوي، قصيدة "غاية الرحمة في مرثية قطب الرحمة"،وتحتوي على ٥٠ بيتا، ص[٤]:١

- قصيدته "البرناوية" وعدد أبياتها ٣٥ بيتا، بتاريخ ٢٩ ربيع الأول ١٤٢٧هـ / ٢٧ من إفريل ٢٠٠٦م[١]

- الباغوي، قصيدة قالها يوم مولد فاس، بـ"مَافَا"، ميدغري، بتاريخ ١٤٢٣/٣/١٢هـ - ٢٠٠٢/٧/٧م[٦]

- الباغوي، قصيدة "كوثر الأمداح والتفادي" بتاريخ ٢٧ من صفر، ١٤٢٧هـ ٢٧-٣-٢٠٠٧م[١]

- الباغوي، قصيدته "الأعجوبية" تقع على ٢٦ بيتا، بتاريخ ٢٥ من رجب، ١٤٢٠هـ/٥ من نوفمبر، ١٩٩٩م[١]

- قصيدة "خمرة العشّاق في مدح طيب الأخلاق" وتقع على ٨٨ بيتا، ٧ من شهر رجب، ١٤٢١هـ[٨]

- قصيدة "رسالة اليتيم إلى روح الكفيل اليتيم" وتقع على ٨١ بيتا، بتاريخ ٢٠٠٦/١١/١٢م[٢]

- الباغوي، قصيدة "منتهى الأمل" وتقع على ١٩ بيتا، بلا التاريخ[٢]

- البااغوي، من حكمه، بتاريخ ١٢ من ربيع الثاني، ١٤٢٣هـ[٨]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الخيال لدى الشاعر الباغوي: دراسة تحليلية

إعداد:
بشر مالي ساعي ومصطفى أبوبكر غسل
Brilliant Footsteps Int'l Academy, Western Bypass Sokoto

المقدمة

الحمد لله أهل الحمد والثناء، والصلاة والسلام على النبي القائل: "إن من الشعر لحكمة"[٥] ثم الرضا عن آله المشهود لهم بالسبق في حلبة الفصاحة، وأصحابه الفائقين في مناهج البيان مجازا وكناية وصراحة، ومن تبعهم بإحسان السلوك إلى يوم الدين. وبعد:

لقد حفز الباحثين إلى انتقاء هذا العنوان: "الخيال لدى الشاعر الباغوي: دراسة تحليلية" ما لاحظاه من أنّ الشعراء النيجيريين صوروا المعاني تصويرا رائعا متمثلا في الخيال الخصب وأنهم يعتمدون على قوة التذكر وتداعي المعاني على الذهن بسهولة، ويلوّنونها، ثم يبثون فيها حياة وحركة، ويلقون عليها ظلا جميل المنظر، ويتخيل القارئ مشهدا منظورا يراه ويعاينه، والغاية من تشكيل هذه الصور؛ التأثير في الوجدان، وتنشيط القارئ، أو التخفيف من ألمه إن كان متألما، كما يسهّل الصعب ويقرّب البعيد ويكثّر القليل ويكبّر الصغير ويصغّر الكبير ويوضّح الغامض ويجسّد المعاني التي يريد الشاعر أن يقنع بها القارئ وتطرب لها نفسه. وهدف الباحثين في هذه العجالة أن يقدما رؤية عن مقدرة الشاعر الأستاذ محمد تكر الباغوي على استحضار الصّور الرائعة في شعره، وقدرته في اقناع القارئ بروعة خياله وقيمة أفكاره، وروعة لغته التصويرية. سيتجلى في المقال أن الشاعر استطاع أن يصوّر المعاني في ذهنه ويجسدها ثم يصوغها صياغة فنية رشيقة، فصبّ عليها خياله ليعرضها للقارئ في ألوان مجنّحة، كي يخيل للقارئ أنه أمام منظر سينيمائي جذاب يشاهد ما يعبر عنه الشاعر أو يجسده من المعاني الخلابة خلال المجازات اللطيفة، مما يشهد على جودة اللغة التصويرية لدى الشاعر، لأنّ ما يبتكرهُ الشعراء من الصور الّتي تأخذُ

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

بمجامع الأفئدة، وتملك على القارئ والسامع لبَّهما وعواطفهُما هو سرُّ الخيال. ويتكون المقال – بعد المقدمة – من العناصر التالية:

- التعريف بالشاعر
- مفهوم الخيال
- صور من الخيال في شعر الباغوي
- الخاتمة
- الهوامش

التعريف بالشاعر:

هو الشيخ[٦] الأديب الشاعر محمد تكر[٣]بن هارون بن محمد البَاغَوِيُّ[٤] المعروف بـ"مَالَمْ تُكُر". ولد محمد تكر الباغوي بعد استقلال نيجيريا من ربقة الاستدمار الإنجليزي بعامين، يوم الأربعاء ٧ من شهر ربيع الأول سنة ١٣٨١هـ الموافق ١٩٦٢م، بقرية مَشَايَا[٥] التابعة لمحافظة دَفْتِي(DAFCHI) ولاية يُوبِي- نيجيريا حاليا.

واشتهرت أسرة الباغوي بالعلم، وضاءت قاعة بيتهم بالعلم وتجلّت ساحته بالكرم، نشأ وترعرع في أسرة تهتم بالعلم والدين اهتماما بالغا، فعاش حياة علمية طيبة تحت رعاية وتربية والديه الكريمين في صيانة على سيرة حسنة، وحالة حميدة من طلب العلم والفطنة والحفظ[٦] ويقول في الأرجوزة التي قرضها عن مولده:

سبع ربيع أول قد ولد * تكر لهارون فتى محمد

إلى أن قال:

في حومة القراء من قريتهم * مَشَايَا يعنون بها منهلهم

إلى أن قال:

أبوه هارون إمام الأدباء * من صُكُتُو جاء لِغُوبِرْ نسبا[٧]

قدم والده الشيخ هارون بن محمد من أراضي غُوْبِرْ.[٨] إلى قرية مَشَايَا الواقعة في الشمال الشرقي لمحافظة غَشُوَا (GASHUA) ولاية يُوبي نيجيريا، مكث فيها بعض السنوات حيث أقام لنفسه فيها

بنيانه المرصوص، وقلعته المشرفة المشتهرة بتلاوة القرءان، فلما قضى منها وطره وتحقق فيها حلمه انتقل منها إلى قرية دُوْرُنْ بَاغَا، فطاب له المقام وحظي بإقبال الناس له، فأنشأ في منزله حلقة علمية يقصد إليها طلاب العلم الذين تهيّأت نفوسهم للحفظ والترتيل، مغترفين من حوضه علوم الدين،كما يفد إليه الناس للإفتاء والتفقّه في الدين.[٩]

فلما ذاع صيته في العلم والتفقه في الدين، عيّن إماما ومفتيا في القرية، فعَلاَ شأنه وجلا أمره، حيث تخرج على يده عدد غفير من الحفظة والعلماء المتفنّنين في ميادين العلوم الإسلامية المتباينة، فكان من حسن حظّ الشاعر محمد تُكُرْ من طبقاتهم، وظَلّ الشيخ هارون في خدمة الدين والأمة إلى أن وافته المنية، ولَبّى نداء ربّه رحمة الله عليه سنة ١٤١٦هـ الموافق ١٩٩٦م.[١٠] ولما قوي عزمه، واستوى على سوقه، شدّ الرحال إلى بعض المراكز العلمية المجاورة طلبا للعلم والتفنن في علوم الدين، فاستقرّ بمدينة زاريا التي تعتبر مركزا من مراكز العلم والمعرفة في نيجيريا، ومأوى للعلماء والطلبة، وهي من أوفر المدن علما، وأرفعها قدر وأجلها شأناً. ويصفها الكاتب غلادنثي قائلا:"وفي القرن التاسع عشر الميلادي أصبحت هذه الولاية –زاريا- أهم مراكز التعليم في نيجيريا، ووفد إليها كثير من طلاب العلم، واشتهرت بعلمي النحو واللغة"[١١] فمكث بها الباغوي، وغاص في محيط علمائها، وارتوى من معينهم أخلص أغداقها كأسا في علوم اللغة والآخر في فنون الدين.

ولم يقيّد الباغوي نفسه في معاقل علوم الدين في زاريا، بل مال برغبته الجيّاشة، وهمّته المتلهبة إلى دراسة أشعار العرب ليقف على جواهر ألفاظها وأركان أساليبها، فاستوطن بدوحة المشايخ والأدباء في نيجيريا. لقد كونت شاعريته وذوقه الأدبي عوامل وخبرات عدة مكّنته من الانخراط في ضروب الإنتاج والإبداع. فقرض القصائد الرائعة المختلفة الأغراض في مناسبات عدة. مما يؤكد تمكنه في الصناعة الشعرية وجودة انتاجه الأدبي، ومن الأغراض التي دار في فَلَكِهَا الشاعر وقرض في ساحتها الشعر؛ المدح، والرثاء، والوصف، والشكوى، والعشق والحنين، والحِكَم، والاستعطاف، والعتاب، والألغاز، وغيرها مما قرض على صعيد المناسبات. ولم يزل الشاعر على قيد الحياة.

مفهوم الخيال

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الخيال في اللغة مؤخوذ من "خالَ الشيءَ يَخالُ خَيْلاً وخِيلة وخَيْلة وخالاً وخِيَلاً وخَيَلاناً ومَخالة ومَخِيلة وخَيْلُولة إذا ظَنَّه"[١] ويأتي لمعان كثيرة، منها تحرك وتلوّن، ومنه "السحاب الذي إذا رأيته حسبته ماطراً ولا مَطَر فيه."[٣] والخَيال "خَشَبة عليها ثياب سود تُنْصب للطير والبهائم على المزروعات لتظنه إنساناً"[٤] ومن ذلك "الشخص والطَّيْف"[٥] وأصله: "ما يتخيّله الإنسان في منامه لأنّه يتشبّه ويتلوّن"[٦] ومنه قوله تعالى"قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى"[٧] أي: يخيل للناظر- من شدة سحرهم- أن هذه الحبال والعصى حيات تسعى على بطونها باختيارها، مع أنّها حيلة،[٨] وتطلق اللفظة ويراد بها "صورة تمثال شيء في المرآة."[٩] و"الخَيال لكل شيء تراه كالظِّل"[١٠]

والخيال عند النقاد هو "الصور التي يختلقها العقل ويؤلفها من إحساسات سابقة"[١١] وهو "قوة تتصرف في المعاني لتنتج منها صورا بديعية"[١٢] وهذه القوة" إنّما تصوغ الصور من عناصر كانت النفس قد تلقتها من طريق الحس أو الوجدان"[١٣]

وتلتمس من السابق مالمدلول اللغوي والاصطلاحي لكلمة الخيال من العلاقة الوطيدة، إذ يفهم من الأولى التشبه والتماثل والتصور مع شيء من التحرك والتلوّن، بينما يدرك من الثانية أنّه صور من المعاني الحيّة يختزنها العقل ثم يجسدها أمام القارئ حتى تثير مشاعره وأحاسيسه وتربط عالم الشعور بعالم الإدراك.

صور من الخيال في شعر الباغوي

لمّا كان الكلام المشتمل على صور من المجازات الرائعة أروع مشهدا وأحسن موقعا في القلوب والأسماع، وأشد تأثيرا في النفوس فإنّ الشاعر الباغوي صاغ المعاني في شعره صياغة فنية رشيقة تهب المعنى المجرد شكلا حسيا يمكّن حواس الإنسان من التفاعل معها تفاعلا إيجابيا، فصبّ عليها خياله وعاطفته الحساسة ليعرضها للقارئ في ألوان مجنّحة من صنعة الخيال المتصرف في ملكات النفس والشعور، كي يخيل للقارئ أنه أمام منظر سينيمائي جذاب يشاهد ما يعبر عنه الشاعر أو يجسده من المعاني الخلابة خلال المجازات اللطيفة. فيتحول فيه الجماد إلى صور متطورة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

بأسلوب يشد انتباه النفس ويثير كوامن الشعور، كما سيتضح ذلك - إن شاء الله - من التحليلات الآتية:

تخيّل المحسوسات في صور المحسوسات:[٢٤]

يقول الشاعر الباغوي في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

أَلْفَ ضِعْفٍ فاتَ نُورَ الْقَمَرِ***مُخْجِلًا لِلشَّمْسِ فِي وَقْتِ الضُّحَى

الشمس كوكب يشكل المركز الرئيس للإشراق، بطلوعه يطمس النجوم والكواكب كلها فلا يُرى منها شيء، وقد أضفى جمال الممدوح صلى الله عليه وسلم على نفسيّة الشاعر جوّا من الإشراق والانشراح، فبحث عن شيء مشرق محسوس يماثل الممدوح إرشادا ورفعة وضياء ولم يجد ما يجذب انتباهه إلا الشمس في وقت الضحى فوصف بها الممدوح مريدا بذلك السموّ والرفعة والإرشاد والإشراق الذي يعمّ ضوؤه أنحاء الأرض الساطع عليها، فتشبيه الممدوح بالشمس في وقت الضحى تشبيه في غاية الروعة والجمال، كيف لا؟! وقد كان الممدوح مخجلا لتلك الشمس المشرقة الوضاءة التي تبدّد سوادها، وفاق ذاك القمر الذي ينير غياهبه.

وقول الشاعر" أَلْفَ ضِعْفٍ فَاتَ نُورَ الْقَمَرِ" رسَمَ لأمة النبي صلى الله عليه وسلم سؤددا وعلاء، ذلك لأن البدر لا يطمس النجوم بل تُرى في السماء عالية المكان مرتفعة وهي زينة للسماء يهتدي بها الركبان، فأثبت الشاعر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فضلا وشرفا لكنه فضّل الممدوح عليها فجعله كالبدر الذي هو أعظم من النجوم وأضوأ منها. فالخيال هو الذي أخذ يُعظم الممدوح حتى كان على قدر كبير من الجمال وهو بهيّ الطلعة، فتداعت معاني الشاعر بذكر الشمس وما فيه من جمال وإشراق إلى وصف الممدوح بالجمال الذي فاق كلّ جمال، والأعجب من ذلك أنّه شمس الضحى، فكيف يغرب ؟! إنّه خيال الشاعر الذي استطاع أن يجمع ويؤلّف هذه الصورة الرائعة التي جعلت الممدوح مخجلا لأشعة الشمس في وقت صدورها وتلألإها، إنّه مشهد جذاب مأخوذ من الواقع ليرضي أذواق المتلقين ويمتعهم بلوحات جمالية رائعة. تصور هذا المشهد لتدرك درجة ما تتمتع به شخصيته صلى الله عليه وسلم من جمال وإشراق. يقول الجرجاني في معرض حديثه عن

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

روعة التشبيه بالشمس: "وللشعراء في التشبيه أغراض، فإذا شبّهوا بالشمس في موضع الوصفِ بالحُسنِ أرادوا به البهاء والرّوْنَق والضياءَ، ونُصوعَ اللونِ والتمام، وإذا ذكروه في الوصف بالنّباهة والشُهرة أرادوا به عمومَ مطْلعها وانتشار شُعاعها، واشتراك الخاصّ والعام في معرفتِها وتعظيمها. وإذا قرنوه بالجَلال والرِّفعة أرادوا به أنوارها وارتفاع محلها. وإذا ذكروه في باب النفع والإرْفاق قصدوا به تأثيرَها في النّشوء والنّماء، والتحليل والتصفية". [٢٤]وعلى هذا، فإن الشاعر موفق في الصنعة.

تخيّل المحسوسات في صور المعقولات:[٢٦]

يقول الشاعر في وصف غزوة بدر

ورمى الجيش بكف من حصى***هزموا في الحين مثل الفأر

تظهر روعة الخيال في البيت حيث عقد الشاعر المماثلة بين الصورتين؛ حسا وعقلا، وأحضر للقارئ مشهدا حساسا يناجي فيه أهل بدر رضوان الله عليهم، وتتجلى روعة النظم في صياغة الشاعر لهذه المعاني التي صبها بعاطفة قوية وهياجة للقلوب، وألفاظ حادة قاطعة وتعبير حي، وصوّر أحوال الكفار في صورة فأر عند بروز الفريقين وجهًا لوجهٍ، لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا، صورٌ وشواهد تدلّ على مستقبل الإسلام، ومقدار تضحية المؤمنين.

استطاع الشاعر في تجسيد المشهد أن ينتقل بالقارئ إلى عالم المقاومة الشديدة التي لم يعايشها، واستنّ له مشاركته في الشعور والوجدان، ويدعو هذا المشهد إلى التأمل في أهمية الشجاعة ودورها الحاسم في نتيجة المعركة. {وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}.

وكلمة"هزموا" لها وقعة في النظم، فإنها تدل على انهزام وانكسار وخسران في القتال، ولما أردفها الشاعر بقوله:"في الحين مثل الفأر" دلت على شدة خيبة الكفار في الغزوة، واستعمل الشاعر هذا النّوع من الخيال ليصغر العدد الكثير من المشركين.

تخيل المعقولات في صور المحسوسات:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

قال الشاعر عن الطيبة، المدينة المنورة

ضاع في وادي العقيق مهجتي***من رفيقي باقتفاء الأثر؟

اتخذ الشاعر صورة خيالية من الطبيعة ليصور غاية شوقه للنبي صلى الله عليه وسلم، وتلمس من الصورة المحركة التي رسمها الشاعر أنّ قلبه في تيه وحيرة لشدة شوقه ومحبته للنبي صلى الله عليه وسلم، حتى خرج مهجته الصادر من أعماق قلبه وضَاعَ في واد العقيق بالمدينة المنورة! يا تُرى!! هل هناك بقاء للنَّفْسِ بعد تضييع مُهْجَتِها؟ وهل من ناصر ينصره باقتفاء أثر هذه المهجة الضالة؟ وتظهر حلاوة المعنى في استخدام الشاعر كلمة "ضاع" التي تدلُّ على فَوت الشّيء وضياعه مع ذهابه في غيرِ حَقِّه(٧)لذا أردفه الشاعر بما يناسبه قائلا "من رفيقي باقتفاء الأثر"؟

الخاتمة:

تلك جولة بسيطة عن الخيال للشاعر الباغوي، تناول فيها الباحثان نبذة يسيرة عن الشاعر من حيث النشأة، والتعلم، وعوامل تكوينه. وعقب ذلك عرضًا سريعا لمفهوم الخيال، ثم تطرقا إلى إبراز الصور الخيالية الفنية الرائعة من شعر الباغوي، وتبين من خلالها أنّ الشاعر محمد تكر الباغوي ترعرع في بيت يهتم بالعلم والتربية، كما عاش في بيئة نيجيريا مكتظة بالعلماء والأدباء البارعين. مما ترك أثرا إيجابيا في تكوين شخصية الشاعر. كما تجلى في المقالة عبقرية الشاعر في تشكيل الصور الرائعة في شعره وصياغة المعاني التي يريد أن يقنع بها القارئ وتطرب لها نفسه صياغة فنية رشيقة في ألواح جمالية رائعة تقريبا للبعيد وتسهيلا للصعب، وتوضيحا للغامض، مما يدل على تمكن الشاعر في فنه الأدبي وسلامة لغته التصويرية.

وقد سبق أنّ هدف المقال إبراز مقدرة الشاعر محمد تكر الباغوي على استحضار الصّور الرائعة في شعره، وقدرته في اقناع القارئ بروعة خياله وقيمة أفكاره، والرجاء تَحققُ الأمل في السطور المتقدمة.

الهوامش والمراجع:

[١] - البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي: الحافظ، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،ط١، نشر دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)سنة١٤٢٢م، ج٨، ص:٣٤، رقم الحديث:٦١٤٥

[٢] وسمّي بالشيخ لعلمه وأدبه، لا لكثرة سنّه. ينظر: عمر علي حطيجة، **لاميات الباغوي في مدح الشيخ أبي الفتح اليرواوي: دراسة أدبية**، بحث تكميلي قدمه إلى قسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو، لنيل لدرجة الدكتوراه في اللغة العربية، سنة ١٤٣٩ الهجرية.ص:١١

[٣] وسمّي بـ"تكر" لأنه أوّل مولود لوالده فسمي بمحمد، وكان من عادة قبيلة الفلاني، تسمّي أول مولود سمّي محمد بـ "تكر". ينظر: عمر علي حطيجة، **لاميات الباغوي**، المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.

[٤] نسبة إلى دورن باغا، قرية تقع على ضفة بحيرة تشاد، في ولاية برنو .لقد اشتهر أهالي هذه القرية بصيد السمك. ينظر: عمر علي حطيجة، **لاميات الباغوي**، المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.

[٥] نسبة إلى قرية مشايا التي ولد فيها الشاعر ، تقع حاليا في محلية دَفْشِي بولاية يوبي .

[٦] محمد تكر الباغوي، **أرجوزة عن تاريخ ولادته، مخطوطة**، توجد النسخة بمكتبة الشاعر الخاصة ص: ١

[٧] محمد تكر الباغوي، **أرجوزة عن تاريخ ولادته**، المرجع نفسه والصفحة ذاتها.

[٨] غوبر قبيلة كبيرة تسكن بين الجمهوريتين: نيجيريا ونيجر، أسست دولة واسعة قبل جهاد الشيخ عثمان بن فودي تغمده الله برحمة رضوانه. ينظر: عمر علي حطيجه، **لاميات الباغوي**، المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.

[٩] عمر علي حطيجة، **لاميات الباغوي في مدح الشيخ أبي الفتح اليرواوي**، المرجع نفسه، ص:١٢.

[١٠] نور أحمد إبراهيم، **فن المديح لدى محمد تكر باغا "دراسة أدبية"** بحث مقدّم إلى قسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي، صكتو، لنيل درجة ماجستير في اللغة العربية، سنة ٢٠١٠الميلادية، ص: ١٣

[١١] غلادنثي، شيخو أحمد سعيد، **حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا**، النهار للطبع والنشر والتوزيع، ط/٣، ٢٠٠٧م، ص:٤٤

[١٢] ابن منظور الأفريقي، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر-بيروت، الطبعة الأولى بلا تاريخ، ج١١، ص:٢٢٦

[١٣] ابن منظور الأفريقي، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.

[١٤] ابن منظور الأفريقي، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.

[١٥] ابن منظور الأفريقي، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

[١٦] ابن فارس، أحمد بن زكريا، **مقاييس اللغة**، بتحقيق: أنس محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة، سنة:٢٠٠٨م، ص:٢٧٦، مادة: خيل.

سورة طه، الآية:٦٦

[١٨] سيد طنطاوي، محمد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط١، مصدره: المكتبة الشاملة، الاصدار الأخير، ج٩، ص:١٢٤

[١٩] مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، ج١، ص:٤١١، باب الخاء، مادة: خيل

[٢٠] ابن منظور الأفريقي، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، المرجع السابق، والصفحة ذاتها.

[٢١] شوقي ضيف: الدكتور، **في الأدب والنقد**، دار المعارف، بلا تاريخ، ص:١٩

[٢٢] عبد العزيز عتيق: الدكتور، **في النقد الأدبي**، دار النهضة العربية، سنة:١٩٧٢م، ص:١١٩

[٢٣] التونسي، محمد خضّر حسين: الأستاذ، **الخيال في الشعر العربي**، المكتبة العربية في دمشق، سنة: ١٩٢٢م، ص: ١٣

[٢٤] عبد العزيز عتيق: الدكتور، **في النقد الأدبي**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر-بيروت، سنة ١٩٧٢ الميلادية، ص: ١٢٨

[٢٥] الجرجاني، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، ص: ١٢٥

[٢٦] محمد خضر حسين التنوسي: السيد، **الخيال في الشعر العربي**، نشر المكتبة العربية في دمشق، سنة ١٩٢٢ الميلادية، ص: ٢٨

[٢٧] ابن فارس، أحمد، **مقاييس اللغة**، تحقيق: **عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سنة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج٣، ص: ٣٥٦**

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

روعة التشخيص والتجسيد في ديوان الشيخ إبراهيم انياس الكولخي (نزهة الأسماع والأفكار) دراسة تحليلية

إعداد:
د. تجاني عمر
قسم اللغة العربية، كلية اللغات والاتصالات. جامعة إبراهيم بدماصي بابنغدا لبي، نيجيريا

المقدمة

يمثل ديوان الشيخ إبراهيم انياس سجلا كبيرا لظواهر فنية عديدة، فهو مرآة تنعكس فيه تلك الظواهر بأنواعها وصورها، ومن بينها التشخيص والتجسيد، وهما يقومان بدور كبير في تشكيل الصورة الجمالية وإبراز المعاني الشريفة، وتوضيح مدى القوة البلاغية في النصوص الأدبية، كما في نصوص ديوان الشيخ إبراهيم التي احتوت صُوَرًا رائعة مبعثرة في هياكلها التعبيرية من تلكما الظاهرتين، لاعتماده على توظيفهما بغية رفع المغزي والمعنى إلى قمة الشرف، اعتقادا بأن الجماد إذا بُثّ فيه روح الحياة وألبس لباس آدمي ليتحرك ويتصرف تصرفه، كان أدعى للبروز والوضوح، وأروع في التشكيل، والشأن شأنه إذا أخرجت المعنويات في صورة الحسيات، وإن هذه المقالة بعنوان "مدى روعة التشخيص والتجسيد في ديوان الشيخ إبراهيم انياس الكولخي، دراسة تحليلية" تهدف إلى إبراز ما أمكن من مفهوم الظاهرتين، وما لهما من روعة الأداء الفني ودورهما في تقريب الأفهام إلى الأذهان وتوضيح الأشكال للأعين في الديوان، وقد تناول الكاتب حوالي عشرين بيتا مختارا من النماذج التي وردت فيها تلك الظواهر، تناولا تحليليا. وستجري الدراسة وفق التالي:

مفهوم التشخيص:

يقصد بالتشخيص تلك الملكة الخالقة التي تسخر قدرتها من سعة الشعور حينا، أو من دقة الشعور حينا آخر، فالشعور الواسع هو الذي يستوعب كل ما في الأرضين والسماوات من الأجسام والمعاني، فإذا هي حية كلها لأنها جزء من تلك الحياة المستوعبة الشاملة.[1]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ومما يلاحظ أن مصطلح التشخيص والتجسيد يردان مترادفين عند بعضهم،[٢] بينما يخص البعض التشخيص بالإنسان والتجسيد بالحيوان،[٣] في الوقت الذي يرى البعض الآخر أن التشخيص يختص باكتساب العنصر المصوّر أفعال وحركات وسلوكيات الكائن الحي، في حين يعني التجسيد إكساب ذلك العنصر أعضاء الجسد الإنساني.[٤]

وإن ما يتحدث عنه المحدثون تحت التشخيص تناوله القدامى تحت مسمى الاستعارة المكنية، ويمكن الفرق الأساسي بين تناولهم وتناول المحدثين في أنهم حاولوا إرجاء كل العلاقات القائمة في الصورة إلى قرينة المشابهة، فضيقوا الخناق على طاقات هذه الصورة التعبيرية وأطفأوا إشعاعاتها الإيحائية بحثا عن علاقة حسية قد لا يكون لها وجود، بينما تجد المحدثين يتحلقون أكثر إلى فهم هذه الصورة من خلال تشخيص الحقائق الفنية والشعورية والذهنية للشاعر.

مفهوم التجسيد

إن التجسيد يعني أن يعمد الشاعر إلى المعاني المجردة فيكسبها قيمة مادية بحيث تدرك بإحدى الحواس، فهو لون من التفكير الحسي يضفيه الشاعر على لوحته التصويرية ليزيد من وضوحها وجمالها الفني، "فالمحسوسات والحسيات في ذاتها أدوات مثيرة للأعصاب بغير شك، والشاعر، كالرسّام، يستخدم هذه الأدوات، لكنها لا تؤدي وظيفتها على الوجه الصحيح إلا بتوجيه من الشاعر، وهذا التوجيه مصدره الفكرة أولا وآخرا[١٣] وعلى الوتيرة ذاتها ينظر باحث آخر إلى وظيفة هذه الأدوات إذ يقول:

فالشعر ينطوي، شأنه شأن الفن بعامة، على خاصية حسية بالضرورة، ما دامت مدركات الحس هي المادة الخام التي يبنى بها الشاعر تجاربه، وبما أن الشعر تخيل وتخييل في آن واحد، فإن ذلك يعني أنه لا ينسخ المدركات، بل يؤلف بينها ويعيد تشكيلها، مكثفا العلاقات التي تقرب بين العناصر المتباعدة.[١٤]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وفكرة الصورة الشعرية إنما تقوم أصلا على أساس تجسيد الأبعاد المختلفة للرؤية الشعرية، كما أن وظيفتها في إطار النقد الحديث هي "تجسيد الحقائق النفسية والشعورية والذهنية التي يريد الشاعر أن يعبّر عنها.[١٥]

وفي الشعر العربي تجد وعيا مكثفا بالتجسيد ودوره في بناء الصورة، فانظر إلى هذين البيتين لامرئ القيس:

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطّى بصلبه وأردف أعجازًا وناء بكلكل[١٦]

حيث يعتمد التخييل ويمزج بين صور لا علاقة واقعية بين دلالاتها المعجمية، لكن النقد القديم لم ينظر إلى مثل هذين البيتين نظرة تجسيدية، بل ذهبوا يبحثون عن تشابه من حيث لا تشابه، فادعوا بأن الشاعر إنما شبه الليل بجمل فحذف المشبه به وأبقى شيئا من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية. وتكمن خطورة مثل هذا التحليل في أننا قد نقحم على خيال المبدع أشياء لم يعتمدها قط كما ذكرنا.

نماذج من التشخيص والتجسيد في الديوان:

إن للشيخ إبراهيم تشخيصات كثيرة بارعة الروعة تتكون من مواضع مختلفة من الشعر لتعمق أداء الصورة، فقوله:

تقطع عن نال سواه مطامعي وقد عضّني هذا الزمان بنابه[٥]

تشخيص مبدع للزمان ذا أنياب قاشرة تعض الشاعر، وذلك قبل وصال المحبوب، ولم يصل المحبوب حتى تحولت الحال غير الحال.

وقوله:

زماني طلق الوجه غير مكدر أروح وأغدوا دائما لن أكمّدا[٦]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

إذا بالزمان طلق الوجه بشوش ينبسط للشاعر الذي يروح ويغدو بين يديه لا يناله مكروه، وليس للزمان في هذا أي دور، بل هو مقهور على أن يعود منبسطا لسبب وصال المحبوب الذي يقلب الأعيان بالأعيان، وإذا كان الزمان يشك في ذلك فليحاول التكدّر على حين وصال من عطاء المحبوب.

ومنه قوله:

فمعتمدي حقا عطاء محمد وهل يتحداني الزمان مكابرا(٧)

هكذا نرى خيال الشاعر المرهق يقوم بالدمج بين صور الأشياء بعد استبعاد طينتها وخلاياها المادية، فيركب الجمل تركيبا جديدا، ويكسبها معاني جديدة لم تكن تطمع إليها لولا هذا التركيب.

وهكذا يخلع الشاعر على الصور مختلف التصرفات الإنسانية الإدارية، فنراها تنظر وتبتسم وتفرح وتمرح وتشير وتعض وتنتقم وتسأل وتجيب، ولا يخفى ما في ذلك من إضفاء الحيوية على الصورة وملئها بالمفاجآت الحركية عن طريق أنسنتها، كما أن تشكيل السياق الانزياحي من الفعل كثّف من فعالية هذه الحيوية لما في الفعل من الحركة والحيوية.

فلم يقتنع بتجسيد الصبر يتهدّم، لأن ذلك قد يُبقى للصبر بقايا أطلال، فلجأ إلى التشخيص ليعطيه المعنى الذي في نفسه وذلك في قوله:

وفرّاصطباري بعد طول تجلُّد وقد قرّطل الدمع حقا ووبله(٨)

وانظر إلى براعته وأوراقه كيف تحن إلى المحبوب عند ذكره، وقد أسرها الشغف والغرام به حيث قال:

إذا ذكر المختار حنت يراعتي ونقسي لأمداحي بكل غرام(٩)

أما العناية الإلهية فلها عين ساهرة على ملاحظة الشاعر لا تغفل عنه حلا وترحالا وبعد ما بين المعاني المعجمية التي جمعها الشعر في سياق البيت، فقد اعتمد الاتساع والتخييل وادّعى الحقيقة فيما أصله التقريب معتمدا على خياله القادر على استكناه المزايا وسبر الأغوار، ما يؤكد بالفعل إلحاح المنطق الشعري وحثاله المنطقي المعياري في الفن.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وتجده في موضع آخر يسند الحروف إلى ما لا يتأتى لها من الأفعال، فتراها أو تتراءى لنا من مرائية تفرح وتمرح في ملابس وحلل فاخرة:

وقد فرحت كل الحروف لأنها اكتست حللا تلهي لناس وناسخ(١٠)

فالشاعر هنا يحطم سلاسل وأغلال المنطق التي تأبى أن تفرح الحروف وتمرح في الحلي والزينة، فالتباعد بين المعاني المعجمية للألفاظ عنصر فعّال في تعميق أداء الخيال وتوسيع دائرة الصورة.

وليست الحروف وحدها التي تتزين، بل إن الجنان أيضا تكتسي أبهى الحلل وأفخر الثياب، وتحتفل وتتزين في استقبال خديم النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك قول الشاعر:

ومأوى وجنات النعيم تزينت لخادمه تزهو على كل ملبس(١١)

وفي تشخيص بالغ في الروعة والإبداع صوّر النفس تقطع البيداء والمهامه في البحث عن أربها، وفجأة تصادف ضالتها وتجد أمنيتها، فتلقى عصاها، وتطرح على أرض مجهشة بالبكاء مضرجة في دموع الفرح:

أيا نفس أدركت الأماني فهذه مرابع خير الناس والنور يسطع
فألقت عصاها واستقربها النوي ونلتِ المنى ما بال عينك تدمع(١٢)

ومما زاد من جمال الصورة استيحاؤها قصة الكليم موسى السلام، فإذا أدرك مناه حيث اتقدت النار فهنا يدرك المنى حيث يسطع النور، كما أن إلقاء العصا يذكر الواحد بأمر الله تعالى لموسى عليه السلام بإلقاء عصاه، وهذا مما يدرس تحت الصورة العقلية، ويهمنا هنا في المقام الأول مدى إبداع الشاعر في تشخيص النفس سائرة تجوب الأرض وذات عصا تلقيها وعينين دامعتين.

هكذا تجد الشاعر يجول في عالم الصور اللانهائي ليستعين به في توسيع دائرة الكلمات لتغذى خياله بالمعاني التي لا تقدر اللغة العادية في احتوائها، فاستطاع الشعر، مستعينا بالتشخيص، أن يهتدي إلى العلاقات الأكثر عمقا بين المعاني أو إلى توسيع هوة اللفظ ليعبّر عما لم يوضع للتعبير عنه.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

أما التجسيد ففي شعر الشيخ إبراهيم تجد الصور المجردة وقد جسّدت، وإن كان تجسيدا يوحي بأن فكرة الطرفين لا تزال تلوح من خلال النص الذي لا يبدو عليه التحرر النهائي من مبدأ التشابه الحسي.

وأول ما يواجهنا من المعاني التي يلح الشاعر على تجسيدها هي خمر لو تجرعها العالمون لما بقي للعقل فيهم إلا أثر بعد عين:

يلومونني جهلا وأيقنت أن من تجرع من معشار ما ذقته صبّا[١٧]

وتجد المحبة حينا آخر ناوية في خلد الشعر:

ثوى حب خير في خلدي فوزا وقد نلتُ منه السرّ والعلم والكنزا [١٨]

وهي أحيانا دابة يزم ركابها إلى مربع المحبوب:

زممت ركاب الشوق أنحو المجمّعا به جمع الله المفاخر أجمعا[١٩]

وعندما قال:

بجدة بالبيت الحرام بزمزم بمسعى به الإسلام جهرا تدفقا [٢٠]

كان موفقا غاية في التعبير عن تلك الوثبة الشعورية التي يحس بها الواحد في إيحاء لفظ التدفق، بحيث استحضر تلك الحركة الزاخرة في انصبابات السائل وتدفقه حتى لا يقوى شيء مهما كان على الحدّ من فيضانه، وهذا التعبير يتوافق مع القوة التي انطلق بها الإسلام في معهد عند ما كان يطيح بكل صناديد الشرك الذين يحاولون أن يقفوا دون إبلاغه إلى العالمين.

أما عملية الإبداع الشعري فهي عنده جنس من أجناس النسيج، يقول:

فآليت لا أنفكُّ أنسج مدحه وكنتُ لشرب العاشقين مديرا[٢١]

ويقول:

يصاحبني حب النبي وأنسج مدائحه والنفس مني تبهج[٢٢]

ويقول أيضا:

إلى أحمد شوقي ووجدي ولوعتي وما لي دوا في غير أن أنسج الشعرا[٣٣]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ولعل هذا الإلحاح على النسج يناقض ما كان الباحث يزعمه من أن الشاعر لا يميل إلى الصنعة، وإن كان الباحث قد ذكر أكثر من مرة بأن الصور البديعية تلوح في شعره وتلح ثم تختفي ويطول خفاؤها.

وإذا كان الباحث مثّل بتجسيد الشاعر للصبر ذا أركان تتداعى وقد حيل بينه وبين محبوبه، فكذلك يصور الدين أيضا ذا أركان يستعيذ بالله من رؤية اليوم الذي تتصدع فيه أركان هذا الدين وقد تداعت الأمم على أهله:

أعوذ برب الخلق والأمر أن أرى بعينيّ ركن الدين يومًا تصدَّعا(٢٤)

وهكذا يظل الشاعر يعامل المعقولات معاملة المحسوسات، فيرينا الشرور تطير ونجب الفكر ترعى وترتع كما أرانا الشعر ينسج والصبر ينهدم، يقول:

أغادي لدى الماحي صبوح وصاله فدام سروري والشرور تطير(٢٥)

ويقول:

فأرتعت نجب الفكر في روض وصفه بمرتع أنس لم أجد فيه عائثا(٢٦)

حيث تجد في المثال الأخير تضايفات عجيبة (نجب الفكر) (روض وصفه) (مرتع أنس)، تعاونت جميعا في تكشيف البنية الدلالية وتنشيط البيت والزيادة من حيوتيه، وإن هذا النوع من تجسيد الصورة وإخراجها من حيز الإطلاق إلى حيز التقييد، ومن غموض العقلي إلى وضوح الحسي هو سر جمال الصورة الشعرية التي تقرّب لك البعيد، وإن كان تقريبا يزيده فنية وروعة وعمقا، وبدلا من أن يضيّق الخناق على فسحة الخيال يزيد من فعالية الخيال ويفتح له أكثر من باب الانطلاق.

ويتداخل التجسيد مع التشخيص في قوله:

فيختم عيسى لا تكون ولاية بُعيد ممات الروح والخير يدفن(٢٧)

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

إذ نشم تداخلا بين الوسيلتين في قوله (والخير يدفن)، مع أن لفظ (ممات الروح) يقوّي كفة التشخيص.

ومع أن الروح في البيت لقب لعيسى عليه السلام، لكن السياق يحوي إيحاء رمزيا قويا لا ينبغي تجاهله، فالروح، لا سيما في عالم الصوفية، رمز الصفاء والطهر، فإذا كان عيسى روح الله قد مات فلا يقوم لشأن من شئون الصفاء والطهر قائمة، فلا بد أن يدفن الخير مع الروح.

ومن تجسيداته الممتعة كذلك تصوير الجنايات وهي تلاحقه في قوله:

بحقك فاشفع في فإني كما ترى طريد جنايات ولي الحال مختلط(٢٨)

كأنّ الجنايات تجري خلفه وقد لاذ بالفرار إلى المحبوب طالبا منه النجدة والغوث.

هكذا يكثف الشاعر التوقعات في حركة الصورة التشكيلية عن طريق تجسيد الظواهر المجردة، وإن كان الواحد يرمق في أكثر تشبيهاته تجليات التشابه ما يدل على هيمنة الاتجاه المعياري الذي لا يعرف الانزياح عن اللفظ إلا إلى لفظ مشابه له في وجه من الوجوه.

الخاتمة

حاولت المقالة تسليط الضوء على ظاهرتي التشخيص والتجسيد في ديوان الشيخ إبراهيم انياس الكولخي، فقد تناول الكاتب ما أمكن من مفهومهما ودورهما في اكتشاف الصور الرائعة، وإبراز المعاني العميقة في الديوان، ويبدو أنّ الكاتب إنما تناول جزء قليلا جدّا من كثير ما اكتمنه الديوان من الظاهرتين، إذ لم يتناول إلاّ عشرين بيتا نموذجيّا فحسب من بين مأة وبضعة ظواهر الكامنة فيه، على أن المقالة مع قلة حجمها وضيق نطاقها اكتشفت مدى روعة الظاهرتين وقيمتهما الفنية، وعظيم دورهما في تشكيل الصورة الشعرية وتوضيحها في الديوان، و الكولخي يوليهما عناية بالغة اعتقادا بأنهما رُكنان قويّان يساعدان في إقناع قرّاء دواوينه والمستمعين لأقواله.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الهوامش والمراجع

١- زايد، علي عشري، **عن بناء اللغة العربية**، الحديثة، مكتبة دار الحياة، بيروت، ١٩٦٧م، ص: ٧٦

٢- هلال، محمد غنيمي، **النقد الأدبي الحديث**، مطابع الشعب، القاهرة، ط٣، ١٩٦٧م، ص:١٩١

٣- زايد عشري، **عن بناء اللغة العربية**، المرجع السابق. ص:٧٠-٨١

٤- انظر على سبيل المثال، النظاوي، النطاوي، عبدالله، **الصورة الفنية عند مسلم بن وليد**، دارالحياة الأردن،١٩٨٩م، ص: ٢١٤

٥- الكولخي، إبراهيم عبد الله، **نزهة الأسماع والأفكارفي مديح الأمين ومعاني المختار**، (الديوان.) د.م، د.ت. ص: ٩٣

٦- المصدر نفسه ص:٨

٧- المصدر نفسه ص:٢٢٤

٨- المصدر نفسه ص: ١٣٥

٩- المصدر نفسه ص:٢٥٥

١٠- المصدر نفسه ص: ١١٥

١١- المصدر نفسه ص: ٤٣

١٢- المصدر نفسه ص:٢٢٩

١٣- إسماعيل، عز الدين، **التفسير النفسي للأدب**، ص:١٠٨، نقلا عن التطاوي، عبد الله، **الصورة الفنية**، المرجع السابق، ص: ٢١٤-٢١٥

١٤- عصفور، جابر، **مفهوم الشعر**، دراسة في التراث النقدي، دار التنوير، بيروت، ط٢، ٢٩٨٣ ص: ٢٠٧

١٥- زايد، المرجع السابق، ٧١

١٦- السقا، مصطفى، **مختار الشعر الجاهلي**، المطبعة الشعبية،ط٣، ١٩٦٩م، المرجع السابق. ٢٩

١٧- الكولخي، الديوان، المصدر السابق، ص:٢١

١٨- المصدر نفسه، ص: ١١٦

١٩- المصدر نفسه، ص:٢٣١

٢٠- المصدر نفسه، ص: ٤١

٢١- المصدر نفسه، ص: ٧٠

٢٢- المصدر نفسه، ص: ٧٦

٢٣- المصدر نفسه، ص: ١٠٢

٢٤- المصدر نفسه، ص: ٧٣

٢٥- المصدر نفسه، ص: ٢٧

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٢٦- المصدر نفسه، ص: ١٣٧

٢٧- المصدر نفسه، ص: ١٧٦

٢٨- المصدر نفسه، ص: ١٩٠

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

حائية الشاعر محمد المصطفى بلاربي في رثاء الشيخ أبي الفتح مَيْدُغُرِي: دراسة أدبية

إعداد:
ناصر بلاربي
كلية الشيخ بلاربي غسو التذكارية غسو، ولاية زنفرا

المقدمة

الحمدلله القائل: "كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام" وصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد القائل:" إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له.٢ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون٣ وبعد:

إن الموت خطب جلل، ومصيبة عظمي التي تنغص العيش وتضيق الصدر، وتثير القلق، فَجُعل الرثاء على الميت ليهون ألم الفراق، ويطمئن القلب، ويخفف رعبة الفجيئة، لفقد الأليف من الإخوة أو الأهل. كما يصف الشاعر هوله وفجيئته بقوله:

وما الموت إلا سارق دق شخصه * يصول بلا كف ويسعى بلا رِجل

وقد اتخذ الأدباء الرثاء وسيلة في التسلية عن المصيبة قديما وحديثا حتى قرضوا قصائد ودواوين في هذا الغرض. ولم يتغافل شعراؤنا النيجيريون عن هذا النوع الشعري فأظهروا براعتهم فيه وأحسنوا وأجادوا ليبرزوا أن الشعر موهبة إلهية يخص بها من يشاء بغض النظر عن أصله أو بيئته. وتحتوي المقالة على عرض النقاط التالية:-

١. المقدمة
٢. التعريف بالرثاء.
٣. حياة الشاعر.
٤. نص القصيدة المختارة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٥. القيم الفنية في القصيدة
٦. الخاتمة والمصادر مع المراجع.

التعريف بالرثاء:

الرثاء في اللغة: مصدر لفعل رَثى يَرْثِي من باب ضرب يضرب، يقال رثيت الميت رثيا ورثاء ومرثاة ومرثية، بكاه بعد موته وتعدد محاسنه، وإن مدحه بعد موته يقال: رثاه يرثيه ترثية.[٤]

وفي الاصطلاح: تعداد مناقب الميت شعرا، وإظهار التفجع والتلهف عليه واستعظام المصيبة والحزن عليها، وإظهار هذه الحقيقة بصدق العاطفة، ووصف دقيق يليق بالمصيبة والمصاب، مثال ذلك قول الخنساء٦ في بائيتها ترثي بها أخاها صخرا:٥

يا لهف نفسي على صخر إذا ركبت * خيْلٌ لخيل تُنـادي ثـم تضطـرب
قد كان حصنا شديد الركن ممتنعـا * ليثا إذا نزل الفتيانُ أو ركبُـــوا

وللرثاء ثلاثة عناصر: الندب، والتأبين، والعزاء.

وقد مر الرثاء بعصور مختلفة تطورا وازدهارا لأسباب مطابقة للظروف، ومن بواعثه في العصر الجاهلي ذكر الويلات، واللهفات، وضرب الخدود، وشق الجيوب. ويتبين ذلك ما حدث للمهلهل بن ربيعة لما قُتل أخوه الملك كليب بن ربيعة. حيث يقول :

دعوتك ياكليب فلم تجبنـي * وكيف يجيبني البلد القفار
سقاك الغيث إنك كنت غيثا * ويسرا حين يلتمس اليسار

فالرثاء في هذا العصر يمتاز بصدق العاطفة، ورقة الإحساس والتصبر والتجلد، ويأخذ الرثاء هذا الدرب في العصر الإسلامي والأموي، لكن يمتاز فيهما ظهور معالم إسلامية في العقائد الدينية، لأن رسول الله عليه السلام نهاهم عن الأفعال التي تخالف الشرع، حتى ازدهر في العصر العباسي والأندلسي برثاء المدن والبلدان والحيوانات المستأنسة.٧

وفي العصر الحديث استمر الرثاء غرضا مستقلا خاصة رثاء الزعماء وقادة الفكر والحركات الإصلاحية فكانت فرصة لتجسيد المعاني الوطنية والسياسية والدينية.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

أما فى الشعر العربي النيجيري فيعد الرثاء من أكثر الفنون الشعرية حظا فى الشعر العربي القديم، إذ قل من لم يقرض من بين شعراء المنطقة، كما يقول غَلَادنْثِي: إذ يصف وضع الفنون الشعرية فى الأدب العربي النيجيري خلال القرن التاسع عشر الميلادي: "وكان الشعراء يسيرون على نفس الدرب التقليدي في رثائهم يذكرون الموت وغدره، ويذمون الدنيا وغرورها، فهي دار فناء، ولا يصفو فيها العيش، ولا يرتاح فيها البال، ويشيرون كذلك إلى محاسن الميت يصفونه بالعلم والتقوى، وبالكرم والشجاعة، ومساعدة الضعفاء. وغير ذلك من الأوصاف التي يستحسنونها". والظاهر أن فن الرثاء في نيجيريا في الفترة القديمة كان أكثر من المدح، فلا يموت عالم أو أمير مشهور إلا أطلق الشعراء ألسنتهم، ونظموا قصائد ومقطوعات يرثون بها الميت.٨

ومن المؤكد أن الشعر العربي النيجيري القديم له صلة متينة ووطيدة بالشعر الجاهلي لا من حيث الأسلوب والأخيلة والصور فحسب، بل من حيث الموضوعات والأغراض كذلك، ولعل السبب في ذلك يعود إلى تأثر هؤلاء بالشعراء القدامى، إذ لم يتغير إلا تغيرا طفيفا وجزئيا اقتضته طبيعة التغير الذي حودث في العقيدة.٩

فصار الشعر العربي النيجيري على هذا المنوال المعروف حتى أوائل القرن العشرين الميلادي حيث دب التغيير في الموضوعات الشعرية نتيجة احتكاك أبناء البيئة ببيئات أخري في رحلاتهم التعلُميَّة، واستقبال العلماء من الخارج ليعلموا أبناء الوطن الثقافة العربية العصرية، والتمدن والحضارة التي عمت أرجاء البلاد، كل هذا مما أحدث التغيير فى الرثاء في نيجيريا.١٠

حياة الشاعر:

هو الأستاذ الأديب محمد المصطفى بن الشيخ محمد بلاربي بن العالم عبد القادر الملقب ب(مَالَمْ كَادُوا) بن محمد طن ددُّوري. ولد السيد محمد المصطفى بمدينة غسو ولاية زمفرا نيجيريا في بيت والده الشيخ محمد بلاربي الذي اشتهر بكرم الأصل والأدب والعلم والعفة بل هو علاَّمة في العلم ونشره، والدين وثقافته. وكانت ولادته يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ألف وثلاثمائة واثنتين وتسعين هجرية: ١٣٩٢/١١/٢٩هـ الموافق:١٩٧١/١٢/٣١ميلادية.١١

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

نشأ وترعرع تحت رعاية أبويه الكريمين، وبدأ تعلمه منذ نعومة أظفاره في مدرسة والده المسماة: مدرسة حزب الرحيم تلامذة الشيخ إبراهيم. وشمر السيد محمد المصطفى على ساعد الجد والمواظبة لتحصيل العلوم الدينية واللغوية والأدبية حتى حفظ القرآن الكريم وصار ممن شاء الله أن يشار إليه بالبنان في البيان. والشعر عنده موهبة و وراثة، ولم يدرس الشاعر في مدرسة ولا معهد آخر إلا في هذه المدرسة حيث أنه الآن أحد علمائها الكبار، ولا غرو في ذلك لأن هذه المدرسة معهد كبير، وقد تخرج فيها عدد غفير من العلماء المتفننين في ميادين مختلفة منهم: الفقهاء والأدباء وحفظة القرآن الكريم، وفي مجال الأدب أخذوا قسطا وافرا من الشعر ولا تفوتهم فرصة قرض الأشعار كلما حلَّ ضيف كريم في هذه الزاوية من الترحيب والمدح له.١٢

وله إنتاجات كثيرة في مختلف الأغراض الشعر العربي، ودواوين متعددة أكثرها في المدح، والرثاء، ثم الترحيب، وأخرى في بقية أغراض الشعر في المناسبات كالرحلات، والوصف، والتعليم، وغير ذلك.

ومن إنتاجاته الشعرية ما يلي:

١. ديوان اليواقيت والمرجان في المراثي الحسان، مجموع قصائد الديوان خمس وعشرون قصيدة، وعدد أبياته تسعمائة وأربعة أبيات.
٢. منظومة مسرة الخواطر في تاريخ الشيخ محمد بلاربي بن عبد القادر، وعدد أبياتها ثمان مائة وثلاثة وخمسون بيتا.
٣. منظومة مسرة العيون في تاريخ الشيخ بلاربي بن هارون. عدد أبياتها مائتان واثنان وتسعون بيتا.
٤. ديوان تصفية الألباب في مدح لب اللباب. وعدد أبياته: أربعمائة وستة عشر بيتا.
٥. ديوان نزهة العاشقين في مدح خير العالمين. وعدد أبياته ثمان مائة وأحد عشر بيتا.

عرض القصيدة:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

القصيدة حائية القافية وردت في (٧٤) بيتا على بحر البسيط، قالها الشاعر يرثي الشيخ أحمد علي أبا الفتح اليرواوي، وهى إحدى قصائد الشاعر التي وردت في ديوانه "اليواقيت والمرجان في المراثي الحسان" ومطلعها:

الشمس قد كسفت والناس في ترح * وقد علاهم ضروب الكد والكدح

ومقطعها:

صلى وسلم للهادي وعترتـــه * ربٌّ هداني إلى إنشاءِ ذَا المَـدَحِ

التحليل الأدبي للقصيدة:

الفكرة

الفكرة وهي أفكار جزئية بنى الشاعر النص عليها وقسمها الباحث إلى ما يلي:

وصف هول الحادثة وعظم المصيبة. وذلك في قوله:

الشمس قد كسفت والناس في ترح * وقد علاهم ضروب الكد والكدح

وأظلم الأفق والأقمار قد خسفت * والأنجم الزهر قد آلت إلى المسح

بين الشاعر الحال التي آلت إليها الدنيا من كسوف الشمس، وتحير الناس وظلام الأفق، وخسوف القمر والنجوم وغير ذلك من الأمارات المفزعة التي توحي بحلول آخر ماتوقعه الإنسان من المصائب والمخاوف والبليات التي تتمثل في تغيير كل شيء حتى صار كأنه القيامة التي وصفها الله في قوله: "إذا الشمس كورت ﴿١﴾ وإذا النجوم انكدرت﴿٢﴾"١٣

مثل هذه الفزعات هي ما يمثله الشاعر في هذه الأبيات، ذلك بأن موت العالم ثلمة في الإسلام، وهذا يكفي ليصور فزع الشاعر وانزاعاجه لهذه الملمَّة.

ثم شرع الشاعر بوصف المتوفى بأخلاق نبيلة، ومكانة إجتماعية، والتمسك بالمعالم الدينية. فقال:١٤

طابت خلائقه نَمَّتْ مكارمه * فاقت سجاياه عن ذكر وعن مدح

جمت خوارقه زادت عجائبـه * أعظم بـهذا الهـمام العَيْلَم السمح

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

يصف الشاعر المتوفى بأوصاف حسنة، بأنه ذو كرمٍ وخلق حسن وعالمٌ جليلٌ وقائدٌ متينٌ، حتى وصف الشاعر بأن لا مثيل له بين أقرانه من الشيوخِ وأولياء الله لمداومته لذكر الله ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولما أن المتوفى قضى نحبه في حادث سيارة، وصف الشاعر الحادثة وصفا دقيقًا بذكر سبب الرحلة التي كان المتوفى فيها، ومكان الحادث والزمن في دقة متناهية ليتمشى مع القارئِ ويكسب قلبه فيرثي لحاله. وذلك في قوله:

توفي الـشيخ يوم الأربـعاء ضحًى * بخطر سـيارة ويْلي بـذا الفدح
بقرب (جَمْنَارِيْ) قد وافت منيتـه * (بِأَكِّ) صَفْرٍ أُنيل الشيخ بالفرح

تأبَّن الشاعر على هذه المصيبة العظمى، لفقد عزيز ذي منزلة في عشيرته أو مجتمعه، مع تعداد الخصال وإزجاء الثناء على الميت. كما أثبت الشاعر ذلك في قوله:

فموت ذا الشيخ موت لا مثيل له * وإنه عالمي دونما مـــزح

بعد ذلك شرع الشاعر بتقديم تعزيته إلى كافة من ينتمي إلى الفقيد من أهل وولد ومريد. فقال:

إني أعزى جميع المسلمين كذا الـ * ـتجانيين لفقد الهيكل السمح
إني أعزى كذا أهلا لفيضتنا الـ * ـغر المشائخ أهل العفو والصفح

ثم اختتم هذه القصيدة بالدعاء للمتوفى والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم

يارب بالمصطفى المختار سيدنا * فاغفر لشيخي العلي حبي أبي الفتح
صلى وسلم للهادي وعترتـه * ربٌّ هداني إلى إنشاءِ ذَا المَـدَحِ

الصور الفنية:

العاطفة

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

إن العاطفة: عنصر هام من عناصر الأدب، وهي: "تلك الدواعي التي تدفع الشاعر إلى التعبير عما يختلج في صدره من طمع وغضب وشوق ووفاء وغير ذلك". وعرفها الدكتور شوقي ضيف:" بأنها حالة وجدانية يشترك الناس فيها جميعا فيما يسمونه حزنا أو فرحا أو خجلا، وما إلى ذلك"١٥

وعاطفة الشاعر ظاهرة جلية بأنها عاطفة حزن وأسف وشجون أثارتها موت عالم ذي قدر عظيم عند الشاعر،كما ظهر في قوله.

الشمس قد كسفت والناس فى ترح * وقد علاهم ضروب الكد والكدح

وصف الشاعر إحساسه حال موت هذا العالم وما حرك فيه من عاطفة جياشة تأثرا بذلك، وقد وافق الشاعر في هذا المطلع طريق القدامي في مراثيهم، لشدة تأثره بهم، فكثيرا ما يصفون الأفق بالظلام وأن ذلك الظلام حدث من أجل الكارثة التي وقعت، كقول الخنساء ترثي زوجها مِرْداسا.

لما رأيت البدر أظلم كاسفا * أرنَّ شِواذٌ بطنُهُ وسوائله ١٦

تخيلت الخنساء أن البدر خسف لموت زوجها وهكذا الشاعر أيضا تخيل خسف الأقمار بموت هذا العالم، فالدنيا كلها صارت في عينه ظلاما في ظلام. فقال:

الشمس قد كسفت والناس في ترح * وقد علاهم ضروب الكد والكدح

ولا غرابة في كون عاطفته صادقة، بل لا يحتاج ذلك إلى مبرر، لأن العلاقة بينه وبين المرثى علاقة أخروية لادنوية وهى مما لايتواطأ عليه الكذب. ونجد مثل ذلك أيضا في قوله:

وأظلم الأُفق والأقمار قدخسفت * والأنجم الزهد قد آلت إلى المسح

وواصل الشاعر يتخيل القمر بالانحماق والأفق بالظلام والأنجم بالاضمحلال لعظم هذه الملمة في عينه، وما من شك أن هناك صدق عاطفة وراء كل هذه التعبيرات، وحرارة انفعال تحرك وجدانه، وتعبيرا قويا عن هذا الانفعال، بالتعليل المفزع، وما يوحيه من جفاف، غير أن التعبير على كل حال موح بما وراءه.

الخيال:

وأما الخيال عند النقاد: فهو القوة في تجسد المعانى والأشياء والأشخاص وتمثلها أمام الجمهور حتى تثير المشاعر وتهيج الإحساس وهو أساس في الأدب. فقد حصر النقاد مرائع للخيال يعتمد عليها الأديب في بناء عمله الأدبي.١٧

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ولما التفت الباحث إلى صنع الخيال في القصيدة وجد أن الشاعر اصطنع صنعا جيدا مفعما بالحيوية الخيالية في رسم الصور خاصة عند استهلال القصيدة إذ يقول:

الشمس قد كسفت والناس فى ترح * وقد علاهم ضروب الكد والكدح
وزلزلت أرضنا من بعد ما اضطربت * بموت سيدنا شيخي أبى الفتـح

فقد أخذ الشاعر صورة من البيئة ليصور أحزانه وأحواله التي يرثى لها في موت مفزع حرك شعوره وأحزانه، وجعل الجوَّ مسودًا في عينيه حتى كأن نور الشمس تبدل إلى ظلام، ونور القمر والنجوم كذلك، ليصور القارئ كيف تكون الدنيا بدون نور الشمس والقمر والنجوم؟ فهي ظلمات يتخللها خوف وعدم الاستقرار والأحزان المتسلسلة والتمنيات اللانهائية. فهكذا وجد الشاعر نفسه، إلا أنه لايستطيع جعل القارئ يدرك كنه ما يشعره إلا برسم خيال واسع يكفي لتصوير ذلك فاستخدم تلك الصور من الشمس التي ذهب نورها والقمر حال خسوف ضوءه والنجوم عندما لم تعد متلألئة.

ومن الصنعة الخيالة في القصيدة ما لاحظه الباحث عندما أراد الشاعر أن يخبر بموت المتوفى فإنه لم يسرد ذلك سردًا مباشرًا لمعرفته بقيمة الميت لدى القراء والمستمعين فلم يرد إفزاعهم من جديد ولم يَرَ وسيلة لذلك إلا أن يرسم صورة من كناية لطيفة. فقال:

وقد أجاب نداه وهو متـجـه * إلى مدينته ويلي بـذا الـتـــرح

فقول الشاعر: "وقد أجاب نداه" كناية عن الوفاة لأن الميت لم يناده أحد بل وصل إلى نهاية أجله فقضى نحبه. كما قال تعالى: "الله يتوفى الأنفس حين موتها"١٨ والوفاة ليست تلبية لنداء، وإلا لأبى أحد التلبية، بل إن الله سبحانه وتعالى هو من يرسل ملكا ليقبض روح الإنسان فيموت، يقول تعالى في ذلك: "قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم١٩ والملك نفسه لاينادي بل هو عارف بعمله وآجال الناس. فلاذ الشاعر بهذا التعبير الكنائي عن التعبير الصريحي فقال: "أجاب نداه" بدل أن يقول "مات" أو "توفي". ونجد مثل ذلك أيضا عند قوله: "أظلم الأفق" هذا مجاز مرسل، لأن الآفاق لاتظلم بنفسها فالله هو من يجعلها مظلمة بمشيئته، لكن الشاعر تخيلها مظلمة بنفسها مجازا. ومثله فى قوله: "قد مات هادي البرايا" فنسب الهداية له مجازًا.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الألفاظ:

ولما التفت الباحث إلى الألفاظ وجد أن الشاعر أجاد في اختيار الملائمة منها للجوّ وبناء التراكيب الجيدة في روعةٍ وجمالٍ. فكان يضع الألفاظ الملائمة لغرضه في دقة متناهية. ومن أمثلة ذلك اختياره لفظ القرم في قوله:

والشيخ أحمد يرو القرم ذو مدد * ذو العلم والسر والمعرفان والمنـح

استخدم الشاعر لفظة "القرم" التي تكون معناها: السيادة بالقوة والكفاءة التي يقدر بها على حمل الأعباء، لأن أصل الكلمة في اللغة: البعير المكرم الذي لا يحمل عليه ولا يذلل. فاستخدم الشاعر هذه اللفظة (القرم) بدل غيرها مثل: " السيد " وغيرها التي لا توحى بهذا المعنى. ومن ذلك أيضا قوله يصف خصال الممدوح فأراد أن يذكر للقارئ أنها صفات راسخة في الممدوح غير مكتسبة. يقول في ذلك:

طابت خلائقه نمت مكارمه * فاقت سجاياه عن ذكرٍ وعن مدحِ

استخدم الشاعر لفظ "السجايا" وهى تدل على الخلق الحسنة أو مكارم الأخلاق أو ما يضاهيها من الألفاظ، ذلك لأنه يقصد أن المكارم صارت جبلية للمرئي لا يتعمدها ولا يقوم بها ليكسب قلوب الناس، فاختار الشاعر اللفظة لتأدي هذا المعنى (سجايا) ذلك لأن اللفظة في اللغة تعني الصفات الفطرية في الإنسان٢٠ التي لا يمكن للإنسان أن يتصنعها ولا أن يغيرها بأخرى، خلاف الأخلاق التي قد تكون نبيلة أو مذمومة وقد تكون مصنوعة تارة أخرى حيث أن الإنسان يكتسبها ويتحاكاها ويفرضها على نفسه بالتجربة والمران حتى تكون له خلقا.

ومن أسلوب الشاعر في الألفاظ استخدام المصطلحات وهذا مما حبذه النقاد في الصناعة الشعرية، كما أشار إلى ذلك في قوله:

فالشيخ أحمد يرو القـرم ذو مدد * ذو العلم والسر والعـرفان والمنــح
والشيخ أحمد شيخ لا مثيل لــه * في الأوليا وهو ساقيهم بلا بجــح
وإنه لطريـق الختم أحمدنـــا الــ * تـجــاني أكبر داع دون ما شـطح
وإنه مـظهر للــغوث سـيدنـــا * مــحل أنــظاره في الليل والـصبح

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

استخدم الشاعر في الأبيات السابقة ألفاظا تعد من المصطلحات الصوفية التي لا يدرك معناها الحقيقية المرادة هنا إلا من ذاق التصوف. مثل : "الشيخ" "المدد" " السر" "العرفان" "الأولياء" "ساقيهم" " طريق" "الختم" "الغوث" الفيضة" هذه الألفاظ جميعها لها معان خاصة عند الصوفيين بعد هذه المعان اللغوية المعروفة. فمعنى الشيخ عند الصوفية: هو وسيلة صادقة للتقرب إلى الله، وهو المربي الذي مر بالتجربة وخالف نفسه وانتصر على هواها، والذي يبصر المريد ويلقنه سبيل الرشاد، لكى ينجيه من العوائق والعثرات، حتى يستقيم حاله ويتوجه إلى الله تعالى، وهو أيضا الوسيلة إلى الله تعالى لقوله عز وجل: (يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة). وأما المريد في نظرهم: هو الذي تعلقت إرادته بمعرفة الحق، وقرر سلوك طريق التصوف وانتظم نفسه تحت تربية شيخ الطريقة. فالمريد الحقيقي كما عرفه سيدي محمد الهاشمي، " هو الذي سلَّم نفسه مباشرة للشيخ المرشد الحقيقي في أثناء سيره إلى حضرة الله تعالى ليسلك به الطريق السوي، إلى أن يقول له: ها أنت وربك." فيصير المريد مرادًا، فإذا بلغ النهاية في سيره وصار في الله بالله لله صار عبدا لله حرًا مما سواه٢١. وهكذا سائر المصطلحات التي لا يسع المجال بذكرها في المقالة. والسر في استخدامها أن الشاعر صوفي والمتوفى صوفي أيضا، فاستخدم الشاعر هذه المصطلحات لأن كل من يتعلق بالمتوفي صوفي يستطيع الوصول إلى معانيها الخاصة، واستخدام الشاعر هذه الألفاظ يوحي بمعرفته الدقيقة للتصوف وتذوقه ذلك الإتجاه الروحي.

كما أن القصيدة مختلفة أيضا بألفاظ تساند بعضها في تصوير الحالة الواقعة وهي: المصيبة أو الموت. مثل:- "ويلى" "وافت منيته" "طامَّة كبرى" "داهية" "لهفان" "ذي أسف" "أعزي" "مصيبة" "فَقْدٌ" وغير ذلك من الألفاظ التي من شأنها أن تأخذ بيد القارئ إلى الغرض حتى إن لم يخبر بذلك. ومنها: استخدام الرموز الحسابية وذلك في مثل قول الشاعر:

بقرب (جَمْثَارِيْ) قد وافت منيتــه * (بِأَكِّ) صَفْـرٍ أُنيل الشيخ بـالفــرح
في عام (كَشْتَدٍ) قد عاد الـكريم إلى * رضوان مولاه ممنوحا بــذالنجــح
وعمره (بَفَّ) عام فاعجـبن بـــها * ناهيك ما يـنال فيها الشيخ من ربح
أولاد ذا الشيخ (هَيْنٌ) ثم حفدتــه * (وَيْصٌ) فلله در القـرم ذي السُنُـحُ

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

فهذه الرموز تعني (أَلَكُّ) أى توفى بواحد وعشرين من شهر صفر. و(كَشْتَدٍ) رمز هجري يعني عام ألف وأربعمأة وأربعة وعشرين عاما (١٤٢٤ هـ) و(بَفَّ) له من العمر إثنان وثمانون عامًا. (٨٢). و(هَيْنٌ) عدد ابنائه خمسون. (٥٠) و(وَيْصٌ) عدد حفدته ستون حفيدا. (٦٠). فهي إذاً تدل على الأرقام الحسابية لتحديد سنة الوفاة وعدد عمره، وأولاده وحفدته.

ويتضح مما سبق أن ألفاظ القصيدة ألفاظا أدبية رائعة، وتتضمن في طياتها شيئًا من الجزالة في موضعه، واللين والسهولة في موضعهما، والمتعة الرموزية أيضا.

التراكيب:

وأما ما يمس التراكيب فقد كان الشاعر يبني قصائده في تراكيب قيمة جيدة، بقيم فنية ملموسة. ومن محاسن الشاعر استخدامه الجملة الاسمية والفعلية في الأماكن المناسبة بمنتهى السهولة، ومن استخدامه الجمل الاسمية ليفيد معنى الثبوت والدوام. قول الشاعر:

الشمس قد كسفت والناس فى ترح * وقد علاهم ضروب الكد والكدح
وأظلم الأفق والأقمار قدخسفـت * والأنجم الزهد قد آلت إلى المسح

لما أراد الشاعر أن يثبت للقارئ مدى عظم البلية الواقعة وثبوتها بحيث لا يزعزعها شيء، استخدم الجملة الاسمية فقال: "الشمس قد كسفت " "الناس في ترح" "الأقمار قد خسفت". هذه كلها جمل اسمية، وهى تفيد الثبوت والدوام.٢٢

ولما أيقن كسوف الشمس وتحير الناس، وخسوف القمر، واضمحلال النجوم، بحيث لا تراجع بعد الوقوع كما لا تراجع بعد وقوع المصيبة استخدم هذا التركيب ليدرك القارئ بسهولة، فكما أن الموت قد ثبت هكذا هذه الملامح ثابتة. وعندما أراد الشاعر تعداد محاسن الميت التي تتجدد الأحوال استخدم الجملة الفعلية التي وضعت أصلا لذلك.٢٣

ويدرك القارئ مثل ذلك في قول الشاعر يسأل الله المغفرة والرحمة للميت في ضمن الأبيات قائلا:-

وارحمه يا رب ولتكرم له نــزلا * ولْتُسْقِ قبرا لـه بـأسحـب دُلُــحِ

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

فالشاعر يريد أن يسأل الله تعالى الغفران والرحمة المستمرة للميت إلى الأبد، لذا استخدم الجمل الفعلية ليبث ذلك فقال: " ارحمه يا رب" "لتكرم له نزلا" "لتسق قبرا له" "فاغفر لشيخي" إلخ وقد استخدم الجملة الفعلية لأنه لا يريد انقطاع جميع ما يرجوه للميت بل يريده أن يعيش حياته الأبدية على ذلك لتجدد النعم كلما تجددت الأحوال، وتتجدد المغفرة كلما عثر على زلة له، وتتجدد عليه الرحمة كما نوقش الحساب، ويستمر إلى ذلك أبد الآبدين. كل هذه تدل على الدقة في التعبير.

الموسيقي:

ولما أمعن الباحث النظر إلى الموسيقى أدرك أنها داخلية وخارجيه، فوجد في الموسيقة الداخلية، أن الشاعر يكلل أبياته بالجناس حيث يجانس بين الألفاظ ليشكل نغمة موسيقية جذابة. وهذ في مثل قوله: "الكد والكدح" فقد أتى الشاعر بلفظتين تكاد تتفق في اللفظ لكنها تختلف في المعنى فشكلت بذلك نغمة للقارئ.

ومن اهتمام الشاعر بالموسيقي استخدام التصريع، وهو جعل العروض مطابقا للضرب.

أو هو اتفاق الفاصلتين في صدر البيت أو عجزه كما تجده بحرف الحاء في الأبيات المذكورة٢٤.
ويبرز ذلك في قول الشاعر:

الشمس قد كسفت والناس في ترحِ * وقد علاهم ضروب الكدِّ والكدحِ

الموسيقي الخارجية: الوزن والقافية

نظم الشاعر هذه القصيدة من بحر البسيط، وتفعيلاته هي:
"مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ "٢٥

فالقصيدة من بحر البسيط إلا أن بعض التفعيلات تكون مخبونة لحذف الحرف الثانى الساكن، ويدخل فيه الزحاف (فَاْعِلُنْ) فتصير (فَعِلُنْ) أي بعد أن كانت التفعيلة مكونة من سبب خفيف ووتد مجموع تصير فاصلة صغرى، في ثلاث متحركات وساكن، ويدخل الخبن أيضا فى

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

(مُسْتَفْعِلُنْ) فتحذف السين فيكون (مُتَفْعِلُنْ) وذلك لما كانت التفعيلة مكونة من سببين خفيفين ووتد مجموع صارت مكونة من وتدين مجموعين، وبعبارة أخري تحول رموزها.

مُسْتَفْعِلُنْ مُتَفْعِلُنْ

١٠١٠١ ١٠١ ١ ١٠١

تقطيع البيت

الشَّمْسُ قَدْ كُسِفَتْ وَالنَّاسُ فِي تَرَحٍ * وَقَدْ عَلَاهُمْ ضُرُوبُ الْكَدِّ وَالْكَدَحِ

مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ * مُتَفْعِلُن فَاْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ

سالم مخبون سالم مخبون مخبون سالم سالم مخبون

وقد لاحظ الباحث أن الشاعر استخدم بحر البسيط في قرض هذه القصيدة، وإن كان الرثاء يحتاج إلى البحور الخفيفة لكونه فنا يتخلله البكاء والتنفس إلا أن السر في ذلك هو أن الشاعر لم يقرض القصيدة حال وفاة الميت بل تمهل حتى هدأ روعه وحزنه، واستطاع أن يتنفس طويلا فقرض القرض على هذا البحر.٢٦

واختار الشاعر صوت الحاء رويا للقصيدة وهو صوت مهموس متصف بالرخاء، فاستخدمه الشاعر ليفرج به عن همومه، ويتنفس به في بكائه، وخاصة أن صوت الحاء ليس من الحروف التي أشار النقاد إلى قبح استعمالها رويًا للقصيدة.٢٧

وبالجملة فالقصيدة على حسب ما مرّ به الباحث تكفى لتكون نموذجا حيًّا للرثاء النيجيري، من حيث الفكرة والعاطفة والأسلوب والخيال والموسيقى لأنها تمشت مع ما وصفه النقاد في إظهار جودة القصيدة العربية.

الخاتمة

مرَّ في السطور السابقة نبذة محتوية على مفهوم الرثاء، ثم حياة الشاعر محمد المصطفى وإنتاجاته الأدبية والعلمية، وعالج الباحث فيها القضايا المتعلقة بالقيم الفنية من العاطفة والخيال ثم الألفاظ والموسيقي، مبينا التعبيرات المستعملة حول هذا الغرض من الرثاء بتوضيح التراكيب المستعملة لهذا الفن بوصف يليق بمصيبة الموت وهولها، وأوضح الباحث فيها وجود فن

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الرثاء عبر العصور الأدبية العربية، منذ العصر الجاهلي الذي كان شعرا غنائيا تقليديا على محور واحد حتى العصرين الإسلامي والأموي لم يطرق عليه التغيير، حتى ازدهر في العصر الأموي والعباسي برثاء المدن والحيوانات المستأنسة، وغير ذلك. وتبين لدي الباحث أن الرثاء تطور تطورًا بارزًا في العصر الحديث من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين الميلادي إلى يومنا هذا. وقد تناولت المقالة عن قوة عاطفة الشاعر وأنها متسلسلة، وعباراته لائقة ومناسبة لغرض الرثاء وأن أسلوبه يصدع القلوب القاسية، ويذيب العيون الجامدة. وأخيرا تعرضت لبنية الوزن والقافية. واختتمت بذكر الهوامش ثم المصادر والمراجع.

الهوامش

١- سورة الرحمان الأية ٢٦ -٢٧

٢- صحيح مسلم: كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته

٣- سورة البقرة الأية ٢٨١

٤- ابن منظور، محمد بن مكرم : لسان العرب: دار الصادر للطباعة والنشر بيروت، ١٩٦٥. ص:٣٥

٥- _____: دار الصادر للطباعة والنشر بيروت، ١٩٦٥.ص: ٣٨

٦- أنيس إبراهيم: المعجم الوسيط، الجزء الأول الطبعة الثانية. بالقاهرة، ص ٣٥٣

٧- _____: مرجع سبق ذكره. صفحة: ٩٤٩

٨- الخنساء: تماضر الديوان: المطبعة دار المعرفة بيروت لبنان. الطبعة الثالثة. صفحة: ١٧

٩- شوقي ضيف الدكتور: في الأدب والنقد ، المطبعة دار المعارف،١١١٩. صفحة: ٤٨

١٠- الخنساء: تماضر الديوان: مرجع سابق، صفحة: ٧٢

١١- ابن منظور: لسان العرب ، المرجع السابق. الجزء ١٣ صفحة: ٤

١٢- غلادنثي شيخو أحمد سعيد (الدكتور): حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا. المكتبة الإفريقية، الطبعة الثانية، من سنة: ١٨٠٤-١٩٧٧م. صفحة ١١٢

١٣- الأستاذ نور عتيق: مقالة بعنوان ظاهرة التجديد في الشعر العربي النيجيري مراثي الشاعر عبدالرحمان بغاراوا نموذجا. صفحة ٧.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

١٤- أبوبكر آدم مساما (الدكتور)، والطيب زايد رابح (الدكتور): مقالة بعنوان فن الرثاء بين الأصالة والتجديد دراسة تحليلية لمراثي الشاعر النيجيري إبراهيم جالو جالنغو. نشرت في مجلة بخت الرضا العلمية العدد الثالث عشر (ISSN 1858-6139)ديسمبر. ٢٠١٤ ملادية. صفحة: ١٦٤

١٥- _____: المرجع السابق. ص: ١٦٥

١٦- عبدالقادر ثاني (الدكتور): فن الرثاء لدي علماء مدينة غسو من سنة ١٩٤٧-١٩٩٧م بحث مقدم لقسم اللغة العربية بجامعة بايرو كنو، للحصول علي درجة الماجستير في الدراسات العربية. ١٩٩٨م صفحة: ٧٦

١٧- مقابلة شخصية مع الشاعر محمد المصطفى بلاربي فى بيته، يوم الأحد: بتاريخ ٢٠١٦/٩/٢٦ الساعة التاسعة ليلا .

١٨- ديوان المسمى: اليواقيت والمرجان فى المراثي الحسان، مخطوط فى مكتبة الشاعر الخاصة

١٩- الكاشاني عبد الرزاق (الأستاذ) **معجم اصطلاحات الصوفية**، تحقيق وتقديم وتعليق، عبد العال شاهين الدكتور، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣ه ١٩٩٢م، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع القاهرة.

٢٠- سورة المائدة الأية: ٣٥

٢١- سورة التكوير الأية ١-٢

٢٢- سورة الفجر: الأية ٢١.

٢٣- القيرواني ابن رشيق: العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية صيدا بيروت، لبنان ٢٠٠٨، ج: ١ صفحة: ١٤٧

٢٤- _____: العمدة فى محاسن الشعر ونقده، باب الرثاء مرجع سابق. ص: ١٧٨

٢٥- سورة الزمر الأية ٤٢

٢٦- سورة المائدة الأية ٣٩

٢٧- سورة البقرة الأية ٢١٣

٢٨- فضل حسن عباس (الأستاذ الدكتور): البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، دار المفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الثانية عشر، ص: ٩١-٩٣

٢٩- المرجع السابق ص:٩٤-٩٦

٣٠- المرجع السابق ص: ٩٧-٩٨

٣١- محمود قحطان: العروض والقافية، دار الكتب العلمية مصر الطبعة الثانية سنة ٢٠١٤م صفحة ٢٣

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٣٢- المرجع السابق ص:٢٤

٣٣- أحمد أحمد بدوي (الدكتور): أسس النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة المصرية، الطبعة الثالثة. سنة ١٩٩٩م، صفحة: ٢٩٦-٢٩٧.

المصادروالمراجع

- القرآن الكريم
- صحيح مسلم
- الأدب المفرد
- الأندلسي أحمد بن محمد بن بن عبد ربه العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد ، دار الكتب العلمية ١٩٨٣ بيروت لبنان.
- الأستاذ نور عتيق: مقالة بعنوان ظاهرة التجديد في الشعر العربي النيجيري مراثي الشاعر عبدالرحمان بغاراوا نموذجا. صفحة ٧.
- أبي الفرج الأصفهاني: الأغاني تحقيق سمير جابر، دار الفكر بيروت: الطبعة الثانية. عدد الأجزاء : ٢٤
- أبوبكر آدم مساما (الدكتور)، والطيب زايد رابح (الدكتور): مقالة بعنوان فن الرثاء بين الأصالة والتجديد دراسة تحليلية لمراثي الشاعر النيجيري إبراهيم جالو جالنغو.
- أنيس إبراهيم: المعجم الوسيط. الجزء الأول المطبعة، دار التراث العربي، بيروت ٢٠٠٨.
- ابن قتيبة إبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري: الشعر والشعراء، تحقيق أحمد بن محمد شاكر، الجزء الأول،
- القيرواني ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
- المبرد أبو العباس محمد بن يزيد النحوي: الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق الدكتور يحي مراد، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.
- الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق المحامي فوزي عطوي، مطبعة دار صعب، بيروت الطبعة الأولى: ١٩٦٨
- طه حسين (الدكتور): في الشعر الجاهلي دار النشر الهيئة المصرية العامة سنة ١٩٢٦م.
- عبد الباقي شعيب أغاك (الأستاذ الدكتور): مكتبة الدراسات النقدية فن النقائض في نيجيريا، الطبعة الثانية، غرة ربيع الأول ١٤٣٧هـ، ديسمبر ٢٠١٠م.
- عبدالقادر ثاني الأستاذ الدكتور): فن الرثاء لدي علماء مدينة غسو من سنة ١٩٤٧-١٩٩٧م بحث مقدم

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

- لقسم اللغة العربية بجامعة بايرو كنو، للحصول علي درجة الماجستير في الدراسات العربية. ١٩٩٨م
- _____: مدرسة حزب الرحيم للشيخ محمد بلاربي بن عبدالقادر الغسوي، مجلة اللغة العربية وآدابها والتعليم العالي في نيجيريا، الكتاب الأول ٢٠١٥م ، المبطعة ألبي الورن نيجيريا.
- عبد القاهر جرجاني (الإمام): أسرار البلاغة، شرح وتعليق دكتور محمد عبد المنعم خفاجي: مكتبة الإيمان بالمنصورة- أمام جامعة الأزهر، ت: ٢٢٥٧٨٨٢.
- علي الجارم ومصطفي أمين: البلاغة الواضحة:- البيان والمعاني والبديع. طبعة جديدة منقحة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت- لبنان.
- غلادنثي شيخو أحمد سعود (الدكتور): حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا. المكتبة الإفريقية، الطبعة الثانية، من سنة: ١٨٠٤-١٩٧٧م. صفحة ١١٢
- محمود قحطان: العروض والقافية، دار الكتب العلمية مصر الطبعة الثانية سنة ٢٠١٤م
- ناصر أحمد صكتو (الدكتور): ونور عتيق (الأستاذ): العاطفة الشعرية لدى الشيخ محمد بلاربي: دراسة تحليلية لبائيته في مدح الشيخ إبراهيم الكولخي.
- ناصر أحمد صكتو (الدكتور): الرثاء في همزيات الشاعر عبدالله جاتو دراسة تحليلية، الإشراق مجلة الدراسات العربية والإسلامية، Nasarawa state university، keffi، Nigeria.october2010.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الموازنة بين الشاعرين أحمد صابر وعبد الله جاتو من خلال قصيدتيهما في مدح أمير المؤمنين أبي بكر الثالث

إعداد
الدكتور سراج محمد صكتو ولولى يوسف
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية جامعة ولاية صكتو
المدرسة الثانوية الحكومية، رُنجِنْ سِمبُو- صكتو

المقدمة:

تعد الموازنة ضربا من ضروب النقد الذي يميز الرديء من الجيد، ويظهر بها وجوه القوة والضعف في الأعمال الأدبية والعلمية، وهي مرحلة بدائية من مراحل الحكم التقويمي الجمالي بين الشعراء، وقد ظهرت مبكرة في تاريخ الأدب العربي، وبقيت تسايره على مرّ العصور، وستبقى دائماً من وسائله النقدية والتاريخية، وقد روى مؤرخوا الأدب قصة أمّ جندب وموازنتها بين امرئ القيس و علقمة في وصف الفرس،[١]وكان لنابغة ذبياني خيمة بسوق عكاظ يجتمع فيها الشعراء، وينشدونه أشعارهم ويقوم بالتقويم والمفاضلة بينهم.[٢]ومن ثم يتبين أنّ الموازنة كانت أساساً للمفاضلة منذ العصر الجاهلي، وكانت مدرسة الخطيئة وكعب بن زهير مقابلة لمدرسة الشماخ وأخيه مزرد في صدر الإسلام كما كانت الموازنة بين شعراء الرسول وخطبائه من ناحية، وبين شعراء الوفود العربية وخطبائهم من ناحية أخرى،[٣]وأمّا العصر الأموي فقد كان زاخراً بالموازنة بين الفحول من الغزليين والسياسيين من الشعراء، وبين الخطباء والأدباء جميعاً.[٤]فخلّفوا ثروة نقدية قيمة على الرغم من تأثرها بالعصبيات والأهواء والأمزجة. وهكذا استمرت الموازنة إلى اليوم.

اختار الباحثان قصيدتين من قصائد الشاعرين الموهوبين من شعراء القرن العشرينفي مدينة صكتوليوازنا بينهما ويظهرا أماكن الاتفاق والاختلاف فيهما، وتحتوي المقالة على النقاط التالية:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

- التعرف بالشاعرين
- مفهوم الموازنة عند اللغويين والنقاد
- عرض القصيدتين
- الموازنة بين النصين
- الخاتمة

التعرف بالشاعرين

أحمد الصابر:

هو أحمد بن محمد الملقب بـ"*مَالَمْ نَتَعَالى*" بن أبي بكر بن أحمد، وأمه فاطمة الملقبة بـ"*جَبُّو*"بنت محمد. وينتمي إلى قبيلة فلآنية ،اشتهر بلقبه "صابر" ذلك لصبره وتوكله.[٥]

كان مولده يوم الأحد سنة "١٩٣٩"م، وذلك في أوائل خلافة أمير المؤمنين أبي بكر الثالث في حارة تدعى *مَرْنَرْ ظَامِيا*، وهي حارة معروفة بصناعة صبغ الثياب في مدينة صكتو. أسست منذ تأسيس مدينة صكتو بعد جهاد عثمان بن فودي، وكان مؤسسها الشيخ إسماعيل مَرْنَرْ ظَامِيَا عالما شهيرا من أنصار الشيخ عثمان بن فودي. وتقع في جنوب قصر أمير المؤمنين.[٦]نشأ المرحوم أحمد صابر بين أسرته يتيم الأم، إذ توفيت والدته وهو في سن الطفولة، فقامت إحدى ضرائر أمه بكفالته، وإلى ذلك أشار بقوله:

نشأت يتيم الأم لكن بعونه ** كبرت بلا شيء يهيج أشجاني

أخذ مبادئ علوم الدين من والده ثم ألحقه بمعهد مالم محمد الملقب بـ *"لَبُّو" مَرْنَرْ ظَامِيَا*-، وعلى يده ختم القرآن ثم واصل يتعلم مبادئ العلوم الدينية على يد والده، فأخذ منه "أصول الدين" للشيخ عثمان بن فودي، وكتاب مختصر الأخضري، لعبد الرحمن الأخضري، ومتن العشماوي للشيخ عبد الباري العشماوي، كليهما في الفقه المالكي.[٧]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وفي سنة ١٩٦٢م،انتقل الشاعر إلى المدارس النظامية الحديثة،[٨] فالتحق بمدرسة العلوم الشرعية بكنو،وفاز بالقبول بموجب نجاحه في امتحان القبول، فاتصل خلالها بالعلماء والمشايخ من أقطار شتى في العالم العربي، وخاصة جمهورية السودان ومصر، فحصل فيها علوما متنوعة وفنونا مختلفة إضافة إلى ما تعلمه في المعاهد العلمية بصكتو و تخرج سنة ١٩٦٦م، محصلا على شهادة الدراسات الإسلامية العالية بدرجة ممتازة.[٩] ثم واصل دراسته بكلية عبد الله بايرو جامعة أحمد بلّو زاريا، قسم اللغة العربية وقضى خلالها ثلاث سنوات ونال شهادة "الليسانس" بدرجة الامتياز، وقد ساعده الحظ فسجل في الكلية نفسها لدراسة الماجستير في الأدب العربي، وبعد انتهائه من السنة التمهيدية شرع في كتابة البحث التكميلي، وفي أثناء كتابته لهذا البحث ابتلي بحادثة وهو على طريقه للعودة من صكتو إلى كنو، فأصيب بصدمة فصارت سببا لشلل بعض جسمه، ومع ذلك لم يتوقف عن هذا العمل، فكان لا يقدر على كتابة شيء بيده فاستعان في ذلك بزوجه "أسماء" حيث يملي عليها وهي تكتب له، كما ساعده بعض أساتذة قسم اللغة العربية، جامعة عبد الله بايرو كانو أمثال المرحوم علي نائبي سويد إلى أن أكمل بحثه سنة ١٩٧٩م، وهو لا يزال مريضا على سريره.[١٠] توفي-رحمه الله- عام ١٩٨٤م، وذلك بعد الحادث الذي أدى إلى شلل بعض أعضائه، ومكث يتمرض في داره بكنو حوالي ثمانية أعوام، وقد لحق بالرفيق الأعلى وله من العمر خمس وأربعون سنة، ودفن في داره بمرنر ظاميا.[١١] رحمه الله واسكنه فسيح جنانه.

الشاعر الثاني عبد الله جاتو:

هو عبد الله بن محمد الشهير بلقبه *جاتو*[١٢]، ولد في مدينة صكتو بحارة *غطاطاوا*، ذلك يوم الإثنين عهد أمير المؤمنين أبي بكر الثالث سنة ١٣٧١هـ الموافق ١٩٤٦م.[١٣]

نشأ الشاعر في بيئة تهتم بالعلم والأدب حيث قام بكفالته *مَالَمْ بَلَارَبِي سَرْكِنْ غوندو* بن الوزير عباس، ولنشأته في بيت الوزارة أثر في رغبته للعلم والميل إليه. لقد أقبل إلى تحصيل العلم منذ طفولته إقبالا منقطع النظير، تلقى مبادئ العلوم في الكتاتيب تعلم القرآن الكريم عند المعلم إبراهيم بن محمد بشير غطاطاوا، واستمر يتلقى العلوم عنده في الدراسات الإسلامية لمرحلة

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

أولية من مراحل تعلمه، ولرغبة الشاعر في الثقافة العربية الإسلامية التحق بالمدارس الحديثة، بدء بمدرسة النظامية الإسلامية بصكتو أولى المدارس الإسلامية بمدينة صكتو التي أسسها المرحوم أحمد *طَنْ بَابَا* صكتو، وكان ذلك سنة ١٩٦٠م مكث في هذه المدرسة لمدة أربع سنوات وحصل على الشهادة الابتدائية ثم التحق بمدرسة العلوم العربية كنو سنة ١٩٦٤م ونال شهادة الدراسات الإسلامية العليا سنة ١٩٦٨م، ثم التحق بكلية الآداب والعلوم لولاية صكتو لنيل شهادة الدبلوم في اللغة العربية والدراسات الإسلامية والهوسا، وذلك ما بين ١٩٧٢ إلى ١٩٧٥م.[٤]وفي الشاعر يوم الاثنين قبيل صلاة الظهر ١٤٢٦/٦/٣ هـ الموافق ٢٠٠٥/٨/٨م في عهد أمير المؤمنين محمد متشطو. اللهم ارحمه! واعف عنه!! واجعل الجنة مثواه !!!

مفهوم الموازنة عند اللغويين والنقاد.

أ – المفهوم اللغوي:

الوَزْنُ رَوْزُ الثِّقَلِ والخِفَّةِ، الوَزْنُ ثَقْلُ شيء بشيء مثلِه كأَوزان الدراهم ومثله الزَّزْنُ وَزَنَ الشيءَ وَزْناً وزِنَةً.[٥]قال الجوهري أَصله مِوْزانٌ انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها وجمعه مَوَازين وجائز أَن تقول للمِيزانِ الواحد بأَوْزانِه مَوازِينُ قال الله تعالى {ونَضَعُ المَوازِينَ القِسْطَ}،[٦]يريد نَضَعُ المِيزانَ القِسْطَ وفي التنزيل العزيز {والوَزْنُ يومئِذٍ الحَقُّ فمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُه فأُولئك هم المفلحون}[٧]وقوله تعالى {فأَمّا من ثَقُلَتْ مَوَازِينُه وأَما مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُه}[٨]قال ثعلب :"إِنما أَرادَ مَنْ ثَقُلَ وَزْنُه أَو خَفّ وَزْنُه فوضع الاسم الذي هو الميزان" [١٩]

وفي المعجم الوسيط:" وازن بين الشيئين موازنة ووزانا ساوى وعادل الشيء الشيء ساواه في الوزن وعادله وقابله وحاذاه وفلانا كافأه على فعاله توازن شيئان تساويا في الوزن، يقال هذا القول أوزن من هذا أقوى وأمكن، وأوزن القوم أوجههم".[٢٠]

ب – مفهوم الموازنة عند النقاد:

الموازنة بمعناها العام تعني "دراسة يتم من خلالها المقارنة بين عناصر الأدب، وفنونه، وعصوره، ورجاله بقصد الإيضاح والترجيح[٢١]"كما استعملت كلمة "الموازنة" قديما للدلالة على المجاراة

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

والمحاكاة في الشعر والنثر على حدّ سواء، فقد ورد في كتاب الأغاني أن أبا عبيدة والأصمعي كانا يقولان عن عديّ بن زيد: " عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها مجراها".[٢٢]

أما بمعناها الأخص فهي المفاضلة بين الشاعرين أو أكثر للوصول إلى حكم نقدي وهي وسيلة المفاضلة بين الشعراء و إصدار الحكم على أفضل شاعر،[٢٣] هي من حيث المضمون تقارب موضوعي يتصل بمضمون القصيدتين. وظاهرة أدبية قديمة في التراث العربي على مستوى الإبداع والنقد. [٢٤]وعلى هذا ذهب بعض الباحثين والنقاد على وضع شروطها وقواعدها" يقول الدكتور علي العماري: " يرى بعض النقاد أن الموازنة لا تتحقق إلا بالاتفاق في البحر والقافية والغرض، ويرى آخرون أنه يكفي في تحقيق المعارضة بين القصيدتين أن تتفقا في الغرض والقافية".[٢٥]بينما يرى بعض النقاد جواز الموازنة بين القصيدتين وإن اختلفتا في الوزن والغرض والفن، وعلى هذا أجروا الموازنة بين الشعراء المختلفين في العصر والطبقة، و القصيدتين المختلفين في الوزن والقافية.[٢٦]

عرض القصيدتين

نونية أحمد الصابر في مدح أمير المؤمنين

وهي نونية الروي مطلقة القافية منسوجة على مجزوء الكامل، في مدح أمير المؤمنين أبي بكر الثالث بن عثمان بن أمير المؤمنين معاذ بن محمد بلّ بن الشيخ عثمان بن فودي، تغمده الله برحمته، وتقع في إحدى عشرة بيتا، افتتحها الشاعر يذكر شوقه للأمير المؤمنين وعبّر عن تجربته الروحية، ووصف عاطفة الحب وتحدث على طريقة الشعراء الصوفية الذين اتخذوا شخصية شيوخهم موضعا لحبّهم وشوقهم قائلا:

أَهْلاً وَسَهْلاً مَرْحَبًا ** بِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
فَخْرًا لَنَا لِمَجِيئِكَ ** يَا عُمْدَةً لِلْمُسْلِمِينَ
رَأْسُ الْمُلُوكِ أَبُوبَكَرٍ ** وَرَئِيسُ جَمْعُ الْمُتَّقِينَ
نِلْتَ الرِّيَاسَةَ وَالْعُلاَ ** يَا كَوْكَبًا فِي الْعَابِدِينَ

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

بِـكَ أَرْضُنَا تَتَبَخْتَرُ ** فَاقَتْ بِـلاَدَ الْمُشْرِكِينَ

رحب الشاعر بالممدوح في الأبيات السابقة ومدحه ذاكرا ما يتحلى به من الخصال المحمودة مثل الكرم والسخاء وغيرها من الصفات الحميدة مستخدما ألفاظا تشعر عاطفته نحوه مما يدل على اشتياقه وحبه له، واستمر يعبر عن حبّه وشوقه ينادي المسلمين أن يحمدوا الله الذي أعطاهم الأمير الرءوف قائلا :

يَا مَعْشَرَ الْإِسْلاَمِ كُلّ ** لِ الْحَاضِرِينَ وَغَـائِبِينَ
فَلْنَحْمَـدُ اللهَ الَّـذِي ** يُجْـزِي الْعِبَادَ الشَّاكِـرِينَ
نِلْنَا إِمَامًا عَـادِلاً ** وَإِعَانَـةً الْمُسْتَضْعَفِينَ:

هكذا استمر الشاعر يبين شدّة شوقه لأمير المؤمنين، ويبرز ما يكنّ صدره من عاطفة صادقة، بأسلوب شعري قوي، ومعان دقيقة لطيفة.

و في الآخير عبر عن عواطفه وأحاسيسه المتزايدة ينادي الممدوح ويحثه بأن يكون ناصرا ومستنصرا للعاجزين بأسلوب رائع ولغة سهلة وألفاظ لطيفة ممتعة قائلا :

يَا عَاهِلاً وَخَلِيفَة ال ** هَادِي ضِيَـاءَ الْعَـارِفِينَ
كُنْ نَاصِرًا وَمُوَاسِيًا ** مُسْتَنصِرًا لِلْـــعَاجِزِينَ
عِشْ مُطْمَئِنًا سَالِمًا ** فِـي مَهْيَعِ الْمُتَقَدِمِينَ.

ميمية عبد الله جاتو في مدح أمير المؤمنين:

نظم الشاعر عبد الله جاتو قضيدة ميمية على بحر الكامل يمدح بها أمير المؤمنين أبي بكر الثالث مبينا خصاله وأخلاقه الشريفة، ومعبرا عن شوقه إليه، وتقع هذه القصيدة في اثنتين وعشرين بيتا، افتتحها يرحب أمير المؤمنين ويمدحه على تمسكه بدينه ويمجده وينسبه إلى جده الشيخ عثمان بن فودي قائلا:

أهلا أمير المؤمنين ومرحبا ** بأبي البرايا قائد الإسلام

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

نجل المجدد شيخنا وإمامنا ** نور الزمان ومحطم الأصنام
لا شك أنت حسن لأنك محسن ** أنت المعاذ ولات حين خصام

وبعد هذا الترحيب الجميل بدأ الشاعر يمدح أمير المؤمنين فيذكر طرفا من فضائله، مبينا أنّه رفيع القدر والمنزلة، وهو كريم، ومحمود، قائلا :

يا أحسن الأملاك خلقا طيباً ** يأ أعدل الأمراء والحكام
خلق كضوء البدر أو كالروض أو ** كالماء أو كالزهر في الأكمام
ومناقب لولا المهابة والتقى ** قلنا مناقب منبع الأحكام
يا رئد الإسلام يا علم الهدى ** زين المحافل مرتع الأيتام
أنتم بنوا المجد المؤثل والندى ** نعم السيادة منتهى الأيام

استمر الشاعر يعبر عن مشاعره نحو الممدوح ويصور صفاته ويبين أخلاقه ويعظم أمره في صورة رائعة عجيبة قائلا :

ياطاهر الأباء والأجداد وال ** أنساب والأصلاب والأرحام
أنت الإمام المستبين لنا به ** نهج السعادة مرحبا بإمام
ولأنت أكرم مجتبى في صبوة ** قاموا برفع مكانة الإسلام
بل أنت بحر والملوك جداول ** وهم النجوم وأنت بدر التمام
أعلى الإله بكم معالم دينه ** وأزال بهجته على الإرغام
والله يعلم أن في خلفائه ** عدلا يسوس الأمر بالأحكام
جلت صفاتك أن يبن شاعرا ** عنها ولو بلسان ابن هشام

وفي هذه الأبيات عبر الشاعر عن شوقه إلى الممدوح مبينا المنهج السياسي الذي سلكه الممدوح نحو الرعية وشؤون الدولة ثم وصف الرؤساء والوزراء و ذكر فضائلهم السياسية، ونسب أجدادهم الشريفة، وفضلهم عن مَن سواهم في الكرم والوجود.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وبعد أن قضى هذا الشوط الطويل مع أمير المؤمنين اختتم قصيدته بالدعاء و التحميد على الله تعالى قائلا:

والله يرعاكم ويصلح سعيكم ** ويقيكم من خلفكم وأمام
والحمـد للـه العلي المنعم ** هـذا لنـا ببداية وختام

الموازنة بين القصيدتين

المطلع:

افتتح الشاعران قصيدتيهما بالترحيب، وقد وُفِقا جميعا في الافتتاح حيث أنهما استهلا بما يقرع الآذان ويطرب القلوب من جميل الترحيب وحسن الاستقبال ،كما يلاحظ أنهما شاعران موهوبان حيث أنهما نظما قصيدتيهما بلا تكلف وبدون الوقوف والاستيقاف والبكاء و الإستبكاء على الديار أو وصف امرأة تقليدا للقصائد العربية عند الشعراء الأولين، وإنما استهلا بالدعاء للممدوح أن ينزل في الرحب والسعة حبا وكرامة يقول الشاعر أحمد صابر :

أَهْلاً وَسَهْلاً مَرْحَبًا ** بِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

ويفتتح الشاعر عبد الله جاتو قائلا :

أهلا أمير المؤمنين ومرحبا ** بأبي البرايا قائد الإسلام

يلاحظ الاتفاق بين الشاعرين في المطلع حيث افتتح كل واحد منهما قصيدته يمدح أمير المؤمنين بأسلوب جديد فقد سلكا في افتتاح قصيدتيهما أسلوبا واحدا، حيث إنّهما افتتحا قصيدتيهما افتتاحا مباشرا من دون أن يقدم لها بمقدمة طللية شائعة عند الشعراء العرب القدامى.

المقطع:

وأما من ناحية المقطع فالقصيدة الأولى تكاد تكون بتراء إذ أنها لم تشعر بالختام، والقارئ أو السامع لها ينتظر أن يستمع ما يشعره أن القصيدة قد وصلت إلى الختام عند ما يقرأ أو يسمع هذا الختام :

يَا عَاهِلاً وَخَلِيفَةَ ال ** هَادِي ضِيَـاءَ الْعَـارِفِينَ

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

كُنْ نَاصِرًا وَمُوَاسِيًا ** مُسْتَنصِرًا لِلْـــعَاجِزِينَ
عِشْ مُطْمَئِنًا سَالِمًا ** فِـي مَهْيَعِ الْمُتَقَدِمِينَ

والقارئ أو السامع عندما يمر على مثل هذا المقطع لا يحس في القصيدة بالختام ويظل ينتظر الوصال ليصل إلى الختام، ومثل هذا المقطع لا يحبذه النقاد لأنه لا يشعر بالختام .

وبالعودة إلى القصيدة الثانية يدرك أن جاتو اختتم بالدعاء والحمدلة على ما هو دأب الأفارقة في الاختتام قصائدهم قائلا:

والله يرعاكم ويصلح سعيكم ** ويقيكم من خلفكم وأمام
والحمد لله العلي المنعم ** هذا لنا ببداية وختام

وعلى كل حال فإن قصيدة جاتو لم تكن بتراء لأنه اختتمها بما يشعر الختام من ممتع الدعاء وجميل الشكر .

الأفكاروالمعاني:

اتفقت القصيدتان في الأفكار والمعاني حيث كانت معظم الأفكار والمعاني في القصيدتين معانٍ وأفكار غرامية يظهر الشاعران فيها الشوق للأمير المؤمنين، كما عبر كل من الشاعرين على تجربته الروحية، ووصف عاطفة الحبّ والشوق ووظف معاني المدح المألوفة عند الشعراء المجدين من الثناء على ذي شأنٍ بما يستحسن من الأخلاق النفسيَّة كرجاحة العقل والعدل والعفة والشجاعة[٧]وقد وظف الشاعران أغلب هذه الصفات في قصيدتيهما يقول الشاعر جاتو:

أنت الإمام المستبين لنا به ** نهج السعادة مرحبا بإمام
ولأنت أكرم مجتبى في صبوة ** قاموا برفع مكانة الإسلام
بل أنت بحر والملوك جداول ** وهم النجوم وأنت بدر التمام

ويقول الشاعر أحمد الصابر

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

رَأْسُ الْمُلُوكِ أَبُــوبَكَرٍ ** وَرَئِيــسُ جَمْعُ الْمُتَّقِينَ
نِلْتَ الـرِّيَاسَةَ وَالْعُلاَ ** يَا كَوْكَبًا فِي الْعَابِدِينَ
بِــكَ أَرْضُنَا تَتَبَخْتَرُ ** فَاقَتْ بِــلاَدَ الْمُشْرِكِينَ

وبالنظر إلى هذه المعاني يدرك أن أفكار القصيدتين أفكار تراثية معروفة في الشعر ولم يمسها التجديد ولم يستقى الشاعران المعاني الأخرى الجديدة لعل جاتو فاق أستاذه حيث زاد معنى في وصف الممدوح بأنه رئيس للأمراء ويتحلى بتقوى الإله.

من حيث الألفاظ والتراكيب

لا يختلف الشاعران كثيرا في توظيف معجمهما اللفظي وقد استخدما ألفاظا سهلة وجزلة فقل أن تجد في قصيدتيهما لفظا معجميا متكلفا، بيد أن جاتو أكثر توظيفا من صاحبه لما أفاده من الأصول التراثية، يقول الشاعر أحمد صابر:

فَخْرًا لَنَا لِمَجِيئِكَ ** يَا عُمْدَةً لِلْمُسْلِمِينَ
رَأْسُ الْمُلُوكِ أَبُــوبَكَرٍ ** وَرَئِيــسُ جَمْعُ الْمُتَّقِينَ
نِلْتَ الـرِّيَاسَةَ وَالْعُلاَ ** يَا كَوْكَبًا فِي الْعَابِدِينَ
بِــكَ أَرْضُنَا تَتَبَخْتَرُ ** فَاقَتْ بِــلاَدَ الْمُشْرِكِينَ

يلاحظ محاولة الشاعر لاستخدام معيار الشعراء النيجيريين في وضع أفكار المدح، فقد مدح أمير المؤمنين خَلقيا وخُلقيا وأشار إلى بعض مناقبه وسماحاته وشمائله الحميدة ولطفه بالرعية بألفاظ مألوفة الاستعمال سلسة عذبة . يقول الشاعر عبد الله جاتو:

يأحسن الأملاك خلقا طيباٍ ** يأ أعدل الأمراء والحكام
خلق كضوء البدر أو كالروض أو ** كالماء أو كالزهر في الأكمام
ومناقب لولا المهابة والتقى ** قلنا مناقب منبع الأحكام
يارئد الإسلام يا علم الهدى ** زين المحافل مرتع الأيتام
أنتم بنوا المجد المؤثل والندى ** نعم السيادة منتهى الأيام

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وبالمقارنة بين ألفاظ الشاعرين في هذه القطعة يظهر أن ألفاظ عبد الله جاتو أجزل وعاطفته أقوى ومعانيه أوسع حيث يظهر أن أحمد صابر وصف الممدوح بأوصاف تتسم بالخصوصية، وصفه بكونه عمدة الإسلام، ورأس الملوك، ورئيس جمع المتقين، وكَوْكَبًا لِلْعَابِدِينَ، وبالنظر إلى هذه الأوصاف يتبين أنها أوصف محصورة لِمَن تخصه، وهو عمدة لدين الإسلام، ورأس للمتقين، و كوكب يضيء المتقين فقط. وفي نفس الوقت نجد جاتو يصفه بكلمات أوسع وأعمق حيث لم يكتف بمجرد الوصف العادي بل استعمل أفضل التفضيل يقول يا أحسن الأملاك، يا أعدل الأمراء، كما استخدم التشبيهات قصدا لتقريب الحقائق إلى الأوهام وتوضيحها بذكر مماثلها، قائلا خلق كضوء البدر أو كالروض أو كالماء أو كالزهر في الأكمام وقد مثلت هذه التشبيهات دورا كبيرا في توضيح أوصف الممدوح وكَوَّنت نجاحا باهرا في ترسيخ معاني المدح في قلوب المستمعين، وإذا رجعنا مرة ثانية لنوازن جزالة ألفاظ الشاعرين وعمق معانيها نجد أن عبد الله جاتو أكثر ألفاظا وأجزل معنىً حيث يختار ألفاظا أدق لمعني المقصود وأكثر عمقا، فالشاعر أحمد صابر وصف الممدوح بأنه عمدة الإسلام، بينما وصفه جاتو برائد الإسلام، فلفظة الرائد أبلغ من عمدة لأن كل رائد له أعمدته، فالشاعر أحمد صابر يقول رَأْسُ الْمُلُوكِ، وجاتو يقول : يا أحسن الأملاك، فأحمد صابر بالغ في وصف ممدوحه وقال هو رأس الملوك وهذا وصف جيد لأن رأس الملوك معناه رئيسهم إلا أن الرئيس قد يكون مسلوب الإرادة وقد يكون ضعيف الرأي، وجاتو مد صوته بالنداء ووظف أفضل التفضيل ليفضل ممدوحه عن جميع الملوك واختار لفظ الملك بدل من الرئيس لأن كلمة الملك أعز من كلمة الرئيس، فالشاعر أحمد صابر،قال يَا كَوْكَبًا فِي الْعَابِدِينَ،وجاتو يقول : خلق كضوء البدر أو كالروض أو كالماء أو كالزهر، وصف صابر ممدوحه بالكوكب في الضياء أنه يضيع للمتقين مهيع رشادهم، وجاتو وصفه بالبدر وشتان بين الكوكب والبدر .

الخيال

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وأما من ناحية الخيال فإن الشاعر جاتو يفوق صاحبه في التصوير وقد جسد المعنويات أكثر منه، حيث استعمل أنواعا من التشبيهات والاستعارات ليصور صفات ممدوحه ومن حسن تصويره قوله:

خلق كضوء البدر أو كالروض أو ** كالماء أو كالزهر في الأكمام

ظهرت هذه الصورة واضحة وضوح الشمس حيث شبه خلق أمير المؤمنين بالبدر من حيث الضوء، وبالروض حيث الجود، وبالماء حيث النفع، وبالزهر في الجمال والبهجة، وكأنه يقول حلقه ظاهرة لا ينافق، وكالروض لا يبخل، وكالماء ليس بقاسي، وكالزهر حسنا وجمالا، وإيجاد مثل هذه الصورة الخيالة المليئة بالتشبيهات الرائعة دليل على مواهب الشاعر في الإبداع

وبالعودة إلى الشاعر أحمد الصابر نجد أنه خيل مثل هذه الصور قائلا :

نِلْتَ الـرِّيَاسَةَ وَالْعُلاَ ** يَا كَوْكَبًا فِي الْعَابِدِينَ
بِـكَ أَرْضُنَا تَتَبَخْتَرُ ** فَاقَتْ بِـلاَدَ الْمُشْرِكِينَ

شبه صابر الممدوح بالكوكب ضياء ورفعة، الصورة التى تنعكس للسامع أو القارئ هيبة الممدح ورفعة قدره، وجسد الأرض على صورة إنسان يتطيب بالبخور زينة وتجملا، ويراد به اهتزاز الأرض وافتخارها على سبيل المجاز، وبالمقارنة على ما قاله جاتو تضل به القطاة في الصحراء ،شبه جاتو خلقه بالبدر وبالروض وبالماء وبالزهر، وما الكوكب بالمقارنة مع البدر؟ وكذا مهما تزين الأرض وتعطرت بالبخور لاتساوي روضة الغناء، يجري مائها حول شاطئ المزخرفة ببدائع ألوان الأزهار الخُضرة الناضرة، ومثل هذه الصورة الرائعة يعبر عنها النقاد بالصورة المحسوسة [٢٨] أو الصورة المرئية [٢٩] وعلى كل حال ظهر إن جاتو في هذا النص يفوق صابر صورة وخيالا.

العاطفة

وإذا استقينا الحالات الانفعالية للشاعرين نجد عاطفتهما قوية وشعورهما متقارب في مدح أمير المؤمنين حيث تظهر انفعالاتهما مفسرة لأحاسيسهما ومترجمة لحالاتهما الداخلية يقول جاتو:

يأحسن الأملاك خلقا طيباٍ ** يأ أعدل الأمراء والحكام

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

خلق كضوء البدر أو كالروض أو ** كالماء أو كالزهر في الأكمام
ومناقب لولا المهابة والتقى ** قلنا مناقب منبع الأحكام
يارئد الإسلام يا علم الهدى ** زين المحافل مرتع الأيتام
أنتم بنوا المجد المؤثل والندى ** نعم السيادة منتهى الأيام

إن التعبيرات التي استخدمها الشاعر في هذا المقطع شاهدة على انهياج عاطفته الصادقة حيث وصف أمير المؤمنين بصفات الشرف والعدل والضوء والإشراق واللطفة والسيادة مناديا مرة بأحسن الأملاك، يأ أعدل الأمراء، مخبرا ومصورا أخرى، خلق كضوء البدر، أو كالروض،أوكالماء،أو كالزهر، في الأكمام، مستعملا صيغ التفضيل" أحسن" "أعدل" ومثل هذا النبض الوجدني يخرج من أعماق روح الحب الحقيقي الذي يكنزه ضمير الشاعر وقوله:"نعم السيادة منتهى الأيام"يكفي اشعار إخلاصه نحو ممدوحه كما يفهم كيف دفعته تلك العاطفته إلى أن ينفعل مستمرا صادقا مخلصا في التعبير.

ونجد مثل هذه العاطفة تماما عند الصابر حيث يقول:

فَـخْرًا لَنَا لِمَجِيئِكَ ** يَـا عُمْـدَةً لِلْمُسْلِمِـينَ
رَأْسُ الْمُلُوكِ أَبُـوبَكَرٍ ** وَرَئِيـسُ جَمْعُ الْمُتَّقِينَ
نِلْتَ الـرِّيَاسَةَ وَالْعُلاَ ** يَا كَوْكَبًا فِي الْعَابِدِينَ
بِـكَ أَرْضُنَا تَتَبَخْتَرُ ** فَاقَتْ بِـلاَدَ الْمُشْرِكِينَ

لم تقل عاطفة صابر عن صاحبه في هذا المقطع حيث أنه أظهر اشتياقه وحبه للأمير المؤمنين، وذكر افتخاره به وبيَّن أوصافه وصور أخلاقه، قائلا: ياعمدة الإسلام،رئيس جمع المتقين ،ياكوكب العابدين، بك أرضنا تتبخر، هذه الألفاظ توحى بدلالاتها إلى شعور داخلي الذي يكمنه نفس الشاعر ويظهر صدق عاطفته في الممدوح، أضف إلى ذلك أنه قال هذه الألفاظ مناديا بأعلى صوته مستخدما "يا النداية " التى تستخدم للنداء البعيد وذلك يومئ إلى مدى تعظيمه للممدوح وكل هذا وذاك يدل على صدق عاطفة الصابر في الإبداع والقارئ لهذه القصيدة

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

يدرك أن هذه العاطفة استمرت بصدقها إلى نهاية القصيدة ممايدل على أنها خرجت من عاطفة صادقة ومستمرة غير زائفة ولا مصطنعة.

الموسيقى

أ - الوزن :

وُفق الشاعران في اختيار البحر المناسب لمعاني المدح و النشر والسعة إذ الكامل يعتبر من أرحب البحور وأطلقها عنانا في استيعاب المعاني والأفكار الواسعة ويمتاز بالرصانة والجلال في النغمة، والمدح يحتاج إلى البحور الكاملة ليصب الشاعر فيها صفات ممدوحه وأشواقه وحنانه و يتسعه في إبراز مكنونه من وزن ذي إيقاع صوتي رنان ونغمات موسيقية تثير العاطفة وتحرك الوجدان، إلا أن الملاحظ أن أحمد الصابر استخدم الكامل مجزوء ولم يستعمله تام يقول :

أَهْلاً وَسَهْلا مَرْحَبا ** بِكَ يَا أَمِيرَ لْمُؤْمِنِينَ

أَهْلن وَسَهْ\لن مَرْحَبَّن ** بِكَ يَا أَمِي\ رَ لْمُؤْمِنِينَ

متْفاعلن \ متْفاعلن ** مُتَفاعلن \ متْفاعلتن

يلاحظ عروضته صحيحة وضربه أيضا صحيح، كما يلاحظ أنه حدث الإضمار في أكثر تفاعيله.

وجاتو استخدم الكامل تام يقول:

أهلا أمير المؤمنين ومرحبا ** بأبي البرايا قائد الإسلام

أهلن أمي \رلمؤمني\ نومرحبن ** بأبل برا \ يا قا ئدل\ إسلامي

متْفا علن\متفاعلن\متفاعلن\ ** متفاعلن\ متْفاعلن\متْفاعل

ويلاحظ عروضته صحيحة وضربه مقطوع مضمر، كما يلاحظ أنه حدث الإضمار في أكثر تفاعيله، وقد أصاب الشاعران في اختارهما بحر الكامل في المدح، لأن المدح من الموضوعات التي تحتاج إلى البحور الكاملة طويلة الأوزان ليصبا فيها صفات ممدوحهما وأشواقهما وحنانهما و يتسعهما في إبراز مكنونهما لما ينطوي إليه من وزن ذي إيقاع صوتي رنان ونغمات موسيقية تثير العواطف وتحرك الوجدان،ولذا استخدامه تام أنسب من استعماله مجزو لأن معاني المدح تحتاج إلى طول التنفس وناسب أن يستخدم تام.[٣٢]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ب - القافية:

استخدم كل من الشاعرين قافية مطلقة مردوفة موصولة بمد اختار الشاعر أحمد صابر حرف النون رويا ليختم به قافيته، وهو حرف مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة والقوة والضعف مستفل منفتح مذلق أغن مرقق وهي أمكن في الغنة من الميم لقربها من الخيشوم[٣٣]وقد وفق في اختيار الروي حيث يكون أنسب في المدح من بقية الحروف، وقد أثبت الدراسات الصوتية الحديثة أن النون من أحسن الحروف جمالا و رونقا.

واختار جاتو حرف الميم وهو حرف مجهور بين الشدة والرخاوة مستفل منفتح مذلق أغن متوسط مرقق[٣٤]وهو أيضا مناسب وإن كان دون النون في الرقة والنغمة .

وكلا الحرفين مناسبين في آداء صوت مناسب لمعني المدح إلا أن النون أرق وأغن من الميم في إيصال معنى الرحمة وفي إيثار رنين لقربه من الخيشوم أضف إلى ذلك أن جاتو واصل الروي بالياء،بينما واصله الشاعر صابر بألف، وهو حرف مجهور رخو منفتح مستفل مصمت مدي معتل مرقق متوسط، ومده أطول من المد بياء إلا أن جاتو أردف الروي ألفا، وصابر أردفه ياء، والياء أحسن من الألف.[٣٥]

الموسيقى الداخلية

وفي جانب الموسيقى الداخلية موسيقى العواطف والمشاعر التى توحى بأجراس الرنين المتناسبة فإن الشاعرين، يمتلكان قدرة موسيقية متنوعة استطاعا بها أن يستخدما ألفاظا موحية بدلالات ذات معان عميقة تستثير الوجدان وتريح النفوس، يقول أحمد الصابر :

أَهْلاً وَسَهْلاً مَرْحَبًا ** بِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
فَخْرًا لَنَا لِمَجِيئِكَ ** يَا عُمْدَةً لِلْمُسْلِمِينَ
نِلْتَ الرِّيَاسَةَ وَالْعُلاَ ** يَا كَوْكَبًا فِي الْعَابِدِينَ
يَا مَعْشَرَ الْإِسْلاَمِ كُلّ ** لُ الْحَاضِرِينَ وَغَائِبِينَ

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

إنَّ ترديد اللفظ يحمل معنىً معيناً في سياق النظم ؛ لإيصال قوة النغم الإيقاعي إلى السامع فتكرار "يا" النداءية في هذه القطعة، يا أمير، يا عمدة ،يا كوكب ،يا معشر يمنح للنص حلاة موسيقية ويحقق نغمات موسيقية تلتذ نفس السامع بها لما فيها من إيقاعات ترتاح بها النفس عند الإصغاء.أضف إلى ذلك الطباق الايجابي بين رياسة والعبادة وبين الحاضرين والغائبين، ومثل هذه الموسيقى تمنح للنص طلاوة ورطانة.

و مثل هذه الظاهرة-عند الشاعر عبد الله جاتو قوله:

يأحسن الأملاك خلقا طيباٍ ** يأ أعدل الأمراء والحكام
خلق كضوء البدر أو كالروض أو ** كالماء أو كالزهر في الأكمام
ومناقب لولا المهابة والتقى ** قلنا مناقب منبع الأحكام
يارئد الإسلام يا علم الهدى ** زين المحافل مرتع الأيتام

وهذه القطعة لم تقل عن سابقتها عند الصابر من حيث الصوت والرنين لتكرار الياء النداءية وتوالي الفواصل "يا أحسن،يا أعدل، يا رائد، يا علم،" كما يلاحظ توافق الفواصل في قوله: "يارئد الإسلام، يا علم الهدى، زين المحافل مرتع الأيتام،" ونجد تجانس الكلمات وتتابع الأجراس في قوله: خلق كضوء البدر، أو كالروض، أو كالماء، أو كالزهر، في الأكمام"، وهكذا ظهر في تكوين الحروف الصوتية المتنوعة بين الهمس والجهر والشدة والرخاوة وبين توالى حروف العطف والتشبيهات التي تكسب النص إيقاعا هدئا.

و خلاصة القول يكاد الشاعران يتفقان في استعمال الكلمات ذات إيقاع رنان ونغمات موسيقي مطرب.

الخاتمة:

تناولت المقالة في الصفحات السالفة مقارنة بين الشاعرين البارعين من شعراء القرن العشرين وهما أحمد الصابر، وعبد الله جاتو، من خلال قصيدتيهما في مدح أمير المؤمنين أبي بكر الثالث

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

والقصيدة الأولى على مجزوء الكامل وتقع في إحدى عشرة بيتا والثانية في تام الكامل وتقع في اثنتين وعشرين بيتا ومن خلال هذه الدراسة استنتج الباحثان النتائج التالية:

- إن الشاعرين من شعراء المحليين وقد عاشا في عصر واحد وبيئة واحدة إلا أن الصابر يكبر جاتو بسبع سنوات إذ أنه من مواليد ١٩٣٩ وجاتو من مواليد ١٩٤٦.
- إن القصيدتين مدحيتين قيلتا في مدح أمير المؤمنيين أبي بكر الثالث، الأولى نونية، والثانية ميمية.
- كِلا الشاعرين يتمتعان بقريض شعري ممتاز لفظا ومعنا ووزنا.إلا أن جاتو يفوق صاحبه صورة وخيالا.

- تبين أنّ أدب نيجيري، له آثاره ومكانته ومميزاته كما تبين أنّ الشاعر النيجيري متأثر بالشعر العربي تأثيرا بينا، من حيث الشكل والمضمون .

الهوامش والمراجع

[١] الأصفهاني، أبو الفرج **الأغاني**،دار الفكر، بيروت الطبعة الثانية بدون ذكر التاريخ،،ص:١٢٨.

[٢] الأصفهاني،أبو الفرج، المرجع السابق ، نفس الصفحة.

[٣] الجمحي،محمد بن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق محمود محمد شاكر،دار المدني – جدة بدون ذكر التاريخ،ص:٥٨.

[٤] القيرواني، ابن رشيق، **العمدة في محاسن الشعر وآدابها**، نسخة إلكترونية موقعها http://www.alwarraq.com ص:٢٩٦.

[٥] أويس إبراهيم، **ديوان المرحوم أحمد صابر جمعا وتحقيقا**،بحث مقدم إلى قسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية عام ٢٠١١ ص: ١٥

[٦] - أويس إبراهيم، **ديوان المرحوم أحمد صابر جمعا**،**وتحقيقا**، المرجع السابق، نفس الصفحة .

[٧] -أويس إبراهيم ، المرجع السابق، ص:٢٠

[٨] - المرجع السابق، ص: ٢٥

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

[٩] - محمد حبيب محمد، "الأستاذ الدكتور" **شخصية المرحوم أحمد صابر وبعض إنتاجاته الشعرية"**، مقالة مقدمة إلى الندوة حول الأدب الإسلامي، إلورن، ولاية كوارا نيجيريا، ص:٦

[١٠] محمد حبيب محمد، المرجع السابق، مع التصرف، ص:٧

[١١]- أويس إبراهيم، **ديوان المرحوم أحمد صابر جمعا وتحقيقا**، المرجع السابق، ص: ٣٥

[١٢] لقِّبَ بِجَاتَو لصفرة جسمه.

[١٣] ناصر أحمد صكتو، "الدكتور"مقابلة مع الأستاذ عيسى الطاهر ،مدير مدرسة معهد العلم التنظزامية الإسلامية, بداره, بتاريخ ٢٠٠٢/٥/٢٣م.

[١٤] محسن علي, ***فن الرثاء عند عبد الله جاتو***, بحث مقدم لنيل شهادة الليسانس فى اللغة العربية، بجامعة عثمان بن فودى صكتو ٢٠٠٦م. ص: ١٨

[١٥] ابن منظور، الأفريقي المصري، محمد بن مكرم **لسان العرب** الجزء الثاني عشرة، الطبعة الأولى، دار صادر – بيروت، بدون ذكر التاريخ،ص: ٤٤٦

[١٦] سورة الأنبياء الأية:٤٧

[١٧] سورة الأعراف الأية: ٨

[١٨] سورة القارعة الأية : ٨

[١٩] الأفريقي المصري، محمد بن مكرم بن منظور،المرجع السابق، ص:١٦٧.

[٢٠] إبراهيم مصطفى وآخرون **"المعجم الوسيط"** تحقيق مجمع اللغة العربية القاهرة، دار الدعوة، بدون ذكر التاريخ، ص :١٠٣٠

[٢١] الأصفهاني أبو الفرج، المرجع السابق، ص: ٧٥

[٢٢] الأصفهاني أبو الفرج، المرجع السابق، ص:٨٩ .

[٢٣] علي محمد حسن العماري، "الدكتور"، **التاريخ الأدبي للعصرين العثماني والحديث**،الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية ، ١٤٠٨ هـ/١٩٩٨ م ص: ١٧٨– ١٧٩

[٢٤] طه وادي ، "الدكتور" **شعر شوقي الغنائي والمسرحي**، الطبعة الثانية (دار المعارف ، ١٩٨١ م) ص: ٤٧ .

[٢٥] علي محمد حسن العماري،"الدكتور"،المرجع السابق، مع التصرف ص: ١٧٨

[٢٦] فائز طه عمر"الدكتور" وشركائه،**النقد الأدبي للصف السادس الأدبي**، الطبعة الخامسة، عام ٢٠١٥نسخة إلكترونية بشكل pdfموقعها www.manahj.edu.iq ص:١١

[٢٧] القيرواني، ابن رشيق، **العمدة في محاسن الشعروآدابها**، المرجع السابق، ص : ١١٢

[٢٨] سيد القطب ، **النقد الأدبي أصوله ومناهجه** ،بيروت ، ص: ٨٧

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

[٢٩] أحمد أمين ، **النقد الأدبي** ،الطبعة،الخامسة، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ، ١٩٨٢ م ص: ٨٧

[٣٠] ابن الجني **كتاب العروض** ، المكتبة العصرية، الطبعة الثالثة سنة، ١٤٢٢هـ ص: ٩١

[٣١] ابن الجني، **كتاب العروض** ، المرجع السابق ص: ٩١

[٣٢] مأمون عبد الحلييم وجيه "الدكتور"**العروض والقافية**، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع الطبعة الأولى،١٤٢٨ص: ٩٧

[٣٣] أبو الحسن، علي بن محمد بن سالم النوري الصفاقسي، **تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين** المكتبة الشاملة الإصدار الثالث، ص: ٢٩

[٣٤] أبو الحسن النوري الصفاقسي، علي بن محمد بن سالم،المرجع السابق،ص:٤٥

[٣٥] أبو الحسن النوري الصفاقسي، علي بن محمد بن سالم، ص: ٤٠

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الرثاء في رائية الوزير سمبو ولي جنيد: دراسة وتحليل

إعداد:
الدكتور: أويس إبراهيم
قسم اللغات، كلية القانون والدراسات الإسلامية صكتو

والدكتور: محمد أمين إبراهيم
كلية أَسَادَا الإعدادية صكتو

المقدمة:

الحمد لله الذي يرث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، الذي كتب على عباده الفناء، واستأثر بالبقاء، وصلى الله على محمد عبده ورسوله، وعلى آله الطيبين الأخيار وسلم تسليما كثيراً. أما بعد: فهذه المقالة عبارة عن الرثاء لدى الشاعر سمبو ولي جنيد، مع دراسة رائيته في رثاء والده الدكتور الوزير جنيد، دراسة أدبية تحليلية. وتحتوي المقالة على النقاط التالية:

- التعريف بالشاعر سمبو ولي جنيد
- فن الرثاء لدى الشاعر سمبو جنيد
- دراسة تحليلية لرائيته في فن الرثاء
- ثم الخاتمة يعقبها الهوامش والمراجع.

التعريف بالوزير سمبو ولي جنيد

نسبه ونشأته وتعلمه:

هو محمد سمبو ولي بن الدكتور الوزير جنيد بن الوزير محمد البخاري، ولد بحارة غطاطاوا في مدينة صكتو، عام ١٩٤٧م، وهذا قبل تولية والده الوزارة بأشهر، وتمت التولية سنة ١٩٤٨م.[١] نشأ محمد سمبو ولي جنيد في حجر والديه بين أسرته في بيت الوزارة وهو بيت علم وثقافة

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وسيادة، وتربى على يد والده خير تربية، بدأ تعلمه بالقرآن الكريم، ومبادئ العلوم الدينية بمدرسة المعلم إبراهيم بن محمد بشر غطاطاوا، ثم شرع يتعلم بعض الكتب النحوية الأساسية كالأجرومية وملحة الإعراب عند زميله الأستاذ الأديب عبد الله جاتو غطاطاوا[٢]وما زال ينتقل من أستاذ إلى آخر طالبا ومستفيدا من أجلة العلماء والأئمة والمثقفين في مدينة صكتو، حتى استقر لدى الشيخ عثمان نليمن الذي درس عنده كتبا في النحو كالفريدة للإمام السيوطي والفية ابن مالك وغيرها.[٣]

بعد بلوغه عشر سنوات من عمره انتقل إلى المدارس الحديثة. فالتحق أولا بالمدرسة الابتدائية لمغاجن رافي صكتو سنة ١٩٥٧م. وتخرج منها سنة ١٩٦٣م. واتصل بكلية الصّناعية بفَرْفَرُ صكتو، وقضى فيها سنة واحدة من ١٩٦٣ – ١٩٦٤م، ثم تحوّل إلى كلّيّة معلمي اللغة العربية بصكتو، ودرس فيها الدروس الثانوية خلال ١٩٦٤– ١٩٦٨م. وحصل على شهادة الدرجة الثّانية للمعلّمين.[٤] ثم واصل دراسته بكلّيّة المعلمين التابعة لجامعة أحمد بلّو بزاريا، وتخرج فيها متحصلا على الشهادة النيجيرية في التّربية واللغة العربية والإنجليزية سنة ١٩٧٢م [٥]

تعليمه ونشاطاته:

لما حصل الشاعر على الشهادة النيجيرية في التربية رجع إلى بلده صكتو، وعُيّن مدرسا، حيث عمل لمدّة وجيزة. ثم انتقل إلى كلّية عبد الله بايرو كنو فرع جامعة أحمد بلّو زاريا آنذاك، فدرس فيها الدروس الجامعية في التّربية ولغتي العربية والإنجليزية، حيث نال فيها شهادة الليسانس بدرجة جيد، سنة ١٩٧٥م وبعد انتهائه من خدمة الوطن ورجوعه إلى بلده، أدرك أن جامعة صكتو أنشأت عام ١٩٧٥م فالتحق بها مدرسا في القسم العربي عام ١٩٧٧م وبعد أشهر معدودة أوفدته الجامعة إلى جامعة الخرطوم بالسّودان لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، وذلك في عام ١٩٧٧-١٩٧٩م.

ولما عاد إلى نيجيريا، واصل نشاطاته الأكادمية بجامعة صكتو من بحث وتدريس وتثقيف في القسم العربي.[٦]وفي سنة ١٩٨١م، التحق بمعهد الدّراسات الشّرقيّة والإفريقية، بجامعة لندن للحصول

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

على شهادة الدكتوراه، فتخرّج في سنة ١٩٨٥م حاملا شهادة الدكتوراة في الأدب العربي.[٧]ولم يزل الأستاذ الدكتور سمبو جنيد واصلا وظيفته ونشاطاته الأكادمية بجامعة عثمان بن فودي صكتو، من بحث وتدريس وتثقيف في القسم العربي إلى اليوم.

وقد تولى كذلك مناصب مختلفة الأكاديمية وغيرها وشارك في كثير من الخدمات العامة والخاصة كرئيس أوعضو لعديد من اللجان والمؤتمرات العالمية، والمؤسسات الوطنية.

انتاجاته العلمية والأدبية

كان الأستاذ الدكتور سمبو ولي جنيد باحثا وكاتبا أديبا، وقد جاد على المكتبة العربية والإسلامية بإنتاجات غزيرة وإسهامات سخية متنوعة نثرا وشعرا في لغات مختلفة. ومن مؤلفاته:

١- فن المديح في مدينة صكتو بناؤه وأسلوبه بين ١٨٠٤- ١٩٦٠م. كتاب مطبوع ومنشور سنة: ٢٠٠١م.

٢- من نوابغ الشعر العربي النيجيري، الوزير عبد القادر مشطو. مطبوع ومنشور. عام: ٢٠٠٠م.

٣- الرحلة المباركة إلى أرض الله المطهّرة، طبع ونشر، عام: ٢٠٠٢م.

٤- نزهة المغترب من قرى المغرب، والكتاب مطبوع، سنة ٢٠٠٣م.

٥- المرمى في الرحلة إلى الجماهيرية العظمى والسول في جمهورية مالي. والكتاب طبع ونشر، سنة: ٢٠٠٨م.

الرثاء لدى الشاعر سمبو جنيد:

إن الرثاء كما عرفه الأدباء هو مدح الموتى وتعداد مناقبهم وآثارهم والتفجع على فقدهم،[٨]وهو غرض من الأغراض الشعرية القديمة والحديثة. وأما الرثاء في الشعر العربي النيجيري، فقد ظهر كما ظهر في الأدب العربي الإسلامي، إذ كان الشعراء يسيرون على نفس الدرب التقليدي في رثائهم، يذكرون الموت وغدره ويذمون الدنيا وغرورها ويشيرون إلى محاسن الميت، يصفونه بالعلم والتقوى وبالكرم والشجاعة وغير ذلك من الأوصاف.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

والظاهر أن الرثاء في نيجيريا في القرن التاسع عشر، والعشرين، والحادي والعشرين، كان أكثر من المدح، فلا يتوفى عالم أو أمير مشهور إلا أطلق الشعراء ألسنتهم، ونظموا قصائد ومقطوعات يرثون بها الميت[٩]

وأما فن الرثاء عند الشاعر سمبو جنيد فقد تناوله وقال فيه قصائد، ولكن الباحث لم يحصل إلا على ثلاث مراث، منها، الأولى ينعى بها والده الدكتور الوزير جنيد الشخصية الورعة الفذة، وتقع القصيدة في ثلاثة وثلاثين بيتا. يقول في مطلعها:

يا عين جودي منك بالمدرار * ننعى به ابن الوزير بخاري
ذاك الوزير جنيد أوحد عصره * بحر العلوم بزبده الزخار

والثانية رثي بها زوجه المتوفى السيدة فاطمة الزهراء، في تسعة عشرة بيتا فقال في مطلعها:

إني أقدر لـوعتي وسهـــادي * فـقـد الحبيبة زوجتي الزهراء
ولقد أثارت مـا أكن من الجوى* سالت غروبي وانزوت زرقاء

والثالثة رائية في إحدى وعشرين بيتا قرضها لذكرى حبيبه وأستاذه الأديب عبد الله جاتو غطاطاوا، يقول فيها:

إلى الله رب العرش أشكو مصيبتي * لفقد الحبيب صاحب الفضل والخير
وذلك عبد الله جاتو فقدتـــــه * كـأني وجـاتو تـوأمـان كمـا أدري

وكان الشاعر سمبو يسير في مراثيه على نفس الدرب التقليدي الإسلامي يذكر الموت وغدره ويذم الدنيا وغرورها، ويشير كذلك إلى محاسن الميت، ويستعمل المعاني الصادقة لا مبالغة فيها ولا ادعاء.

ومن مميزات الرثاء لدى الشاعر سمبو جنيد:

١- الرثاء على الزوج، وهو من نوادر الرثاء في دواوين الشعراء القدامى والمعاصرين، كما أشار ابن الرشيق بقوله: "أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلاً أو امرأة؛ لضيق الكلام عليه فيهما، وقلة الصفات.[١٠]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٢- كون أغلب مراثيه يقرضها بعد أن هدئت نفسه واستقرت باليأس، وألجأ الأمر إلى الله، ومثال ذلك مرثيته في ذكرى أستاذه الشاعر عبد الله جاتو، قرضها بعد مضي عشر سنين بوفاته، وكذلك رثاؤه على زوجه الراحلة (السيدة فاطمة) نظمها إبان زيارة ضريحها يوم ٥-١١ – ٢٠١٤م وذلك بعد أربع سنوات بوفاتها.

دراسة تحليلية لرائيته في رثاء والده الوزير جنيد

نص القصيدة:

يا عين جودي منك بالمدرار * ننعى به ابن الوزير بخاري
ذاك الوزير جنيد أوحد عصره * بحر العلوم بزبده الزخار
ينسيك مسبل ودقه في صوبه * بفنونه وبيانه الكرار
لا ينثني[١] إن جاد في تفسيره * كلمات علم الضاد فيض جار
حفظ الشروح[٢] ومتنها فكأنه * يوحى إليه لطائف الأنوار
وإذا تشرق في فنون النحو أو * علم العروض يموج كالتيار
يغنيك ثاقب فهمه عن غيره * ما غيره يغنيك في الأخبار
والدهر يأبى أن يجود بمثله * في الحلم والإحسان في الأقطار
غبر الزمان بسيبويه زمانه * وخليله في النحو والأشعار
لولاه ما التاريخ جار بذيله * خيلاء في الأزمان والأمصار
إذ يضبط التاريخ ضبطا فائقا * طلاعه في الليل والأسحار
بكت اللغات عريفها علامها * فالضاد[٣] أو فلفلد[٤] من سيماري؟
في الزهد كان وحيده في عصره * ما مثله في ذا سوى الأخيار
خضعت له الدنيا بأرغد عيشها * فأطاحها بالصوم والأذكار
جمع الوزارة والعلوم نفيسها * يا واصل الأرحام بالقنطار
حمّال أثقال اليتامى ثابت * في جوده حضرا وفي الأسفار
ناهيك في التقوى ورقة قلبه * في حبه ولخصمه الأغمار
علامة الأنساب في تأليفه * نيل المآرب فاز بالأوطار

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

فن الحديث شروحه ومتونه * ثكلى لفقد أليفها بن بخاري
في الأدب موج زاخر من مثله * في هذه الأحقاب[١٥]والأعصار
مازال يتحفنا علوما دارسا * ومدرسا فزنا مدى الأعمار
ما كان يسئم في انتشار العلم إذ * حالاته التدريس طول نهار
بعد النهار مواصلا تدريسه * حتى يجن الليل بالأستار
واكربتاهْ فقد الجهابذ بيننا * يفنون والدنيا لدى الأشرار
وا واحتاهْ لأب مرب عالم * أيقنت أني صرت في الأخطار
مات الوزير وكل شيء هالك * يا رب ألحقه مع الأبرار
يارب نور قبره واغفر له * سكنه في الفردوس بالمختار
من سائلي عن كنه يوم وفاته * صبح الخميس حظيت باستذكار
في شيتز[١٦]رمضان أول يومه * فقد الوزير جرى قضاء الباري
والله يرحمه ويكرم ضيفه * وينيله الرضوان بالإبشار
ياسائلا عن صاحب الأبيات قل * هو سمبو من بيت الوزير بخاري
يارب صل على حبيبك مصطفى * ما ماجت الأرياح بالأمطار
وعلى صحابته الكرام أولي النهى * مع آله الشهداء والأطهار[١٧]

- **غرض القصيدة وموضوعها:**

الغرض من القصيدة الرثاء، قالها الشاعر سمبو جنيد يرثي بها والده الدكتور الوزير جنيد بن الوزير محمد البخاري. وتقع القصيدة في ثلاثة وثلاثين بيتا.

- **أفكار القصيدة:**

تدور هذه القصيدة حول عدد من الأفكار أهمها:

١- البكاء واستدرار الدموع:

استهل الشاعر قصيدته بمخاطبة نفسه واستنجاد عينه لتسكب وتنهمر وتسيل الدموع باكية لفقد علم من أعلام بلد صكتو وجهبذ من جهابذة أدباء القرن العشرين قائلا:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ياعين جودي منك بالمدرار * ننعي به ابن الوزير بخاري

٢- التعريف بالمرثى عليه وخصوصياته:

ثم انطلق الشاعر في الأبيات التالية في مستهل القصيدة بالتعريف بالمفقود وبعض خصوصيته التي خصه الله بها بين أفراد أسرته ومعاصريه بقوله:

ذاك الوزير جنيد أوحد عصره * بحر العلوم بزبده الزخار

إلى قوله:

حفظ الشروح ومتنها فكأنه * يوحى إليه لطائف الأنوار

- ذكر ثقافته العلمية وتفوقه فيها:

أردف الشاعر في الأبيات التالية بذكر ثقافة الوزير العلمية وتبحره في العلوم الدينية واللغوية وبالأخص العلوم الأدبية من نحو وصرف وبلاغة وعروض وتاريخ وغير ذلك ولهذا سماه بسيبويه زمانه في النحو وخليله في العروض والقافية بقوله:

وإذا تشرق في فنون النحو أو * علم العروض يموج كالتيار

إلى قوله:

لولاه ما التاريخ جار بذيله * خيلاء في الأزمان والأمصار

٣- التأبين :[١٨]

ثم شرع الشاعر في تأبين الميت كما جرى دأب الشعراء في الرثاء من ذكر مناقب موتاهم وتعداد محاسنهم الحميدة، وأغلبها مصبوغة بصبغة دينية من التقوى والعفة والوقار والصبر والأمانة وتحمل أثقال الناس وغير ذلك. وقال في ذلك:

والدهر يأبى أن يجود بمثله * في الحلم والإحسان في الأقطار

إلى قوله:

ناهيك في التقوى ورقة قلبه * في حبه ولخصمه الأغمار

٤- الندبة والتفجع واللوعة:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الشاعر قد بلغ به الحزن مبلغه فأظهر الأسى والتفجع بأنواعه من ندب، ونداء، وبكاء ووحشة، لفقد العباقرة أمثال هذا الراحل الأب الحنون المرب العالم المتفنن الذي بكت اللغات والفنون العلمية لفقده. فقال:

واكربتاه فقد الجهابذ بيننا * يفنون والدنيا لدى الأشرار
واوحشتاه لأب مرب عالم * أيقنت أني صرت في الأخطار

التعزي والدعاء للمفقود:

اختتم الشاعر قصيدته وهو يعزي أهل الفقيد وأقاربه والشعب النيجيري جميعا ويطالبهم بالتصبر، مبينا أن متوفاهم ليس أول من ذاق الموت بل ذاقها قبله خلق كثير واستدل بآية من القرآن الكريم. وأخيرا أكمل أبياته بالدعاء للمفقود مع ذكر تاريخ يوم وفاته (رحمه الله تعالى). قائلا:

مات الوزير وكل شيء هالك * يارب ألحقه مع الأبرار

إلى قوله:

في شيتز رمضان أول يومه * فقد الوزير جرى قضاء الباري

بناء القصيدة:

المطلع:

أبدع الشاعر ووفق في تصميم قصيدته حيث استهلها بمطلع رائع جذاب ينبئ ويوحي للقارئ أو السامع بغرضها ومضمونها فيعرف منها المنبع والمنصب بدون أن يقرأ جميع الأبيات، وهذا مطلعها:

ياعين جودي منك بالمدرار * ننعي به إبن الوزير بخاري

المقطع:

امتازت القصيدة بحسن المقطع، وذلك لأن الشاعر اختتمها بخاتمة حسنة طيبة فيها دعاء وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ناهجا في ذلك منهج شعراء الرثاء من المسلمين بقوله:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

والله يـرحمه ويكرم ضيفـــه * ويـنيله الـرضوان بالإبشار
يارب صل على حبيبك مصطفى * ما ماجت الأرياح بالأمطار
وعلى صحابته الكرام أولي النهى * مع آله الشهداء والأطهار

العاطفة والانفعال:

أما العاطفة السائدة في هذه القصيدة فإنها عاطفة حزن وتحسر لفقد والد حنون عزيز ذي مكانة اجتماعية ودينية وعلمية، فلذلك حين يرثيه يكون منفعلا بإحساس لامثيل له، ولأن وفاة الوالد يكون أشد وقعا على القلب، ولذا كان كثيرا ما يذرف الدموع ويظهر الحزن والتفجع الشديدين لفقده ، غير أنه يلاحظ منه الإلتزام بالتعاليم الإسلامية في رثائه وامتثال أوامر الله والرضا بقضائه وقدره.

- **الأسلوب:**

لما كان الأسلوب يعتبر وسيلة يؤدي بها الأديب معانيه ليبث للناس خوالج نفسه، صار أسلوب شاعرنا يتسم بالطرافة لكونه يجمع بين السهولة والجزالة، ويتجلى بسلاسة العبارة وعذوبة الموسيقى. ويمكن ملاحظة ذلك عند تتبع الألفاظ والتراكيب.

أ- صياغة الألفاظ:

أجاد الشاعر عند رسم قصيدته باختيار ألفاظ ذات ميزة حسنة وملائمة تقدر على وصف غزارة حزنه وألمه تجاه المفقود، مثل: النعي، والمدرار، والحزن، والدموع، والكرب، والبكاء، والأخطار، وما ضارعها من الألفاظ المعتبرة في الداهية. وكذلك لايكاد الباحث يجد في هذه القصيدة على طولها لفظا نابيًا أو مبتذلا أومستكرها وهذا يدل على ثروة لغوية تأثر بها الشاعر من قراءاته الأدبية، وثقافته اللغوية. وقد ساعده ذلك على انتقاء ألفاظه وتخيرها، حتى تعبر بجلاء عما يريد. ومن ذلك قوله:

حمال أثقال اليتامى ثابت * في جوده حضرا وفي الأسفار

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

اختار الشاعر هنا لفظة (حمّال) التي تدل على المبالغة على غيرها للدلالة على كثرة تحمل أثقال الناس. وهكذا... فكل لفظ من ألفاظ القصيدة دال على معناه، وملائم لمقارنه من الألفاظ. ولا يستثنى من ذلك إلا القليل النادر من الألفاظ.

ب- صياغة التراكيب والجمل:

تبدوا تراكيب القصيدة سليمة في جملتها من عيوب اللغة وأخطاء الإعراب بقدر الإمكان، وذلك لأن الشاعر أحسن في صياغة الجمل حيث أنشأ تراكيب سهلة ومرنة ومثيرة للعاطفة، ليسهل للعامة والخاصة المسايرة معه في تناول القصيدة. وكانت تعابيره كلها بسيطة لا تعقيد فيها، وغالبا يستعمل الجملة الاسمية الدالة على الإثبات والتأكيد أو الفعلية الدالة على الحدوث والاستمرار في بيان صفات ممدوحه، كقوله:

علامة الأنساب في تأليفه * نيل المآرب فاز بالأوطار
حمال أثقال اليتامى ثابت * في جوده حضرا وفي الأسفار
والدهر يأبى أن يجود بمثله * في الحلم والإحسان في الأقطار

- **الصور البلاغية**

ومن الصور البيانية التي استخدمها الشاعر في القصيدة ما يلي:

التشبيه المؤكَّد: وهو التشبيه الذي لم تُذْكَرْ فيه أداةٌ من أدوات التشبيه. ومنه: قول الشاعر:

ذاك الوزير جنيد أوحد عصره * بحر العلوم بزبده الزخار
غبر الزمان بسيبويه زمانه * وخليله في النحو والأشعار

أورد الشاعر في هذين البيتين التشبيه المؤكد في قوله: (بحر العلوم) و(سيبويه زمانه في النحو، وخليله في النحو)، استعان الشاعر بهذا التشبيه ليظهر رفعة قدر الوزير في العلم وتفننه فيه، ولذلك شبهه بالبحر في السعة وارتفاع الأمواج والزبد. وكذلك شبهه بسيبويه، لتبحره في فن النحو، وبالخليل في تفوقه في علم العروض. وهذا من أرقى أنواع التشبيه أثرا في نفس السامع.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الاستعارة: وهي مما أجاد فيها الشاعر، لما أراد أن يصف تفنن ممدوحه في العلوم والقيام بنشرها للطلبة، قال:

ينسيك مسبل ودقه في صوبه * بفنونه وبيانه الكرار

ويلمس في هذا البيت مجازان لغويان هما (مسبل ودقه) و(صوبه) إذ أن كليهما لم يستعملا في معناهما الحقيقي الذي وضع له، بل استعير لعلاقة المشابهة بين المعنيين، ليدل على غزارة علم المفقود وكثرة تعليمه للطلبة ونشره عن طريق التأليف والتصنيف. ومن الصور المعنوية التي استخدمها الشاعر في قصيدته:

النداء: وهو من أساليب الانشاء الطلبي، والغرض منه طلب الإقبال بحرف ناب مناب (أدعوا).[٢١]
وقد ورد في قوله:

جمع الوزارة والعلوم نفيسها * يا واصل الأرحام بالقنطار

والملاحظ في هذا النداء أن الشاعر أقبل على الميت يناديه ويذكر بعض خصاله الفاضلة، لا لطلب الإقبال، بل للتوجع والتحسر لفقده. فاستعمل أداة (يا) وهي أكثر أحرف النداء استعمالا.، وهي لكلّ مُنادًى، قريباً كان، أو بعيداً، أو مُتوسطاً. ولكن الشاعر استعملها هنا، لينبئ بسمو منزلة الفقيد، وليعبر عن حضوره في قلبه واستقراره في فؤاده، ولقول العلماء: "والعالمون وإن ماتوا فأحياء".

التصريع:

ومن أهم الأدوات الفنية المحققة للموسيقى الداخلية (التصريع) وهو أن يجعل الشاعر أعاريض أبياته مقفاة على نظير أضربها في الحركات والسكنات والحروف وترتيبها. وكثيرا ما يلازم الشاعر سمبو التصريع في مطالع قصائده فقط كما أوقع ذلك في مطلع هذه القصيدة بقوله:

يَا عَيْنُ جُودِي مِنْكِ بِالْمِدرَارِ * نَنْعَى بِهِ اِبْنَ الْوَزِيرِ بُخَارِي

فالنكتة الملموسة عن التصريع في البيت السابق، أنه أحدث فيه نغماً موسيقياً يثير النفس، وتطرب إليه الآذان لأنه جاء من غير تكلف، وأنه نبه القارئ إلى قافية القصيدة قبل كمال البيت

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الأول منها، وفيه أيضا دلالة على سعة قدرة الشاعر في أفانين الكلام، والتزامه بسنن الشعراء القدامى ممن يتوخون دقة التنظيم، وصفاء التنغيم كما أشار إلى ذلك الفروفيسور عبد الباقي أغاكا[١]

- **الموسيقى الداخلية:**

فهي متعلقة بما يتكون منه البيت الشعري من حروف وحركات وكلمات ومقاطع يعمد الشاعر إلى خلقها باعتماد أساليب وأشكال متعددة اعتمادا على موهبته وخبرته ومهارته وذوقه الموسيقي واللغوي[٢٣]

وهذه الموسيقى تتمثل في المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية، من جناس، وسجع، ومقابلة، وترتيب الكلمات وتخيرها، وكل ما من شأنه أن يعين على تجويد البنية والرنين في أبيات الشعر. ومما يساهم في الإيقاع الداخلي وإحداث التناغم الموسيقي وأثره الخفي في المعنى، الطباق: وهو الجمع بين الشيء وضده في الشعر أو النثر.[٢٤]

ومن لطائف الطباق في القصيدة قوله:.

حمال أثقال اليتامى ثابت * في جوده حضرا وفي الأسفار
فن الحديث شروحه ومتونه * ثكلى لفقد أليفها بن بخاري

يلاحظ في البيتين السابقين أن الشاعر طابق بين الكلمتين (حضرا، وفي الأسفار). وبين (شروحه، ومتونه) وهذه العبارات جمعت بين الأمور المتضادة، أتى بها هنا ليعلم سامعه وقارئه هذه الصفات التي اتصف بها ممدوحه، وأنها لازمة له في جميع أحواله، ولأن في جمع الضدين معنى لطيف ومغزى تطرب إليه الأذن، وبالأخص مثل هذه التي نتوقع أنها أتت من الشاعر عفوا بلا تكلف.

---

[١] – أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي، ص: ٢٧٢

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ومن المحسنات المعنوية البديعية أيضا اللف والنشر:[٢٥]وتكمن بلاغته في أنه يهيئ النفوس، ويعدها لتلقي ما يذكر بعد من النشر العائد إلى اللف، فإذا ما ذكر النشر بعدئذ وقع في النفوس موقعه، وتمت الفائدة أحسن تمام، وتحقق الغرض أبلغ تحقيق.[٢٦]

ويلاحظ اللف والنشر في مثل قوله:

غبر الزمان بسيبويه زمانه * وخليله في النحو والأشعار،

الشاعر أراد أن يشير إلى تبحر مفقوده في النحو والشعر، فشبهه بسيبويه في النحو، وبالخليل الفراهيدي في علم الشعر، فعبر بذلك عن طريق اللف والنشر المرتب، وهو الأفضل والأروع والأبدع من بين أنواعه كما أشار البلاغيون[٢٧]والنكتة الملموسة فيه هي التوازي الذي حققه، حيث كل لفظة تأتي بموازة اللفظة التي تدل عليها، فالنحو راجع إلى سيبويه لكونه إماما فيه، والأشعار إلى الخليل لأنه أول من وضع علم العروض. أتى بذلك ليؤكد المعنى المراد ويعظمه، ويثير التخيل والتصور عند السامع مما يجعل المعنى يرسخ في ذهنه.

- **الموسيقى الخارجية:**

أما الموسيقى الخارجية[٢٨] فهي التي تبحث عن الأوزان والقوافي. وحافظ الشاعر سمبو في هذه القصيدة على النمط العمودي المألوف في موسيقى الشعر العربي، لكونه ذا ذوق سليم في اختيار الأوزان والقوافي الملائمة لقصائده، وذلك لكون أبلغ الأوزان ما لاءم الموضوع وعاطفته.

فقصيدة الشاعر سمبو رائية الروي من بحر الرجز، الذي يلائم الشعر العلمي، وماله صبغة علمية كالرثاء وغيره. استخدم هذا البحر لكونه أخف على لسان المنشد، واللسان به أسرع. وكان يلائم موقفه، يعكس لوائح حزنه، ويسهل في السمع ويقع في النفس، لأنه وزن رقيق يجود نظمه في الأحزان، والأفراح، وغير ذلك. .

ومما زاد خفة أسلوب الشاعر وسهولته ووضوح معناه، إيثاره استخدام قافية الراء من القوافي الذلل الرقيقة الواضحة، وهي مما توافر لدى العرب من الأصوات، وكانت من أكثر الحروف استعمالا في ديوان الشاعر سمبو جنيد لأن الراء حرف مجهور مكرر من الأصوات المتوسطة، ولم

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

تكن مما يثقل ويجثم مخالفة للذوق السليم، وتكون أصلا في الكلمة، لا بدلا، ولا زائدا، كما أشار إلى ذلك اللغويون.[٢٩]

الخاتمة:

حاول الباحثان في الصفحات السابقة دراسة فن الرثاء لدى الشاعر سمبو ولي جنيد، ثم أردفا ذلك بتحليل رائيته في رثاء والده، من حيث ذكر بعض من قيمها المعنوية والفنية، مظهران فكرة نصها وأسلوبها وموسيقها الداخلية والخارجية، وأخيرا أدرك الباحثان فيما تم عرضه، أن الشاعر سمبو جنيد رثى شيوخا وأبطالا من أبطال هذا الشعب، وأنه تميز بين الشعراء بالرثاء على الزوج، وهو من نوادر الرثاء في دواوين الشعراء القدامى والمعاصرين.

الهوامش والمراجع

[١] - مقابلة شفهية مع الأستاذ سمبو جنيد، في مكتبه الخاصة في بيته بزًا صكتو،٥-٨-٢٠١٣م

[٢] - مقابلة شفهية مع الأستاذ سمبو جنيد، في مكتبه الخاصة في بيته بحارة بزّا صكتو،٥-٨-٢٠١٣م

[٣] - المرجع السابق.

[٤] - أغاكا عبد الباقي، **المطارحة بين الوزير جنيد ونجله محمد سمبو**، مجلة النهضة، ص: ٣٤

[٥] - د. ثاني عمر موسى **من نوابغ الشعر العربي النيجيري الدكتور سمبو ولي جنيد** . للمؤتمر الخامس عشر ص-٦

[٦] - مقابلة شفهية مع الأستاذ سمبو جنيد، في مكتبه الخاصة في بيته بذا صكتو،٥-٨-٢٠١٣م

[٧] - د. ثاني عمر موسى، **من نوابغ الشعر العربي النيجيري الدكتور سمبو ولي جنيد** . للمؤتمر الخامس عشر ص-٦

[٩] -غلادنثي، أحمد سعيد (الدكتور) **حركة اللغة وآدابها في نيجريا**، ص ١٤٧

[١٠] - ابن الرشيق، **العمدة في محاسن الشعر**، ج ٢ ص ١٥٤

[١١] - وفي نسخة (ب) لاينسني بالسين، وبالثاء أليق معنى.

[١٢] - و في (أ) حفظ الشرح بالإفراد، وبالجمع أصح معنى ووزنا.

[١٣] - يعني لغة الضاد، وهي اللغة العربية.

[١٤] - وفلفلد: احدى لغات الإفريقية وهي المعروفة بـ(الفلاتية)

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

[١٥]- الأحقاب: جمع حقب بضمتين بمعنى الدهر.

[١٦] - شيتز: رمز للسنة الهجرية، والمراد به سنة، ١٤١٧ هـ لأن حرف الشين تدل على(١٠٠٠) والياء (١٠) والتاء (٤٠٠) والزاي (٧) وهذا من علم الحساب.

[١٧] - توجد القصيدة في مكتبة الشاعر الخاصة، وفي مجلة مالم، العدد الرابع سنة ٢٠٠٠م.

[١٨] - تأبين الميت: إنما هو بمثل ما كان يمدح به في حياته، وقد يفعل فيه شيء ينفصل به لفظه عن لفظ المدح، وهو أن يكون الحي وصف مثلاً بالجود، فلا يقال في التأبين: كان جواداً ولكن يقال: ذهب الجود، ومثل: تولى الجود وما أشبه هذه الأشياء. ا هـ ملخصا من كتاب نقد الشعر، ج ١ ص: ١٧

[١٩] - الأصل في الندبة: الدعاء - وإن اشتهرت ببكاء الأموات و قولهم عنده: وافلاناه:- راجع كتاب شرح الحماسة ج/١ ص: ٣

[٢٠] - راجع كتاب **الأسلوب الصحيح في البلاغة**، جماعة من الأساتذة، ص: ٣٣

[٢١] - محمد أبو موسى، **دلالة التراكيب**، ص:٢٦٢

[٢٢] - علم الموسيقى علم يعرف منه النغم والإيقاع وأحوالها وكيفية تأليف اللحون واتخاذ الآلات الموسيقارية، وموضوعه الصوت من وجه تأثره في النفس باعتبار نظامه

[٢٣] - داحي أسية، **الإيقاع المعنوي في الصورة الشعرية**، ص:٧٧

[٢٤] - محمد طاهر اللادقي، **المبسط في علوم البلاغة**، ص:٢٢٦

[٢٥] - وهو ذكر شيئين أو أشياء متعددة على التفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل واحد من آحاد المتعدد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرد ما لكل من آحاد المتعدد إلى ما هو له. ينظر، بسيوني، الدكتور، علم البديع، ص: ١٧٥

[٢٦] - بسيوني، المرجع السابق،١٧٧

[٢٧] - الميداني، عبد الرحمن، **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها**، ص ٢٩٠

[٢٨] - وهي"الشكل الخارجي للقصيدة يحكمها علما العروض والقافية وما يتفرع عنهما. ينظر، داحي آسية، الإيقاع المعنوي في الصورة الشعرية، ص: ٦٩

[٢٩] - ابن منظور، جمال الدين **لسان العرب**، ج ١٤ ص٣٥٥

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الوصف في شعر الوزير جنيد: درسة تحليلية لبعض القصائد في ديوانه

إعداد:
علي محمد وإبراهيم شيخ
قسم الدراسات الإسلامية كلية القانون والدراسات الإسلامية صكتو

المقدمة:

الحمد لله المتصف بالعزة والكمالة الذي خلق الأزواج كلها وجعل الأخضر والأبيض من أحسن أوصاف الجمال، والصلاة والسلام على الرسول وأصحابه البررة الآل، والذين اتصفوا بصفاتهم الفاضلة واستنوا بسنتهم وتزودوا للمآل. أما بعد:

فهذه مقالة وجيزة حول فن الوصف في ديوان الدكتور الوزير جنيد بن البخاري، مع دراسة بعضها دراسة أدبية تحليلية. وتحتوي المقالة على النقاط التالية.

التعريف بالدكتور الوزير جنيد

نسبه مولده ونشأته:

هو جنيد بن محمد البخاري بن أحمد بن عثمان الملقب بِ{غِطَاطُوْ} بن أبي بكر الملقب بـ{لَيْمَ}[١]وهو من قبيلة الفلانيين التي تنسب إلى الصحابي الجليل عقبة بن نافع فاتح بلاد إفريقيا. ولد الوزير جنيد في بيت العلم والثقافة العربية في حارة غطاطاوا في مدينة صكتو وهي بجوار قصر الأمير، وذلك عام ألف وتسعمائة وست سنوات ١٩٠٦م. الموافق بألف وثلاثمائة وخمس وعشرين هجرية ١٣٢٥هـ[٢]

تتلمذ الوزير جنيد على جهابذة العلماء في عصره بمدينة صكتو وخارجها وأنفق زمنا طويلا في طلب العلم ودراسته والإختلاط بأهله، وعكف الدكتور الوزير جنيد رحمه الله على طلب العلم

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

بجد واجتهاد حتى حصل عليه وأصبح من جهابذة العلماء في عصره. وأما بالنسبة إلى المدرسة النظامية فإن الدكتور الوزير جنيد لم يدخل تلك المدارس، لأن المدارس لم تكن قد أسست في إقليم دولة صكتو آنذاك.

وبعد أن أكمل الوزير جنيد دراسته التقليدية انخرط في سلك التدريس ففتح معهدا تقليديا في داره واجتمع حوله عدد كبير من طلاب العلم يدرسهم العلوم الدينية والأدب والتاريخ لا سيما تاريخ خلافة صكتو. ثم طُلب من قبل الحكومة للتدريس في العلوم العربية والدينية في المدرسة الوسطى في صكتو المعروفة الآن بكلية نَغَرْتَا. وفي عام ١٩٤٩م عُيِّن مدرسا للغة العربية والدراسات الإسلامية بمدرسة البنات بصكتو، وفي عام ١٩٤٢م انتقل إلى مدرسة الشريعة بصكتو ناظرا ومدرسًا فيها.[٣]

انتاجاته العلمية والأدبية وشاعريته:

كان الوزير جنيد أكثر الوزراء إنتاجا في الأدب نثرا وشعرا، وله أكثر من أربعين مؤلفا في اللغة العربية ما بين النثر والشعر، وكان الوزير جنيد أديبا وشاعرا ومرجعا هاما في تاريخ صكتو، وقد بذل جهدا فعالاً في جمع المخطوطات، وقرض أشعارا بديعية في مختلف الأغراض.[٤]

ولأجل كثرة إنتاجاته الأدبية منحته جامعة أحمد بلو زاريا درجة الدكتوراه الشرفية في الأدب، وكان ذلك سنة ١٩٧١م. ومن العجيب في شأن الوزير كون نشاطه الأدبي لم ينحصر في اللغة العربية فقط، بل جاوز إلى غيرها من اللغات، حيث ألف بعض الكتب في اللغة الفلاتية كما قرض بعض القصائد في اللغة المحلية أعني "هوسا".[٥]

ومن مؤلفاته النثرية ما يلي:

١-المبادئ الضرورية في الدروس العروضية.
٢-التحفة الزكية عن الرياض الحجازية.
٣-الرحلة الفاخرة إلى ليبيا والسودان والقاهرة.
٤-الرسالة الناصحة لمؤلفي المطالعة الواضحة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٦-إتحاف الحاضر بمرائي المسافر.
٧-التحفة السنية في تعريف صكتو البهية.
٨-التذييل على كتاب الخليل بن عبد الله.
٩-نيل المرام بذكر ترجمة أمير المؤمنين محمد بلّو الهمام.
١٠-ضبط الملتقطات من الأخبار المتفرقة في المؤلفات.

ومهما يكن من أمر فإن ملكة وزير جنيد الشعرية ودوره في تطوير مجال الشعر لايقل شأنا عما سبق ذكره عن آبائه وأجداده، وقد تجدله قصائد في فنون شتى. والشاعر الوزير جنيد في الدرجة الأولى إذ أنه شاعر لا تكاد تجد تكلفا في شعرهوقريحة أدبية فطرية وعاطفة صادقة رقيقة سريعة الإستجابة لمواقف الحزن والشجن وهو قوي الملاحظة دقيق الوصف، وكان للوزير جنيد ديوان في الشعر العربي، حيث طرق أغراضا مختلفة من أغراض الشعر في هذا الديوان، مثل المدح والرثاء والوصف وغيرها.

وفاته:

توفي الوزير جنيد - أنار الله ضريحه- بمدينة صكتو يوم الخميس أول شهر رمضان عام ١٤١٧هـ الموافق بالتاسع عشر من يناير عام ١٩٩٧م. وتوفي عن ثلاث أزواج وست وعشرين ولدا، ثلاثة عشرة رجالا، و ثلاث عشر نساء.[٦]

الوصف في الأدب العربي النيجيري،

الوصف عند أهل اللغة من وصفت الشيء وصفا وصفة. والهاء عوض من الواو. وتواصفوا الشئ من الوصف. واتصف الشئ، أي صار مُتَواصَفاً. قال طرفة بن العبد من بحر البسيط:

إنَّي كفانيَ من أمرٍهَمَمْتُ به * جارٌكَجارِالحُذافيِّ الذي اتَّصَفا[٣]

أي صار مَوصوفاً بحسن الجوار.

وأما مفهوم الوصف عند الأدباء يكاد النقاد يجمعون على أن أجود الوصف هو الذي يستطيع أن يحكي الموصوف، حتى يكاد يمثله عيانا للسامع، وذلك بأن يأتي الشاعر بأكثر معاني ما يصفه،

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وبأظهر ما فيه، وأولاها بأن تمثله للحس. ولذا قال بعض النقاد: أبلغ الوصف ما قلب السمع بصرا[٨]

أما الوصف في الأدب العربي النيجيري، فإن الشعراءفي القرن التاسع عشر، والعشرين، و الواحد والعشرين أنتجوا قصائد جيدة في الوصف فظهر في دواوين بعض الشعراء منهم الشيخ عبد الله بن فودي، وأمير المومنين محمد بلو، ومحمد البخاري، وكان أغلب الوصف لديهم مقتصر في وصف المعارك الحربية وقد رسموا فيه صورا نابضة بالحركة والحياة للمعارك الفاصلة التي خاضها المسلمون ضد المعتدين ونجد ذلك واضحا في وصف المعارك الكبيرة كوصف معركة كتو، ومعركة ألقاضاوا، ومعركة ألوسا ، ومعركة *قَاقَرا*.

استمع إلى عبد الله بن فودي يصف معركة *كُتُو* من بحر الطويل:

وَصَلْنَا لِأَهْلِينَا فَجَاوَزْتُ مَنْزِلِي ** بِغَيرِ جُلُوسٍ فِيهِ وَالنَّاسُ هُجَّعُ[٩]

ثم وصف السهام والسيوف وبعض أدوات القتال فقال من الطويل أيضا:

تَدَاعَي أُولُو الْإِسْلاَمِ حِينَ تَزَامَرُوا * بِكُلِّ حُسَامٍ يُفْرِقُ الْهَامَ مُشْهَرَا
وَكُلُّ رُدَيْنِيٍّ وَأَسْمَرَ قَعْضَبِي * عَلَى كُلِّ أَجْرَدَ مِنْ نَجَائِبِ بَرْبَرًا
وَرِجْلُهُمٌ يَحْمِي سِهَامًا كَأَنَّـهَا * نَدًى صَابَ فِي جَوِّ النَّهَارِوَأَمْطَرَ[١٠]

كما وصف أمير المؤمنين محمد بلو في الأبيات التالية الأماكن التي قتلوا فيها الأعداء، مع ذكر عدد المقتولين في كل مكان من تلك الأماكن والقصيدة من بحر الطويل :

فَأَبْلِغْهُمٌ أَنْ قَدْ قَتَلْنَا بِقُربِنَـــا * سُرَاتَكُمٌ قَتْلاً فَخَلُّوا التَّفَاخُرَا
(فَبَاكِي) قَتَلْنَهُمْ (وَثَانُوا) بِأَرْضِهَـا * وَ(بَانَاغَ) قَتَّلْنَا وَفِي جَابِ أَكْثَر
وَفِي جَانُو قَتَّلْنَا بِهَا مِائَةً وَشَيْ * وَأُبْنَا عَلَى لَكَانَكِي هُنَاكَ مُعَسْكَر[١١]

الوصف في ديوان الدكتور الوزير جنيد:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

إن الوصف من أبرز الأغراض الشعرية التي طرقها الدكتور الوزير جنيد، فقد خطا خطوة محمودة إلى الأمام في وصف ما يسمى بالطبيعة المتحركة والصامتة، إذ كان يرسم صورا جديدة لبعض المناظر أو الأشياء التي شاهدها أو خلبت عقله وأثارت مشاعره وعواطفه في إقامته ورحلاته.

ومن أروع قصائده في هذا المجال شعره في وصف "الخرطوم"لما زارها حيث وصف الطائرة التي ركبها إلى السودان وصفا دقيقا وعجيبا، وهي قصيدة مشتملة على ٢٩ بيتا، افتتحها بنداء من يشتاق إلى "الخرطوم" ويقول فيها:

يَا مَنْ يُصَعِّدُ أَنْفَاسًا بِأَنْفَاسٍ # شَوْقًا بِخُرْطُومِ ذَاتِ الْوُرْدِ وَالْآسِ
اِصْبِرْ قَلِيلاً وَإِنَّا سَوْفَ تَحْمِلُنَا # رَعَّادَةٌ فِي الْهَوَى مَلْمُومَةُ الرَّأْسِ
صَعَّادَةٌ تَتَبَارَى فِي تَجَاوُلِهَا # شُهْبَ السَّمَاءِ الَّتِي تَرمِي بِأَقْبَاسِ
أَنَّانَةٌ فِي نُزُولٍ عِنْدَ مَا بَلَغَتْ # إِلَى الْمَحَطَّةِ تَمْشِي مَشْيَ مَيَّاسِ

وهكذا استمر يصف هذه المدينة إلى آخر القصيدة.

وله قصيدة أخرى أيضا يذكر فيها أصدقاءه الماضين الكائنين على تِلّ يُوْلَ ويصف شوقه نحوهم فيقول مطلعها:

أَهَاجَتْ هُمُومِي وَسْطَ يُوْلَ مَنَازِل * أقَامَ بِهَا مِنْ قَبْلِ قَومٍ أَفَاضِلِ
وَنَوْحِ حَمَامَاتٍ عَلَى غُصْنِ دَوْحَةٍ * تَمِيلُ بِهَا رِيحٌ الصِّبَا وَتَمَائِلُ
فَسَالَتْ دُمُوعِي وَادَّكَرْتُ أَحِبَّةً * صَنَائِعُ مَعْرُوفٍ لَدَيْهِمْ شَمَائِلُ

وقال أيضا في وصف أطلال دولة صكتو ورثائها والحنين إليها وهجاء المستعمرين

ظَعَنَ الَّذِينَ عَهِدْتُ فِي ذَا النَّادِ مَاذَا وُقُوفُكَ فِي الطُّلُولِ تُنَادِ
وَعَلاَمَ تَبْكِي مِنْ بُكَاءِ حَمَامَةٍ فِي أَيْكَةٍ تَشْدُوا عَلَى التِّرْدَادِ
وَالدَّمْعُ يَجْرِي فَوْقَ نَحْرِكَ سَاءِلاً كَالْمَاءِ يَجْرِي فِي مَسِيلِ الْوَادِ

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ذَهَبُوا وَغَيَّرَ رَسْمَ دَارِهِمُ الْبِلاَ الْ مَرْدَي وَطُولِ تَهَجُّرٍ وَبِعَادٍ
تَشْدُو وَتَرْقُصُ فِي حُلِي أَرِياشِهَا نَادَيْتُ خَالَفَنِي عَلَى ٱلْمُعْتَادِ

وخلاصة القول فإن الوصف من أكبر الموضوعات التي جال فيها الشاعر الوزير جنيد بشعره منذ بداية شاعريته لذا كان فن الوصف أكثر الأغراض الشعرية رواجا، وأوسعها انتشارا في ديوانه، وهي التي اتخذت أكثر من ثلث قصائد الديوان.

صور من الخصائص الفنية في شعر الوصف في ديوان الوزير جنيد:

المطلع:

قد تتسم قصائد الوزير جنيد بحسن المطالع الرائعة التي توحي للقارئ مضمونها بمجرد القراءة أو السماع، وذلك لحسن الافتتاح فيها ولأنه أول ما يقرع أذن السامع فينشرح له صدره، وتهتز به نفسه، فيتشوق لما يأتي بعد. من ذلك قوله: يذكر فيه أصدقائه الماضين الكائنين على تِلّ يُوْلَ ويصف شوقه نحوهم فيقول:

أَهَاجَتْ هُمُومِي وَسْطَ يُوْلَ مَنَازِلُ * أقَامَ بِهَا مِنْ قَبْلِ قَومٍ أَفَاضِلِ
وَنَوْحِ حَمَامَاتٍ عَلَى غُصْنِ دَو * تَمِيلُ بِهَا رِيحٌ الصِّبَا وَتَمَائِلُ
فَسَالَتْ دُمُوعِي وَادَّكَرْتُ أَحِبَّةً * صَنَائِعُ مَعْرُوفٍ لَدَيْهِمْ شَمَائِلُ

كانت أغلب قصائد الأستاذ سمبو جنيد يبتدئها بالتنويه عما يتضمنه الموضوع، فيقتحمه دون الوقوف والاستيقاف على الديار والأطلال، كما هو واضح في قوله في افتتاح قصيدة وصف الطائرة التي ركبها إلى السودان وصفا دقيقا وعجيبا:

يَا مَنْ يُصَعِّدُ أَنْفَاسًا بِأَنْفَاسٍ # شَوْقًا بِخُرْطُومِ ذَاتِ الْوُزْدِ وَالْآسِ
اِصْبِرْ قَلِيلاً وَإِنَّا سَوْفَ تَحْمِلُنَا # رَعَّادَةُ فِي الْهَوَى مَلْمُومَةُ الرَّأْسِ

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

أبدع الشاعر ووفق في تصميم القصيدة حيث استهلها بنداء ما يركبه ويوصله إلى بلد الخرطوم ألا وهي الطائرة، ثم استمر يصفها بصفاتها المعروفة، وهذا مطلع رائع جذاب يوحي للقارئ أو السامع بغرضها في أول خطوة.

التخلص:

والتخلص هو الخروجُ والانتقالُ مما ابتدئ به الكلامُ إلى الغرضِ المقصودِ، برابطةٍ تجمّلُ المعاني آخذاً بعضُها برقابِ بعضٍ، بحيثُ لا يشعرُ السامعُ بالانتقالِ من نسيبٍ، إلى مدحٍ، أو غيره، لشدةِ الالتئامِ والانسجامِ.[١٢]

اتصفت قصائد الشاعر الوزير جنيد بحسن التخلص حيث كان يتخلص من فكرة إلى أخرى بصفة لطيفة مع مراعاة الملائمة بينهما وذلك في أمثال قوله يصف طائرة، فقال في ذلك:

وَلاَ تَزَالُ بِنَا فِي الْجَوِّ طَآئِرَةٌ * نَشِيمُ ضَوْءَ الْقُرَى مِنْ ضَوْءِ نِبْرَاسِ
حَتَّى تَنُوخُ عَلَى الْخُرْطُومِ فِي غَلَسٍ * وَالْقَوْمُ مَا بَيْنَ سُهَّادٍ وَنُعَّاسِ

ثم تخلص من ذلك فشرع يصف بلد الخرطوم وأهلها بقوله:

يَا حَبَّذَا الْبَلَدُ الْمَيْمُونُ مِنْ بَلَدٍ # خُرْطُومُ حَازَتْ بِهَا لَيْلاً مِنَ النَّاسِ
يُنْسِي الْغَرِيبَ بِهَا أَوْطَانِهِ أَبَدًا # مَنْ حَلَّهَا لَهَوَى أَوْطَانَهُ نَاسُ
أَبْشِرْ فَإِنَّكَ فِي الْخُرْطُومِ فَابْتَهِجَنْ * أَمَا شَمَمْتَ مِنَ الْكَافُورِ وَالْآسِ

وكذلك قوله في وصف أطلال دولة صكتو ورثائها والحنين إليها، فقال في مطلعها:

ظَعَنَ الَّذِينَ عَهِدْتُ فِي ذَا النَّادِ * مَاذَا وُقُوفُكَ فِي الطُّلُولِ تُنَادِ
وَعَلاَمَ تَبْكِي مِنْ بُكَاءِ حَمَامَةٍ * فِي أَيْكَةٍ تَشْدُوا عَلَى التِّرْدَادِ
وَالدَّمْعُ يَجْرِي فَوْقَ نَحْرِكَ سَاءِلاً * كَالْمَاءِ يَجْرِي فِي مَسِيلِ الْوَادِ

ثم تخلص من ذلك وانتقل مباشرة إلى الندبة بقوله:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

لما سَكَتُّ دَنَتْ إِلَيَّ حَمَامَةٌ * مُغْبَرَّةٌ تَبْدُوا كَلَوْنِ رَمَادِ
فَسَأَلْتُهَا أَيْنَ الَّذِينَ عَهِدْتُهُمْ؟ * قَالَتْ لَقَدْ بَلَغُوا عَلَى الْمِيعَادِ

أحسن الشاعر في هذا التخلص حيث تخلص من ذكر مقدمته التي بين فيها غاية حزنه لما آل إليه بلده وأهله، فأخذ في الفكرة الرئيسية من القصيدة التي هي هجاؤهم وانتقادهم، فاستعمل أداة "لما" ليدل على انتقاله من معنى إلى الأخرى.

حسن المقطع:

وهو أن يكون آخر بيت في القصيدة رشيق اللفظ مليح المعنى يظهر للسامع أنه آخر القصيدة لأنه آخر ما يبقى في المسامع.[٣] وقد امتازت قصائد الشاعر الوزير جنيد بحسن المقطع، وذلك لأنه يختتمها بخاتمة حسنة طيبة فيجعل براعة الإختتام أحيانا استدراكا لما فاته في المطلع من أن يستهل بحمد الله والصلاة على الرسول فيقتحم موضوعه مباشرة، وهذا دأبه في أكثر قصائده.

ومثال ذلك جيميته في وصف الخرطوم، ختمها بالصلاة والسلام على رسول الله، ناهجا في ذلك منهج شعراء المسلمين فقال:

عَلَيْكَ صَلاَةُ اللهِ ثُمَّ سَلاَمُهُ * كَعَدِّ الْحَصَى وَالرَّمْلِ مَا كُشِفَ الْوَجَا
مَعَ الْآلِ وَالْأَصْحَابِ مَا مُتَوَكِّلٌ * بِهِ نَالَ مَا يَرْجُو وَأُوتِيَ مَخْرَجَا

وكذلك في اختتام لاميته في ذكر أصدقائه الماضين الكائنين على تلّ يُوْلَ، فيقول:

عَلَيْهِ صَلاَةُ اللهِ مَا صَامَ مُسْلِمٌ * وَصَلَّى وَنِيلَتْ مَنْ لَدَيْهِ الْمَسَائِلُ
وَسَلَّمَ دَوْمًا ثُمَّ بَارَكَ سَرْمَدًا * وَءَالٌ مَعَ الْأَصْحَابِ مَا قَالَ قَائِلُ

الأسلوب الأدبي:

إن من أهَمّ مميزات الأسلوب الأدبي وهدفه هي إثارة عاطفة السامع أو القارئ والتأثيُر في نفسه، ويمتاز باختيار الألفاظ والتأثير فيها، وامتزاج الفكرة بالعاطفة، وبالعناية بصور البيان من تشبيه واستعارة وكناية والحرص على موسيقية العبارة ، لتصور الإحساس وتهز المشاعر. ويمتاز

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

باختيار الألفاظ والتأثير فيها، وامتزاج الفكرة بالعاطفة، وبالعناية بصور البيان من تشبيه واستعارة وكناية والحرص على موسيقية العبارةِ ، لتصور الإحساس وتهز المشاعر.

أولا سيحاول الباحثان دراسة أهم عناصر الأسلوب الأدبي واستخراجه من قصائد الشاعر الوزير جنيد على النحو التالي:

١- الفكرة والعاطفة

لقد كانت الأفكار التي يقررها الشاعر الوزير جنيد في قصائده تتسم بصدق الحقائق التي تنتهي إليها والتأكد من صحتها ودقتها و استيعابها بحيث تعطي صورةً متكاملة للحدث الذي يعبر عنه. وكان يبتكر أفكاره ويعرضها عرضا واضحا، ويبسطها بسطا جليا، لا لبس فيه ولا غموض، ويعبر عنها تعبيرا رزينا يساعد على وضوحها ، دون أن تتيه أو تختفي تحت جلبة الخيال، وروعة التصوير، لأنها الهدف الأول والغرض المقصود في العمل الأدبي.

ومما يكون مثالا على صحة الأفكار ودقتها أيضا في قصائد الشاعر جنيد، قوله:

ظَعَنَ الَّذِينَ عَهِدْتُ فِي ذَا النَّادِ * مَاذَا وُقُوفُكَ فِي الطُّلُولِ تُنَادِ
وَعَلاَمَ تَبْكِي مِنْ بُكَاءِ حَمَامَةٍ * فِي أَيْكَةٍ تَشْدُوا عَلَى التِّرْدَادِ
وَالدَّمْعُ يَجْرِي فَوْقَ نَحْرِكَ سَاءِلاً * كَالْمَاءِ يَجْرِي فِي مَسِيلِ الْوَادِ
ذَهَبُوا وَغَيَّرَ رَسْمَ دَارِهِمُ الْبِلاَ الْ * ـمَرْدَي وَطُولِ تَهَجُّرٍ وَبِعَادِ

وكذلك كانت العاطفة السائدة في شعر الوزير جنيد أغلبها عاطفة دينية أدبية قوية، ومن ثم غلب على معانيه أفكار دينية، لايكاد القارئ يقرأ شيئا من شعره إما مدحا، أورثاء، أو وصفا، أو غير ذلك، إلا أدرك هذه الفكرة تلوح في جوانب تراكيبه الشعرية، ولا غرابة في ذلك لكونه نشأ وتربى على يد العلماء الصوفيين في بيت دين وورع وعلم، وهذه التربية قد أثرت فيه وشكلت عاطفته وفكرته، وصار إذا مدح زين الممدوح بصفات أخلاقية إسلامية، وإذا رثى رثى بنفس المعنى، يصف كل ذلك في شعره وصفا لم يخرج عن التقاليد الأخلاقية في المجتمع الإسلامي.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ومما يدل على قوة عاطفة الشاعر الوزير جنيد وصدقها قوله يصف أصدقاءه الماضين الكائنين على تل يول ويقول:

أَهَاجَتْ هُمُومِي وَسْطَ يُوْلَ مَنَازِلُ * أقَامَ بِهَا مِنْ قَبْلِ قَومٍ أَفَاضِلِ
وَنَوْحِ حَمَامَاتٍ عَلَى غُصْنِ دَوْحَةٍ * تَمِيلُ بِهَا رِيحٌ الصِّبَا وَتَمَائِلُ
فَسَالَتْ دُمُوعِي وَادَّكَرْتُ أَحِبَّةً * صَنَائِعُ مَعْرُوفٍ لَدَيْهِمْ شَمَائِلُ

إذا أمعن القارئ النظر في الأبيات السابقة، يدرك وصفا ورثاء حارين صادقين يملآن القلب أسى وحسرة، يحس القارئ فيه من صدق العاطفة ولوعة الأسى والأسف، فالشاعر فيه ملتاع القلب مهتاج الفؤاد منهمر الدموع يكاد يذوب أسى ووجدا لما ألمّ به عند وفاة إخوانه وأحبائه في يول. فعاطفة الشاعر فيها عاطفة الشفقة والغيرة،يصور حقيقة عاطفته، ويعبر تعبيرا قويا عن عقيدة آمنت بها الجماعة برمتها.

ومما يكون مثالا على صحة الأفكار ودقتها أيضا في قصائد الشاعر جنيد، قوله يصف الحالة الاجتماعية والسياسية في وطنه، ويشكو تغير الأحوال، وانقلاب الأمور، وانحطاط درجة العلم، وتقهقر الآداب التربوية في هذا القطر، بعد أن كان مركزا ثقافيا، يتردد إليه هواة العلم وطلبته من أقطار الدنيا، فقال في ذلك:

ظَعَنَ الَّذِينَ عَهِدْتُ فِي ذَا النَّادِ * مَاذَا وُقُوفُكَ فِي الطُّلُولِ تُنَادِ
وَعَلاَمَ تَبْكِي مِنْ بُكَاءِ حَمَامَةٍ * فِي أَيْكَةٍ تَشْدُوا عَلَى التِّرْدَادِ
وَالدَّمْعُ يَجْرِي فَوْقَ نَحْرِكَ سَاءِلاً * كَالْمَاءِ يَجْرِي فِي مَسِيلِ الْوَادِ
ذَهَبُوا وَغَيَّرَ رَسْمَ دَارِهِمُ الْبِلاَ الْـ * ـمَرْدَي وَطُولِ تَهَجُّرٍ وَبِعَادِ

٢- الألفاظ والتراكيب

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

إذا أمعن القارئ أو الباحث النظر في الألفاظ التي وظفها الشاعر في أبياته يدرك أن أكثرها متآلفة الحروف سهلة الجري على اللسان عذبة الوقع في السمع كما ثبت أن لجرس الألفاظ وقعا إيجابيا، كثيرا ما يعين الكاتب أو الشاعر على استنفاد احساسه.

ومن الألفاظ المستعذبة المقبولة غير المستكرهة المستعملة في قصائده قوله في قصيدة الوصف والحنين إلى المعاهد العلمية والعلماء في يول في بلد صكتو شرقيها شمالا:

لِي فِي الْمَعَاهِدِ صَبْوَةٌ لَكِنَّهَا لَيْسَتْ تُعَشِّرُ صَبْوَتِي فِي يُوْلاَ
رِيحُ الصِّبَا حَيِّ مَنَازِلَ يُوْلاَ عَنِّي وَهُبِّي بُكْرَةً وَأَصِيلاَ
وَسَقَى الْحَيَا تِلْكَ الرُّبوعَ وَهَادِهَا وَتِلاَعُهَا مَعْمُورُهَا وَطُلُولاَ
وَطَنٌ تَحِنُّ إِلَيْهِ نَفْسِي دَائِمًا مَا إِنْ أَرَى تَحْتَارُ مِنْهُ بَدِيلاَ

والمعتبر في الأبيات الدقة والسهولة في اختيار الألفاظ الملائمة لأداء المعاني التي تجول في نفسه، وذلك مثل إتيانه بكلمات (الصبوة، والأحباب، وريح الصبا، وظل ظليلا، والقصور، والربوع، وغيرها من الكلمات الجيدة الواردة في الأبيات. ومن ذلك قوله في وصف ما شاهده في وطن القاهرة إبان زيارته لها:

أَنَّانَةٌ فِي نُزُولٍ عِنْدَ مَا بَلَغَتْ * إِلَى الْمَحَطَّةِ تَمْشِي مَشْيَ مَيَّاسِ
بَيْنَ الْجَنَاحَيْنِ مِنْهَا نِيطَ مِرْوَحَةً * تَدُورُ مِنْ حَوْلِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْكَاسِ

إلى قوله:

أَبْشِرْ فَإِنَّكَ فِي الْخُرْطُومِ فَابْتَهِجَنْ * أَمَا شَمَمْتَ مِنَ الْكَافُورِ وَالْآسِ

وقد كانت أغلب الألفاظ والمفردات الموظفة في الأبيات السابقة تتصف بالدقة والسهولة وهي صفة أدبية ترضى عنها العامة وتفهمها، وتقبلها الخاصة وتعجب بها. وفي المستوى النحوي والصرفي كان الشاعر الوزير جنيد لا يستعمل الصيغ المتروكة أو المستغنى عنها بغيرها وذلك

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

لقبحها، ويتباعد أيضا عن استعمال الصيغ الثقيلة ممجوجة ينبو عنها الذوق ويأباها، وذلك تأسيا وتقليدا بالقرآن الكريم الذي لا يستعمل الصيغ المستكرهة.

ومن ذلك قوله في وصف الطائرة:

صَعَّادَةٌ تَتَبَارَى فِي تَجَاوُلِهَا * شُهْبَ السَّمَاءِ الَّتِي تَرمِي بِأَقْبَاسِ
طَيَّارَةٌ صَوْتُهَا عَالٍ مُجَوَّفَةٌ * زَمْكَّهَا كَذَوَابِي الشَّاهِقِ الرَّأسِ

آثر الشاعر في البيتين السابقين لفظتي (صعَّادة وطيّارة) من أبنية المبالغة وللدلالة على تكرار وقوع الفعل مرة بعد مرة كما أشار إلى ذلك أبو هلال العسكري بقوله: " إذا فعل الفعل وقتا بعد وقت، قيل فعّال مثل علاّم وصبّار وحمّال"[٤] ليدل على ثباته واستمراره على كثرة الإرتفاع والارتقاء إلى السماء.

وهكذا كانت ألفاظ قصائده قيمة في ذاتها من ناحية موسيقها ودلالاتها على المعاني. وكان يميل إلى استخدام الجمل الخبرية في قصائده أكثر من الإنشائية وذلك لأغراض بلاغية يقصدها، منها كون الخبرية أطول نفسا في تصوير حالة معينة، وكانت أغلب أغراضه الشعرية إما وصفا لواقعة أو وصفا لأحبائه أو ممدوحه. والجمل الانشائية تكون أدنى إلى الاستخدام في الحالات الشعورية[٥].

وكان يستعمل الجمل الفعلية في غالب تراكيبه الدالة على الحدوث في زمن مخصوص مع الاختصار كقوله:

أَهَاجَتْ هُمُومِي وَسْطَ يُوْلَ مَنَازِلُ * أقَامَ بِهَا مِنْ قَبْلِ قَومٍ أَفَاضِلِ
وَنَوْحِ حَمَامَاتٍ عَلَى غُصْنِ دَوْحَةٍ * تَمِيلُ بِهَا رِيحٌ الصِّبَا وَتَمَائِلُ
فَسَالَتْ دُمُوعِي وَادَّكَرْتُ أَحِبَّةً * صَنَائِعُ مَعْرُوفٍ لَدَيْهِمْ شَمَائِلُ

الموسيقى الداخلية والخارجية:

ومن الصور الموسيقية الداخلية في قصائد الوزير جنيد قوله:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

نَادَيْتُهُ يَاَيُّهَا ذَا النَّادِ * فَأجَابَنِي يأَيُّهَا ذَا النَّادِ

والجناس بين الناد الأول والثاني جناس تام، لأن كلمة الناد الأولى معناها المجلس أي مكان مهيؤ لجلوس القوم، والناد الأخرى من نادى ينادي المنادي، ويقال النادي.[٦]وكان كثير من شعر الشاعر الوزير جنيد يتصف بالتصريع في مطلعه، وهو جعل العروض مقفاة تقفية الضرب[١٧]

ومن أمثال ذلك قوله في قصيدته التي يذكر فيها أصدقائه الماضين الكائنين على تل يول التي مطلعها:

أهاجت همومي وسط يول منازل * أقام بها من قبل قوم أفاضل

وقال أيضا في مطلع قصيدة وصف أطلال دولة صكتو ورثائها وهجاء المتعمرين

ظعن الذين عهدت في ذا الناد * ماذا وقوفك في الطلول تناد

وقصائد الوصف الواردة في ديوان الوزير كلها على النمط المعروف والمألوف في الشعر العربي، وفيها إختيار الأوزان التي تحاكي إيقاعاتها النغمية إيقاعات النفس، لأن أبلغ الأوزان ما لاءم الموضوع وعاطفته،

كما يلاحظ فيها دقة تنظيم القصائد على البحور والقوافي الشعرية المناسبة للأغراض، وهي كالآتي:

١- بحر الطويل:

(فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن)

جاء أربع قصائد من شعر الوصف في ديوان الوزير جنيد على منوال البحر الطويل ، ذلك لأنه بحر يناسب كثيرا من أغراض الشعر المختلفة، وكانت أوزانه تستوعب مالا يستوعب غيرها من المعاني، وتتسع للتشبيهات، وسرد الحوادث ووصف الأحوال[١٨]

وكانت أغلب الأشعار التي جاءت من هذا الوزن، تقع في وصف السفر والبلاد وأهلها ورثائهم. فمثال ذالك رائيته في وصف ما جرى له من يرو إلى الخرطوم من البحر الطويل:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

خَرَجْنَا بِعَونِ اللهِ فِي غَلَسٍ إِلَى الْـ ـمَطَارِ وكُنَا كَالطُّيُورِ الْبَوَاكِرِ
فَطَارَتْ بِنَا مِنْ يَرْوَ وَلاّجَةً الْهَوَى تُدَافِعُ أَمْوَاجَ الْهَوَى فِي الْهَوَاجِرِ
تَخُوضُ عُبَابَ الْجَوِّ عِندَ ارْتِفَاعِهَا وَتَمْلَأُهُ مِنْ صَوتِهَا بِالزَّوَاجِرِ
مُجَوَّفَةً فِيهَا كَرَاسِيُّ صُفِّفَتْ مُلَيَّنَةٌ بِالْخَيشِ بَرأ لِزَائِرِ

وكذلك قصيدته في وصف نزوله بالخرطوم يقول في مطلعها من بحر الطويل:

نزلنا على الخرطوم باليل إذ سجا * وليس لنا إلا إلى اله ملتجا

ومن القصائد التي جاءت على وزن البحر الطويل، قصيدة في وصف أغدس وأهلها يقول في مطلعها:

ألا أبلغن عني لأغدس تحية * تفوح بعرف المسك أوعرف صندل

٢) الرجز (مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن)

والرجز من الأوزان الخفيفة قليلة المقاطع، وهو أطوع في الغناء، وأوفق مع كثير من المعاني ، ويسمونه حمار الشعراء لسهولة نظمه[١٩]قد ورد هذا الوزن في بعض شعر الوصف، مما يتعلق بوصف الأطلال والمعاهد العلمية القديمة، مثال ذلك قول الوزير جنيد في ذكر معاهد يولا ناهية في بلد صكتو، من بحر الرجز:

لي في المعاهد صبوة لكنها * أقام بها من قبل قوم أفاضل

٤-بحر البسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن * مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن)

والبسيط يقرب من الطويل، لكنه لايستعب مثله لإستيعاب المعاني، وهو يفوق الطويل دقة وجزالة من وجه آخر[٢٠]

جاءت قصيدة وصف أطلال دولة صكتو ورثائها والحنين إليها، من البحر الرجز يقول في مطلعها:

ظَعَنَ الَّذِينَ عَهِدْتُ فِي ذَا النَّادِ * مَاذَا وُقُوفُكَ فِي الطُّلُولِ تُنَادِ

القوافي:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وكذلك كان الشاعر الوزير جنيد يبدي إعجابا في اختيار القوافي الملائمة بقصائده، وشعره تخضع لقاعدة الوحدات الثلاث، التي تتحكم في النظم العربي، وهي وحدة البحر، ووحدة البناء، ووحدة القافية. ولم يرد في قصائده ما يثقل ويجثم مخالفة للذوق السليم.

وكان يسير على ما توافر عليه العرب من الأصوات، ولم يخرج عن عادة الشعراء في استخدام حروف الروي، حيث وضع قصائده على الحروف الآتية: اللام، والراء، والدال، والجيم، والسين. وهي من الحروف التي كثرت نسبة شيوعها في أشعار العرب.

والسر في ترداد هذه الحروف رويا لقصائده الوصفيةكون أكثرها مجهورة مذلقة، يرجع إلى شيوعها في أشعار الشعراء القدامى، وكونها عنصرا موسيقيا يمتزج فيه الوضوح والإظهار، فيمنح النص فرصة مواتية لإظهار كوامن الإيقاع فيه، وسمة الوضوح السمعي، كما أشار إلى ذلك الصوتيون[٢١]

الخاتمة:

تناولت المقالة في الصفحات المتقدمة ذكر شخصية الدكتور الوزير جنيد، حيث تحدث عنولادته ونشأته،تعلم ثقافاته وأدائها وتطبيقها، مع ذكر انتاجاته العلمية والأدبية. ثم تحدثت عن الوصف لدى الشاعر الوزير جنيد، حيث بدأت بذكر تطور فن الوصفعبر العصور الأدبية، وأخير ذكرت المقالة الخصائص الفنية في شعر الوصف في ديوان الوزير جنيد، حيث حاول استخراج القيمالفنية والموسيقى الداخلية والخارجية منها.

الهوامش والمراجع

[١] - يحي محمد الأمين، تحفة وزراء صكتو ومساهمتهم في اللغة العربية . الطبعة الأولى ربيع الأول ١٤٠٨هـ / أكتوبر ١٩٨٢م . ص : ٢٢ – ٢٣ .

[٢] - المرجع السابق ص ص : ٢٢ – ٢٣

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

[٣] - محمد الأمين إبراهيم، الأسماء المشتقة فى ديوان "التوسلات" للوزير جنيد دراسة صرفيه تحليلية. رسالة مقدمة لقسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو، سنة٢٠١٧م ، ص ١٧-٢١

[٤] - يحي محمد الأمين، (الدكتور) يحي محمد الأمين، تحفة وزراء صكتو ومساهمتهم في اللغة العربية . ص : ٢٣

[٥] - سمبو ولي جنيد (البروفيسور) تصدي الوزير عبد القادر بن محمد البخاري وأخيه الوزير جنيد لإرهاب البريطانى الإستعماري على خلافة صكتو ونظرية الصدق الفنى في قصيدتهما، وهي مقالة افتتاحية للمؤتمر الوطني الثالث والعشرين تنظيم جمعية معلمي الدراسات العربية والإسلامية بنجيريا، ٢٠٠٤/٨/٣٠م – ١٤٢٥/٦/١٦هـ، أقيم بجامعة عثمان بن فودي، المقر الفرعي، صكتو، نيجيريا.

[٦] - محمد الأمين إبراهيم، الأسماء المشتقة فى ديوان "التوسلات" للوزير جنيد دراسة صرفيه تحليلية. رسالة مقدمة لقسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو، سنة٢٠١٧م ، ص ١٧

[٧] ديوان طرفة بن العبد، ص ٢٣ ، موقع : أدب www.adab.com

[٨] - ينظر، الدكتور أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، ط ٨ ٢٠١١

[٩] - عبد الله بن فودى (العلامة) تزيين الورقات بجمع بعض ما لي من الأبيات، ص ٣٤ مخطوط مكتبة الباحث الخاصة

[١٠] - أمير المؤمنين محمد بلو، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ط الأولى ١٩٦٣م ، القاهرة ص ١٤٢

[١١]-أمير المؤمنين محمد بلو، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ص١٤٢

[١٢] - علي بن نايف الشحود،كتاب الخلاصة في علوم البلاغة، ج ١ ص: ٩٥

[١٣] - الثعالبي، أبو المنصور، روضة الفصاحة، ص:١٥١

[١٤] - خالد الأزهري، شرح التصريح على التوضيح ج ٢/ ص ٢٨٨، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت

[١٥] - راجع بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني،ص، ٤٧ الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت

[١٦]- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ص ٤٥٧

[١٧] - القزويني ، جلال الدين أبو عبد الله، الإيضاح في علوم البلاغة، ، ط الثالثة ، ١٤٢٨ هـ/٢٠٠٧م ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة ، ص ٣٣٤

[١٨] - ينظر، في المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب ، الطبعة الثانية، دار الفكر بيروت. ج ١ ص ٤٥٦ ،

[١٩] - إبراهيم أنيس، الدكتور، موسيقي الشعر،الطبعة الثانية ١٩٠٣م مكتبة الإنجلو المصرية، ص ٩٦

[٢٠] - إبراهيم أنيس، الدكتور ، المرجع السابق ص ٦٦

[٢١] - داحي آسية، الإيقاع المعنوي في الصورة الشعرية، ص: ١١٠ ط. الأولى مكتبة الأنجلو ١٩٨٩م

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

صور من القيم الفنية في شعر خريجي كلية أحمد الرفاعي للقانون والدراسات الإسلامية – ميسو.

إعداد:
يعقوب موسى محمد
كلية أحمد الرفاعي للقانون والدراسات الإسلامية ميسو-بوتشي، ولاية بوتشي
يعقوب موسى محمد ورابع إبراهيم يوسف
Faculty of Arts & Social Sciences
Religious Department, Gombe State University

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب وجعله سراجا منيرا والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد، فهذه المقالة محاولة للوقوف على بعض قصائد خريجي كلية أحمد الرفاعي وكيف استطاع الباحث أن يكشف مواطن الجمال في تلك القصائد، ولعل ذلك يفيد الدارسين في فهم مدى قيمة هذه الإنتاجات. ومن أهداف المقالة جمع ما هو مبعثر من تراث شعري من تلقاء خريجيها، وكما تهدف الإشارة إلى مدى مساهماتهم في الإدلاء بدلوهم خصوصاً في التثقيف، ولمعالجة إشكالية البحث رسم الباحثان كالنقاط التالية:

- مقدمة
- الكلية وأهداف إنشائها
- مقررات الكلية وأنشطتها الدراسية
- صور من أغراض الشعر لدى خريجيها
- خصائص شعرهم
- الخاتمة ثم الهوامش والمراجع

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الكلية وأهداف إنشائها:

إن كلية القانون والدراسات الإسلامية ميسو كلية أنشأتها ولاية بوتشي في شهر سبتمبر سنة ١٩٧٨م[١]، فعلا قامت الكلية بالنشاطات الدراسية والتعليمية. وأمير كتاغم الحاج محمد كبير عمر هو أول رئيس لمجلس التنفيذ للكلية، وذلك بعد إيجاد قانون وضعي عسكري للكلية EDIT NO.12 OF 1985 ويترأسها المدير ونائبه، ومن أهمّ أدوارها منح شهادات الدبلوم، وجميع هذه الشهادات التي تمنحها الكلية تابعة لجامعة بايرو كنو تقريبا[٢].

بدأت الكلية نشاطها بقسمين:

- **قسم الآداب والدراسات الإسلامية:** وهذا القسم يمنح ثلاثة أنواع من الدبلوم، وهي كالآتية:
  - ١- الدبلوم في الدراسات الإسلامية، واللغتي العربية والمحلية.
  - ٢- الدبلوم في الدراسات الإسلامية واللغتي العربية والإنجليزية.
  - ٣- الدبلوم في الدراسات الإسلامية واللغتي الإنجليزية والمحلية.
- **قسم الشريعة والقانون الوضعي**، وهذا القسم يمنح شهادتين:

١- الدبلوم في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

٢- الدبلوم في القانون الوضعي فقط[٣].

ثم تطوّرت وتوسعت الكلية تدريجيا، وفي أواخر التسعينيات حُوّل اسم الكلية إلى كلية أحمد الرفاعي، وفي أوائل السنة ألفين أرقت الحكومة درجة رئيس الكلية من المدير إلى بروفوست PROVOST وبُدّل النظام الإداري للكلية من نظام الأقسام إلى نظام المدارس وأصبحت في نظام المدارس على النحو التالي:

١- مدرسة الآداب والدراسات الإسلامية

٢- مدرسة التربية والتعليم

٣- مدرسة الألسن

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٤- مدرسة دراسات الشريعة والقانون

٥- مدرسة الإعدادية والتعليم المتواصل[٤].

أهداف إنشاء الكلية:

ومن أهم أهداف إنشاء كلية أحمد الرفاعي للقانون والدراسات الإسلامية ما يلي:

١- تدريب القضاة وموظفي المحاكم الشرعية في الولاية.

٢- تدريب علماء اللغة العربية واللغة الإنجليزية والمحلية للتدريس في المدارس الثانوية في ولاية بوتشي.

٣- إيجاد مبادئ التدريبات للعلماء وموظفي وزارة القضاة في فنون مناسبة لمتطلبات الحكومة.

٤- استعداد الطلبة وتعويدهم للالتحاق بالجامعات النيجيرية.

واستمرت الكلية بنشاطاتها الحية إلى اليوم لتحقيق أهداف إنشائها، واعتنت بتدريب عمّالها لاسيما الأكاديميين لنيل شهادات عالية ما بين الماجستير والدكتوراه، وعقد الندوات والمؤتمرات في الكلية خارجها. ويمكن القول؛ قد حققت الكلية أهدافها لأن أغلب القضاة وموظفي وزارة الشريعة والمحاكم الشرعية في ولاية بوتشي وجومبي وما جاورهما من خريجي هذه الكلية المباركة.

الأنشطة الدراسية في الكلية:

يوجد في الكلية المراحل التعليمية المختلفة، وكانت لكل مرحلة من المراحل مقرراتها الدراسية، وهكذا كانت لكل فصل وسنة من سنوات هذه المراحل مقرراتها الخاصة. ولا تهدف البحث إيراد المقررات وتفصيل مفرداتها، بل هدفها الإشارة إلى مدى محاولة الكلية بالتّتبّع والتركيز على المقررات الدراسية مما أدى إلى نجاح عملية التدريس.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

أنشطتها:

لا تقتصر أنشطة الكلية على الأنشطة التربوية وإنما تمتدّ لتشمل الأنشطة التعليمية والثقافية التي تخدم مقرراتها الدراسية الصالحة وتثري مناهجها التعليمية، لتحقيق أهدافها الخاصة والعامة، ومن تلك الأنشطة ما يلي:

١- تنظيم الندوات العلمية وورشات العمل من حين إلى آخر يدعى لها بعض أصحاب التخصص في الموضوعات التي ستتم مناقشتها في مثل هذه اللقاءات.
٢- تنظيم المسابقات الثقافية بين الطلبة في جميع المراحل، رغبة في توسيع مداركهم العقلية وتنمية آفاقهم العلمية في اكتساب المهارات المختلفة والتعمق فيها، وتشمل المجالات التالية:

- مسابقات الشعر والنثر الفني
- مسابقات المقالات التربوية واللغوية
- مسابقات تحفيظ القرآن الكريم
- مسابقات تحفيظ الأحاديث النبوية مع شرحها.
- مسابقات الرياضة المختلفة - التدريب العملي (التربية العملية).

٣- تنظيم الزيارات للمكتبات الخاصة والعامة وزيارة معارض الكتب.
٤- مساعدة الدارسين في تنظيم البحوث العلمية.

ومهما يكن من أمر فإن تخريج الكلية عباقرة الطلبة، أسهم في تطوير اللغة العربية في الولاية، وسيقوم الباحث بإثبات ذلك فيما يلي:

صور من أغراض الشعر العربي لدى خريجي الكلية:

سبق أن ذكر الباحثان أن كلية أحمد الرفاعي حققت نجاحا من تحقيق أهداف إنشائها بما تخرجته من مئات الطلبة في دفعات متعددة من بينهم: الموظفون والعلماء والوعّاظ والأدباء....

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وبما كان للعلماء والأدباء الذين تخرجوا من الكلية من إنتاجات شعرية يشار إليها بالبنان في الحقل الفني، ويود الباحثان إيراد صور من هذه الإنتاجات بتتبع الأغراض الشعرية كالآتي:

- **المدح**: بما أن المجتمع النيجري الهوسوي يحترم العلم وأهله، قد تناول خريجو هذه الكلية فنّ المديح وقرضوا الشعر فيه، ويكون مدائحهم في مدح العلماء خاصة، ومثال ذلك ما قاله الشاعر إكراما وتمجيدا لعلمائهم، قاله آدم عثمان كوبي[٥] بعنوان "تحية الوداع" الذي يمدح بها أستاذه الشيخ عبد الرفيع بن عبد الرحمن عندما حاول وداعه في رحلته إلى المملكة العربية السعودية يقول فيها:

١- وكنت محافظا للوقت دائما * على القاء درسك يا رفيعي
٢- لقد أرشدتنا طرق الوصول * إلى علم البلاغة يا رفيعي
٣- ولا تسأل عن الأدب صديقي * فكأن الأصمعي عبد الرفيع
٤- وحقا أنه لخليل فينا * لما أبده في النحو رفيع
٥- ستبكيك الفنون وطالبيها * على مرّ الدهور يا رفيعي
٦- تودّعك الفصول وحيث قمت * وتودع بالسلام على رفيعي

إن ارتحال الأستاذ الشاعر قد هز عاطفته ومشاعره وإحساسه بألم الفراق والبين، فأنشد هذه القصيدة يمدحه فيها ويذكر محاسنه ويصفه بالعلم والعبادة وسائر مكارم الأخلاق، وتقع القصيدة في ثلاثة وعشرين بيتا من البحر الوافر على عروض مقطوفة وضرب مقطوف.

ومن أمثال المديح لدى شعراء الكلية قصيدة يوسف علي موسى[٦] التي يمدح بها عميد كليته موسى آدم مَقَوْرَتِي ويهنّئه على الالتحاق بجامعة جوس للدراسة العليا - الماجستير، وعدد أبيات القصيدة خمسة عشر بيتا من البحر الكامل التام على عروض ممتزجة بين الصحة والإضمار واستهلها:

خير النزول فربّ ضع لعميدنا * فالله يجزي ما أقمت لقسمنا
أرأستنا سنة ونصفا بعدها * لا أحد قال فعلك المستحسنا

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

نلت القبول بجوس لاستمرار ما * حصلت عليه يداك من أمر الدنا
إنا لنكره في انتقال أميرنا * إلا تقدمه أحبّ لأهلنا
فالله عالم كلما قدمته * من خير فعل حاصل بلقائنا
والقسم تبكي عينه بخلوّه * من ملك موسى دافعا لأمورنا
نرجو له ما نرجو لأنفسنا على * كل الزمان من المحاسن والغنى
ربي وقاه شر سفر أقامه * حتى يعود إلى مقورثي[٧] بالجنا

هذا، واصل الشاعر يمدح أستاذه ويذكر ما اتّصف به من المكارم.

ومن نماذج ذلك ما قاله ثالث عيسى سعيد[٨] يمدح أستاذه الدكتور محمد عبد الله إمام تلدي المحاضر بقسم الدين والفلسفلة جامعة جوس، ويقول:

شيخ الشيوخ بأرضنا عبد الله * عالم متفنن موسوعي
فاق القرائن وارتقى متواضعاً * حتى تربّع في المحل الأرفع
دُمْ طيبا تلديّ أنت إمامنا * فالعلم يرفع كل من لم يرفع
واقرأ له مني السّلام إذا ذهب * ت وقل له تلميذه المتواضع
يحييه دوماً كلما طلع الفجر * يدعو له الخيرات لم تتقطع[٩]

- **الهجاء**: هو ضدّ المديح، وقد تطرق خريجو كلية أحمد الرفاعي للقانون والدراسات الإسلامية فنّ الهجاء في قصائدهم، ومن فرسان هذا الفن أبو العباس محمد ثالث زكريا[١٠] وقد لقي الشاعر تجربة سيئة من تلميذ له أساء معاملته وأساء الأدب معه، فدفع الشاعر إلى أن يرد عليه وأسماها "حياتي" والقصيدة طويلة تبلغ أربعين بيتا يقتطف المقال أجزاءها كنموذج، استمع إليه يقول:

لحزن وفرح وامتحان وكربة * بجنب حياتي دائما تتحلل
فلا تحسب الأحوال يا صاح تستقم * ومهما تكن يوما تجيء المشاكل
وفي الناس همّاز مشيع النميمة * ومنهم ذكي بالشرائع عامل

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ومن شر أمثلة لهذا زميلنا	*	تبرهم في اسم وفي الطبع جندل
يقال له بحر العلوم ويفتخر	*	ويضحك منه الناس لا يتعقل
ويمشي كشيطان يحرك رأسه	*	يدربج ظنا للتوابع نائل
له رأس حرباء وعينا ضفادع	*	وأذنا حمار أفزعته الفراعل
ويأمر بالفحشاء وينهى عن العدل	*	ويفتك عرض الناس لا يتأمل
وسماه والده باسم مبارك	*	ولكنّه في عكس ما النفس أمل
فأصبح يستعلو بعنف وشدة	*	ومن كان يستعلو فلا يتجلّل
صغير لئيم ابن أم ذميمة	*	كليب حقير نائط الخير ماطل
دواسين قوم لم أكن لائما لكم	*	وأشهد في أبنائكم متبجل(١١)

تعليق الأبيات:

تمتاز الأبيات السابقة بسهولة الألفاظ وقلة السقط والتكلّف وصدق الإحساس والشعور، وتهيأت للشاعر أسباب الشاعرية من تجربته في الحياة وفتق أكمام موهبته وجعله شاعرا مثاليا بين خريجي الكلية.

تنوعّت أساليب النص من خبر إلى إنشاء فمن الأخبار قوله: (وفي الناس هماز مشيع النميمة) وهو يقيد الحقيقة ويقرّرها. وكثير من الأساليب الخبرية في القصيدة تخرج إلى الهجاء أو الشتم والسباب. ومن الإنشاء قوله: (فلا تحسب الأحوال تستقم) ومنه قوله (فلا تعتمد على الناس) وغيرهما من أساليب الإنشاء التي خرجت إلى معنى النصح والإرشاد.

موسيقى النص تتمثل في الوزن والقافية، فالقصيدة تسير أبياتها على وزن واحد، وتنتهي بحرف واحد هو اللام المضمومة، وذلك ما يسمّى بالموسيقى الخارجية. أما حظ النص من الموسيقى الداخلية فكثير متوافر تتمثل في المحسنات البديعية التي جاءت على لسان الشاعر دون قصد، فساعدت على تجلية اللفظ وتجميله، ومنها المقابلة بين المنحرفين عن طريق الحق وبين المعتدلين عن الطريق المستقيم المفهوم من قوله:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وفي الناس هماز مشيع النميمة * ومنهم ذكي الشرائع عامل

ومنها الطباق في قوله (الحزن والفرح) وقوله (يأمر وينهى) والالتفات في قوله (لكم) وكلها مقبولة وجميلة. وهكذا.

- **الغزل**: وقد ذكر النقاد أن الغزل نوعان: غزل صريح وغزل عفيف، بينما خريجو كلية القانون ميسو - ما طرقوا الغزل الصريح قط على حسب ما وصل إليه الباحثان، بل ركزوا أفكارهم على الغزل العفيف، وقد عرفه الدكتور خالد بقوله: "هو الذي يصوّر حبا عفيفا مخلصا لا تشوبه نزعة إلى منكر أو باطل ولا مطمع للحب سوى الصلة الروحية والمشاركة العاطفية[١٢]، ومن أمثلة ذلك ما قاله طاهر محمد مَيْكَنْدِيرِ متغزلا:

إليك تحيات تفوح بمسكها * وتتبعها أخرى بطون المراسل
أفاطمتي لا تبعدي وتقربي * ولا تجعلي قلب المحب مزلزل
وبعدك مني قد توقد ناره * وحرق قلبي لهبه غير محول
وكيف إذا ما قد دعوتك هاتفا * تقطع جوّالي وهو ليس بواصل
فوالله ما أفشى بسرك فاعلمي * وما فاشي الأسرار بالمبتجل
أفاطم إن الوعد قد كاد وقته * فيا ليت شعري أن أراك بمنزل[١٣]

هذه القصيدة اللامية قالها طاهر محمد ميكندير لمخطوبته فاطمة بنت محمد مصطفى، وتحتوي على ثمان وعشرين بيتا في الغزل، يتضح للقارئ في تلك الأبيات جدية الشاعر المقرونة بالنشاط والوله، وقد حقق الشاعر نقل عاطفته السيارة الهادئة بوسيلة الإيقاع والنغم فإذا قرأها الإنسان يجد ألفاظها تتوالي وتتدافع مقاطعها وتنساب أصواتها في تمثيل العلاقة الحبية التي يحسن بها الشاعر، ويمكن القول بأنه يظهر أهم قيم هذا النص فيما يلي:

المطلع:

إذ وافق وأجاد فيه الشاعر إجادة تامة لأن هذا المطلع صورة ظاهرة للقصيدة، ويقول:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

إليك تحيات تفوح بمسكها * وتتبعها أخرى بطون المراسل

الألفاظ:

بالنسبة لألفاظ القصيدة قد اختار ألفاظا مناسبة، ذات غاية في الجودة والرونق، فلم يشذ في اختيارها لكي ينقل إلينا المعاني الكامنة.

الموسيقى:

أما استخدام الشاعر للموسيقى الشعري من حيث استقامة الوزن وعدمه والقافية وحالتها فقد اختار وزنا من البحر الطويل وقافيته مبنية على روي لامي مجراها الكسرة، فإنها لم تسلم من الذلات التي تعد عيبا من عيوب القافية، وخير مثال على ذلك قوله:

إليك تحيات تفوح بمسكها * وتتبعها أخرى بطون المراسل
أفاطمتي لا تبعدي وتقربي * ولا تجعل قلب المحب مزلزل

ويظهر من البيتين السابقين سناد الردف[١٤]، وفي البيت الأول منه إن القافية كلمة "مراسل" فإنها مردفة بالألف غير أنها خالية من الردف في البيت الثاني وهي "مزلزل".

المقطع: أما مقطعها فلا يقل جودة من مطلعها:

جلاس على الكرسي أهلا ومرحبا * عليك سلام الله مني ومحفل

- **الرثاء:** وقد تناولوا فن الرثاء وأجادوا فيه فسيعرض الباحثان "تائية العائشات" لمحمد المنصور بن عثمان التي يرثي بها زوجة صديقه المتوفى يوم الخميس ليلة الجمعة سنة ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م، ومطلعها:

بغير تمرض نعي أتاها * دموع العين هطل الهاطلات
تقاسي في الفؤاد لهيب نار * وهل للنار غير المضرمات
وزادت عبرتي حتى أسالت * تبل بها الصدور الصابرات
وكم حال الفراق لقاء حب * تقارب أجله بالنائبات

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

كأن لمقلتي عيني لما * أخذت خلالنا بالمعجعات
تسيل الدمع تجري من مآقي * بأعين عابدين العابدات[١٥]

ولم يزل الشاعر إلى أن دفعته عاطفته إلى من صلّى على المرثى

وصلى للجنازة خير شيخ * زعيم الدين شيخ الطائرات

واختتم الشاعر بتسلية نفسه وتصبّر الأسرة والأهل، ثم الدعاء على المرثى بأن يحصل على أعلى الجنان يوم الجزاء.

يؤرقني التفرق ملا قلبي * ولا أبكي بكاء المشركات
وإن وفاة مثلك لي ابتلاء * لحق الصبر عن الصادمات
رثاك المسجد الأعلى مسابا * وشيخ العارفين القارءات
لتحفظها وسيمة خير بنت * لتجعلها رموزا في البنات
فألف تحية وسلام قبر * تنال بها منازل عاليات

- **شوق وحنين:** وقد تناول الشيخ محمد محمد سعيد هذا الجانب في مجزوء بحر الكامل على عروض مقطوعة وضرب مقطوع، استمع إليه يقول:

غِلْتَنِّ مسقط رأسي * فيها بدأت دراسي
عن والدي ثم عمي * حتى فتحت خواسي
هذا بداية أمري * قبل التشيب رأسي
والحمد يتلوه شكر * لله رب الناس

خصائص شعرهم:

وقد يستخلص البحث خصائص شعرهم في النقاط التالية:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

- الأسلوب: يقول النقاد هو القالب الذي تصب فيه المعاني الشعرية أو المنوال الذي ينسج عليه الشاعر أفكاره[١٦] بما أن الألفاظ هي الدرجة التي تتكوّن منها الأساليب فهي في الأدب كاللبنة الأولى في البناء، يتتبع المقال:

١- **الألفاظ**: فيما يبدوا يتمتع شعر خريجي الكلية بسهولة الألفاظ ووضوح المعاني وحسن اختيار الكلمات، ولعل السر في ذلك عدم تعمّدهم إلى إيراد الغريب أو المحسنات اللفظية والمعنوية وكانوا يطلقون العنان لقرّائهم للتعبير عما يموج في قلوبهم بصدق وإخلاص ومن ثم وقعت ألفاظهم مألوفة مؤنسة. ولعل هذه الدراسة تكون مصيبا إذا قال مما ساعدهم على ذلك اطلاعهم على معلقات الجاهلية ودراستهم على قصائد فحول الشعراء الإسلاميين، وشعراء العصر الحديث، ذلك رقّق عواطفهم ورفع مستوى أذواقهم، ويمثل الباحثان بما قارن ثالث عيسى سعيد لامية أبي العباس بلامية امرئ القيس والحزين بن سليمان الكناني التي يهجو بها عمرو بن عمرو بن الزبير. ويقول أبو العباس:

لحزن وفرح وامتحان وكربة * بجنب حياتي دائما تتخلل

ويقول الحزين:

لعمرك ما عمرو بن عمرو بماجد * ولكنّه كذّ اليدين بخيل

ينام عن التقوى ويوقظه الخنا * فيخبط أثناء الظلام يجول

وفي النصين السابقين حاول الأستاذ ثالث عيسى المقارنة بين لاميين وأشار بأن الشاعر البوتشي قد تأثر بهذا الشاعر في المعاني وحتى في الوزن والقافية والروي وحركاته. وأشار أيضا أنه تأثّر بامرئ القيس في البيت الذي يقول فيه:

له أيطلا ظبي وساقا نعامة * وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

٢- **التركيب**: والمتتبع لقصائدهم يرى أنه ينطبح بالوضوح وسلامة التركيب وحسن الأداء، لأنهم تجبنوا الوحشي من اللغة من ألفاظ ولم يعتمدوا من التقديم والتأخر ما يسبب التعقيد والغموض في العبارات، وكانت جملهم وسطا في معظمها بين الطول والقصر.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٣- **الابتعاد عن التقليد الكلي عند القدامى:** لعل القارئ يوافق هذه الدراسة على هذه المقولة إذ هذه الظاهرة سمة يتسم به جل الشعراء المتخرجين من الكلية، وتركوا وصف الأطلال والناقة... ولم يحصل البحث ولو قصيدة افتتحت بما عرف بذكر الأطلال.

٤- **كثرة الافتتاح بالحمدلة والصلصلة والثناء على الله:** وهذه الظاهرة شائعة لا تكاد تجد قصيدة إلا وقد افتتح بالحمدلة واختتم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. لعل ذلك لتأثرهم بالدين.

٥- **الرمز:** ومنهم من زين قصيدته بالرمز الشعري كأمثال محمد سعد حيث يقول:

رمز القصيدة ديّ * في عام غوغي قياس
بالوفق عام تغزل * للهجرة الأكياس(١٧)

٦- **مبالغة في المدح:** وهي أيضا من خصائص شعرهم، ألا ترى آدم عثمان كوبي يقول:

ولا تسأل عن الأدب صديقي* فكأن الأصمعي عبد الرفيع
وحقا أنه لخليل فينا * لما أبداه في النحو رفيعي
وأنت عمادنا أدبا ونحوا * عروضا كنت جاحظنا رفيعي

وفي الأبيات السابقة قد بالغ الشاعر في مدح ممدوحه إذ شبهه بعباقرة علماء اللغة - الأصمعي والخليل والجاحظ- وهكذا.

وبالجملة فإن الإنتاجات الشعرية لخريجي كلية أحمد الرفاعي قصائد جيدة، حسب رأي الباحث، وقد تناولا أغراضا مختلفة، والدارس للقصائد يجد لها خصائص جادة تضارع الشعر العربي عبر عصوره.

الخاتمة

بعد الحديث عن قصائد خريجي كلية أحمد الرفاعي من إيراد نبذة تاريخية موجزة عن الكلية وصور من أغراض وخصائص الشعر من خريجيها قد اتضح لنا أن الكلية قد حققت

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

أهداف إيجادها، إذ خرّيجوها أنتجوا إنتاجات علمية وأدبية ضخمة من بينها قصائد جياد، ومنها ما تناولته أيدي الأكاديميين بمحاولة الدارسين لها، ومنها ما زالت مخطوطة ومخزونة تحتاج إلى نفض الغبار عنها وإخراجها لتكتحل بالنقاد لما فيها من الجمال الفني. ويمكن رصد النتائج التي توصل إليها المقال في الآتي:

- تأثر خريجو الكلية بالشعر القديم لكثرة اطلاع دواوينهم
- أن شعرهم يتسم بسهولة الألفاظ ووضوح المعاني وحسن اختيار الكلمات
- يتسم شعرهم بجودة الأسلوب لسلامة تراكيبهم وحسن الأداء
- ومن مميزات شعرهم كثرة الافتتاح والاختتام الديني - الحمدلة والصلصلة
- كما أنه أيضا يمتاز ببعض الرموز التاريخية لدى بعضهم

ويقترح المقال بأن يقوم طلاب العلم بكتابة البحوث الأكاديمية في الإنتاجات الشعرية عن خريجي الكلية المباركة. كما يقترح على الحكومة بنشر هذه الإنتاجات وتوزيعها في الآفاق بعد الطبع.

الهوامش والمراجع

١- Students' Information hand book, 2015/2016, published by: Information and Public Relation Unite, office of the Provost, A.D. Rufa'i College for Legal and Islamic Studies Misau, Bauchi State.،
وانظر: طاهر محمد، دور كلية أحمد الرفاعي للقانون والدراسات الإسلامية (٢٠٠٢م)، بحث تكميلي لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية جامعة بايرو كنو، ص٤٨.

٢- Student Information المرجع السابق، ص١.

٣- طاهر محمد، المرجع السابق، ص١٢.

٤- Students' Information Hand Book Page. 2.

وتوضيحا على هذا تحت أي مدرسة أقسام عدة، ومما هو جدير بالذكر قد أضاف الكلية بالشهادات التربية الوطنية منذ سنة الدراسية ٢٠١٢/٢٠١٣م أصبحت الكلية تمنح شهادة N.C.E في فنون مختلفة.

٥- ولد بقرية "غورند" تابعة للحكومة المحلية غانجو ولاية بوتشي تخرج فيها في أوائل الثمانينات، وله إنتاجات أدبية قيمة منها: "الأساس في الأدب العربي وتاريخه"، اشتغل محاضرا بجامعة ولاية بوتشي.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٦- ويلقب بـ"كَاكَ" Kaka تخرج في الكلية في أواخر التسعينات، وله بحوث أكاديمية والآن محاضر في الكلية.

٧- قد رأس المدرسة الإعدادية في سنة ٢٠١٢م، ومَقَوْرَتِي اسم قرية تقع على طريق أزري وتبعد ثمان كلوميتر تقريبا.

٨- تخرج في الكلية سنة ١٩٩٥م والآن محاضر بالكلية التربية الفدرالية بنكثن ولاية بلاتو.

٩- انظر الأبيات؛ ثالث عيسى سعيد، شاعرية أبي العباس محمد ثالث زكريا دراسة أدبية تحليلية، مجلة الضاد، مجلة عربية لغوية أدبية ثقافية تصدر عن شعبة اللغة العربية، قسم اللغات واللسانيات جامعة ولاية نصراوا كيفي المجلد الثالث العدد الأول يناير ٢٠١٤م، ص٢٣٠.

١٠- تخرج في الكلية سنة ١٩٩٣م، وله ديوان الشعر، وقد أجاد في المدح والهجاء واشتغل قاضيا في المحاكم الشرعية في ولاية بوتشي.

١١- ولبراعة الشاعر أخرج قرية المهجو من الأهاجي المقذئة وهي ديسين قرية تابعة للحكومة المحلية شرا ولاية بوتشي.

١٢- خالد حسن عبد الله (الدكتور)، تحليل رائية حم آدم بيو في الغزل، دراسات عربية حولية تصدر عن قسم اللغة العربية -جامعة بايرو- كنو، نيجيريا العدد الخامس أكتوبر ٢٠١٠م، ص٧٢.

١٣- ولد في أوائل الستينات وتخرج في الكلية في أواخر الثمانينات واشتغل محاضرا في الكلية وارتقى عبر مناصبها إلى درجة الزعيم المحاضر. وله قصائد جياد في اللغتي العربية والمحلية.

١٤- هو حرف لين ساكن (واو أو ياء بعد حركة لم تجانسها) أو حرف مد (ألف ياء بعد حركة تجانسه قبل الروي) انظر مأمون عبد الحليم وجيه (الدكتور) العروض والقافية بين التراث والتجديد، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م، مؤسسة المختارة القاهرة، ص٣٠٦.

١٥- وهو محمد المنصور عثمان، تخرج في الكلية في السنة ١٩٩٤، وتحصل على درجة الدكتوراه سنة ٢٠١٤م، في جامعة عثمان بن فودي، والآن هو محاضر بكلية أمين صالح للتربية أزري. وله ديوان الشعر.

١٦- شوقي ضيف، في الأدب والنقد، دار المعارف القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٨.

١٧- ولد في غِلْتَنّ بادية عن طريق كنو تبعد من ستة أميال من بلدة ميو وتخرج أيضا مع الباحث سنة ١٩٩٤م. وله إنتاجات علمية. ورمز الشاعر بعدد أبيات قصيدته وسنة الهجرة والميلادي.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

صور من أساليب القصر والإيجاز والإطناب في شعر الشيخ عبد القادر بن المصطفى التوردي.

إعداد

الدكتور: أبوبكر ثاني علي

قسم اللغة العربية والدّراسات الإسلاميّة، الجامعة الفدراليّة غسو، ولاية زَمْفَرَا- نيجيريا

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد خير عباد الله أجمعين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان واستن بسنتهم إلى يوم الدين. أما بعد: فإن التراكيب الكلامية تتفنّن- على الرغم من تفاوتها واختلاف مناهجها- إلى فنون بلاغية مختلفة: البيان، والمعاني، والبديع، على أن المعاني منها يتراوح بين عديد من الظواهر المتنوعة، والأساليب المتشعبة من بينها أساليب: القصر، والإيجاز، والإطناب.

هذه المقالة بعنوان: "**صور من أساليب القصر والإيجاز والإطناب في شعر الشيخ عبد القادر بن المصطفى التوردي**" عبارة عن عدة صفحات تناول فيها الباحث تعريف ظاهرة القصر، والإيجاز، والإطناب، ثم تتبع بعض نماذج هذه الظواهر البلاغية من ديوان الشيخ عبد القادر بن المصطفى، ودرسها داسة تحليلية.

هذا، وقد جاء ت المقالة مشتملة على النقاط الآتية:-

- النقطة الأولى: التعريف بالشاعر.
- النقطة الثانية: أسلوب القصر.
- النقطة الثالثة: أسلوب الإيجاز.
- النقطة الرابعة: أسلوب الإطناب.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

النقطة الأولى: التعريف بالشاعر.

نسبه:

هو عبد القادر بن المصطفى بن إبراهيم بن موسى بن علي بن جبّ بن عال بن محمد بن أيوب بن ماسران ، فهو سبط للمجدد الشيخ عثمان بن فودي - رحمه الله- من جهة خديجة إحدى بنات الشيخ من زوجه " غابد"[١]، فينتهي نسب أبويه إلى ماسران، الجد الثالث بعد جكلّ، وهو من قبيلة توربّ، ويكنى عبد القادر بن المصطفى بـ"طن تفا" نسبة إلى أبيه[٢].

وقد أفادت الوثائق التاريخية أن الشيخ عبد القادر بن المصطفى توردي النسب والقبيلة، فينتسب إلى أكبر فرع من فروع القبيلة الفلاتية، المعروف بـ" توربّ"، وهم من " فوت " أخوال الفلاتيين جميعهم.[٣]وأمّا أسرته فينتمي ابن المصطفى إلى أسرة ذات عراقة مجيدة ، تضم كثيرا من الأسر والعشائر، تنتهي إلى الصحابيّ الجليل عقبة بن نافع الفهري؛[٤] وعقبة هذا هو ذلك الصحابي المجاهد الذي فتح بلاد الغرب زمن عمر بن العاصي في مصر. والحاصل أن عقبة تزوج بنت ملك قبيلة من قبائل الفلاتيين اسمه "بجّ مغّ "، وفدت هذه القبيلة إلى عقبة وجماعته وأسلم ملكها، فولدت له الفلاتيين حيث تكلّمو بلغة أمّهم دون لغة أبيهم، لقلّة من يتكلّم بها آن ذاك، واللغة الفلاتيّة هي اللغة الأصلية لـ" توربّ "{TOROBBE} ليس لهم غيرها.[٥]ولد الشيخ عبد القادر بن المصطفى عام ١٨٠٤م، وهو واحد من الشخصات البارزة في عصر الجهاد.[٦]

نشأته وتعلّمه:

نشأ الشيخ عبد القادر بن المصطفى تحت رعاية والديه نشأة علميّة أدبيّة، ونبغ من بين مجتع فاضل، عني بالتعلّ والتّعليم والتّأليف، ذالك المجتمع الفودوي الذي انشغل بالحركة الإصلاحية الجهاديّة، ولم تكد تلك الظروف العويصة التي عاشها المجتمع تعرقل ابن المصطفى عن القيام بالتعلم والتعليم، وبالجهود الفعّالة من نشر الإسلام والثقافة الدّينية.[٧]

هذا، وتلقى العلم والفنون عن جماعة من العلماء الذين يشار إليهم بالبنان في عصره، منهم والده الشيخ المصطفى التوردي، وأمير المؤمنين محمد بلّو، والشيخ محمد البخاري بن

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الشيخ عثمان رحمه الله تعالى، كما تتلمذ عليه كثير من التّلاميذ، فتخرج في حلقته العلمية عدد كبير من العلماء، منهم الشّيخ ابن إسحاق، وأكبر أبنائه المعروف بـ" مؤ الله يط "، وابنه أحمد البكاء.[٨]

وألّف الشيخ عبد القادر بن المصطفى كتبا ورسائل ومقالات، تعالج كثيرا من الموضوعات الدّينيّة، والأفكار الأدبيّة، منها رسالة " مسامرة الحبيب ومسايرة الصحيب" ، و " العهود والمواثيق"، و منها ديوانه.[٩]وتوفي الشيخ عبد القادر بن المصطفى ودفن بـبلد " وُرْنُـو ".[١٠]

النقطة الثانية: أسلوب القصر.

سوف يتناول الباحث في هذه النقطة حدّ القصر وطرقه ونماذجه في ديوان الشاعر بن المصطفى.

أولا: تعريفه.

القصر في اللغة: الغاية، وهو القُصار والقُصَارى، قال العباس بن مرداس:

للهِ درك لم تمنى موتنا ... والموتُ، ويحكَ، قصرُنا والمرجعُ. وهذا قَصْرُكَ أي أجلك وموتك وغايتك. واقتَصَرَ على كذا أي قنع به. واقتَصَرَ على أمري أي أطاعني. والقَصْرُ: كفك نفسك عن شيء، وقَصَرْتُ نفسي على كذا أقصرها قصرا.[١١]

والقصر في الاصطلاح: تخصيص شيء "صفة أو موصوف" بشيء "موصوف أو صفة" بطريق مخصوص.[١٢]

ويتكون هذ النوع من الأسلوب عن طريق وسائل تتمثل في النفي والاستثناء، وإنما، والعطف بلا أو لكن أو بل، وتقديم ما حقه التأخير.[١٣]وهذه الوسائل هي طرقه، وهو من أنماط الكلام التي يصطبغ بها الأسلوب عند الشاعر عبد القادر بن المصطفى، وقد نوع في استخدام ألوان من أساليب القصر، حسب الوسائل والأحوال للحكم على ما احتوى عليه الأسلوب بإثباته، أو نفيه عما سواه.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

أقسام القصر:

أ- القصر الحقيقي ما كان تخصيص الشيء بالشيء فيه بحسب الحقيقة وفي نفس الأمر بمعنى عدم مجاوزة الأول والثاني إلى غيره أصلًا.

ب- والقصر الإضافي ما كان التخصيص فيه بحسب الإضافة إلى شيء آخر بمعنى عدم مجاوزة الأول الثاني إلى شيء آخر معين وإن أمكن أن يتجاوزه إلى غيره.

ج- قصر الموصوف على الصفة هو ما لم يتجاوز الموصوف فيه تلك الصفة إلى غيرها "من جميع الصفات في الحقيقي أو صفة معينة في الإضافي" مع جواز ثبوت تلك الصفة لغير الموصوف.

د- وقصر الصفة على الموصوف هو ما لم يتجاوز فيه الصفة ذلك الموصوف إلى موصوف آخر "أي كل موصوف في الحقيقي أو بعض معين في الإضافي" مع جواز أن يكون لذلك الموصوف صفات أخرى.

و- القصر الإدعائي ما كان القصر الحقيقي فيه مبنيًّا على الإدعاء والمبالغة بتنزيل غير المذكور منزلة العدم وقصر الشيء على المذكور وحده.[١٤]

تقديم ما حقه التأخير.

فمما يمثل القصر الحقيقي في الديوان الإتيان بقصر صفة على موصوف مستخدما أسلوب ماحقه التأخير في قوله:

فالحكم للمولى وليس لغيره * وله التصرف خفية وعلانية[١٥]

والشاهد في البيت قوله: " **وله التّصرف** " فهو قصر صفة على موصوف أتى على أسلوب تقديم ما حقه التأخير، وهو شبه جملة " **لـه** " على ما حقه التُقديم، وهو " **التصرف** "، والشاعر ينتخب ذلك للإفصاح عن حقيقة واضحة لايحوم بها ريب ولا شك، وهي إثبات

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

التصرف المطلق في الشئون الظاهرة والباطنة الحسية والمعنوية للحق وحده، ونفي ذلك عمّن سواه.

ومما يدل على براعة شاعرنا في الميدان البلاغي افتتاح البيت بالأسلوب الخبري، الواقع في جملة " فالحكم للمولى" وتأكيدها بجملة النفي " ليس لغيره " ثم أعقبها بأسلوب القصر، ولرساخة قدمه في الذوق النحوي ختمه بجملة حالية.

ومنه قوله:

بك الاستعانة فيما بليت * به من معانات قومي وثغر[١٦]

والشاهد قوله "**بك الاستعانة**" قصر صفة على موصوف جاء على أسلوب تقديم ما حقه التأخير، فتقدم الجار والمجرور وهو الخبر على المبتدأ يشعر بقصر الاستعانة على الله، ونفيها عمّن سواه سبحانه وتعالى، فهو الوحيد المستغاث به في كل ما يبتلى به مخلوق.

العطف بـ" لكن ".

منه قوله:

فحق لعيني وقلبي جميعا * عليه احتراق وسحّ بدم

وأرثي عليه بنثر الكلام * وعقد النظام برسم القلم

ولكن رضيت بحكم الإله * وأمر المهيمن فهو الحكم

والشاهد في البيت قوله: "**ولكن رضيت بحكم الإله**"، إخبار من الشاعر أن فقد الحبيب يستوجب لوعة القلب حزنا، وسكب العين للدموع أسى ووجدا، كما يحرك ذلك عاطفة الشاعر لإنشاء الكلام المنثور، ونظم الشعر رثاء عليه، فهو نماذج من نماذج قصر الموصوف على الصفة بواسطة العطف بـ" **لكن** ".

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وقد اختار الشاعر العطف بـ"لكن" لتخصيص الرّضى على حكم الإله فقط، مستدركا أنه مع كل ما تقدم لابدّ من التّسليم والإنقياد لقضاء الله والتّفويض لشأنه، فهو كما يبدو قصر موصوف على صفة.

النقطة الثالثة: أسلوب الإيجاز.

الإيجاز لغة: من وجز الكلام وجازة، وأوجزه: اختصره، ويقال: أمر وجيز وكلام وجيز: أي خفيف مقتصر.[١٧]

والإيجاز اصطلاحا: هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوسط.[١٨]هو نوعان: إيجاز قصر، وإيجاز حذف، وأما إيجاز القصر فهو ما ليس فيه حذف، وأحسن مثال له قوله تعالى: {ولكم فى القصاص حياة.....}(سورة البقرة،الآية:١٧٩)، فليس في الآية حذف مع أن المعنى زائدة على ألفاظها، فالمقصود أن الإنسان مهما أيقن أنه إن قفل قتل، كان ذلك داعيا قويّا يكفّه عن الإقدام على القتل، فارتفع بالقصاص سفك دماء الناس بعضهم لبعض ظلما.[١٩]

ومن هذا المنطلق ينظر نظرة أخرى في التركيب، فإن زادت معانيه على ألفاظه في الكثرة كان إيجاز قصر ما لم يكن فيه حذف، وإلاّ، فهو إيجاز حذف، والإيجاز قد شد به شاعرنا عبد القادر بن المصطفى كثيرا من عباراته في الديوان، وضمّنها معان مطنبة في ألفاظ قصيرة مختصرة.

الإيجاز بالقصر في شعره:

ومن نماذج ذلك قوله:

سل الغوابرعنهم في وقائعهم * هل يصبرون ونار الحرب تلتهب

بتأمّل البيت تأمّلا جيدا يدرك القاريء أن في البيت عبارات موجزة ضمّنت كثيرا مما دار خلال الحروب التي جرت بين جماعة "الشيخ" وجماعة "غُوبِرْ".

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وقوله: " سل الغوبر عنهم في وقائعهم " إنشاء طلبي في أسلوب الأمر الالتماسي، فالشاعر يجرد عن نفسه مخاطبا خياليا، يخاطبه ويلتمس منه الاتصال بالغوابر، وأن يستبصر منهم عن الوقائع التي دارت بين جماعة الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله وبين جماعة "غُوبِرْ"، وقوله: " هل يصبرون ونار الحرب تلتهب " تصوير إنشائيّ في أسلوب الاستفهام الإنكاري، دلالة على حماسة الشيخ في اللقاء عند الوغى، كما يوحي الأسلوب على جزع جماعة "غُوبِرْ"، فلا يصبرون، ولا يستطيعون تحمّل حرارة النار التي تسعرها الحرب، ولا مقاساة القضايا الطارية.

ومنه قوله:

فيا رزء كل المسلمين لفقده * فقد عمت البلوى به كل عالم

يتبنى الشاعر هذا الأسلوب في سياق الحديث عن مرثيته على الشيخ عبد الله بن فودي رحمه الله تعالى، فيتراءى للقاريء الممعن النظر في البيت ما فيه من التضمين الجيد، حيث ضمّن الشاعر البيذت عدة معان تستحق كلٌّ منها للاستقلال بعبارات مفصلة، ولكنه استكفى عن ذلك بوجازة التعبير المؤدي إلى بلاغة القول إذا طابق الحال ولاءم المقام.

ومنه قوله:

ولقد رضينا بالقضاء وحكمه * فالخلق مجرى للقضاياالطارية

يعمد الشاعر في البيت الإيجاز بقصر العبارات وتطويل المعنى، فهو يبرهن على لزوم هذه الشعبة الدينية كل الناس، وهي التسليم لقضاء الله وقدرته، فكل الأنام عرضة الأقدار والعوارض.

ومنه قوله:

بان الحبيب وحالت دونه الحجب * وأصبح الحبل وهنا منه والسبب

وخلال تنوعه الأساليب مال إلى صياغة ضرب من ضروب الإيجاز، وهو الإيجاز بالاختصار.

النقطة الرابعة: أسلوب الإطناب.

الإطناب في اللغة والاصطلاح:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الطّاء والنّون والباء أصلٌ يدلّ على ثبات الشّيء وتمكّنه في استطالةٍ. من ذلك الطّنُب: طُنُبُ الخِيام، وهي حبالها الّتي تشدّ بها. يقال: طنّب بالمكان: أقام. والإطنابة: المظلّة، كأنّها إفْعالة من طَنَب ; لأنّها تثبت على ما تُظلّله. والإطنابة: سَيرٌ يُشدّ في طَرَف وَتَر القوس. وأطنب في الشّيء: إذا بالغ، كأنّه ثبت عليه إرادة للمبالغة فيه. ويقولون: طَنِب الفرس، وذلك طول المَتَن وقوّته، فهو كالطُّنُب الّذي يُمَدّ ثمّ يُثبّت به الشّيء. وكذلك أطنبت الإبل، إذا تبع بعضها بعضا في السّير. وأطنبت الرّيح إطنابا، إذا اشتدّت في غبار. ومعنى هذا أن ترتفع الغَبَرةُ حتّى تصير كالإطنابة، وهي كالمظلّة.[٢٠]

وفي الاصطلاح: أداء المقصود من الكلام بأكثر من متعارف الأوساط.[٢١]

وهذا النوع من الأساليب التي يخلق منها معان راقية قصد بها التفصيل بعد الإجمال، وخاصة في أغراض الرثاء، والمدح، والوصف، الأغراض الشعرية التي احتظت بحظ أوفر في الديوان. فإذا أجمل بأن المولى عزّ وجلّ قد تفضّل على المسلمين بالحسنى، ومدافعته عنهم بقوله:

حمدا وشكرا لمولانا بما صنعا * للمسلمين من الحسنى وما دفعا

فقد فصل ذلك مباشرة في قوله:

إذ أيّد الدين بالنصر المبين وبالـ * فتح المبين فذلّ الكفر واتضعا

وحلّ أهلوه في دار البوار وفي * مهواة هلك عليها جندهم وقعا

أجاد الشاعر في تفصيل ما أجمل من الخيرات التي أنعم الله بها على الأمة المسلمة، والمقام مقام الشكر والثناء، وهو من الموقف الكلامية التي يتشفّف فيها المخاطب إلى شيء من الإيضاح والتفصيل، فيؤدي ذلك إلى الإطناب بالألفاظ إطنابا غير مخلّ بالقول.

وممّا يمثّل ذلك إجماله في ذكر ما يتصف به أمير المؤمنين محمد بلّو من الأخلاق الرّضيّة والخصال الحميدة في بيت من الشعر فقال:

ذاك الأمير محمد فخصاله * محمودة في سائر الأشياء

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

مقدمة جيدة تتشوّق بها نفس المخاطب منتظرة سرد بعض ما أجمل من المواصفات في نوع من التفصيل، فحسن قد استجاب لذلك الشاعر قائلا:

وله مناقب جمــة معلومة * خذ بعضها بالعدّ والإحصاء
فأجلها نور الهداية والهدى * وكمال نيل الحظ فى العلماء
وكذا الخلافة والعدالة والسخى * وبــلاغة في النثر والإنشاء
وجهاده الأعدا كــذا تأييده * بالنصر والتمكين فى الأرجاء
والرأي والتدبير فيــما ينبغي * وزهادة فى المــال والازياء
وعفافه وسماحه وبهــــاءه * وكــماله فى الرأي والآراء
وله الشهــادة إذ توفى ثاويا * برباطــه فيعدّ فى الشهداء

تفصيل محكم لما أجمل من النعوت والصفات التي يتحلى بها المرحوم الأمير محمد بلّو، ساقها الشاعر في أساليب بلاغية مختلفة: خبرية، وإنشائية، وتفصيلية، مستخدما في ذلك الألفاظ المعجمية الموحية، الدالة على إثرائه اللغوي، وذوقه المعجمي،متمثلا فى استعماله لكلمات: "مناقب" فلم يقل بدلها "منازل"، و"جمة" فلم يستخدم مكانها "كثيرة"، و"نيل" فاستغنى بها عن "وجود"، وكذلك استغنى بـ"السخى" عن "الكرم" و"العطاء".

والملاحظ أن لكلّ من الإيجاز والإطناب سموّه التعبيري، ورقيه البلاغي، إذا ناسب المقام واستدعاه الحال، فلا يقل أحدهما بلاغة ما لم يخلّ بشروط الرقيّ الأسلوبي.

الخاتمة.

وصولا إلى النهاية، فقد تناولت المقالة نبذة تارخيّة للشيخ عبد القادر بن المصطفى التوردي، ورد فيها تحليل بعض الظواهر البلاغية في علم المعاني، تنحصر في القصر والإيجاز والإطناب، حيث قام الباحث فيها بإلقاء ضوء حول تعريف كل ظاهرة، ثم أخذ طائفة من نماذجها الواردة في بعض شعر الشيخ عبد القادر بن المصطفى التوردي، وحللها تحليلا بلاغيّا.

وقد توصل الباحث من خلال ذلك على نتائج منها:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

١. أن أشعار الشيخ عبد القادر بن المصطفى من الإنتاجات الشعريّة التي تتضمّن من خلال أساليبها قضايا بلاغيّة قيّمة.

٢. أنّ أسلوب القصر والإيجاز والإطناب من الظواهر المعانيّة الكامنة في أشعار ابن المصطفى.

٣. أنّ دراسة أمثال هذه النّصوص الشعرية ممّا يساعد الباحثين على التّدرب بتذوّق النصوص تذوّقا أدبيًّا بلاغيًّا.

وفي آخر المطاف يودّ الباحث أن يوصي ويقترح على الباحثين بأن يواكب في خدمة أمثال هذا التراث العلمي الأدبي لأسلافنا أدباء هذه القارة الإفريقية، فيخدموها دراسة، أو شرحا، أو تعليقا، أو تحقيقا.

الهوامش والمراجع:

---

[١]- د. سركي إبراهيم، عبد القادر بن المصطفى، حياته ومؤلفاته النثرية، ط١، عام: ٢٠٠٣م، (ص ٤٨)

[٢]-ابن فودي، الشيخ عبالله، كتاب النسب، مخطوط، يوجد بدار الوثائق التاريخية للوزير جنيد، (ص: ٥)

[٣]- ابن فودي، الشيخ عبدالله، المصدر السابق، {ص ١}

[٤]-أغاكا، أ. د. عبدالباقي شعيب، أساليب بلاغية في ديوان الشيخ عبدالله بن فودوي، (ص١٧)

[٥]- ابن فودي، الشيخ عبد الله،المرجع السابق، (ص١-٢)

[٦]- مقابلة شخصية بالشيخ محمد الأمين بن محمد الطاهر سالامي، في منزله بسالامي، ٢٠\٣\٢٠٠٦م،

[٧] - د. سركي إبراهيم، المرجع السابق، ص: ٣٩

[٨] - المرجع السابق، ص: ٤٠

[٩] - المرجع السابق، ص: ٢٩

[١٠] - الشيخ محمد الأمين بن محمد الطاهر سالامي، المرجع السابق.

[١١] - الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، كتاب العين، دار ومكتبة الهلال، ج٥، ص: ٥٧

[١٢] - القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الجيل – بيروت، ط٣، د. ت.ج٣، ص: ٤

[١٣] - القزويني، المرجع السابق، ج٣، ص: ٢١

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

[١٤] - القزويني، المرجع السابق، ج٣، ص: ٦

[١٦]- عبد القادر بن المصطفى، المرجع السابق، ص: ٢٣

[١٧] - ابن منظور،أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم، لسان العرب، ج٥، ص: ٤٢٧

[١٨] - الصعيدي، عبد المتعال، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب- القاهرة، بدون تاريخ، ج٢، ص: ٩٦

[١٩] - القزويني، المرجع السابق، ج٣، ص: ١٨١

[٢٠]- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، ت. عبد السلام محمد هارون، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

[٢١] - الصعيدي، المرجع السابق، ج٢، ص: ١١

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

دراسة تحليلية لقصيدة "نفثة المصدور" للشيخ محمد شيخ علي

الدكتور زبير محمد عيس دوكو
Department Of Arabic Studies
Faculty Of Languages And Communication Studies
Ibrahim Badamasi Babangidan University Lapai, Niger State. Nigeria.

الملخص

إن هذه المقالة بعنوان "دراسة تحليلية لقصيدة "نفثة المصدور لدى الشيخ محمد شيخ علي" تهدف إلى إبدأ روائع الجوانب الفنية في شاعرة الشاعر وقد تناولت الظواهر الفنية الشعرية التي تترك أثرا خالد في القارئ والسامع، فإنها بصفة عامة تشتمل على جمال الصور الفنية واستخدامه بعض قضايا الشعرية أمثال المحسنات اللفظية والمعنوية والتشبيهات وغيرها. مما يدل على أن الشاعر متمكن في اختيار الألفاظ والمعانى الجزالة، والأفكار الرائعة الجزابة، وأساليب سهلة التناول والإدراك.وكذا الباحث يحاول تسليط الأضواء عما يعرقل بعض المسلمين من عدم إخلاصهم في العمل والعبادة والكثير مما ذكره الشاعر الذي سنشاهده في المقالة.فالمقالة على مباحث التالي:

المبحث الأول – نبذة يسيرة عن الشاعر
المبحث الثاني – التمهيد في القصيدة
المبحث الثالث - نص القصيدة
المبحث الثالث – التحليل الأدبي للقصيدة

المبحث الأول – نبذة يسيرة عن الشاعر

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

هو الشيخ محمد شيخ علي. ولد ببلدة تعرف ببادغي الواقعة في ولاية نيجر يسكنها قبيلة نوفي عام ١٩٥١م إسم والده شيخو ووالدته زينب. نشأ في أسرة متدينة متثقفة ثقافة دينية إسلامية فإن أباه تلقى العلوم من منابعها حتى أصبح ثابتا على قدمية في فنون مختلفة وخاصة دراسة إسلامية والأدب العربي، وقد كان مولعا بالرحلات والتنقلات بغية الإفادة والاستفادة.

ترعرع شاعرنا أمام والده لكنه تركه وهو في السابعة من عمره. أخذته أخته الكبيرة عند تزويجها الشيخ يوسف اللكوجي، شيخ من مشائخ الصوفية التجانية، وذلك حسب التقاليد وقتئذ من أن البنت إذا تزوجت طلبت من الوالدين أن تصطحبها صغيرة الأولاد الإخوة أو الأخوات ليؤنس وحشتها في البيئة الجديدة التي ستجد نفسها فيها، فإنه رافق أخته إلى حجرتها فتلقي مبادىء دراسته وأدرك في البيت كبار التلاميذ فاختتم القرآن علي يد أحد هؤلاء وأخذ من الشيخ فقه وحديث وبلاغة وصرف ونحو وعروض وغيرها من العلوم العقلية والنقلية.

وأما التنقلات والرحلات العلمية فالقدر الذي ظفر به الشاعر حتي ينسب إليه الناس بالعلم فقد من الله عليه في محيط هذا القطر النيجري العزيز لم ينقل قدما إلى إي بلاد خارجية. ويشهد له العام والخاص ممن يعرفه حبيبا أو بغيضا بالذكاءالفائق، والبراعة في الثقافة الإسلامية والعربية والسجايا الطيبة، والإخلاق الدمثة وبالمهارات التعلمية تتمثل في مراكز عديدة.

وأما شيوخه فالشيخ يوسف اللكوجي، والأستاذ القاضي فاروق إمام، والأستاذ محمود يوسف، وغيرهم من العلماء الأجلاء. وصفاته الخلقية رجل متوسط في الطول، جميل المنظر، صفر العينين، سواد البشر، يعجبه التيامن في كل شيء.

وأما خلقه فقد تخلق بأخلاق محمودة؛ صبور، حليم، لا يخون الأمين يكرم الضيف يبسط يديه للمحتاجين يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة. وعقيدته عقيدة أهل السنة والجماعة ومذهبه مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه. وشخصيته متواضعة تبنى على جميع

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

معاملاته الخاصة ومعاشرته للناس على أسس حسن الظن بالله وبعباده وما زال شاعرنا على قيد الحياة.

المبحث الثاني – التمهيد في القصيدة

هذه القصيدة قالها الشاعر مناسبة لحفلة توديع خريجي قسم اللغات للعام ٢٠٠٠/٢٠٠١م بكلية أمين كانو للشريعة والقانون وهي قصيدة نونية بعنوان نفثة المصدور.

واتصفت بالوحدة الفنية مختلفت الأغراض فستهل الشاعر هذه القصدة بقوله:-

تى نفثة المصدور دون توان * لتبث ما في القلب من خفقان

واختتمها بقوله:

ثم الصلاة على الرسول وآله * خير الانام ومعدن العرفان

فموضوع القصيدة من حيث مضمونها ثلاثة- الشكوى – الوصف - النصيحة، وبإمعان النظر فيها نجد القصيدة يتناول هذه الاجزاء الثلاثة المصلطحات الأتية:

الجزء الأول: ظهور حالة الحزن الشديد وضجر مفزعة

الجزء الثاني: ذكر أصناف الإخوة في ابتلاء الخير أو الشر

الجزء الثالث: نصيحة إلى الإخوة المسلمين.

فإنك تدرك في خلال هذه القصيدة أفكارًا ناضجة التى ساقها الشاعر يرتبط بعضها بعضا وكذا نجد عند الشاعر تجربة شعورية وقعت في حياته، لأن هذه الشعور أثر من أثار المزج بين الفكرة والعاطفة التى تثير الخيال فتنشأ عنه صور تبرز الحقيقة الوجدانية التى تعيش في نفس الأديب، وتنقلها إلى القارئ، نقلا صادقا أمينا.

إن هذه الملامح والإنفعالات التى سنتحدث فيها عن قريب تبرز صورتها الرهيفة الطافحة بالمعانى، وهي معانى حسية لأنها متصلة بالتجربة الشعورية إتصالا وثيقا، وشاعرنا

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

يوضح نفسه على موقف الغرابة فيبثها في كل معانيه، وهذه المعانى تأتلف وتنسجم بعضها مع بعض فينتج وحدة فنية في التأثير.

فلا شك أن كل ذي ذوق سليم وعقل سليم يدرك هذه التجربة في أقل لمحات، لأن الشاعر في بداية قصيدته يلفت أنظار القراء عظمة شعوره بالفقد والخبرة المؤلمة وهي "الشكوى"، وفي صميم القصيدة يعبر عن الغرابة التى قابلها في أصناف الإخوة "فوصف" الإخوة وصفا دقيقا، واخيرا القى "النصيحة" النقية المتضمنة في طياتهما إخلاص و إرشاد في حياة أمة المسلمين، فهذه هي أغراض الشاعر في القصيدة

المبحث الثالث - نص القصيدة

١- تى نفثة المصدور دون توان	*	لتبث ما في القلب من خفقان
٢- يازوجتى ياليغل طلقتني	*	ماذا جنيت لقاء ذالحرمان
٣- وعلام صرمك بعد طول لقاءنا	*	لمن الصروروحالة الخذلان
٤- ماذا جنيت عهدك هذا العهد	*	يا شغل الفؤاد وخيركل مبان
٥- ولقد شكوت إلى وليك مسرعا	*	فإذنه ورضاه ثم قرانى
٦- أعني به يعقوب حب قلوبنا	*	ومديرنا يا صاحب الإحسان
٧- وهو الذى مااردت ثناءه	*	طار البيان وبان فشل لسان
٨- فله علي من الايادى ثرة	*	فجزاؤه ابدا من الرحمان
٩- إن أنس لا أنس موافقه معى	*	في محنتى ومصيبتى وأسانى
١٠- وكذالك إخواان الصداقة لكلهم	*	حسب المكانة تارة ومكاني
١١- وإقامتى تربو على عشر سن	*	ين مبارك أمضيتها بأمان
١٢- لم آل جهدا دارسا ومدرسا	*	أخذا وردا في جميع أوان
١٣- كم منصبا بوئته فعلوته	*	وبذلت ما في الوسع دون توان
١٤- وكذلك حتى فاجئتنى صدمه	*	منها تقضي مضاجع الخلان
١٥- فوقعت فيمن الغيت أعمالهم	*	واذا ابتلائى اليوم كم عافانى

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

١٦- فعساه يكشف ما يضر معوضا * من عنده خيروذاك كفانى
١٧- وبحكم هذا الامرزاد تجاربى * في الناس في الدنيا وفي الإخوان
١٨- ما كنت تدرى من اخوك الحق ما * لم تلق قط مصائب الأزمان
١٩- إن الإخوة في المصيبة بان لى * أصنافها في النصروالخذلان
٢٠- وأخ يشاركك الهموم معبرا * عن حزنه وبلهجه الحيران
٢١- وأخ يدل سلوكه عن حزنه * أعماقه تطوى على الوجدان
٢٢- وأخ يزود بالدعاء ويشعر * بشعورنا ماكور الملون
٢٣- صنف يصارحك الشماته معلنا * أبعادها في النفس دون توان
٢٤- ياخيرتى ممن أراهم صفوتى * في الود عند الإبتلاء جفانى.
٢٥- فإذا راك رنابنظر فاحص * أثر الضن في الوجه والحسمان
٢٦- وله التامل من في البأس علة * يفضى إلى استرقاع او نقصان
٢٧- ياضحكتى من بعضهم اذ يجهل * إن اليسارة منه المنان
٢٨- والخزائن في السماء وارضه * من ذا ينازع حكمة الحنان
٢٩- يارب إن أعطيت من ذا يمنع * وإذا منعت فمن يفك العنان
٣٠- يأبى طباعي أن أعد معائبا * في دقة ويحبه شيطانى
٣١- غفرانك اللهم في أقوالنا * وفعالنا بل كل سوء كياني
٣٢- وإلى هنا نفثات صدرى تنتهى * فإلى خريج الدارصرف عنانى
٣٣- أوصيكم أن تتقوامولاكم * في كل آنة وكل مكان
٣٤- ولا تجعلوا الاموال غاية همكم * أعراضكم صونوا من النسوان
٣٥- لا تشعروا بالنقص في ميدانكم * فمجالكم لأحقّ بالنشدان
٣٦- فمجالكم لغة الرسول حبيبنا * لغة البشيرولهجة القرآن
٣٧- المؤمنون شعارهم بالعزة * لا بالهوان فمن يهون يهان
٣٨- إخلاصكم لله رأس أموركم * وسنامها وكما تدين تدان
٣٩- ثم الصلاة على الرسول وآله * خير الأنام ومعدن العرفان.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

أفكار النص:

تمتاز القصيدة بالأفكار الأتية:-

(١) إنه مؤمن متنقن في العمل أن ينفتح قصيدته بالغزال أو الفخر.

(٢) ان الغرض العام الذى يتوخاه القصيدة هو الدعوة إلى الأخوة والإخلاص في العمل ملبيا قوله سبحانه وتعالى: "انما المؤمنون إخوة" واجتناب الحقد والحسد الذى لعن على الإبليس فأصبح شيطانا ملعونا بعد أن كان إماما للملائكة فوق سبع سموات والأرض.

(٣) إن الشاعر لم يتكلف في ابتكار المعانى والافكار بل عبر عن تجارب مريرة يحس بها المسلمون.

(٤) امكن للشاعر أن يجعل لقصيدته هذا العنوان "نفثة المصدرو" نظرا إلى الاحزان والهموم التى تراكمت في ضمير وإرادة من العالم الخارجى أن يشاركه هذا الموقف البائس.

التعليق:-

فبإمعان النظر في القصيدة نظرة الناقد المتذوق نحكم أن الشاعر تنوع بين أساليب البلاغة المختلفة. وذلك من حذف وتشبيه واستعارة وتكرار والغاية التى يسعى ورءها الشاعر في هذا التنوع اقتناص المعانى المثيرة الموحية المعبرة عن حقيقة الموقف تنفعل بها نفوس القارئين.

فإذا لا حظنا البيت الأول نجد الشاعر في تمهيد حديث أخبارا عن المبتدأ المحذوف ليشعر بذلك الحذف ما تراكمت في نفسه من الألام الشديدة، ويتوجع إنظارنا كأنه يخاطب شخصا بهذه الالام المؤسقه يقول:-

تى نفثة المصدور دون توان * لتبث ما في القلب من خفقان

تعبيرا عن ما يحسه في داخلية ليشهد ذلك العالم الخارجي، كذلك نجده في استعارة الكلية بزوجة له ليؤدى رسالة اللزوم والدوام. فهي إذا إنسان حي تصنع صنعة عجبية تلقاء صاحبها،

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

واستخدم الشاعر كلمة تدق دقة مؤلمة في الاذن وهي "طلقتني" ليقرب المعنى والصورة الظاهرة في واقع حياة الزوجين وذلك في البيت الثاني بقول:

يازوجتى باليغل طلقتني * ماذا جنيت لقاء ذالحرمان

وقد استخدم الشاعر "الايادى" تشبيها لما على المدير من كثرة الثناء ولأن الثناء في ذروة سنامه تتم في الكثرة والجمع.

استخدم الشاعر استعارة مكنية لظاهرة القرينة بين المشابهة على رغم من أن المشبه محذوف وقد رمز له بشيء من لوازمه يقول: "يازوجتى باليغل" يعنى به الكلية وأصل الكلام. ياكلية أنت كزوجتى كما نشاهد ذلك في قول الحجاج في الهديد يقول:- "إنى لأرى رؤسا قد أينعت وحان قطافها وإنى لصاحبها" فأصل الكلام إنى لأرى رؤوسا كالثمرات قد اينعت، ثم حذف المشبه به.

المبحث الثالث – التحليل الأدبي للقصيدة

تحليل القصيدة تحليلا أدبيا على حسب الأجزاء الثلاثة:

أما الجزء الأول من القصيدة الذي يصف الشاعر حالته من الحزن الشديد وضجر مفزعة فيبدأ من البيت الأول إلى البيت السادس عشر يقول:-

فتجد الشاعر في هذا الجزء من القصيدة يشكو إلى العالم الخارجى الآلام المفزعة التى تراكمت في ضميره ويصف موقفه من الحزن الشديد وحتى تفرقه بالكلية المسماة "بليغل" واذا نظرنا ودققنا النظر لحكمنا إن هذه التفرقة المطلوبة من الكلية التى يراها الشاعر كزوجة له ممتزجة بمكيدة من الأعداء التى لا يترحب بها الإسلام وهي من الاخوة المشاركين في الكلية.

وكما نشاهد كذلك يعبر عن مدة قضاها في الكلية وشكوته إلى مدير الكلية لما زود له من كثرة الإحسان فكافئه مكافئة مخالصة. وأخيرا يتمنى الله سبحانه وتعالى أن يعوضه خيرا منها.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الجزء الثاني: فتجد الشاعر يصف أصناف الإخوة في ابتلاء الخبر او الشر يقول: من البيت السابع وعشر إلى البيت الحادي والثلاثين ما كنت تدرى من أخوك الحق مالم تلق قط مصائب والخذلال.

فوصف الشاعر أصناف الاخوة منهم مشمت في المصيبة، ومنهم مؤسف في ذلك، ومنهم مؤيد في النصر والحياة الطيبة، وتجد الأخ همته كشف ما يكمن ضر وهموم والذي يبين ذلك في الوجدان بما عليه من الخيرة والدهشة، والاخ مركز على دعاء الخير للمصاب.

نشاهد هنا أيضا أن الشاعر يعبر أن الله سبحانه وزع نعمائه في أرضه وسمائه وهو المانع والمعطى. فليس على الإنسان أن يعرف بحب استطلاع وذلك من الشيطان الملعون. فانتهت نفثة المصدور التى اراد الشاعر أن يعبر عنها فكلما استخرجت نفثه تبقى كحية تنفث السم حين تنكر، واستطرد الشاعر ليتناول الحديث عن وصية الأخوان.

ثم الجزء الثالث الذي يبدأ من البيت الثاني والثلاثين إلى البيت الثامن والثلاثين فنجد الشاعر يلقي النصيحة على الإخوة المسلمين يقول:- فجمله ما يتوجاه هذا الجزء الأخير:- هو تقوى الله عزوجل، واجتناب فتنة النساء لتحصى العراض، ثم افتجار بلغة الرسول والقرآن، واجتناب أمراض النفسية كالجسد والحقد والبغض لغير الله.

وعلى ذلك اختتم الشاعر قصيدته ختام المسك بالصلاة على النبي عليه أزكى السلام والتسليم، أفضل الأولين والآخرين رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين رضي الله عنهم أجمعين.

<u>عناصر المعاني:</u>

نشاهد عناصر المعاني مبعثرة في القصيدة فنلاحظ نداء معجب في البيت السابعة حيث يقول "ياصاحب الإحسان" دلالة عميقة لشدة صحبته لمدير الكلية الفارقه. وكذلك استخدم أسلوب

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

التكرار قائلا: "إن إنس لا أنس"، لتكثير الإحسان من المدير المخلص لأن الأثر لا يزال في ذكرية الشاعر.

ونشاهد أيضا اساليب النهي والأمر التى تنهض فكرة إرشادية حامسة ضد ما شاع في المناطق الإسلامية من إتباع الهوى وعبر بذلك قائلا: في البيت اثنين والثلاثين إلى البيت الرابع والثلاثين.

"لا تجعلوا الأموال غاية همكم * لا تشعروا بالنقصى في ميدانكم"

"المؤمنون شعارهم بالعزة * لا بالهوان أعراضكم صونوا من السنوان"

استخدم الشاعر أسلوب التكرار، ومن المعلوم والجودة، أن التكرار عند الشعراء شيء يرحب بها إذا كانت مبينة على القواعد المتلائمة كما وردت في الكتاب، قضايا الشعر المعاصر لأنازك الملائكة يقول: إن اللفظ المكرر ينبغي أن يكون وثيق الإرتباط بالمعنى العام، وإلا كان لفظية متكلفة لا سبيل إلى قولها كما أنه لا بد أن يخضع له الشعر عموما من قواعد ذوقية وجمالية وبيانية لذلك الشاعر ما أتى بتكرار ردي، يفسد المعنى ولم يخرج عن الغرض الذي ينبغي أن يقصد إليه اي تكرار.

وكما استخدم الشاعر أسلوب النهي والأمر بعد تمكنته هذه الصفات القيمة قبل أن يبثها إلى الآخرين، الذي يستحسن لمحل هذه الأساليب يقول أبو الأسود الدولي:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عارعليك إذا فعلت عظيم.

يقصد توبيخ من ينهى الناس عن السوء ولا ينتهي عنه فهذا الشاعر ناجح في استعمال هذه الأساليب في القصيدة.

المحسنات البديعية:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وقد أخذ الشاعر نصيبه الوافر من البديعيات في القصيدة من مقابلة واقتباس. وترى ذلك في الخامس والثالثين إلى التاسع والثالثين يقول: "تدين – تدان" – "يهون – يهان" لغة الرسول ولهجة القرآن" الوجه والحسمان" "النصر- الحذلان".

وكذلك نشاهد اقتباس من القرآن والحديث النبوي الشريف. ففى القرآن يقول الله تعالى: "قال اجعلنى على خزائن الأرض" ونجد الشاعر يقول "وله الحزائن في السمآء وأرضه" في البيت السابع والعشرين، أما الحديث النبوي الشريف يقول: صلى الله عليه وسلم "كما تدين تدان أو كما قال الشاعر: كما تدين تدان في البيت السابع والثلاثين.

استخدم الشاعر المقابلة والإقتباس، وأن المقابلة عند البلاغيين ما أتي بمعنيين أو أكثر ثم يؤتي بما يقابله على الترتيب، وليس الشاعر أول من استخدم هذا. قال صلى الله عليه وسلم: "إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع" قال تعالى: "يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث".

وقال جرير:-

وباسط خيرفيكم بيمينه * وقابض شرعنكم بشماله.

وهكذا، شاعرنا أتى بمقابلة في مناسبتها فهو ناجح في ذلك. كما استخدم الشاعر بإقتباس أجاز ذلك علماء البلاغة، وقد ورد ذلك عند عبدالمؤمن الأصفهاني يقول: "لا تغرنك من الظلمة كثرة الجيوش والأنصار" إنما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار". فرأينا أن الشاعر موافق في هذا الاقتباس الذي أتى به في القصيدة.

حسن المطلع والمقطع:

وهو عبارة عن كيفية استهلال القصيدة واختتامها. فإن الشاعر لم يسلك مسالك الشعراء في استهلال قصائدهم من بسملة وحمدلة وحوقلة وغيرها بل إستهل بالشكوى إلى العالم الخارجي على صورة تجرب القارئ الآلام المفزعة التى ضاقت صدره ويريد إخراجها، فالموقف

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

موقف الغرابة والدهشة لذلك لم يتسهل القصيدة بذكر الاطلال والفخر لأن ذلك نوع من اللهو. فالستهل مباشرا حالة قلبه الهائم، كقول الشيخ عبد القادر بن المصطفى التوردي في مرثية والده يقول:-

إلى الله أشكو تصاريف دهري * فمالي إلى غيره من فقر.
وفجا البواق ما تأتلي * تعاقب فادح أمربأمر.
يظل بها القلب مستهترا * بوجد عميق الهوى مكفر

وأما المقطع فنجد الشاعر انتهى قصيدته بالصلاة على الرسول العظيم

دابا شعروانا يقول:

ثم الصلاة على الرسول وآله * خير الأنام ومعدن العرفان

القافية:-

ناحية القافية للقصيدة رائعة جازبة لأن الشاعر ناجح في وضعها. إنها قافية مردوفة. ويبدو في البيت الأولى التصريع حيث يقول:-

تى نفثة المصدور دون توان * لتبث ما في القلب من خفقان

"توان – خفقان" فإن دل على شيء إنما يدل على عبقرية الشاعر، وذلك ليس بعيب، إنما سنة القدماء وقد بنى الشاعر قصيدته على بحر الكامل: متفاعلن متفاعلن متفاعلن * متفاعلن متفاعلن متفاعلن

معاني القصيدة وألفاظها:

معانى وألفاظ هذه القصيدة تتجلى فيها أشكال جميلة تواكب روح الناس وتحركهم الي إخلاصهم في الأعمال والإخوة وتميز القصيدة بأفكار فنية جيدة تثير الأحزان والهموم في شاعر الشاعرة،

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

لأنه عاني ظروفا قاسية لفقده هذه الكلية، وأروع من ذلك تلاحم الأجزاء وقوتها في أداء الرسالة إلى أذن السامعين، فبتعد الشاعر عن غرابة الألفاظ خوفا أن لا يغمض معانيها، فكانت واضحة لا تزال تدق جرسها إلى السامع أو القارئ. فالشاعر ناجح يجعل بتلك الأبيات تنبيها للإخوان في كل مكان وزمان، وقد وافق الشاعر على التنسيق والإنسجام وحسن التخلص وجمال التنوع.

المراجع والمصادر

١- زبير محمد عيسى" بحث قدمه لنيل درجة الماجستير بعنوان دراسة أدبية لقصائد الشيخ محمد الشيخ علي " ٢٠٠٣-٢٠٠٦.
٢- أبوبكر محمد بن عباس الحسن الأندلس – تاج العروس
٣- شيخو أحمد سعيد غلادنث (الدكتور) حركة اللغة العربية آدابها في نيجيريا.
٤- عبدالله بروي (الدكتور) –الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي – القاهرة ١٩٧٣- ١٣٩٣
٥- عبد الباقي شعيب أغاكا (البروفيسور) الأدب الإسلامي في
ديوان الإلوري الطبعة الثامنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م
٦- عبدالله بروي (الدكتور) –الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي – القاهرة ١٩٧٣- ١٣٩٣
٧- الشيخ الإمام البوصيري – قصيدة بردة المديح الشركة القومية للنشر والتوزيع
٨- إبراهيم إنياس (الشيخ) جومع الدواوين ونوادر الحكم
المكتبة الشعبية ,بيروت – لبنان
٩- أمين عبد الله بحث قدمه لنيل درجة اللسانس بعنون الشيخ إبراهيم وديوانه شفاء الإسقام في مدح خير الانام ٢٠٠٣.
١٠- أحمد مصطفى المراغي- علوم البلاغة والبيان والمعانى والبديع، دار احياء التراث الإسلامي مكة المكرمة
١١- إبراهيم إنياس (الشيخ) جوامع الدواوين ونوادر الحكم
١٢- عبد الباقي شعيب أغاكا (البروفيسور) الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري الطبعة الثامنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م
١٣- عبد الباقي شعيب أغاكا (البروفيسور) الأدب الإسلامي في
١٤-ديوان الإلوري الطبعة الثامنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م
١٥- أبو القاسم – الخيال الشعري عند العرب الشركة القومية
للنشر والتوزيع
١٦- أبوبكر أبوبكر ياغول (الدكتور) مقالة في فن الرثاء عند

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الشيخ المصطفي التوردي٢٠٠٢

١٧- عبد القاهر الجرجانى (الإمام) اسرار البلاغة في علم البيان.

١٨- عبد الله بروى (الدكتور) الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي القاهرة ١٣٩٣-١٩٧٣م.

١٩- عبد ا لله موسى دوظو (الشيخ) المدخل في الأدب والبلاغة والنقد.

٢٠- عبد الله موسى دوظو (الشيخ) مبادي في علمي العروض والقافية.

٢١- على جارم ومصطفى أمين البلاغة الواضحة في البيان والمعاني والبديع.

٢٢- على أبوبكر (الدكتور) الثقافة العربية في نيجيريا.

٢٣- محمد الألوسي البغدادي، روح المعانى في تفسير القرآن العظيم، والسبع المثاني- دار إحياء التراث العربي بيروت ١٩٨٥م.

٢٤- محمد الحروف (الدكتور) ديوان شوقي الجزء الأول، دار نهضة مصر الطباعة والنشر العجالة القاهرة.

٢٥- حمد حسن الحمصى (الدكتور) تفسير وبيان معاني القرآن مع أسباب النزول للسيوطى.

٢٦- محمد طاهر درويش (الدكتور) حسان بن ثابت مكتبة الدراسات الأدبية – الطبعة الثالثة دار المعارف بمصر.

٢٧- محمد فزيد وجدى – دائرة المعارف القرن العشرين دار المعارف – بيروت- لبنان.

٢٨- نائبى سويد (البروفيسور) كيف نتذوق الأدب العربي.

٢٩- نافع موهنس- قاموس تراجم الاعلام لأشهر النساء والرجال من العرب والمستعربين والمستشرقين دار العلم الملايين بيروت لبنان.

٣٠- النووى محى الدين بن زكرياء، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين دار الفكر بيروت.

٣١- يحيى الحنبوري (الدكتور) الشعر الجاهلي- الطبعة الثالثة جميع حقوق الطبع محفوظة- ١٤٠٢-١٩٨٢م

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ميمية الشاعر يوسف زكريا في مدح الدكتور محمد صالح جمال:
دراسة أدبية تحليلية

إعداد:
الدكتور محمد سليمان برايا
محاضر بقسم اللغة العربية كلية قاسم إبراهيم للتربية والتعليم ميدغري
وصالح محمد كبير
محاضر بقسم الدراسات التأهيلية بقرية اللغة العربية إنغالا
ومصطفى إبراهيم محمد
محاضر بقسم الدراسات العليا بكلية محمد غوني للشريعة والقانون والدراسات الإسلامية

ملخص البحث:

لقد أسهم الشعراء البرناويون مساهمة فعالة في قرض الشعر العربي النيجيري بشتى أغراضه المعروفة، وتكمن مساهمتهم في إنتاجاتهم الشعرية التي تناولت أغراضًا عديدة – من مدح، ورثاء، ونصح، وإرشاد وزهد، وغير ذلك. فهذه المقالة المتواضعة تحاول تسليط الضوء على إنتاج واحد من هؤلاء الشعراء البرناويين المعاصرين. يحاول الباحثون أن يدرسوا حياة الشاعر يوسف زكريا عبد الله المعروف بـ (قيس) ونموذجاً من شعره في المدح، وذلك لرفع الستار عن كنزه وإنتاجاته وإبرازها إلي حيز الوجود، حتى يسهل للقارئ فهمها. وتتضمن الدراسة قصيدة في فن المدح، حيث تقوم الدراسة بالعرض والتحليل للقصيدة ومضامينها وألفاظها وتراكيبها والأوجه البلاغية الواردة في النصوص.

الكلمات المفتاحية: ميمية قيس مدح أدبية

مقدمة:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى آله الطيبين الطاهرين. وبعد:

فإن الشاعر يوسف زكريا عبد الله يعتبر من أعيان فحول شعراء برنو، بل ومن أشهر الشعراء المعاصرين الذين ساهموا ومازالوا يساهمون في مجال إنتاج الشعر العربي في نيجيريا عامة وبرنو خاصة. إن لإنتاجات الشاعر يوسف عبد الله الشعرية دوراً كبيراً في نشر الثقافة العربية وتطورها في منطقة كانم-برنو، وذلك لأن الشاعر قرض الشعر بشتى أغراضه، وبذلك ساهم بإنتاجه الشعري وألف آثاراً قيمة لينتفع بها دارسو اللغة العربية والمهتمون بأمرها. وهذه المقالة تختص بدراسة إنتاجات يوسف زكريا الشعرية كشاعر مع التركيز على قصيدته الميميةِ في مدح الدكتور محمد صالح جمال. وتشتمل المقالة على النقاط التالية:

- نبذة عن الشاعر
- عرض ودراسة للقصيدة
- الخاتمة
- قائمة الهوامش والمراجع.

نبذة عن الشاعر:

ولد يوسف بن زكريا بن عبد الله المعروف بـ "قيس" في اليوم ١ من شهر أكتوبر ١٩٩٣م، في أسرة متواضعة من قبيلة Tera (التي تسكن في ولاية غومبي وجنوب ولاية برنو)، وكان مولده في بلدة بيو (Biu) حكومة بيو المحلية ولاية برنو.

نشأ يوسف ببلدة بيو وترعرع فيها وتلقى بها مبادئ دراساته، حيث قرأ القرآن على يد أمه (سلمة) وأخيه (عبد الله)؛ ثم التحق بمدرسة تحفيظ القرآن بعد أن قرأ أجزاء من القرآن بين عائلته، وتابع تعلمه حتى حفظ القرآن في سن الرابعة عشر على أيدي أساتذته في مدرسة تحفيظ القرآن – بيو.

درس الابتدائية في مدرسة ملجأ السنة الإسلامية ومنها انتقل إلى المدرسة الثانوية للدراسات الإسلامية العليا، وفيها لقب بـ(قيس) لحفظه الكثير من أشعار قيس بن الملوح (مجنون ليلى

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

العامرية)، وقد كان قيس منذ طفولته مولعا بحب الشعر والنشيد ويحفظ الكم الهائل منها ويكثر من سماع الأغاني الأمريكية وخصوصا أغاني مايكل جاكسون.

وفي جانب العلوم الأجنبية فقد درس في مدرسة (دغجا) الإبتدائية ثم في مدرسة العلوم الثانوية – بيو. التحق بجامعة ميدوغري عام ٢٠١٢ بعد إنهائه الدراسة الثانوية عام ٢٠١٠م، ليدرس في الجامعة اللغة العربية التي لطالما كان يحلم أن يدرسها في مستقبله الدراسي، وعشقه للشعر مما خلق هذا الميل الكبير إلى دراسة اللغة العربية، وتخرج في جامعة ميدوغري سنة ٢٠١٦م.

بدأ يوسف قيس يتطلع إلى قول الشعر منذ أن كان في الصف الثالث الإعدادي إلا أن عدم وجود شاعر عربي يذكر في مجتمعه حال بينه وبين تحقيق أحلامه في تلك الآونة، فلم يكتب بيت شعر إلا في سنته الأخيرة في الثانوية، حيث كتب قصيدة يمدح فيها معلميه ويودع زملاءه في مدرسته الثانوية؛ ثم إنه لم يكتب شيئا من الشعر بعد ذلك إلى أن التحق بالجامعة فقال بعض القصائد، خصوصا في سنته الثالثة في الجامعة حيث كان في قرية اللغة العربية، وذلك في مدح بعض المحاضرين في قرية اللغة العربية، وقد جمع أشعارًا قالها خلال إقامته في القرية أسماها "قيسيات قرية اللغة العربية".

وفي السنة الرابعة من الجامعة قال قصائد تشبب فيها بفتاة اسمها (حفصة عيسى محمد)؛ أما معظم قصائده فقد قالها بعد تخرجه في الجامعة. ويوسف قيس يميل كل الميل في قصائده إلى موضوعات غزلية.. وقلما قال شعرا في غيرها.

إنتاجاته:

نظم الشاعر قصائد عديدة، وقد اشتملت هذه القصائد على شتى العلوم والفنون. ومن أشهر إنتاجاته الشعرية: القصيدة المسماة بـ "تنام غزال في أبوجا" " من غيري في الرجال له مثل حفصة" "دع يا عذول ملامتي في حفصة" " دالية في مدح الدكتور محمد عثمان" وغيرها.

عرض القصيدة:

يا صاحبي رحلي السلام عليكم وعما صباحاً في النسائم واسلما

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وتحتملا عني رسالة مادحٍ ... عرف القصائد عن أبٍ وتعلما
ولشعره حلو المذاق ورونق ... وجزالة أكرم به متكلما
لمحمدٍ زين الدكاتر والأسا ... تذ من علا أفقاً وفاق الأنجما
ذاك الذي عرف الأعجام فضله ... والعرب تعرفه وأرض والسما
ذاك الذي ورث المكارم عن أبٍ ... وأبي أبيه فكان فيهم أكرما
ذاك الذي زار النبي محمدا ... وأتى كداءً والحطيم وزمزما
ذاك الذي ركعت له العربية ... وتكلمت بلسانه وتكلما
الحاذق الفطن اللبيب أخا الذكا ... ء اللوزعي الألمعي الأحكما
القانت الورع التقي لربه ... الراكع السجد الولي الأعلما
لزم العَفَافَ فلم يحل إزاره ... لفواحش اللذات حتى يندما
وهو الصدوق فلم يبح بلسانه ... كذباً ولم يفتح لمرولة فَما
شهدت له الأجيال طُراً أنه ... منذ البلوغ مؤدب بل قبلما
خدن السماحة والسخاء سجية ... فإذا أتاه السائلون تبسما
مأوي الفقير متى ركبت لقصده ... أعطاك ما ملكت يداه تكرما
أكرم بدكتورٍ إذا أغضبته ... وجهلت كان الحلم عنه مترجما
إن يحسدوك فلن يكونوا مثلك ... فلقد _هداك الله _ كنت مقدما
ما زادك الواشون إلا رفعة ... فهم الألى جعلوا لمجدك سلما
وإذا أراد الله نشر فضائل ... جهلت أتاح لها الحسود لتعلما
يا ذا العطاء وذا المحاسن والندى ... إني مدحت علاكم لأكرّما
والله يجزيك الجنان وحورها ... ويقيك يوم الروع نار جهنم
فتكون جاراً للنبي محمدٍ ... خير البرية من أنار يلملما
صلى عليه الله ما شمس بدت ... وتعاقب الليل النهار وسلما

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

بناء القصيدة:

تناول الباحث في هذه المقالة دراسة النقاط الآتية:

أ/ بناء القصيدة / العاطفة. / الأسلوب والصور البلاغية / الموسيقى (الأوزان – القوافي).

يبني الشعراء القدماء قصائدهم على نمط معروف لديهم فكانوا يفتتحونها بالنسيب والغزل أو بذكر الديار والبكاء على الأطلال، وقد ينتقل الشاعر بعدها إلى وصف الناقة أو الإبل أو الفرس ويتوقف أحيانا لذكر المشاهد التي شاهدها، ثم يتخلص بعد هذا إلى الغرض الأساسي الذي يرمي إليه ويقصده في إنشائه لهذه القصيدة ويعتبر كل ما سبق مقدمة للغرض الأساسي من القصيدة على نحو ما يُرى في قصائد الشعر العمودي وبالأخص المختارات من الشعر الجاهلي، كالمعلقات وغيرها، وقد امتد هذا الأسلوب إلى ما بعد العصر الجاهلي عند بعض الشعراء بل وإلى ما بعد العصور المتتالية تأثرا بمنهج القدماء كما نشاهده اليوم في أشعار بعض علمائنا في هذه المنطقة من الذين عاشوا في القرن التاسع عشر الميلادي، وما بعده كالكانمي في قصيدته "نسيم الصبا" وعبدالله بن فودي في بعض أشعاره وغيرهما من علماء المنطقة.(١) فماذا ينبغي أن يكون عليه مبنى القصيدة كما يراه نقاد العرب؟ وماذا يكون نصيب الشاعر يوسف زكريا عبدلله المعروف بـ "قيس" في هذه القصيدة المدروسة؟ والإجابة تكون ضمن مناقشة المسائل التالية:

أ) مطالع القصائد:

اعتنى علماء النقد غاية الاعتناء بما ينبغي أن يكون عليه مطلع القصائد الشعرية إيمانا منهم بائتلاف معاني الشعر ببيانه وارتباط أجزائه، فما المقصود بمطلع القصيدة؟

مطلع القصيدة هو أن يجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالا على المعنى المقصود من ذلك الكلام: إن كان فتحا ففتحا، وإن كان هناء فهناء، أو كان عزاء فعزاء، وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني. وفائدته أن يعرف من مبدأ الكلام ما المراد به ولم هذا النوع.(٢) وقد يمثل للمطالع الجيدة بمطلع أبي تمام في قصيدته عن فتح العمورية، يقول في هذا المطلع:-

السيف أصدق أنباء من الكتب ** في حده الحد بين الجد واللعب

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

فقد لخص مضمون القصيدة في هذا المطلع والإبتداء الجيد وأطلعنا في أول وهلة على أن قصيدته حربية، وأطلعنا أيضا بإيجاز شديد على قصة هذه الحرب التي لعب فيها المنجمون دورا سلبيا في تنبئهم بعدم فتح تلك المدينة وعدم نصر المعتصم بالله، فقد تم فتحها وانتصر المعتصم بفتحها بحد سيفه انتصارا فضح المنجمين وجعل حد السيف أصدق مما يجدونه في كتبهم من الأنباء الكاذبة. فمثل هذا المطلع من القصيدة يشدك ويشوقك إلى متابعة الأبيات اللاحقة.

ونعود الآن إلى مطلع قصيدة الشاعر المتناولة بالدراسة فنقول: إن الدراسة الدقيقة في أن نضع مطلع القصيدة نصب أعيننا فيظهر بوضوح أن الشاعر قد أحسن الافتتاح وأجاده، إذ باشر الشاعر الافتتاح بالتحية دون ذكر البسملة والحمدلة والصلعمة، ولعل ذلك عائد إلى حرارة إحساسه بالغرض الرئيسي وهو المدح، حيث يقول الشاعر:

يا صاحبي رحلي السلام عليكما	وعما صباحاً في النسائم واسلما
وتحملا مني رسالة مادح	عرف القصائد عن أب وتعلما
ولشعره حلو المذاق ورونق	وجزالة أكرم به متكلما!

فمثل هذا المطلع بمجرد سماعه يلقي في الروع أن القصيدة تحتوي على معان تمتّ إلى المدح بصلة. وإضافة إلى ذلك إن المطلع ملائم للمضمون وموح لما يستقبل من المعاني، فعلى هذا نحكم للقصيدة بأنها حظيت بما يسمى ببراعة الاستهلال أو حسن الإبتداء على حد تعبير النقاد.

والجدير بالذكر في هذا الصدد، هو أن الشاعر يوسف زكريا في هذه القصيدة لم يتأثر بالافتتاح النسيبي ولعل ذلك يرجع إلى السبب بأن القصيدة لا تحتاج إلى مثل هذا الافتتاح.

ب) حسن التخلص في القصيدة:

يأتي بعد المطلع في البنية الشعرية التخلص، وهو الذي يحتوي على هيكل القصيدة ومضمونها، وصورته على حد ابن الأثير هي: "أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبينما

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأول سببا إليه- فيكون بعضه آخذا برقاب بعض من غير أن يقطع كلامه، ويستأنف كلاما آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغا...(٣)

فيُفهم من هذه العبارة أن التخلص يتمثل في الخروج من معنى إلى معنى بإيجاد ربط وثيق بين المعنى السابق واللاحق، بحيث يكون السابق سببا إلى اللاحق، وأنه يحتاج في تمثيله إلى نوع من الإحكام والإتقان بحيث يكون الخروج من معنى إلى آخر من غير قطع الكلام واستئناف كلام آخر، بل يكون الكلام موصولا مع توفر ربط داخلي وثيق بين معانيه.

والقصيدة التي نحن بصددها تتسم بما يسمى حسن التخلص، وذلك لأن الشاعر شرع بالموضوع مباشرة وهو المدح حيث يقول:

لـمحمد زيـن الـدكـاتـر والأســا تـذ مـن عـلا أفـقـاً وفـاق الأنجمـا
ذاك الـذي عـرف الأعـاجـم فـضلـه والـعـرب تـعـرفـه وأرض والـسـمـا

وبذلك خرج إلى الغرض الأساسي المسوق إليه وهو المدح حيث يقول:

ذاك الـذي ورث الـمـكـارم مـن أب وأبـي أبـيـه فـكـان فـيـهـم أكـرم
ذاك الـذي زار الـنـبي مـحـمـد وأتـى كـداءً والـحـلـيـم وزمـزم
ذاك الـذي ركـعـت لـه الـعـربـيـة وتـكـلـمـت بـلـسـانـه فـتـكـلـما
الـحـاذق الـفـطـن اللبيب أخا الذكا ء الْـلَـوْزَعِـيُ الألـمـعي الأحكما
الــقـانـت الـورع الـتـقي لـربــه الـراكـع الـسّـجِـدُ الـولي الأعلما

ج) حسن المقطع في القصائد:

إذا كان المطلع مفتاح الشعر ومدخله، كان من الأجدر أن تكون الخاتمة قفله ومسدّه، لأنها اللبنة الأخيرة التي يضعها الشاعر في بناء القصيدة، فينبغي للشاعر أن يحسنها ويجودها، لأن الخاتمة أبقى في السمع، وألصق بالنفس لقرب العهد بها، فإن حسنت حسن الكلام وإن قبحت قبح الكلام، والأعمال بخواتيمها كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم.(٥)

وقد أشار النقاد إلى إحكامها وتجويد السبك فيها لكونها قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع، فلا يستحسن الزيادة عليها كما لا يستحسن أن يأتي الشاعر بعدها بأحسن منها.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ويذكر ابن رشيق " أن الحذّاق من الشعراء قد كرهوا ختم القصيدة بالدعاء لأن ذلك من عمل أهل الضعف إلا للملوك، فإنهم يشتهون ذلك".(٦) فأرى إن كانوا يجوزون ذلك في مدح الملوك، فمدح العلماء والشيوخ أولى بهذا النوع من الخاتمة لما فيها من المعاني الروحية التي تصور شدة تعلق الشعراء الصوفيين بشخصية شيوخهم الجليلة. وإضافة إلى ذلك، يقول النويري في تعريفه لحسن المقطع:

فهو أن يكون آخر الكلام الذي يقف عليه المترسل أو الخطيب أو الشاعر مستعذبا حسنا لتبقى لذته في الأسماع، كقول أبي تمام:

أبقت بني الأصفر المصفر كاسمهم ** صفر الوجوه وجلت أوجه العرب

وكقول المتنبي:

وأعطيت الذي لم يعط خلق** عليك صلاة ربك والسلام(٧)

إذن حسن المقطع وجودته هو مراعاة حسن آخر البيت أو القصيدة ولم يكن أقل شأنا من مراعاة جودة الابتداء في القصيدة، ولذلك اهتم البلغاء أن ينهوا كلامهم بأبلغ لفظ وأجمل معنى، واهتموا بأن يكون آخر بيت في القصيدة أجود بيت فيها.

لقد امتازت القصيدة "الميمية بمدح الدكتور محمد صالح جمال" فقد ختمها الناظم بمعان لها أثر في النفس وبقاء في السمع وبهذا حظيت القصيدة بحسن الختام. وقد انتهت القصيدة بالمقطع الآتي:

وإذا أراد الله نـــشـــر فـــضـائـل	جـهـلـت أتـاح لـهـا الحسود لتعلما
يـا ذا الـعـطـاء وذا المحاسن والندى	إني مـدحـت عـلاكـم لأكـرمـــا
والله يـجـريك الـجـنـان وحـورهـــا	ويـقـيـك يـوم الـروع نـار جـهـنـمـا
فـتـكـون جـار لـلـنبي مـحـمـــد	خـيـر الـبـريـة مـن أنـار يـلـمـلـمـا
صـلـى عـلـيـه الله ما شـمس بـدت	وتـعـاقـب الـلـيـل الـنـهـار وسـلـمـــا

د/ العاطفة الشعرية:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

العاطفة في اللغة من عطف يعطف وعطف، العين والطاء والفاء من أصل واحدصحيح على الثناء، يقال عطفت الشيء إذا أملته والوسادة: ثناها كعطفها ومصدره العطوف وتعطف: (٨) بالرحمة عطت عليه أي أشفقت عليه، ومنه قول الشاعر:

العاطفون تحيل مامن عاطف والمعطفون زمان ما من مطعم(٩)

وتأتي الكلمة بمعنى مال، تقول مال عليه أي أشفق كتعطف، كما تأتي بمعنى حمل وكر عليه ومنعطف الوادي: منحناه وتعاطفوا: عطف بعضهم على بعض. وتعطف به: ارتدى كاعتطف ويتعاطف في مشيته إذا حرك رأسه وتهادى أو تبختر. (١٠) ومنه قول مزاحم العقيلي، أنشده ابن الأعرابي:

وَجْدي بها وجد المضل فلوصه بنخلة لم تعطف عليه العواطف(١١)

من ذلك يدرك أن العاطفة في اللغة تأتي لمعان عدة منها : الميل والثناء، والرحمة والشفقة، المنحني من الوادي، كارتداء، حسن الخلق.

أما عند أهل الفن فقد عرفها ابن رشيق بأنها تلك الدواعي والبواعث التي تدفع الشاعر إلى التعبير عما يختلج في صدره من طرب وطمح وغضب وشوق ووقاء وغيرها(١٢)، ويرى الدكتور أحمد بدوي أنها "قواعد الشعر والأسس والينابيع التي يتفجر منها الشعر"(١٣) وعرفها الدكتور أحمد الشايب: " إنها تعني دراسة وبيان المقاييس النقدية "(١٤) وكما عرفها شوقي ضيف بأنها الحالة الوجدانية التي يشترك الناس فيها جميعاً فيما يسمونه حزناً أو فرحاً أو خَجْلاً وما إلى ذلك.(١٥)

والعاطفة عنصر هام في الدراسة التحليلية للعمل الأدبي. فبها يحسّ القارئ من الأديب قوة شعوره ومحاولته في نقل انفعالاته إلى سامعيه. فكلمة " العاطفة " كنقطة من نقاط الدراسة التحليلية، كلمة جديدة ولم يرد اسمها في الدراسات التحليلية القديمة. ويقول أحمد أمين: " فأنت تقرأ طبقات الشعر لابن قتيبة مثلا فتجد فيه: قول الشعر للرغبة أو الرهبة. ولكن لا تجد فيه كلمة العاطفة لأنها لم تخترع إلا في العصر الحديث."(١٦)

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

إن العاطفة عنصر من عناصر الأثر الأدبي، الذي يتكون من عناصر أربعة هي: الفكرة، والعبارة، والعاطفة، والخيال، على النحو الذي يحدد فيه في النقد الحديث معالم الصور الأدبية. ويقصد بالعاطفة الحالة الوجدانية والنفسية التي تسيطر على الأديب إزاء موضوع أو فكرة أو مشاهدة، وتؤثر فيه تأثيراً قوياً يدفعه إلى التعبير عن مشاعره، والإعراب عمّا يجول بخاطره. ومقياس هذه العاطفة يرجع إلى القارئ المتذوق الذي ينقل إليه تأثير هذه العاطفة الكامنة في العمل الأدبي، وعلى قدر هذا التأثير يكون الحكم على العاطفة من حيث الثبات أو التحول، والقوة أو الضعف، والصدق أو الزيف، والسمو أو الهبوط، وهي الأمور التي جعلها النقد الحديث مقاييس للعاطفة الأدبية(١٧).

هذا والعاطفة قد تكون صادقة مقبولة، وذلك إن طابقت مشاعر الأديب لما هو عليه من عقيدة وذوق وتجربة، وإلاّ فزعم باطل مرفوض في الدائرة الأدبية. فالصدق المتطلب هو مطابقة القول لعقيدة الأديب وذوقه فقط، ولو خالف لواقع الحال.

لقد تحدث الأستاذ المرحوم علي نائبي سويد عن عنصر الصدق في العمل الأدبي فقال متسائلا: " إذا نظم الشاعر قصيدة يدَّعي فيها أنه أحب أو أبغض، فرِح أو حزِن، ضحِك أو بكى، فإن أول سؤال يجب أن نسأله حين نقرأ قصيدته هو: هل شعر حقاً بهذا الشعور الذي يدعيه؟ أو انفعل بذلك الانفعال الذي يزعُمه؟ وهل مرّ حقًّا بتلك التجربة التي يحاول نقلها إلينا؟ وعلى الإجابة عن هذا السؤال الأول، يتوقف قبولنا المبدئي لقصيدته، واستمرارنا في تقديرها،ورفضنا لها منذ البدء وإباؤنا أن ندخلها في دائرة الأدب الصادق.(١٨)

وإذا تحول القارئ إلى قصيدة شاعرنا المتناولة يجدها قد امتازت بصدق العاطفة وحرارة الشعور والإحساس، فهي ليست إلا تعبيراً صادقاً عن عواطفه وعما يختلج في قلبه من المشاعر والأحاسيس نحو ممدوحه، فتأمل الأبيات الآتية:

لـحـمـد زيـن الـدكـاتـر والأســا تـذ من عـلا أفـقـاً وفـاق الأنجـمـا
ذاك الـذي عـرف الأعـاجـم فـضـلـه والـعـرب تـعـرفـه وأرض والـسـمـا

وقوله أيضاً

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ذاك الـذي ورث المـكـارم مـن أب وأبـي أبـيـه فـكـان فـيـهـم أكـرم
ذاك الـذي زار الـنـبي مـحـمـد وأتـى كـداءً والـحـلـيـم وزمـزم
ذاك الـذي ركـعـت لـه الـعـربـية وتـكـلـمـت بـلـسـانـه فـتـكـلـما
الـحـاذق الـفـطـن اللبيب أخا الذكا ء أَلْـلَـوْزَعِـيُ الألـمـعي الأحكما
الـقـانـت الـورع الـتـقي لـربـه الـراكـع الـسّـجِـدُ الـولي الأعلما

إذا تأملنا القصيدة نلاحظ أنها أيضاً امتازت بصدق العاطفة وحرارة الشعور والإحساس، فهي ليست إلا تعبيراً صادقاً عن عواطفه وعما يختلج في قلبه من المشاعر والأحاسيس، فجاءت بتعبير صادق لعواطف الشاعر وما يكن في قلبه من مشاعر وأحاسيس نحو ممدوحه

هـ/ الألفاظ والتراكيب:

إن ألفاظ وتراكيب قصائد الشاعر يوسف زكريا عبد الله المتناولة بالدراسة تمتاز بالسهولة واللينة، وقد يرجع ذلك إلى طبيعة الموضوع الرئيسي للقصائد، فبتأمل الأبيات الميمية في مدح الدكتور محمد صالح جمال. تلاحظ فيها السهولة واللين والرقة، أما من حيث السلامة والصحة اللغوية، فإن ألفاظ القصيدة وتعابيرها عموما تمتاز بالصحة والخضوع للقواعد اللغوية وذلك يعود إلى باع الشاعر في اللغة العربية وعلومها.

أما إذا وضع القارئ ألفاظ وتراكيب القصيدة يلاحظ أنه نظرا لأن الموضوع الرئيسي فيها هو المدح، فقد اختار الشاعر ألفاظاً وتراكيب رقيقة بعيدة عن التكلف والغموض وهي مناسبة للغرض، فتأمل الأبيات الآتية لتشهد على صحة ما قلناه.

لـحـمـد زيـن الـدكـاتـر والأسـا تـذ مـن عـلا أفـقـاً وفـاق الأنجما
ذاك الـذي عـرف الأعـاجـم فـضـلـه والـعـرب تـعـرفـه وأرض والـسـمـا
ذاك الـذي ورث الـمـكـارم مـن أب وأبـي أبـيـه فـكـان فـيـهـم أكـرم
ذاك الـذي زار الـنـبي مـحـمـد وأتـى كـداءً والـحـلـيـم وزمـزم
ذاك الـذي ركـعـت لـه الـعـربـية وتـكـلـمـت بـلـسـانـه فـتـكـلـما
الـحـاذق الـفـطـن اللبيب أخا الذكا ء أَلْـلَـوْزَعِـيُ الألـمـعي الأحكما

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الـــقـانـت الـورع الـتـقي لـربـــه الـراكـع الـسّـجِـدُ الـولي الأعلما

إن الموضوع الذي تناوله الشاعر هو المدح فلهذا احتاج إلى استخدام ألفاظ سهلة تمتاز بالرقة واللين في مثل قوله:(الحاذق) (اللبيب) (اللوزعي) (القانت) (التقي) (الورع) (الولي) كلها كلمات متداولة بين المسلمين ولاسيما المتثقفين بالثقافة العربية والإسلامية.

ومما يدل على أن الشاعر وفق لإختيار الكلمات المألوفة البعيدة عن الغرابة والغموض، هو تجنبه للألفاظ التي تثقل على اللسان ويشق النطق بها. فجاءت ألفاظ القصيدة واضحة سهلة خفيفة على اللسان تكسوها اللطافة واللباقة.

و/الصور البلاغية:

لقد تناولت قصيدة الشاعر كنوزاً إضافية من الصور البلاغية التي استعان بها في خلق جماليات سامية وزان بها عمله الفني. وليس في إمكان الباحث استقصاء كل ما أودعه الشاعر من البلاغيات في شعره لكثرتها ووفرتها، ولأن موضوع الباحث ليس دراسة بلاغية استقصائية لأشعار الشاعر. ومهما يكن من أمر فإن الباحث سيورد بعضها ويستقريها ويحللها حسب استخدامها السياق في أشعاره.

الصور البيانية:

ومن الملامح البيانية المستخدمة في شعره التشبيه:

وقد استعل الشاعر يوسف زكريا هذه الصورة البلاغية لتجلية المعاني، ولزيادة الإيضاح ولأغراض بيانية أخرى في شعره. ومن نماذج ذلك قوله:

أكـرم بـدكـتـور إذا أغـضـبـتـه وجـهـلت كـان الـحـلـمُ عـنـه مترجما

.... كان الحلم عنه مترجما: أي كان الحلم موضحا عنه ومبينا.

أقام الحلم بين ممدوحه والجاهل عليه كمن يقوم بين المتكلم والمتلقي ليوضح لهذا مقاصيد هذا.

شبه الشاعر الحلم بالإنسان تشبيها بليغا؛ الحلم مشبه، والمترجم مشبه به، ووجه الشبه وأداة التشبيه محذوفان.

وقوله:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

مـا زادك الـواشــون إلا رفـعــة فـهـم الألى جـعـلـوا لمجدك سلماً

.... جعلوا لمجدك سلما: أي جعلوا كسلم. شبه حاسديه والواشين به بالسلم يرتقي بهم إلى مراده، كما ترتقي المرء بالسلم إلى مراده من علو. فتشبيههم بالسلم تشبيه بليغ.

وقوله :

ولـشـعـره حلـو المـذاق ورونــق وجـزالــة أكـرم بـه متـكـلـمـا

ولشعره حلو المذاق: شبه كلمات شعره ومعانيها وسهولتها وحسن وقعها على الأسماع بالعسل وحلوه على اللسان، فكان الشعر مشبها، والعسل مشبها به، إلا أنه المشبه به (العسل) ورمز له بشيء من لوازمه (حلو المذاق) على سبيل الاستعارة المكنية.

وقوله:

خـدن الـسـمـاحـة والـسـخاء سجيُّـهُ فـإذا أتـاه الـسـائـلـون تـبـسـمـا

خدن السماحة: جعل من السماحة صديقا لممدوحه، وترفع في التعبير من أن يقول "ملازم للسماحة" فقال: "خدن..." ليجعله والسماحة صديقان حميمان. والتعبير عن الملازمة بالخدن استعارة تصريحية.

وقوله:

فـتـكـون جـاراً لـلـنبي مـحـمـدٍ خـيـر الـبـريـة مـن أنـار يـلـمـلـمـا

.... أنار يلملما: يعني علم وهدى يلملم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم والهدى. شبه العلم والهدى بالنور، واشتق من النور (أنار) على سبيل الاستعارة التصريحية.

الصور المعنوية:

وقد استعمل الشاعر أسلوب النداء في شعره ومن أمثلة ذلك:

يا صاحبي رحلي السلام عليكم وعما صباحاً في النسائم واسلما

ياذا العطاء وذا المحاسن والندى إني مدحت علاكم لأكراما

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

يدرك القارئ في الأبيات السابقة أن الشاعر استخدم إحدى أدوات النداء وهي "يا" لنداء البعيد، وذلك لسبب والسبب هو أن المنادى "الله" جليل القدر والشأن خطير الشأن، فكأن بُعد درجته في العظم بعد بعدُ في المسافة، ولذلك اختار الشاعر في ندائه الحرف الموضوع لنداء البعيد ليشير إلى هذا الشأن الرفيع.

الصور البديعية.

وقد عمل الشاعر إلى استخدام عديد من الصور البديعية في شعره تطريزا لديباج الجمال المعنوي، وتنميقا للزخرفة اللفظية للأفكار النيرة. وقارئ شعر يوسف زكريا يدرك أنه ليس من الشعراء الذين يتكلفون استعمال تلك الصور، ولا من الذين يتصيدون زخرفة اللفظ على حساب المعنى. بل كان شاعرنا يقتصد في ذلك، إذ كانت تلك المحسنات المعنوية واللفظية تأتيه عفو الخاطر، مستخدمةً في مقاماتها التي تتلائم معها. وهذا هو السر وراء قلة ورود بعض البديعيات في شعره. ومن الصور البديعية ما يلي:

ذاك الـذي عـرف الأعـاجـم فـضلـه والـعـرب تـعـرفـه وأرض والـسما

طابق الشاعر في البيت الواحد بين (الأعاجم – العرب) وبين (أرض – سماء)

ز/ الموسيقى الشعرية (الأوزان- القوافي):

لعل أوضح ما في الشعر من خصائص ومميزات هو تلك الموسيقى المنساب من مقاطعه الذي يسمى (بالوزن) والإيقاع المتكرر في آخر كل بيت من الأبيات المسمي (بالقافية)، لذلك عرف النقاد قديما الشعر بأنه "قول موزون مقفى يدل على معنى". فنفهم من هذه العبارة أن الوزن والقافية يمثلان ركنا أساسيا في البناء الشعري.(٢٣)

وظل الشعر العربي يحتفظ بوحدته الموسيقية في هذا الوزن والقافية منذ القديم، كما ظل الشعراء يصوغون على منوال هذا النظام الموسيقى الدقيق الكامن في أشعار القدماء بطبعهم وقرائحهم إلى أن اكتشف الخليل بن أحمد هذه الأوزان الشعرية التي سماها "البحور" في القرن الثاني الهجري، لأول مرة استقراءً من أشعار العرب ، كما اردف هذا المجهود بوضع علم القوافي الذي به تتم عناصر الموسيقى الشعرية.(٢٤)

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الأوزان:

فهذه الأوزان ما هي إلا عبارة عن مجموعة من القوالب الموسيقية التي يتألف كل واحد منها من مجموعة من النغمات التي سماها العروضيون "بالتفعيلة" وهي تتكرر في كل بيت من الأبيات بطريقة منتظمة، وتتم على إيقاع متكرر في آخر البيت الذي يتمثل في القافية. ومنذ اكتشاف هذه الأوزان راح الشعراء يصوغون أشعارهم في قوالب هذه الأوزان، كما سار على هذا الدرب شعراؤنا وأدباؤنا المحليون، إذ أخذوا- في ضمن نشاطاتهم الثقافية – ينظمون أشعارهم على منوال هذه الأوزان اقتداءا بالعرب وامتداداً للثقافة العربية ومنها صياغة الشعر في مختلف بلادهم.

والمتصفح لإنتاجات الشاعر يوسف زكريا الشعرية، يرى أن صياغته الشعرية خاضعة لهذا النظام المتوارث، وذلك لتأثره بالثقافة العربية التي عاش في ظلها طول حياته، ويتبين عند استقراء القصيدة المختارة، إن البحر الذي استخدمه شاعرنا هو بحر: (البسيط)

لقد تناول الشاعر هذا البحر في القصيدة المتناولة بالدراسة، فعلى هذا البحر صاغ القصيدة. وأجزاؤه ثمانية:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

ولينظر القارئ الآن إلى مدى مراعاة شاعرنا لموسيقى هذا البحر.

قال في مطلع القصيدة

يا صاحبي رحلي السلام عليكما وعما صباحاً في النسائم واسلما

تقطيع البيت:

يا صاحبي / رحلسسلا/ معليكما ** وعما صبا/ حنفننسا/ئموسلما

/. /. // /. /. /. /// /. // /// /. /. /. // /// /. ///

متفاعلن/ متفاعلن/ متفاعلن متفاعلن/ متفاعلن/ متفاعلن

مضمر/ مضمر/ صحيح سالم/ مضمر/ صحيح

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

القوافي:

إن للقوافي أهمية لا تقل عن أهمية الأوزان في البناء الشعري، إذ أنها شريكة الأوزان في تكوين الوحدة الموسيقية فيه. ولذلك عني بها النقاد عناية فائقة بجانب عنايتهم بالأوزان.

وليست القافية إلا عدة أصوات تتكرر في أواخر الأسطر أو الأبيات من القصيدة، وتكررها هذا يكون جزء هاماً من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى الوزن.(٢٥)

الروي:

إن القارئ للقصيدة يجد أن القافية التي استخدمها شاعرنا جاءت ملائمة للأفكاره وعاطفته بحيث يحس ملاءمة وانسجاماً مع المعاني والعواطف. حيث يقول:

يا صاحبي رحلي السلام عليكما وعما صباحاً في النسائم واسلما
وتحملا مني رسالة مادح عرف القصائد عن أب وتعلما
ولشعره حلو المذاق ورونق وجزالة أكرم به متكلما!

إن القارئ لهذه الأبيات قد يحس بنوع من الانسجام بين تتابع هذه الميمات في أواخر الأبيات، ويبين مدح الشاعر، ثم تأمل استخدامه للفتح مجرى للروي "الألف" إضافة إلى مايحسه في استعمال الميم في ألفاظ المدح مما يشير إلى عظمة الممدوح وعلو مكانه.

الخاتمة:

الحمد لله بدءًا وختماً، ويتضح مما سبق عرضه، أن الشاعر يوسف زكريا عبدالله المعروف بـ "قيس" من أشهر الشعراء البرناويين الذين ساهموا ومازالوا يساهمون في مجال قرض الشعر العربي في نيجيريا عامة وبرنو خاصة. وإن لإنتاج الشاعر يوسف عبد الله الشعرية دوراً كبيراً في نشر الثقافة العربية وتطورها في منطقة برنو.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

تعرض الباحثون في هذه المقالة إلى مناقشة قصيدة الشاعر يوسف زكريا عبدالله المعروف بـ "قيس" في مدح الدكتور محمد صالح جمال. وقد اتضح للباحثون أن القصيدة المتناولة بالدراسة من البحر البسيط.

فعن دراسة بناء القصائد وصل الباحثون بأن الشاعر يوسف زكريا لم يبن قصائده على النمط المعروف لدى الشعراء القدماء، إذ لم يفتتح أياً من قصائده بالنسيب والغزل أو بذكر الديار والبكاء على الأطلال، وخلاصة القول إنه لم يتأثر بالافتتاح النسيبي في القصيدة، وأما فيما يخص المطلع لم يفتح قصائده بالصلصلة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه يدخل في الموضوع مباشرة، وبمجرد سماعك للمطلع أو قراءتك له يلقي في الروع على أن القصيدة تمت إلى المدح أو الفخر أو الاستغاثة.

وأما عن حسن التخلص، في القصيدة المدروسة فإن الشاعر استهلها بالتحية، فلما أراد الخروج والتخلص إلى الغرض الأساسي المسوق إليه من القصائد، أحكم وأتقن ذلك بإيجاد ربط وثيق بين المعنى السابق واللاحق. وأما حسن المقطع في القصائد المتناولة بالدراسة، فامتازت القصائد بحسن المقاطع، وذلك لأن آخر الكلام الذي وقف عليه الناظم مستعذباً حسناً وأبقى لذة في الأسماع بأبلغ لفظ وأجمل معنى، وكيف لا، وكان آخر كلامه دعاء وصلاة على النبي (ص).

وأما عن العاطفة والأسلوب والصور والموسيقى فقد أحسن الشاعر وأجاد في القصيدة يث أنها جميعا كانت في صورة قيمة توحي إلى تمكن الشاعر في الصناعة الشعرية.

قائمة الهوامش والمراجع:

١- كياري إبراهيم الشريف (الدكتور): البردة الجيمية للشيخ يوسف بن عبد القادر القرقري، تحقيق ودراسة أدبية، رسالة دكتوراه في الدراسات العربية، جامعة بايرو قسم اللغة العربية، أغسطس ، ٢٠٠١، ص: ٤٥٠.

٢- ابن الأثير ضياء الدين محمد بن محمد: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج٢ المكتبة العصرية صيدا- بيروت، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م ص ٢٢٣.

٣- ابن الأثير، ضياء الدين محمد بن محمد ، المرجع السابق، ص: ٢٤٤.

٤- ابن الأثير، ضياء الدين محمد بن محمد ، المرجع السابق، ص: ٢٦٠.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٥- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المجلد الأول، الطبعة الخامسة، دار الجيل- بيروت – ١٤٠١هـ ١٩٨١م ص- ٢١٧.

٦- المرجع السابق، ص: ٢٤١.

٧- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الإرب في فنون الأدب ، ج٧ وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ص: ١٣٥.

٨- أبو الحسن أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة، ط: دار الحديث القاهرة، ١٤٢٩هـ، ص: ٦٨٤

٩- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،دار العلم للملايين بيروت، ط:٤ يناير ١٩٩٠ ص٧٨٤

١٠- الفيروزابادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية بيرزت، ج٣، ص: ٢٠٢

١١- لجوهري، إسماعيل بن حماد، المرجع السابق، ص١٦٩

١٢- القيرواني، ابن رشيق، المرجع السابق، ص:٧٧ .

١٣- بدوي، أحمد أحمد، (الدكتور): أسس النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة مصر، دت، ص:٥٠٤ .

١٤- أحمد الشايب، أصول النقد،مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٤، ص:١١٠ .

١٥- شوقي ضيف، (الدكتور): في الأدب والنقد،طبعة دار المعارف، الطبعة التاسعة، ١٩٩٩، ص:١٣

١٦- أحمد أمين: النقد الأدبي، مكتبة النهضة العربية، ط٤، ١٩٧٢، ص: ٢٢.

١٧- أبو كريشة، طه مصطفى(الدكتور): في النقد العربي الحديث تاريخه وقضاياه، (د.ت)، ص: ١٧٠-١٧١.

١٨- الأستاذ علي نائبي سويد: كيف نتذوق الأدب العربي، دار الأمة، DarulUmma for Islamic Publishers, Agency, Kano-City-Nigeriaص: ٢٧.

١٩- بن رشيق القيرواني،لعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، د.ط، المتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٤م، ج١ص ٢٥٢.

٢٠- الخطيب القزويني،الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد القدر الفاضلي، د.ط، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٢٠٩.

٢١- ابن رشيق، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

٢٢- القزويني :الإيضاح ص ١٠٦.

٢٣- الهاشمي، المرجع السابق، ص:٨٨.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٢٤- الهاشمي، المرجع السابق، ٧٧.

٢٥- المرجع السابق، ص: ١٥.

٢٦- تكميلية قدمت لقسم اللغة العربية، جامعة بايرو كنو، للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربيةوآدابها، يونيو ١٩٩٣م، ص: ١٧٢

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

تشعّب المذاهب اللّغويّة في أصل المشتقّات العربيّة

إعداد
إبراهيم شعبان، ود. مت طيب بن فا، ود. أحمد عارفين بن صفر
قسم اللغة العربية ولغات الشرق الأوسط، كلية اللغات واللسانيات
جامعة مالايا، كوالا لومبور ٥٠٦٠٣، ماليزيا

ملخص

إنّ قضيّة تحديد أصل المشتقّات من القضايا الشّائكة منذ القديم، وقد أثارت جدلا واسعا رائعا وممتعا على مستوى الدّراسات الصّرفيّة والنّحويّة بين القدامى والمحدثين، وتتصدّر هذه الدّراسة بذكر الجذور الأولى لهذا الخلاف منذ مرحلة مبكّرة من غضون الدّراسات اللّغويّة، كما شملت الحديث عن أصل الإشتقاق وحقيقة وجوده ووقوعه، ومرتئى مذهب البصرة والكوفة في مصدريّة ذلك الأصل أو فعليّته وأحاجي كلٍّ منهما مع مسح على ردّ الدّكتور تمّام حسّان على المدرستين ودفاع الباحث عنها، ثمّ التّطرّق إلى مذهب المعجميّين وبعض المحدثين، ومذهب أصوليّة الجواهر وفحواه عند من ارتئى ذلك المذهب.

الكلمات المفتاحية: تشعب - المذاهب – اللغوية - أصل - المشتقات - العربية.

مقدمة:

إنّ هذه المقالة تتضمّن قضيّة تحديد أصل المشتقّات وتشعّب المذاهب اللّغويّة حول ذلك الأصل، فقد ذكرت الدراسة مذهبين مشهورين في هذا المضمار منذ القديم، وذلكما مذهب البصرة الذي نصّ على مصدرية أصل المشتقات مع مسح على الأحاجي والأدلّة التي اعتمدتها مدرسة البصرة، وهو مذهب معظم اللغويّين كما ذكر الحملاوي، مع مساندة سيبويه لهذا المذهب، وخاصة في قوله :" والإسم قد يستغني عن الفعل؛ كما تقول:الله إلهنا، وعبد الله أخونا"،

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وبينت الدراسة – أيضًا – تأثر العرب بالفكر اللغوي الفارسي الآريّ في القول باسمية الأصل ومصدريته، والمذهب الآخر كوفي وهو القائل بفعلية أصل المشتقّات وقد أردفت الدراسة بأدلّة هذا المذهب في اشتقاق المصدر من الفعل وذلك لصحة المصدر بصحة الفعل واعتلاله كذلك، فهو – أيضًا – كصاحبه متأثر بتسرّب وسيادة العقلية اللغوية السامية الفعلية كما عبّر ولفنسون عن ذلك، وتثلّثت الدراسة بمذهب المعجميّين الذين مهّدوا للجذور الثلاثة وارتأوها أصلا للمشتقّات العربية، ثم وضّحت الدراسة المذهب الرابع القائل بأصولية الجواهر فقد ارتآه بعض المحدثين وأسّسوا له لما تقتضيه البداهة من وجود شيء مرئي محسوس قبل المجرّد، وقد احتوت هذه الدراسة على ردود الدكتور تمام حسان على مدرستي البصرة والكوفة إلاّ أنّ الباحث المالايوي ابن شعبان لم يوافق الدكتور بل ردّ على زعمه بلطف من القول وأحسن تأويلا، والمراد بهذا كلّه كشف الغموض عن المذاهب اللّغويّة والوقوف على ركيزة كلٍّ منها حول أصل المشتقات العربية وتسهيل ذلك لطلاب العربية خاصة والناطقين بغيرها عامّة.

المطلب الأول: أصل الإشتقاق لدى البصريّين والكوفيّين:

تعتبر قضيّة تحديد أصل المشتقّات من القضايا الشّائكة منذ القديم، وقد أثارت جدلاً واسعًا وممتعًا على مستوى الدّراسات الصّرفيّة والنّحويّة بين القدامى والمحدثين، وترجع الجذور الأولى لهذا الخلاف إلى مرحلة مبكّرة من غضون الدّراسات اللّغويّة الصّرفيّة.

وقد تصفّى عن هذا المضمار رأيان مشهوران:

الأول: ارتأته مدرسة البصرة ومبناه أن المصدر هو أصل المشتقّات، والآخر أفادته مدرسة الكوفة، ومضمونه أنّ الفعل الماضي هو أصل المشتقّات.

١= **قال البصريّون**:" الأصل في الإشتقاق أن يكون من المصدر، وإلى هذا ذهب معظم اللّغويّين،[١] أمّا الكوفيّون فقالوا:" إنّه من الفعل". يقول الحملاوي:" وأصل المشتقّات عند البصريّين المصدر، لكونه بسيطًا دالاً على الحدث فقط، بخلاف الفعل؛ فإنّه يدلّ على الحدث والزّمن، وعند

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الكوفيّين: الأصل الفعل، لأنّ المصدر يجيئ بعده في التّصريف، والّذي عليه جميع الصّرفيّين هو الأوّل".[٢]

فمن هنا ندرك أنّ فكرة الأصالة والفرعيّة الّتي تكاثر الخلاف والجدل حولها في كثير من المسائل اللّغويّة ترجع إلى مدرسة البصرة والكوفة، وقد جمع هذا الخلاف السّائد بين المدرستين ابن الأنباري(ت٥٧٧هـ) في كتابه " الإنصاف في مسائل الخلاف": المسألة الثّامنة والعشرون.[٣] ودَعَمَ كلّ فريقٍ رأيه بأدلّة وحجج ذكرتْها كتب النّحو واللّغة، ملخّصة فيما يلي:

١= **البصريّون**: يرون أنّ الفعل مشتقٌّ من المصدر، وأنّ الإسم هو الأصل، واحتجّوا بجملةِ أدلّةٍ منها:[٤]

ـ إنّ المصدر يدلّ على زمان مطلق، والفعل يدلّ على زمان معين، والمطلق أصل للمقيّد، فكذلك المصدر أصل للفعل.

ـ إنّ المصدر يشترك في الأزمنة كلّها، لا اختصاص له بزمانٍ دون زمانٍ، فلمّا احتاجوا إلى الدّلالة على زمن محدّد اشتقّوا منه الفعل ليدلّ على الحدوث والظّرف معًا.

ـ إنّ المصدر اسمٌ والإسم يقوم بنفسه، ويستغني عن الفعل، وأنّ الفعل لايقوم بنفسه، ويحتاج إلى الإسم، واللّفظ المستغني بنفسه عن غيره؛ أحرى بأن يكون أصلاً.

ـ إنّ الفعل بصيغته يدلّ على شيئين: "الحدث، والزّمان المحصل"، والمصدر بصيغته يدلّ على شيئ واحد وهو "الحدث".

ـ إنّ المصدر له مثال واحد نحو: السّلم، والقتل، بينما الفعل له أمثلة مختلفة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ـ إنّ الفعل بصيغته يدلّ على ما يدلّ عليه المصدر، والمصدر لا يدلّ على ما يدلّ عليه الفعل، نحو: "ضرب" يدلّ على ما عليه الضرب، و"الضرب" لايدلّ على ما يدلّ عليه "ضرب"، والفعل فرع لابدّ أن يكون فيه الأصل.

ـ لو كان المصدر مشتقًّا من الفعل لوجب أن يجري على سننه في القياس، ولم يختلف كما اختلفت أسماء الفاعلين والمفعولين، فلمّا كان المصدر مختل ف الأجناس: كالرّجل، والثّوب، والتّراب، والماء، والزّيت، دلّ على أنّه غير مشتقّ من الفعل.

- **وذهب الكوفيّون**[٥] إلى أنّ المصدر مشتقٌّ من الفعل، وفرع عليه نحو:[١] "كَتَبَ –كِتَابَةً"، و"قَامَ قِيَامًا"، و"انتشر انتشارًا" و"شارك مشاركةً".....الخ.

ـ إنّ المصدر يصحّ لصحّة الفعل، ويعتلّ لاعتلاله نحو:"قاوم قوامًا"، فيصحّ المصدر لصحّة الفعل، وتقول: "قام قيامًا"، فيعتلّ لاعتلاله، وأصله: قَوَمَ قِوَامًا.

ـ إنّ الفعل يعمل في المصدر نحو:"لقيتك لِقَاءً وُدِّيًا، وصافحتك مصافحةً حارَّةً"، فالمصدر منصوب على المفعوليّة المطلقة، وعامل النّصب فيه فعله، فوجب أن يكون فرعًا له، لأنّ رتبة العامل قبل رتبة المعمول.

ـ إنّ المصدر يذكر توكيدًا للفعل نحو: دكَّت المدينة دكًّا، وحطمت الزّجاجة تحطيمًا، ولا شكّ أنّ رتبة المؤكّد قبل رتبة المؤكّد.، فدلّ على أنّ الفعل أصل، والمصدر فرع.

ـ إنّ هناك أفعالاً لامصدر لها، وهي: نعم، وبئس، وعسى، وليس، وفعل التعجّب، وحبّذا، فدلّ ذلك على أنّ الفعل أصلٌ لافرعٌ لاستحالة وجود الفرع من غير أصلٍ.

وقد أدلى بدلوه الدّكتور تمّام حسّان متفحّصًا مذهب البصرة والكوفة، وملخّصًا منحى كلٍّ من المدرستين، فقال: "ومعنى الحدث: المشترك بين جميع المشتقّات، ولكنّ كلّ مشتقٍّ منها يضمّ إلى الحدث معنى آخر كالزّمان في الفعل، وفاعل الحدث في صفة الفاعل.... وأمّا المصدر فهو اسم

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الحدث فقط، لذلك رآه البصريّون أصلاً للإشتقاق..وأمّا وجهة النّظر الكوفيّة؛ فقد نظرتْ إلى المشكلة من ناحية التّجرّد والزّيادة، فالمجرّد من بين الصّيغ هو في فهم أصحاب هذه النّظرة أقرب إلى الأصالة من المزيد، وقد نظروا في صيغ الكلام، فلم يجدوا أكثر تجرّدًا من الفعل الماضي الثّلاثي المجرّد المسند إلى المفرد الغائب نحو: ضرب، فقالوا:" إنّ أصل المشتقّات هو الفعل الماضي".[٦]

وهذا سيبويه يؤسّس للمدرسة البصريّة اتّجاهها العام في هذه القضيّة فيقول: " واعلم أنّ بعض الكلام أثقل من بعض، فالأفعال أثقل من الأسماء؛- لأنّ الأسماء هي الأولى، وهي أشدّ تمكّنًا- فمن ثمّ لم يلحقها تنوين؛ ولحقها الجزم والسكون، وإنّما هي من الأسمآء، ألا ترى أنّ الفعل لابدّ له من الإسم وإلاّ لم يكن كلامًا، والإسم قد يستغني عن الفعل؛ تقول: الله إلهنا، وعبد الله أخونا".[٧]

ويتّضح من قول سيبويه: "وإنّما هي من الأسمآء" وقوله:" لأنّ الأسمآء هي الأولى" الدّليل على أنّه يرى هذا الرأي".[٨] وقد انتصر ابن الأنباري للبصريّين في هذه المسألة، وكان متصدّيًا ورآدًّا على حجج الكوفيّين وتفنيدها حجّة حجّة.[٩] ولقد تفاقم الإضطراب في كلّ من المدرستين: البصرة والكوفة؛ حول تعيين أصل المشتقّات في مذهبهم، وتساجلوا الآرآء والجدل بلافحوى حاسم للخلاف النّشوب بينهم.

فبادئ ذي بدء؛ نظر الباحثون إلى المذهب البصري- في مسألة الإشتقاق- بعد كل ما حظي به من تأييد كثير من المناصرين في القديم والحديث على أنّ المصدر أصل المشتقّات؛ ومع هذا كلّه لم يسلم من النقد والمأخذ لنشوب الخلاف بين علمآء البصرة أنفسهم في أصل المشتقّات؛ فقد اضطرب المذهب البصري في هذه المسألة.

فالجمهور على أنّ الفعل والوصف[المشتقّات الإسميّة] مشتقّات من المصدر، وذهب بعض البصريّين إلى أنّ المصدر أصل للفعل؛ ولكنّه ليس أصلاً للمشتقّات، بل الفعل هو أصل المشتقّات.[١٠] ومن مظاهر هذا الإضطراب؛ أنّهم جعلوا اسم الهيئة واسم المرّة مشتقّين من الفعل

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الماضي الثّلاثي، كما جعلوا المصدر الصّناعيّ مشتقًّا من اللّفظ نفسه بزيادة يآءٍ مشدّدةٍ وتآء تأنيثٍ على هذا اللّفظ.[١١]

ويرى أحمد علم الدّين مذهب الكوفيّين في هذه المسألة اللّغويّة مبرهنًا كالآتي:

١= اتّجاه بعض المستشرقين إلى أنّ أكثر كلمات اللّغة راجعة إلى أصلٍ ثلاثيٍّ، والذي هو الفعل الثلاثيّ، فإذا أضيف إلى أوّله أو إلى آخره حرفٌ أو أكثر أثرى؛ فتنتج عن هذه الإضافة صيغ متعدّدة لهذه الكلمة دالّة على معانٍ مختلفة.

٢= اختلاف اللّغة السّاميّة والآريّة في أصل الإشتقاق، ففي اللّغة السّاميّة، تسود العقليّة الفعليّة؛ بمعنى أنّ الفعل في اللّغات الساميّة هو كلّ شيءٍ؛ كما عبّر عنه ولفنسون.

أمّا القول بأصالة المصدر؛ فعن طريق الفرس الآريّين تسرّب هذا الإتّجاه إلى الفكر اللّغويّ العربيّ، فالمصدر في اللّغات الآريّة هو أصل الإشتقاق، وهذا الرّأي يدلّ على مظهر تأثّر العرب بالفكر اللّغويّ الفارسيّ الآريّ.[١٢]

وفي الإتجاه القائل بأنّ الفعل هو الأصل يصطدم الخلاف بينهم حول: أيّ الأفعال هو الأصل، فيرجّح بعضهم: أنّ اسم الفاعل هو الأصل، ويرى فريق أنّ صيغة الأمر هي الأصل، بينما يؤيّد فريق ثالث أنّ المضارع هو الأصل.

وأمّا الدّكتور إبراهيم السامرآئي يذهب إلى أنّ الفعل إنّما تطوّر من بعض صور اسم الفعل، كما يتّجه غيره إلى أنّ الفعل إنّما تطوّر عن كلمات كانت دالّة على الفعل بإضافة فكرة الزمن.[١٣]

ويتصدّى الدّكتور تمّام حسّان لردّ رأي البصريّين والكوفيّين على حدٍّ سواء في مسألة أصل الإشتقاق فيقول:" والواقع أنّ الصعوبات تقول-فعلاً-دون الإقتناع برأي البصريّين والكوفيّين على حدٍّ سواء؛

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

فأمّا البصريّون فأنا أسألهم عن[كان] النّاقصة؛ فهي عندهم فعل-ألها مصدر أم لا مصدر لها؟. إنّ مذهبهم يقول: إنّ[كان] النّاقصة لامصدر لها ومع ذلك يعبّرونها مشتقّة فما أصل اشتقاقها؟.

وأمّا الرّدّ على الكوفيّين فإنّ[يَدَعُ، و يَذَرُ] في رأيهم لا ماضي لهما وهما مشتقّان على رغم ذلك فما أصل اشتقاقهما إذًا؟.[١٤] فيرى الباحث أنّ هذه الثّغرات من سلبيّات الجدل والنّزاع، وعدم الإتّفاق على سلامة قضيّة أو مسألة لحدّ ذاتها، وإلاّ؛ فلا يتسنّى لأحد أن يهاجم على مدرسة الكوفة ولا على مدرسة البصرة مع صلابتهما وإثرآئهما الفكر اللّغويّ العربيّ،" **وَلاَتَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**". {الأنفال:٤٦}.

إنّ الباحث المالايوي لايرى سلامة هذا الرّدّ- مع اعترافي وتقديري لفضيلة الدّكتور تمّام حسّان- ولماذا؟

فإنّ البصريّين والكوفيّين عاشوا في زمن وبيئة مختلفين عمّا يعيشه الدّكتور ، وهم الذين أخذوا اللّغة من حرشة الضّباب، وأكلة اليرابيع،[١٥] واستظلّوا الشّمس وإحراقها، واستنعلوا القفار وأحجارها، حتّى أحصوا اللّغة ولهجاتها، وأثروا بالمصادر ومشتقّاتها، فإذا وقفوا عند حدّ ما رووا، وضبطوا كلّ ما سمعوا ووعوا، فهذا يدلّ على صدقهم وأمانتهم واجتهادهم، وهو لباب سعيهم في حياتهم، ولم يضيفوا ما ليس في حقّهم، أو ما لم يكن في حصيلة علمهم.

وباب البحث مفتوح على مصراعيه؛ فالّذي يليق بالدّكتور وأمثاله أن يستأنفوا من حيث وقفوا، وأن يزيدوا على ما حقّقوا، فيستقرؤا ألفاظ اللّغة ومصادرها، حتى يستنبطوا أصل اشتقاق هذه الكلمات، فيطوّروا أو يبسّطوا على مجهودات البصرة والكوفة؛ وليس من الإنصاف أن يجمد أحدٌ عند حدّهما ثمّ يرميهما بصواعق اللّوم والعقم، بعد ما عجز اللاّحقون على المجيئ بما لم يأت به الأوّلون في هذا المجال!!!.

فعلى سبيل المثال لا الحصر؛ من أين علم الدّكتور أنّ كلمة [كان] النّاقصة لا مصدر لها، هل من مذهبه واجتهاداته الخاصة؟ أو أنّه قد أدرك ذلك من مشكاة مذهب البصرة؟ فما عوّقه أن

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

يخطوَ شبرًا أو يمدّ ذراعًا على حدّ قول البصرة؟ فهل يلامون على الأمانة العلمية؟ فاللأحرى لأمثاله محاولة الكشف والوصول، لا الصّواعق والرّدود.

ومن أين أدرك أنّ الفعلين [يَدَعُ، و يَذَرُ] لاماضيَ لهما؟ فهل جاهد في القضيّة حقّ جهاده؟ -تحت ظلال المكيّفات وأنوار الحاسوب ولطافة الفرش والمقاعد -ليكشف لهما الأفعال الماضويّة، أو أنّه تلمّذ في المذهب الكوفي فلمّا قاد ساعده رماهم.

إذًا فمن أيّ منهج يندرج سياق هذا الرّدّ، وما أسسه وضوابطه ودوافعه وجذوره؟، والنّقد البنّاء خير من النّقد الهدّام.

يقول ابن مالك في الملحقات:

وَشِبْهُ ذَيْنِ، وَبِهِ عِشْرُونَ * وَبَابُهُ أُلْحِقَ ، وَالْأَهْلُونَ**

"أُولُوا وَعَالَمُونَ عِلِّيُّونَ * وَأَرَضُونَ شَذَّ وَالسِّنُونَ"**[١٦]

فهذه ملحقات عربيّة لعدم استيفائها بعضًا من شروط جمع المذكر السالم، ومع ذلك لم تردّ سبهللا؛ بل هي شاذّة وملحقة بالجمع المذكّر السّالم، فعلى هذا؛ فَلِمَ لا نعترف -في مثل هذه المواقف- بمجهودات البصرة والكوفة، ونلحق هذه الكلمات بمثيلاتها في العربيّة فنتقدّم-ولو خطوة- في تطوير ذلك التّليد مع الإحترام والإعتراف لمصادر الجيل السّابق دون القذفات اللاّذعة!!!؟؟؟.

فلذا يقول الباحث المالايوي:" إنّ [كان] النّاقصة؛ تتصرّف كالفعل الواويّ العين، نحو:[كان، يكون، كن]،[قال، يقول، قل]، فلو أنّنا ألحقنا كلمة [كان] بالفعل الواويّ العين؛ وقلنا إنّها ملحقة به، وإن لم يكن لها مصدر، أفلا يكون ذلك خيرًا وأحسن تأويلا.؟

وخلاصة القول أنّه كلّما تصدّرنا للرّدود على البصرة والكوفة- في الأقلّ من القليل- غاضّين عن الضّفير من مجهوداتهم للّغة العربيّة؛ فهل لنا من مرجع؟ وجاء في العدالة السّماويّة: "**هَلْ جَزَآءُ الْإِحْسَانِ إِلاَّ الْإِحْسَانُ**".{الرحمن، الآية:٦٠}.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ويظهر عبد الله أمين أمام قضيّة الإشتقاق- أيضًا- بمحاولة الجمع والميل في لحظة واحدة، وذلك أنّه يرى أنّ جميع المشتقّات بما فيها المصدر مأخوذة من الفعل بعد اشتقاقه من أصل المشتقّات؛ وأصل المشتقات عنده الذي اشتق منه الفعل نوعان:- ١= أسماء المعاني،[١٧]، ٢= وأسماء الأعيان.[١٨] فالمحصّلة النّهائيّة لرأيه كوفيّة التّوجّه، وأصل المشتقّات- في رأيه إذًا- هو الفعل.

المطلب الثاني: أصوليّة الجذور والجواهر:

٣= مذهب المعجميّين وبعض اللّغويّين المحدثين:

وبعد سرد الآرآء اللّغويّة العقليّة والفكريّة حول الإتّجاهين الرئيسين: البصريّ والكوفيّ في قضيّة أصل الإشتقاق، يتجلّى ثالث ثلاثة؛ وهو اتّجاهٌ مهّد له المعجميّون العرب عمليًّا، وبلوره بعض اللّغويّين المحدثين نظريًّا، وهو أنّ الإشتقاق عبارة عن أحرف ثلاثة غير مستعملة في اللّغة، بل هي شيء مجرّد من الحركات والسّكنات.

فمثلاً؛ المشتقّات الآتية: مكتب، وكاتب، ومكتوب، واستكتب، وكتاب، وكتابة. أصلها الإشتقاقي هو مادة الكاف والتاء والباء [ك ت ب] مجرّدة من الحركات.[١٩]

ولقد علّق الباحث جلال عبد الله محمّد سيف الحمادي في رسالته حول نظريّة أصوليّة الجذور الثّلاثة فقال: " هذا الرّأي؛ هو الّذي ترجمه المعجميّون عمليًّا، حيث درجوا في ترتيب موادّ معاجمهم على طريقة ترتيب الحروف الثّلاثة الأصول للمادّة اللّغويّة منفصلة بعضها عن بعض كنوع من الإشارة إلى أنّ هذا هو أصل هذه المادّة ثمّ ينظّمون تحته جميع الصّيغ الصرفيّة: المصدر والفعل واسم الفاعل واسم المفعول...إلخ.

ويستمرّ قائلا:" والحروف الثّلاثة الأصول عند المعجميّين لامعنى لها؛ لأنّها- أوّلا- ترد مفكّكة، غير مترابطة، فلا تدلّ على كلمة معيّنة، ولأنّها- ثانيًا- مجرّدة من الحركات والسّكنات الّتي تمنحها هويّتها الدّلاليّة، فمادّة: (الضّاد والرّاء والباء) لا دلالة لها، إلاّ أن نصل بين حروفها ونشكّلها على

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

النّحو الآتي: (ضَرْبٌ) فتصبح مصدرًا دالاً على الحدث، وحين نشكّل حروفها الثّلاثة بحركة الفتح: (ضَرَبَ) تصبح فعلاً دالاً على الحدث والزّمنيّة الماضويّة، وحين نضيف إليها ألفًا بعد الضّاد: (ضَارِبٌ) تصبح وصفًا: (اسم الفاعل)، دالاً على الحدث ومن قام به.....وهكذا.[٢٠]

ويؤيّد الدّكتور تمّام حسّان مذهب الأصول الثّلاثة ويقول:" إنّ المعجميّين لم يروا في الأصول الثّلاثة أكثر من ملخّص علاقة أو رحم قربى بين المفردات الّتي تترابط معجميًّا بواسطتها؛ ولذلك كان الإجراء المفضّل عندهم في معاجمهم أن يفصّلوا في الكتابة بين أصول المادّة حتّى لا تفهم منها كلمة ما".[٢١]

ويعلّق د/ تمّام على وجاهة هذا المنهج المعجميّ في اعتباره الأصل الإشتقاقي فيقول: " وإذا صحّ لنا أن نوجد رابطة بين الكلمات، فينبغي لنا ألاّ نجعل واحدةً منها أصلاً للأخرى، وإنّما نعود إلى صنيع المعجميّين بالرّبط بين الكلمات بأصول المادة، فنجعل هذا الرّبط بالأصول الثّلاثة أساس منهجنا في دراسة الإشتقاق، فالمصدر مشتقٌّ منها والفعل مشتقٌّ منها كذلك.....ويكون المصدر بهذا الفهم مشتقًّا متصرّفًا؛ لأنّ صيغته تعتبر إحدى الصيغ الّتي تتقلّب عليها أصول المادة، وكذلك يعتبر الفعل الماضي مشتقًّا متصرّفًا".[٢٢]

فالباحث المالايوي ابن شعبان بعد التّعمّق والإمعان أدرك أنّه لا موضوعيّة لهذا الإتّجاه - حفاظًا لنزاهة وقداسة ألفاظ القرآن الكريم- ولا صلاحيّة في هذا المنهج- كأساس- في دراسة الإشتقاق؛ لأنّ الجذور الثّلاثة أو الأربعة أو سمّها ما شئت بمثابة الرّحم كما ذكر د/ تمّام حسّان نفسه.

وأمّا المصدر فهو بمثابة المربّي الكفيل والقائم الحاضن لجميع المشتقّات، فالجذور- حقًّا- بمنزلة الأرض الزّراعيّة، ومنهج معجميّتها متّبع في المعاجم العربيّة والأوربّيّة والفرنسيّة والصّينيّة وهكذا، والعَالَم بمختلف أجناسه لايزرع في الهواء ولا في السماء، بل لا بدّ له من اللّجوء إلى الأراضي الزّراعيّة، ومع ذلك لا ينسب المشتقّات الزّراعيّة من الأشجار والنّبات والثّمرات إلى

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

التّراب بأنّها الأصول لها، بل البذرة- وهي المصدر- تنسب إليها جميع النّباتات والثّمرات، ولا يختلف في هذا اثنان.

ولقوّة التّرابط بين البذرة- المصدر- والنّبات يقال في العربيّة: (بذر الزّرع) بذرًا: زكا ونما، ويقال: بذر الأرضَ: إذا زرعها، والبذرة: واحدة البذر، وفي علم النّبات: ما تتكوّن في الثّمرة، وتحوي الجنين النّباتي.[٢٣]

إذًا فالثّمرات والنّباتات- وهي المشتقّات- لا تنسب إلى الأراضي الزّراعيّة بأنّها أصل لها وإنّما تنسب إلى البذر- المصدر- أصل لها.

ألا ترى أنّ الجذور الثّلاثة قد ينتج من تقليباتها التّسعة ألفاظ لا تدلّ على كلمة معيّنة، وغير مستعملة في اللّغة العربيّة، ولاتفهم منها كلمة ما، بل هي غير ممنوحة الهويّة، ولا معنى لها، فهذه الصّفات الخمسة للجذور الثّلاثة الّتي ذكرها الدّكتور تمّام حسّان وتبعه في ذلك الباحث جلال عبد الله.[٢٤]

أمّا البذر-المصدر- فهو البلد الطيّب يجرج نباته بإذن ربّه؛ فلا يخطر بالبال أن يشتقّ من المصدر كلمة لا معنى لها، بخلاف تلك الجذور الثّلاثة الّتي ينتج من بعض تقليباتها ألفاظ غير مستعملة في اللّغة العربيّة.

ويعتقد الباحث أنّه يكلّ لسانُ مدرسِ مادةِ إعجازِ القرآنِ الكريم ونظمه وفصاحته عن الإجابة عند ما يُسأل عن أصل المشتقات العربيّة القرآنيّة؟ وخاصّة إذا كان السائل مستشرقًا!!!

فهل تكون الإجابة بأمثلة التّفاصيل الواردة من الدّكتور تمّام حسّان وأمثاله بأنّ أصل المشتقّات العربيّة –القرآنيّة- كالتّالي:

أ= عبارة عن أحرف ثلاثة، ب= غير مستعملة في اللّغة العربيّة، ج= مجرّدة عن الحركات والسّكنات، د= منفصلة بعضها عن بعض، هـ= مفكّكة غير مترابطة، و= لاتدلّ على كلمة معيّنة،

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ز= شيء مجرد، ح= لا معنى لها، ط= غيرممنوحة الهويّة الدّلاليّة، ي= لا دلالة لها، ك= لاتُفهم منها كلمة ما.

فالحمد لله؛ مهما تضاربت الآرآء والإتجاهات والفلسفات حول أصل المشتقّات، فإنّه لا يخفى على أحد أنّه من الحوافز القصوى لتعلّم اللّغة العربيّة وتعليمها إقامة صرح للفهم وخدمة القرآن الكريم والسّنّة النبويّة الشّريفة، مع كون العربيّة لغةَ الدّين والحياة والثّقافة معًا، صالحةً لكلّ زمانٍ ومكانٍ، وتلك المحجة البيضاء، لايزيغ عنها إلاّ من أبى. واتّفاق البصريّين مع سيبويه على اسميّة المصدر لم يأت سهللاً، بل اقتبسوا ذلك من مشكاة قوله تعالى: "**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**" {البقرة:٣١}، فعلى هذا وافقوا المذهب القائل بوضع اللّغة[٢٥] وأصل مصادر اللّغة الأسماء الّتي علّم الله آدم عليه السّلام، وليست تلك الجذور الثّلاثة الواهية الخاوية.

اتّفق أهل اللّغة على أنّ البصريّين أصحّ قياسًا، لأنّهم لايلتفتون إلى كلّ مسموع، ولا يقيسون على الشاذ والكوفييون والكوفيّون أوسع روايةً، لأنّهم يتوسّعون ما لا يتوسّع فيه البصريّون، قال ابن جنّي:" الكوفيّون علاّمون بأشعار العرب، مطّلعون عليها.[٢٦]

ولاينسى الدّارسون اللّغويّون أنّ العلوم اللّغويّة أوّلا وأخيرًا تشكّل أداة لفهم القرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف

وتساعد في تجلية المشكلات، واستنباط الأحكام.[٢٧]

ومن الجدير بالذكر؛ أنّ من الدّارسين والباحثين في العصر الحديث من يميل إلى ماذهب إليه الكوفيّون، مستأنسين بالدّراسات اللّغويّة المقارنة، وبما تيسّر لهم من معرفة بالفصائل اللّغويّة المختلفة. وفي ذلك يقول ولفسن:" إنّ أغلب الكلمات يرجع اشتقاقها إلى أصلٍ ذي ثلاثة أحرف، وهذا الأصل [فِعْلٌ] يضاف إلى أوله أوآخره حرف أوأكثر، فتكون من الكلمة الواحدة صور مختلفة تدلّ على معان مختلفة"[٢٨].

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وحينما بدأ علماء اللّغة بحثهم في الإشتقاق، تناولوا فكرة الأصل والفرع، وأعرضوا عن الجوانب الحسيّة والمعنويّة، ممّا أوقعهم في اضطراب وأوهام كثيرة. منها أن أبا عمرو بن العلاء، قد وافق الأعرابيّ في زعمه أنّ الخيل مشتقّ من الخيلاء، ويرى ابن فارس أنّ الجنّ مشتقّ من الإجتنان، وهو: التّستّر.[٢٩] ومجمل القول؛ أن تكون الموادّ الدّالّة على المحسوسات أصلاً للأشياء الدّالة على المجردات، فيكون الرّاجح سبق الحسّيّ في الوجود من المعنويّ المجرّد، فينتج من ذلك أنّ أصل المشتقّات الأسماء، ولا سيّما أسماء الأعيان.[٣٠]

ومذهب ابن جنّي يدلّ على أنّ مسألة الأصل والفرع مسألة ظنّ واجتهاد، وذلك أنّه يرى:" أنّ المصدر مشتقّ من الجوهر، كالنّبات من النّبت والإستحجار من الحجر.[٣١]

كما يبرهن هذا الرّأي على مصدريّة أصل المشتقّات عند معظم القدماء، وجوهريّته-أخذه من الجوهر- عند بعض المحدثين، واشتقاق العرب من الجواهر قليل جدًّا؛ كما نبّه العرب القدماء، بل أكثره من المصدر.[٣٢]

٤= **أصوليّة الجواهر:** وقد كان الرّأي عكسًا عند بعض المحدثين لعدّهم الجواهرَ أصول الإشتقاق، لمعرفتها قبل وضع أسماء المعاني، وأنّ البداهة تقتضي وجود مرئيٍ محسوسٍ قبل المجرّد، فهو أحرى وأجدر بالأصالة، لاطّراد قياسه ووضوح ميزانه. ولأنّ المصادر كالأفعال، فلاتتقيّد بدقّة الموازين، واطّراد الأقيسة، وإن كان العرب قد اشتقّوها

من الأسماء، كما أنّ الرّجوع إلى المعجمات أو كتب اللّغة كافٍ لإيجادها حافلةً بالجواهر المفترّع عنها الصّفات، والأحوال، والمصادر، والأفعال؛ وقد اشتقّ العرب من الأعضاء، ومن أسماء الأقارب، وأسماء الأزمنة والأمكنة، وأسماء المعاني، بل وحتى من أسماء الأصوات والأعداد.[٣٣]

يتّضح ممّا سبق أنّ مادّة اللّغة الأصليّة تنمو وتكثر حين الحاجة إليها، وأنّ أسبقيّة الحسّيّ في الوجود هو المرجّح من المعنويّ المجرّد.[٣٤] وكلّ هذا وذاك يرجّح الرّأي القائل بأنّ الأسماء؛ وخاصة أسماء الأعيان هي أصل المشتقّات.[٣٥]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

المطلب الثّالث: الإشتقاق وحقيقة وجوده ووقوعه:

لقد تضافرت أقوال علماء اللّغة في حقيقة وجود الإشتقاق ووقوعه؛ كاختلافهم في أصله، فمن بين القدامى من اتّخذ موقفًا وسطًا، أنّ بعض الكلام مشتقّ وبعضه غير مشتقّ، كالخليل وسيبويه، وأبي عمرو بن العلاء، وأبي الخطّاب، وعيسى بن عمر، والأصمعي، ومنهم من ارتئى أنّ الكلام كلّه أصلٌ أو بحكم الأصل، وفي ذلك قول ابن فارس: "وليس لنا اليوم أن نخترع، ولا أن نقول غير ما قالوه، ولا أن نقيس قياسًا لم يقيسوه، لأنّ في ذلك فساد اللّغة وبطلان حقائقها".[٣٦] والبعض الآخر يرى أنّ الكلام كلّه مشتقّ.[٣٧]

بينما تناول بعضهم ما يدخله الإشتقاق وما لايدخله، فذكروا أنّ الإشتقاق يكون في المصادر والأفعال والصّفات، وكذلك في الأسماء والأعلام، لكونها منقولة في الأكثر، ويقلّ في غيرها أوينعدم، ومن ذلك الإشتاق من أسماء الجنس، فهو عندهم صعب ودقيق، لكونها أصولاً مرتجلةً، فهي قليلة جدًّا، وأمّا الأسماء الأعجميّة المنقولة من لغة أخرى مختلفة عن اللّغة العربيّة؛ فلا يشتقّ منها إذا كانت عجميّتها شخصيّة كإسماعيل ونحوه.[٣٨]

ومنهم من بالغ في البحث عن الأصول، فأخذ يشتقّ الكلمات العربيّة من أصول عربيّة، كابن دريد الّذي راح يعدّ سكلمة" الفردوس " من "الفردسة" وهي السّعة.[٣٩] وكذلك لايشتقّ من الأصوات ولا الحروف، أوممّا يشبهها من الأسماء المتوغّلة في البناء نحو:"مَا ومَنْ"، ولا من الأسماء النّادرة مثل:"طوبالة" أي:[النّعجة]، فلا يعرف لها أصل لندرة الإستعمال، وكذلك لا يشتقّ من اللّغات المتداخلة كـ"الجون" فهو مستعمل للأسود والأبيض، ولا الأسماء الخماسيّة لعدم تصرّف الأفعال منها، ومن ثمّ لا مصادر لها.[٤٠]

وخلاصة القول يرى الباحث المالايوي ابن شعبان حقيقة وجود الإشتقاق ووقوعه ومصدريّة أصله، وأمّا تعدّد مصدر الإشتقاق، فذلك من طبيعة نشأة اللّغة وتطوّرها، والزّعم بأنّ بعض الصّيغ هو الأصل، وسائرها فروع مشتقّة بدأت في صورة مصدريّة أو فعليّة، ومن ثمّ عكف النّاس عليها يشتقّون كلّ الأسماء والأفعال.[٤١]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الخاتمة

من خلال ما تقدّم يتّضح للدّارس مدى اختلاف المذاهب اللّغوية حول أصل المشتقّات العربيّة، وقد انجلى من الدّراسة مرئى وتأصيل كل مذهب لأصل المشتقات، بل قد دلّت الدّراسة على تأثّر المذهب البصري بالفكر اللّغوي الآريّ القائل باسميّة ومصدريّة أصل المشتقّات، كما وضّحت عن تسرّب وسيادة الفكر اللّغوي السّاميّ المتمركز على أصالة العقليّة الفعليّة للمشتقّات العربيّة، ولم تتغافل الدّراسة عن الخلاف النّاشب بين علماء كلٍّ من المدرستين مما أتاح الفرصة وفتح السّبيل للدّكتور تمّام حسّان ومن تبعه من الباحثين في الرّدّ على مدرستي البصرة والكوفة؛ وإن كان الباحث المالايوي مخالفا لذلك ومدافعا للمدرستين، ثم تقدّمت الدّراسة بذكر مذهب المعجميّين القائل بأصوليّة الجذر الثّلاثة كما برهنت على دعم الدّكتور تمّام حسّان وإسهامه مؤيّدًا لهذا المذهب وخالفه الباحث كذلك ورَدَّ بلطفٍ من القول وأحسن تأويلا، وذلك عن طريق ملاحظات تنصّ على خطورة ذلك المذهب لجلالة ألفاظ كتاب الله وقداسة كلماته، وقد اختتمت الدّراسة بتناول أصوليّة الحواهر عند اللّغويّين القائلين بمقتضى البداهة من وجود شيء مرئيٍّ محسوس قبل المجرّد؛ فاشتقّ أصحاب هذا الرّأي من الأعضاء وأسماء القبائل والأزمنة والأمكنة.....وهكذا.

الهوامش:

١- ابن عصفور، الإشبيلي،١٩٧٨م، الممتع في التّصريف، ط٣،تح: د.فخرالدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت.[ج١،ص: ٤٨].

٢- شذا العرف في فنّ الصّرف. م س. ص:[١١٢].

٣- الأنباري، ١٩٨٢م، الإنصاف في مسائل الخلاف، بيروت: دار الجبل. [ج١،ص:٢٣٥].

٤- فرحات عياش،١٩٩٥م، الإشتقاق ودوره في نموّ اللّغة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. ص: [٦٥-٦٦].

٥- فرحات عيّاش، م س، ص:[٦٦-٦٧].

٦- تمّام حسان، الدكتور، ١٩٩٧م، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العلمية للكتاب، ط٢، ص:[١٦٧-١٦٦].

٧- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، ١٩٩٩م، الكتاب، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية. [١\٢٠-٢١].

٨- صلاح محمد مصطفى روّاي، ١٩٧٩م، الصّيغة الصّرفيّة ودلالتها على المستويين الصرفي والنّحوي، جامعة القاهرة. ص:[٩٠]. ٩

- الإنصاف في مسائل الخلاف، م س، ص: [٢٣٩\١].

١٠- السيوطي، ١٩٩٨م، همع الهوامع شرح جمع الجوامع، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت. ص: [٧٣\٢-٧٢].

١١- شذا العرف، م س، ص:[٥٤].

١٢- أحمد علم الدين الجندي، ١٩٦٢م، دراسات في النّظم الصوتي الصرفي، مجلة مجمع اللغة العربية،ج٦١، ص: [٣٧-٣٦].

١٣- دراسات في النّظم الصّوتي الصّرفي، م س، ص: [٣٧].

١٣-اللّغة العربيّة معناها ومبناها، م س، ص:[١٦٧].

١٥-السيوطي، عبد الرّحمن،١٩٧٧م ، الإقتراح، تح: محمد علي البنا، القاهرة. ص: [١٦٦].

١٦- ابن عقيل، قاضي القضاة، بهاء الدين عبدالله، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، شرح ابن عقيل،ط٢٠، دار مصر للطباعة، [ج٦٢/١].

١٧- أسمآء المعاني هنا: أسمآء العدد وأسمآء الأزمنة، انظر: الإشتقاق:[١٥-٢٢].

١٨- أسمآء الأعيان: أسمآء الأمكنة والأقارب والقبآئل: م س، ص:[٣٢-٢٢].

١٩- عبد الله، درويش، ١٩٦٢م، دراسات في علم الصّرف، مطبعة الرسالة، القاهرة. ص:[٤].

٢٠- جلال عبد الله، محمد سيف الحمادي، ٢٠٠٨م، العدول في صيغ المشتقّات في القرآن القرآن الكريم، دراسة دلاليّة، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين. ص:[٨٠].

٢١- اللّغة العربيّة معناها ومبناها، م س، ص: [١٦٧].

٢٢- المرجع السابق، ص: [١٦٩].

٢٣- أنيس، إبراهيم وآخرون، ١٩٨٥م، المعجم الوسيط، مطبوعات مجمع اللّغة العربية، ط٣، القاهرة. ص: [٦٦-٦٥].

٢٤- جلال عبد الله محمد سيف الحمادي، ٢٠٠٧م، العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة تغز، الجمهورية اليمنية، ص:[٨٢].

٢٥- السّيوطي، ١٩٩٩م، الإقراح، م س، ص:[٣٨]، تح: طه عبد الرّؤف سعيد، مكتبة الصّفا-القاهرة.

٢٦ السّيوطي، م س، ص: [١٦٦].

٢٧ السّيوطي، م س، ص: [١٩].

٢٨- فرحات عياش، م س، ص: [٦٧].

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٢٩- ابن جني، أبوالفتح عثمان،٢٠٠٠م، الخصائص، تح: محمد علي النجّار، الهيئة العصريّة العامّة للكتاب، القاهرة. ص: [٥٧].

٣٠- صبحي صالح،١٩٨١م، دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين، ط١، بيروت. ص: [١٨٠-١٨١].

٣١- ابن جنّي، م س، ص:[٣٤\٢].

٣٢- المزهر، م س، ص: [٣٥٠\١]، و عبد الله أمين، الإشتقاق، ص: [١٣].

٣٢- صبحي الصالح، م س، ص: [١٨١-١٨٣] نقلاً عن: بلقاسم بلعرج، م س، ص: [٢٤].

٣٤- يقول ابن جنّي:" الإسم أسبق من الفعل لأنّه أقوى في النّفس، وأسبق في الإعتقاد من الفعل، لا في الزّمان، الخصائص:[٣٠\٢].

٣٥- ابن جنّي، م س، ص:[٢٨\٢-٤٠]. ودراسات في فقه اللّغة، م س، ص: [١٨٠].

٣٦- ابن فارس أبو الحسن أحمد،١٩٧٧م، الصّاحبي، تح: أحمد صقر، مط: عيسى البابي، القاهرة. ص: [٦٧].

٣٧- المزهر، م س،ص: [٣٨٤\١]، وارتشاف الضرب، ص: [١٣\١-١٤].

٣٨- ذكر ابن السّراج: " أنّه ينبغي كلّ الحذر من الإشتقاق من لغة العرب بشيء من لغة العجم، فذلك كمن يدّعي أنّ الطّير ولد الحوت"، بلقاسم بلعرج، م س، ص: [٢٣].

٣٩- ابن دريد،١٩٨٧م، الجمهرة، تح: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط١، بيروت. ص: [٣٨٤\١].

٤٠-ابن عصفور، الممتع، م س، ص: [٤٨-٣٥].

٤١- أحمد محمد مقدور، ١٩٩٩م، مدخل إلى فقه اللّغة، دار الفكر، دمشق. ص: [٢١١].

المصادروالمراجع:

١- ابن جني، أبو الفتح عثمان. **الخصائص**، ت٣٩٢هـ(، تح :محمد علي النجار،ط٤، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، د.ت.

٢- ابن دريد، ١٠٨٧م، الجمهرة، تح: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط١، بيروت.

٣- ابن عصفور، الإشبيلي، ١٩٧٨م، **الممتع في التصريف**، تح: فخر الدين قباوة، ط٣، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٤- ابن عقيل، قاضي القضاة، بهاء الدين عبد الله، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، **شرح ابن عقيل**، ط٢٠، دار مصر للطباعة.

٥- ابن عقيل، ١٩٦٤م، **شرح ابن عقيل، على ألفية ابن مالك**، تح :محمد محي الدين عبد الحميد، ط١٤، مطبعة السعادة، مصر.

٦- ابن فارس، أبو الحسن أحمد، ١٩٧٧م، **الصاحبي**، تح: أحمد صقر، مط: عيسى، القاهرة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٧- أبو حيان الأندلسي،١٩٨٤ م، **ارتشاف الضرب**،تح :د .مصطفى أحمد النماس، ط١، مط :المدني،مصر.
٨- أحمد علم الدين الجندي، ١٩٦٢م، دراسات في النّظم الصوتي الصرفي، مجلة مجمع اللغة العربية.
٩- أحمد، علي الحملاوي، ت١٣٣٣هـ، **شذا العرف في فن الصرف**، ط١٥،١٩٦٤م، مط: مصطفى البابي الحلبي.
١٠- أحمد محمد مقدور، ١٩٩٩م، **مدخل إلى فقه اللغة**، دار الفكر، دمشق.
١١- أنيس، إبراهيم وآخرون، ١٩٨٥م، المعجم الوسيط، مطبوعات مجمع اللّغة العربية، ط٣، القاهرة.
١٢- بلقاسم بلعرج، ٢٠٠٥م، **لغة القرآن الكريم، (دراسة لسانية** للمشتقات في الربع الأول)، الجزائر.
١٣- تمام حسان، الدكتور، ١٩٧٩م، **اللغة العربية معناها ومبناها**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
١٤- جلال عبد الله، محمد سيف الحمادي، ٢٠٠٨م، **العدول في صيغ المشتقّات في القرآن القرآن الكريم**، دراسة دلاليّة، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين.
١٥- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر١٩٩٥م، **الكتاب**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٦- صبحي صالح، ١٩٨١م، **دراسات في فقه اللغة**، دار العلم للملايين، ط١، بيروت.
١٧- صلاح محمد مصطفى روّاي، ١٩٧٩م، **الصيغة الصرفية ودلالتها على المستويين الصرفي والنحوي**، جامعة القاهرة.
١٨- عبد الله، درويش، ١٩٦٢م، دراسات في علم الصّرف، مطبعة الرسالة، القاهرة.
١٩- فرحات عياش، ١٩٩٥م، **الإشتقاق ودوره في نمو اللغة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
٢٠- الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، ١٩٨٢م، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، دار الجمل، بيروت.
٢١- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، **همع الهوامع**، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
٢٢- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، ١٩٧٦م، **الإقتراح**، تح: محمد علي البنا، القاهرة.
٢٣- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ط١، مطبعة الحلبي، مصر، د.ت.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

دور الترادف في تنمية الحصيلة اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها– ظاهرة "الترادف" في رواية ماجدولين أنموذجا

الدكتور محمد الثاني إبراهيم
محاضر بشعبة اللغة العربية والتربية، كلية التربية، جامعة أحمد بلّو زاريا- نيجيريا
والدكتور مرتضى محمود معاذ
محاضر بقسم تعليم اللغات، جامعة التربية وينبا- جمهورية غانا

ملخص المقالة

تبرز هذه المقالة أهمية الترادف في تنمية الحصيلة اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها، حيث تتبّعت بشكل خاص ظاهرة الترادف في كتاب "ماجدولين" للروائي العربي المشهور مصطفى لطفي المنفلوطي، وذلك لإبراز كيفية الاستفادة منها في تنمية الحصيلة اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية. وقد توصلت المقالة إلى نتائج أبرزها: أن للترادف الوارد في كتاب ماجدولين دورا كبيرا في تنمية الحصيلة اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية بصفة عامة والناطقين بغيرها بصفة خاصة، وذلك بتدريبهم على قراءة نصوص الكتاب لاستخراج الكلمات المترادفة المبثوثة فيها، إضافة إلى مطالبتهم بكثرة التمارين على استعمال تلك الكلمات المترادفة في جمل وظيفية نطقا وكتابة. وأوصى الباحثان بإيلاء الترادف عناية كبيرة في تدريس اللغة العربية وخصوصا للمراحل المتوسطة والمتقدمة تلبيةً لحاجتهم إلى الثروة اللغوية.

ABSTRACT

This paper highlights on the importance of Synonyms in developing vocabularies for Non Arab learners of Arabic language. It specifically

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

examines the synonyms used in an Arabic novel titled "Magdoline" which was written by an Arabic famous novelist Mustapha Lutfi Al-Manfaluti, to show how synonyms could be used in vocabulary development for Arabic learners. The main finding of the paper shows that: Synonyms used in the novel play major roles in developing Arabic Language vocabularies for learners of Arabic language among both native and non-native speakers. Finally, the paper suggests giving more attention to synonyms in teaching Arabic language, especially for Intermediate and advanced level learners.

مقدمة

يعد الترادف من أهم خصائص اللغة العربية، بل هي ميزة تتميّز بها اللغة العربية على كثير من لغات الأرض، مما يدل على غنى وغزارة مفرداتها وثروة ألفاظها. والترادف أداة- لدى المهتمين بتعليم اللغة العربية- تُستغلُّ لتقريب معاني الألفاظ إلى المتعلمين، مما أدَّى إلى الاستعانة بها في تيسير اكتساب مفردات اللغة العربية. وتشير دراسة علمية إلى أن تعلم الكلمات المترادفة أمر عاديٌّ في تعلم المفردات، بل إنه من المنطقي أن يكون تعلم الكلمات المترادفة أسهل من غيرها"(١). ويعتبر كتاب "ماجدولين" من أهم كتب الروائي المصري مصطفي لطفي المنفلوطي الذي عُني عناية بالغة بالترادف، إذ حظي بنصيب وافر منه حيث تجده متناثرا في كلّ فصل من فصول الكتاب البالغ عددها تسعة وتسعين. وتسعى هذه المقالة إلى إبراز دور الترادف في تنمية الحصيلة اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها، حيث يحاول الباحثان الإجابة عن الأسئلة التالية:

- هل يسهم الترادف في تنمية الحصيلة اللغوية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها؟

- ما مدى حضور الترادف في رواية "ماجدولين" ؟ وإلى أيِّ حدٍّ يساعد الترادف الوارد فيها في تنمية الحصيلة اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها؟ وسيتم تناول الورقة من خلال النقاط التالية:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

١- مفهوم الترادف
٢- دور الترادف في تنمية الحصيلة اللغوية- رواية ماجدولين أنموذجا
٣- الحصيلة اللغوية وعلاقتها بمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها
٤- خاتمة

توطئة حول الترادف:

تشرق في آفاق اللغة العربية ظواهر عديدة على مستوى المراحل اللغوية الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والتداولية. وتعد من أبرز ظواهر اللغة العربية على المستوى الدلالي ظاهرة الترادف اللغوي، تلك التي أثارت اهتمام الباحثين اللغويين قديما وحديثا فانقسموا في ذلك إلى فريقين: فريق مؤيّد ومؤكِّد لوجود الترادف، وآخر معارض ومنكر لوجوده. وقد أثارت هذه الظاهرة عناية الباحثَين أيضا مما دفعهما إلى الوقوف على كتاب "ماجدولين" للروائي العربي الكبير مصطفى لطفي المنفلوطي لعرض نماذج من الترادف الوارد فيه، وإبراز كيفية استغلالها في تنمية الحصيلة اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها. ويقف الباحثان فيما يلي على آراء علماء اللغة القدامى والمحدثين حول مفهوم الترادف وفوائده.

١- مفهوم الترادف وآراء العلماء فيه:

١. ١ مفهوم الترادف اللغوي والاصطلاحي:

الترادف لفظ مشتق من الفعل: ردف، أو المصدر: الردف. وقد ورد معناه اللغوي في لسان العرب على النحو التالي: "الرِّدف: ما تبِع الشيءَ. وكل شيء تبِع شيئا ، فهو رِدفه، وإذا تتابع شيءٌ خلف شيء، فهو الترادف، والجمع الرُّدافى.. وترادف الشيءُ: تبِع بعضه بعضا. والترادف: التتابع... وردِف الرجل وأردفه: ركب خلفه، وارتدفه خلفه على الدابة.. الرِّدف: الكفل"(٢). وقد ورد في معجم اللغة العربية المعاصرة ما يلي: "ردَف الرجل: ردفه، ركب خلفه. ردِف أستاذه: تبعه ولحقه. وترادُف (مفرد) مصدر تَرَادفَ.: أن تكون كلمتان أو أكثر بمعنى واحد"(٣).

أما المفهوم الاصطلاحي للترادف فقد أشار إليه عدد من علماء اللغة القدامي والمحدثين، من أبرزهم الشريف الجرجاني وجلال الدين السيوطي. وقد أشار الجرجاني في كتابه "معجم

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

التعريفات" إلى الصلة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للترادف قائلا: "المترادف ما كان معناه واحدا وأسماؤه كثيرة وهو ضد المشترك أخذًا من الترادف الذي هو ركوب أحد خلف الآخر، كأن المعنى مركوب واللفظين راكبان عليه كالليث والأسد" (٤). وذكر السيوطي في مزهره: "أن الترادف هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد..كالسيف والصارم، فإنهما دلا على شيء واحد، لكن باعتبارين: أحدهما على الذات والآخر على الصفة، والفرق بينه وبين التوكيد أن أحد المترادفين يفيد ما أفاده الآخر، كالإنسان والبشر" (٥).

يلاحظ من التعريفين الاصطلاحيين السابقين أن الترادف هو اتفاق كلمتين أو أكثر في معنى واحد.

١,٢ آراء العلماء حول وجود الترادف من عدمه

تحدث عددٌ غير قليل من علماء اللغة قديما وحديثا حول ظاهرة الترادف في اللغة العربية وانقسموا إلى فريقين: فريق يؤيد وجود الترادف ويؤكده، وفريق آخر ينفي وينكر وجوده. ولابأس هنا أن نورد بعض الآراء للوقوف على الفرق بينها.

أما المؤيدون لفكرة الترادف في اللغة العربية فمنهم سيبويه، والأصمعي، وأبو الحسن الرماني، وابن خالويه، وحمزة بن حمزة الأصفهاني، والفيروزآبادي، فقد نقل جلال الدين السيوطي قصة ظريفة دارت بين أبي علي الفارسي وابن خالويه، ومفادها أنه روي:" عن أبي علي الفارسي قال: كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه، فقال ابن خالويه: أحفظ للسيف خمسين اسما، فتبسم أبو علي وقال: ما أحفظ له إلا اسما واحدا، وهو السيف. قال ابن خالويه:فأين المهند والصارم وكذا وكذا؟ فقال أبو علي: هذه صفات، وكأن الشيخ لايفرق بين الاسم والصفة". (٦)

وهناك من القدماء من أنكروا الترادف فذهبوا إلى أن "كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات ، كما في الإنسان والبشر، فإن الأول موضوع له باعتبار النسيان، أو باعتبار أنه يؤنس، والثاني باعتبار أنه بادي البشرة..وقد اختار هذا المذهب أبو الحسين أحمد بن فارس في كتابه فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، ونقله عن شيخه أبي

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

العباس ثعلب" (٧).

ويبدو مما سبق أن سبب إثبات الترادف لدى بعض اللغويين القدامى هو اتحاد دلالته في الذات، كما أن سبب إنكاره هو نظرتهم إلى أن كل لفظ يختص بمزيد معنى لايوجد في غيرها.

أما رأي المحدثين تجاه الترادف فقد فصَّله إبراهيم أنيس قائلا: "يجمع المحدثون من علماء اللغات على إمكان وقوع الترادف في أي لغة من لغات البشر، بل إن الواقع المشاهد أن كل لغة تشتمل على بعض تلك الكلمات المترادفة. ولكنهم يشترطون شروطا معينة لابد من تحققها حتى يمكن أن يقال إن بين الكلمتين ترادفا. ومما يشترطونه في الترادف ما يلي:

أولا: الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقا تاما، على الأقل في ذهن الكثرة الغالبة لأفراد البيئة.

ثانيا: الاتحاد في البيئة اللغوية، أي أن تكون الكلمتان تنتميان إلى لهجة واحدة أو مجموعة منسجمة من اللهجات.

ثالثا: الاتحاد في العصر: فالمحدثون حين ينظرون إلى المترادفات ينظرون إليها في عهد خاص وزمن معين، وتلك هي النظرة التي يعبرون عنها بكلمة Synchronic، لاتلك النظرة التاريخية التي تتّبع الكلمات المستعملة في عصور مختلفة، ثم تتخذ منها مترادفات، وهذه النظرة الأخيرة هي التي يسمونها Diachronic.

رابعا: ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي للفظ الآخر: فحين نقارن بين "الجثل والجفل" بمعنى النمل، نلحظ أن إحدى الكلمتين يمكن أن تعتبر أصلا والأخرى تطور لها.. فإذا طبقت هذه الشروط على اللغة العربية ، اتضح لنا أن الترادف لايكاد يوجد في اللهجات العربية القديمة، وإنما يمكن أن يلتمس في اللغة النموذجية الأدبية؛ ففي القرآن الكريم الذي نزل بهذه اللغة، والذي نطق به الرسول للمرة الأولى، نرى الترادف في بعض ألفاظه" (٨).

ويبدو مما سبق عرضه أن وجود الترادف حسب رأي خالويه ومن على شاكلته ممكن جدا بل إن

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

عشرات الكلمات اعتبرت مترادفات على ضوء هذا الرأي. أما وجوده حسب المعايير التي أشار إليها المحدثون فصعب جدا، بل إن كثيرا من الكلمات التي تعتبر من المترادفات لايمكن اعتبارها كذلك إذا ما نظرنا إليها على ضوء هذه المعايير الحديثة. ومع ذلك فقد ثبت ورود الترادف في بعض ألفاظ القرآن الكريم. ومهما يكن الأمر فإن الباحثين يتفقان مع الرأي القائل بوجود الترادف لأنه واقع يؤيده الاستعمال وبالأخص في اللغة العربية التي تتميز بطبيعتها الخاصة.

٢. فوائد الترادف:

فوائد استعمال الترادف كثيرة، ذكر بعضها جلال الدين السيوطي في مزهره، نورد منها ما يلي:

١- كثرة طرق الإخبار عما في النفس، فإنه ربما نسي الإنسان أحد اللفظين أو عسر عليه النطق به؛ وقد كان بعض الأذكياء في الزمن السالف ألثَغ، فلم يحفظ عنه أنه نطق بحرف الرّاء، ولولا المترادفات تعينه على قصده لما قدر على ذلك.

٢- التوسع في سلوك طرق الفصاحة، وأساليب البلاغة في النظم والنثر؛ وذلك لأن اللفظ الواحد قد يتأتّى باستعماله مع لفظ آخر السجع والقافية والتجنيس والترصيع وغير ذلك من أصناف البديع، ولايتأتى ذلك باستعمال مرادفه مع ذلك اللفظ.

٣- قد يكون أحد المترادفين أجلى من الآخر فيكون شرحا للآخر الخفي وقد ينعكس الحال بالنسبة إلى قوم دون آخرين.(٩)

يبدو مما سبق أن الترادف يساعد متعلمي اللغة العربية في تنويع استعمالهم لألفاظ اللغة كما يساعدهم في فهم معاني الألفاظ وبالأخص حين يكون أحد المترادفين أجلى من الآخر فيكون شرحا له. ولعل الفائدة الأخيرة أهم الفوائد بالنسبة لمتعلم اللغة العربية من غير أبنائها الذي غالبا ما يفتقر إلى ألفاظ متعددة ليتمكن من التعبير عما في ضميره بطرق متنوعة نطقا وكتابة.

٣. دور الترادف في تنمية الحصيلة اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

يؤدي الترادف دورا مهما في تنمية الحصيلة اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها، حيث أنهم غالبا ما يبدأون تعلم اللغة العربية وزادهم من المفردات ضئيل مما يحول بينهم وبين ما يشتهون من التواصل باللغة العربية نطقا وكتابة. أما حين يتوافر لديهم قدرٌ لا بأس به من الكلمات المترادفة فبإمكانهم أن يتخيروا من الألفاظ ما يشاؤن للتعبير عما في نفوسهم، بل إن ذلك يشجعهم على مزيد من الثقة والإقدام على التواصل باللغة العربية.

إن توافر المترادفات لدى متعلم اللغة العربية يساعده في إثراء حصيلته اللغوية ويجعله أكثر فهما لما يُنطق أو يُكتب. يقول الأستاذ معتوق – في سياق حديثه عن أهمية الحصيلة اللغوية لدى متعلم اللغة العربية والتي يعد الترادف جزءا منها: " إن ثراء الحصيلة اللغوية وتنوع مستوياتها لدى الفرد يجعله أكثر فهما لما يُنطق أو يُكتب فهو عندما يلتقط أو يتلقن اللغة وتراكيبها ويدرك مدلولولات هذه المفردات والتراكيب يسهل عليه فهم واستيعاب معاني الجمل والعبارات التي تصاغ بها أو منها كما يدرك ويحفظ من خلال سياق هذه الجمل والعبارات معاني كثير من المفردات والتراكيب الجديدة التي تتضمنها وفي ذلك ما يساعد بدوره على مدِّ حصيلته اللغوية بالمزيد من المفردات والتراكيب، ومن ثَم يوسِّع من مدى فهمه للآخرين وبالتالي يدفعه إلى توثيق علاقاته بهم" (١٠). ويمكن إبراز أهمية تنمية الحصيلة اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية -كما ذكرها المعتوق- في الآتي:

١- زيادة الخبرات والتجارب والمعارف والمهارات التي يكتسبها الفرد وبالتالي زيادة المحصول الفكري والثقافي والفني عامة. على أساس أن الكلمات والصيغ اللفظية عامة هي المادة اللغوية الأساسية التي تدوّن بها المعارف والثقافات فيتمكن الإنسان العارف بها من الاستمرار في التحصيل المعرفي وتزويد الفكر بالخبرات والمهارات والثقافات على اختلافها.
٢- الثروة اللفظية المكتسبة عن طريق ممارسة قراءة اللغة المكتوبة بصورة خاصة تعين الفرد على فهم ما في التراث من نتاج فكري ومن نماذج ونصوص وإبداعات أدبية، فلغة الحاضر وإن طرأ عليها بعض التغير والتطور ماهي إلا امتداد للغة الأجداد ولغة التراث، والألفاظ والعبارات والصيغ المفهومة تقود إلى فهم غيرها..

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٣- الثراء اللغوي اللفظي يعين الفرد كما سبق القول على إدراك واستيعاب مايقرأ، وذلك يدفعه إلى الاستمرار في القراءة، ولا شك في أن الاستمرار في القراءة يكسبه ثقافة وعلما كما يعينه على فهم واستيعاب قواعد اللغة وأصول نحوها وصرفها (١١).

٣,١ كيفية الاستفادة من الترادف في تنمية الحصيلة اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية

يمكن استثمار الترادف -على سبيل المثال لا الحصر- في الأنشطة التالية:

١- تكليف الطلاب بقراءة الكتاب مع التركيز على الكلمات المترادفة لإغناء حصيلتهم اللغوية.
٢- تدريب الطلاب على قراءة نصوص الكتاب واستخراج الكلمات المترادفة المبثوثة فيه.
٣- مطالبة الطلاب بكثرة التمارين على استعمال الكلمات المترادفة في الجمل الوظيفية نطقا وكتابة.
٤- توليد الطلاب جملا بأساليب متنوعة ومعاني متعددة باستعمال الكلمات المترادفة في سياقات لغوية مختلفة.
٥- توظيف الكلمات المترادفة من القصة لسرد قصة قصيرة من خيال الطلاب.
٦- مساعدة التلاميذ في تعلم المفرادت، وذلك بالاعتماد على الترادف في إعداد ألعاب البطاقات، حيث تكتب عليها الكلمات المترادفة أو المضادات أو الكلمات المتلائمة.

٤. نماذج من الترادف في كتاب ماجدولين

يعد الروائي المصري مصطفي لطفي المنفلوطي من بين كتاب العربية الذين عُنوا عناية بالغة بالترادف، إذ اتخذها وسيلة لاغنى عنها للتعبير عن أفكاره، لدرجة أنه يمكن عدّ الترادف سمة من أهمّ سماته الأسلوبية، بحيث لايخلو أيّ عمل من أعماله الأدبية من هذه الظاهرة. وتعتبر رواية "ماجدولين" من بين كتبه التي حظيت من الترادف بنصيب وافر حيث تجد هذه الظاهرة متناثرة هنا وهناك في كل فصل من فصول الكتاب البالغ عددها تسعة وتسعين.

وهذه الرواية التي نحن بصدد الوقوف على ظاهرة الترادف فيها هي في الأصل "رواية كتبها الأديب

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الفرنسي ألفونس كار، وقد اطلع المنفلوطي على تعريبها، فأعجب بها وأعاد صياغتها بأسلوبه الخاص ونشرها تحت عنوان "ماجدولين" أو "تحت ظلال الزيزفون" (Sous les Tilleuls). لقد تأثر بها المنفلوطي وبادر بنقلها إلى اللغة العربية لما فيها من دعوة صريحة إلى التمسك بقيم الحق والخير والجمال التي تجسدها البيئة القروية الريفية الساذجة"(١٢).

ويزخر هذا الكتاب بالترادف بشكل لافت، بحيث تجد أنه قلّما يخلو فصل من فصول الكتاب من هذه الظاهرة، بل إنك أحيانا تجد أكثر من عشر ظواهر للترادف في فصل واحد كما هو الحال في الفصل الرابع من الكتاب المعنون ب"من سوزان إلى ماجدولين"(١٣)، لدرجة أن القارئ يبدأ يحسُّ بأن الترادف في الكتاب – لغزارته- يكاد ينتقل من مجردِ الشرح والبيان، أو التوسع في سلوك طرق الفصاحة أو كثرة طرق الإخبار عما في النفس إلى التلاعب بالألفاظ، بل إلى تباهي الكاتب بثرواته اللفظية. ومهما يكن الأمر فإن متعلمي اللغة العربية وخصوصا الناطقين بغيرها يمكنهم أن يستفيدوا من هذه الظاهرة عند قراءتهم لهذا الكتاب وأمثاله، حيث يساعدهم في إثراء حصيلتهم اللغوية.

ويستعرض الباحثان فيما يلي نماذج من الترادف في هذا الكتاب، من خلال جدولين هما كالتالي:

النموذج الأول:

ر.ت	الجمل التي تحتوي على الترادف	الفصل والصفحة	مكان الترادف في الجملة
١	إن الفتى ليس بجميل ولاجذاب.	١/ ٨	جميل = جذّاب
٢	وستنقضي بانقضائها أمانيك وأحلامك	٣/ ١١	أمانيك= أحلامك
٣	أضللتهم عن مقاصدك وأغراضك	٣/ ١٢	مقاصدك=أغراضك

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٤	سعادة العيش وهنائه	١٢/ ٣	سعادة = هناء
٥	لأنك تسعد بحياة غير التي أسعد بها، وتهنأ بعيش غير الذي أهنأبه، وتطرب لنغمة غير التي تسمعها مني	١٢/ ٣	تسعد=تهنأ/ تطرب
٦	رفيقٌ آنس بقربه وجواره،وأجد لذة العيش في التحدث معه	١٣/ ٤	قرب = جوار
٧	أمرح وألعب في وأتأثر طرائد الصيد في مسارحها وملاعبها	١٥/ ٥	أمرح = ألعب مسارح = ملاعب
٨	أن يبدع في تصوراته وتخيلاته الذهنية	١٣/ ٤	تصورات = تخيلات
٩	متنوعة الألوان مختلفة الأشكال	٢١ / ٨	متنوعة = مختلفة الألوان = الأشكال
١٠	إلى الغابات والأجمات	٢٧ / ١٠	الغابات= الأجمات
١١	في مدح الفلاح والتنويه بذكره والثناء على يده البيضاء	٢٧ / ١٠	المدح=التنويه/ الثناء
١٢	سافر حيث شئت وتقلب في البلاد كما أردت	٤٩/ ٢٣	سافر=تقلب في البلاد
١٣	وتناولته الألسن بالشتم والسب.	٦٣ / ٢٩	الشتم = السب
١٤	ولاأشكو إليكم فقرا ولاعدما	٦٤ / ٢٩	فقر = عدم

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

١٥	لاتخضع النفس العالية للحوادث ولاتذل لها.	٣٠ / ٦٥	تخضع = تذل
١٦	ماذا ينفعني من المال، وماذا يغني عني؟	٤٠ / ٧٧	ينفعني = يغني عني
١٧	فلا أرى بجانبي ذلك الإنسان الذي أحبه وأوثره.	٤٠ / ٧٧	أحبه = أوثره
١٨	لم تفعل ذلك حياء وخجلا	٧ / ١٩	حياء = خجلا
١٩	ومازال يثرثر في ذلك ويسهب	٧ / ٢٠	يثرثر = يسهب
٢٠	لايخالطها شك ولاريب	١٥ /٣٦	شك = ريب

(المنفلوطي، مصطفى لطفي (٢٠٠٥) ماجدولين، دار الجيل للنشر والطبع والتوزيع، القاهرة- مصر.)

النموذج الثاني لنص يحتوي على الترادف في كتاب "ماجدولين".

"لاتخضع النفس العالية للحوادث ولاتذل لها، مهما كان شأنها، ولاتلين صعدتها أمام النكبات والأرزاء مهما عظم خطبها، وجلَّ أمرها، بل يزيدها مرُّ الحوادث وعضُّ النوائب قوة ومراسا. وربما لذَّ لها هذا النضال الذي يقوم بينها وبين حوادث الدهر وأرزائه؛ كأنما يأبى لها كبرياؤها وترفّعُها أن يوافيها حظُّها من العيش سهلا سائغًا لامشقة فيه ولا عناء، فهي تحارب وتجالد في سبيله وتغالب الأيام عليه مغالبة حتى تنال من يدها قوة واغتصابا. فمثلها بين النفوس كمثل الليث بين السباع لاتمتد عينه إلى فريسة غيره ، ولايهنأ له طعام غير الذي تجمعه أنيابه ومخاليه". (١٤)

ر.ت	الجمل التي تحتوي على الترادف	مكان الترادف
١	لاتخضع النفس العالية للحوادث ولاتذل لها	لاتخضع = ولاتذِل
٢	ولاتلين صعدتها أمام النكبات والأرزاء	النكبات = والأرزاء

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٣	مهما عظم خطبها، وجلَّ أمرها	عظم = جلّ خطبها= أمرها
٤	يزيدها مرُّ الحوادث وعضُّ النوائب قوة ومراسا	الحوادث= النوائب قوة= مراسا
٥	حوادث الدهر وأرزائه	حوادث = أرزاء
٦	كأنما يأبى لها كبرياؤها وترفّعُها	كبرياؤها= ترفّعُها
٧	لامشقة فيه ولا عناء	لامشقة = لا عناء
٨	فهي تحارب وتجالد في سبيله	تحارب= تجالد
٩	ولايهنأ له طعام غير الذي تجمعه أنيابه ومخالبه	أنيابه= مخالبه

يلاحظ من الجمل السابقة الواردة في الجدول ومن النص السابق أيضا توافر ظاهرة الترادف بشكل لافت، ويمكن استغلالها لمساعدة متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في فهم المنطوق والمقروء بشكل جيد دون اللجوء دائما إلى المعجم، كما من شأنه أن يسهم في إثراءهم بمفردات جديدة واردة في سياق استعمالها.

٥.نموذج عملي في استخدام الترادف في تيسير تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

اقرأ النص التالي قراءة متأنية وأجب عن الأسئلة التي تأتي بعده:

"ألممتُ ببعض شأنك الحاضرِ، وعلمت أن أهلك قد نقِموا منك مخالفتك إياهم، فوكلوك إلى نفسك، ونفضوا أيديهم منك، فتركت لهم "كوبلانس" وسافرتَ إلى "جوتنج" تطلب لنفسك فيها الرزق من طريق العمل، فلم يوافك حتى اليوم ما تريد. فليت الذي كان، يا صديقي، لم يكن،

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وليتك أخذتَ بذلك الرأي الذي رأيتُه لك من قبل، وسلكتَ إلى الحياة طريقا غير هذا الطريق الخياليِّ الذي تسلكه اليوم فتزوجّتَ من الفتاة التي اختاروها لك، وظفَرتَ بنعمة العيش في ظلالها. فلا سعادة في الدنيا، ياصديقي، غيرَ سعادة المال، وكل ما في أدمغة البشر من علم وعقل، وما في أجسامهم من قوةٍ وأيدٍ، وما في نفوسهم من فضائل ومزايا، إنما هي سبل المال وذرائع إليه." ماجدولين.

أ- استخرج من هذا النص السابق الكلمات والجمل المترادفة.

ب- كوّن مع كل كلمة مترادفة ثلاث جمل مفيدة.

خاتمة

توصلت هذه الورقة إلى النتائج الآتية:

١- للترادف دور مهم في تنمية الحصيلة اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها وذلك عن طريق توجيههم إلى تنويع استعمالهم لألفاظ اللغة العربية وفي فهم معاني الألفاظ المتعددة.

٢- توافرت في كتاب "ماجدولين" ظاهرة الترادف بشكل مذهل إذ قلّما خلا فصل من فصوله من الترادف.

٣- للترادف الوارد في كتاب ماجدولين دور كبير في تنمية الحصيلة اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية بصفة عامة وللناطقين بغيرها بصفة خاصة وذلك عن طريق تكليف طلاب اللغة العربية بقراءة الكتاب لإغناء حصيلتهم اللغوية، إضافة إلى تدريبهم على قراءة نصوص الكتاب لاستخراج الكلمات المترادفة المبثوثة فيها. هذا بالإضافة إلى مطالبتهم بكثرة التمارين على استعمال تلك الكلمات المترادفة في جمل وظيفية نطقا وكتابة.

الهوامش:

١- Stuart Webb (2007) **The effects of synonymy on second-language vocabulary learning,** *Reading in a Foreign Language,* Volume 19, No. 2, ISSN 1539-0578 pp. 120–136.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٢- ابن منظور (د.ت) **لسان العرب**، مادة ر د ف، المجلد التاسع، دار صادر، بيروت.

٣- أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل (٢٠٠٨) **معجم اللغة العربية المعاصرة**، مادة: رَ،دِفَ (٢٠٧٩)، المجلد الأول، ط١، عالم الكتب، القاهرة.

٤- الجرجانى، الشريف، على بن محمد (د.ت) **معجم التعريفات**، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.. ص ١٦٧

٥- السيوطي، جلال الدين (٢٠٠٩) **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ج١، ص٢٨٣، ط١، القدس للنشر والتوزيع. ٢٨٣

٦- المرجع نفسه، ص ٢٨٤-٢٨٥

٧- المرجع نفسه، ص٢٨٣

٨- أنيس، إبراهيم (٢٠١٠) **في اللهجات العربية**، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ١٥٤-١٥٦

٩- مرجع سابق ، المزهر، ص٢٨٥-٢٨٦.

١٠- معتوق، أحمد محمد (١٩٩٦) **الحصيلة اللغوية: أهميتها – مصادرها ووسائل تنميتها**، عالم المعرفة، ع ٢١٢، من إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت.

١١- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

١٢- المنفلوطي، مصطفى لطفي (٢٠٠٩) **المجموعة الكاملة**، قدم لها وشرح نصوصها مجيد طراد، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت- لبنان. ص: ٤٦٠.

١٣- المنفلوطي، مصطفى لطفي(٢٠٠٥) **ماجدولين**، دار الجيل للنشر والطبع والتوزيع، القاهر- مصر. ص٢٦- ٣٠

١٤- المرجع نفسه، ص ٦٥

المصادروالمراجع

- أحمد، مختار عمر وآخرون (٢٠٠٨) **معجم اللغة العربية المعاصرة**، المجلد الأول، ط١، عالم الكتب، القاهرة.
- أنيس، إبراهيم (٢٠١٠) **في اللهجات العربية**، مكتبة الأنجلو المصرية.
- الجرجانى، الشريف، على بن محمد (د.ت) **معجم التعريفات**، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.
- السيوطي، جلال الدين (٢٠٠٩) **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ج١، ط١، القدس للنشر والتوزيع.
- ابن منظور (د.ت) **لسان العرب**، مادة ر د ف، المجلد التاسع، دار صادر، بيروت.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

- معتوق، أحمد محمد (١٩٩٦) **الحصيلة اللغوية: أهميتها – مصادرها ووسائل تنميتها**، عالم المعرفة، ع ٢١٢، من إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت.
- المنفلوطي، مصطفى لطفي (٢٠٠٩) **المجموعة الكاملة**، قدم لها وشرح نصوصها مجيد طراد، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.
- المنفلوطي، مصطفى لطفي(٢٠٠٥) **ماجدولين**، دار الجيل للنشر والطبع والتوزيع، القاهر- مصر.
- Stuart Webb (2007) **The effects of synonymy on second-language vocabulary learning,** *Reading in a Foreign Language,* Volume 19, No. 2, ISSN 1539-0578 pp. 120–136

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

صور من اسم الفاعل فى ديوان عنترة بن شداد العبسي

دراسة صرفية.

إعداد:
الدكتور: محمود ثاني
قسم اللغة العربيـــــة كـــــلية الشيخ شاغاري للتربية صكتو

المقدمة

الحمد لله الذي بيده تصاريف الأقدار، والصلاة والسلام على سيد الأخيار محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليما كثيرا. أما بعد:-

فإن هذه المقالة عبارة عن صور اسم الفاعل فى ديوان عنترة بن شداد العبسي دراسة صرفية. والمقالة منحصرة في النقاط التالية:-

- نبذة تاريخية عن حياة عنترة.
- دراسة نظرية عن اسم الفاعل.
- صور من اسم الفاعل فى الديوان.
- الخاتمة

❖ **نبذة تاريخية عن حياة عنترة:** نسبه ونشأته ووفاته

نسبه:-

هو عنترة بن عمرو بن شداد بن عمرو بن قراد بن محزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض. وقال ابن الكلبى، شدّاد جده أبو أبيه غلب على اسم أبيه فنسب إليه، وإنما هو عنترة بن عمرو بن شداد وقال غيره شداد عمه، وكان عنترة نشأ فى حجره فنسب إليه دون أبيه[1].

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ولد عنترة بن شداد فى نجد سنة ٥٢٥م[٢]، وكانت أمه زبيبة أمةً حبشية سوداء سباها أبوه فى إحدى غزواته، وكان لها أولاد من غير شداد عبيد، وكان أسود اللون، وكان يكنى بأبى المغلس لسيره إلى الغارات فى الغلس، وهو ظلمة آخر الليل[٣]. وله لقب يقال له عنترة الفلحاء، وذلك لتشقق شفتيه[٤]. ينسب عنترة بن شداد إلى قبيلة العبس كما صرّح بذلك فى البيتين التاليين حيث يقول:-

إنّى امرؤ من خَير عَبْسٍ مَنْصِبَا * شَطْرِى وأحمى سائرى بالْمُنْصل.
وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت * أُلْفيتُ خيرًا من مُعَمّ مخول[٥].

كما يلاحظ ذلك أيضا واضحا فى البيتين الذين افتخر فيهما بأخواله حيث يقول:-

إنّى لتعرف فى الحروب مواطنى * فى آل عبس مشهدى وفعالى.
منهم أبى حقا فهم لى والدٌ * والأم من حام فهم أخوالى[٦].

نشأته:-

يروى أن أباه قد وقع على أمة جبشية يقال لها زبيبة فأولدها عنترة، وكان العرب فى الجاهلية إذا كان للرجل منهم ولد من أمة استبعده، وقد ظلت عبودية عنترة فترة من الزمن إلا أن أباه حرره بعد الكبر[٧].

حريته:-

تعددت الروايات التى أوردت خبر حصول عنترة على حريته، وأبرزها أن بعض أحياء العرب أغاروا على قوم من بنى عبس فأصابوا منهم، فتبعهم العبسيّون فلحقوهم وعنترة فيهم، فقال له أبوه كرّ يا عنترة، فقال عنترة، العبد لايحسن الكرّ، إنما يحسن الحلابَ والصَّرَّ، فقال له كرّ وأنت حرّ، فادّعاه أبوه بعد ذلك وألحق به نسبه، والثابت أن عنترة لم ينل حريته إلا بشق النفس وبذل الجهد[٨].

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وفاتـــه:

قـد اختلـف الـرواة فى سـبب وفاتـه، وأشـهر الأقـول منهـا أنـه مـات قتـيلا فى إحـدى غاراتـه علـى بنـي نبهـان مـن طيـئ. وكـان وزر بـن جـابر النبهـانى الملقـب بالأسـد الـرهيص فـى فتـوَّة فرمـاه وقـال: خـذها وابـن سـلمى، قطـع مطـاه، أى ظهـره فتحامل بالرّمية، حتى أتى أهله وهو مجروحٌ فقال أبياتا مطلعها:

وإنَّ ابن سلمى فاعلموا عنده دمى * وهيهات لا يرجى ابن سلمى ولادمى.

يريـد أن قومـه لـن يتمكنـوا مـن الأخـذ بثـأره، هكـذا مـات عنتـرة فـى سـنة ٦١٠م فانطوت بموته صفحة جميلة من الشجاعة والفروسة والشعر(٩).

❖ **دراسة نظرية عن اسم الفاعل:**

تعريف اسم الفاعل:-

اسـم الفاعـل: هـو اسـم مصـوغ لمـا وقـع منـه الفعـل أو قـام بـه، ليـدل علـى معنـى وقـع مـن صـاحب الفعـل، أو قـام بـه علـى وجـه الحـدوث لا الثبـوت نحـو: زاهـد عـادل(١٠). وبعبـارة أخـرى، هـو اسـم مشـتق يـدل علـى معنـى مجـرد حـادث وعلـى فاعله(١١).

وباعتبـار التعـريفين السـابقين يلاحـظ أنهمـا اشـتملا علـى أمـرين معـا: همـا: المعنـى المجـرد الحـادث وفاعلـه مثـل كلمـة "زاهـد" و"عـادل"، فكلمـة، "زاهـد" تـدل علـى أمـرين معـا، همـا: الزهـد مطلقـا، والـذات التـى فعلتـه أو ينسـب إليهـا الزهـد، وكـذلك كلمـة "عـادل" تـدل علـى أمـرين معـا، همـا، العـدل مطلقـا والـذات التـى فعلتـه أو ينسـب إليهـا العـدل. ودلالـة اسـم الفاعـل علـى الحـدوث هـي الغالـب، لأنـه قـد يـدل قلـيلا علـى الثبـوت والـدوام، نحـو: دائـم خالـد، مسـتمر، مستديم(١٢).

صياغة اسم الفاعل:-

يصاغ اسم الفاعل من الفعل الثلاثى وغيره.

(١) صياغة اسم الفاعل من الثلاثى الصحيح:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

يصاغ اسم الفاعل من الماضى الثلاثى على وزن فاعل نحو: شَكَرَ شَاكِر، قَتَلَ قَاتِل، ولا فرق فى الفعل بين مفتوح العين فى المضارع نحو: شَرَحَ يَشْرَحُ شَرْحًا فهو شَارِح، ولا مكسورها نحو: جَلَسَ يَجْلِسُ جُلُوسا فهو جالس، ولا مضمومها نحو: نَصَرَ يَنْصُرُ نَصْرًا فهو نَاصِر، وخاصة إذا كان متعديا.

ويصاغ من الثلاثى المهموز على وزن "فاعل" سواء مهموز العين، نحو: سأل، أم مهموز اللام نحو: قَرَأَ فاسم الفاعل منهما: سَائِل وقارِئ.

أما إذا مهموز الفاء نحو: أَكَلَ أَمَرَ أَخَذَ فإنها تمد فى اسم الفاعل فيقال: آكِل آمِر آخذ.

ويصاغ من المضعف نحو: مدَّ رَدَّ، شَقَّ، شَكَّ، على وزن فاعل، فيقال: مَادُّ، رَادُّ، شَاقُّ شَاكُّ، والأصل: مَادِدُ، رَادِدُ، شَاقِقُ، شَاكِكُ[١٣].

(٢) صياغة اسم الفاعل من الثلاثى اللازم:-

يصاغ اسم الفاعل من الفعل اللازم الذى على وزن "فَعِل" أو "فَعُل" على النحو التالى:-

أ: إذا كان الفعل على وزن "فَعِل" ودل على عرض كالفرح والحزن نحو: فَرِحَ، حَزِنَ، فإن اسم الفاعل يكون على وزن "فَعِل" فيقال فى اسم الفاعل، فَرِحٌ حَزِنٌ.

أما إذا دل على امتلاء أوخلو: نحو: شَبِع، عَطِش صَدِى، كان اسم الفاعل على وزن "فَعْلاَن" فيقال فى اسم الفاعل شَبْعَان عَطْشَان، صَدْيَان.

وإذا دل على لون أو خلقة نحو: سَوِدَ، حَمِر، كان اسم الفاعل على وزن "أَفْعَل" فيقال فى اسم الفاعل، أَسْوَد أَحْمَر.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ب: إذا كان الفعل على وزن "فَعُل" نحو: شَهُمَ، سَهُل، صَعُب فيأتى اسم الفاعل كثيرا على وزن "فَعْل" فيقال فى اسم الفاعل شَهْمٌ، سَهْلٌ، صَعْبٌ. وقد يأتى على وزن "فَعِيل" نحو: عَظُمَ حَقُرَ، فيقال فى اسم الفاعل عَظِيم حَقِير. وربما يأتى على وزن "أَفْعَل" نحو: حَضُبَ مَلُح، فيقال فى اسم الفاعل: أَحْضَب أَمْلَح[١٤]. وهذه الأوزان هي للصفة المشبهة باسم الفاعل التي تفيد الثبوت والدوام، اللهم إلا إذا قصد منها الحدوث فتحول إلى فاعل تقول: هو فارح اليوم أو غدا.

وقد أشار ابن مالك إلى ذلك بقوله:

كفاعل صغ اسم فاعل إذا * من ذى ثلاثة يكون كغذا.
وهو قليل فى فعلت وفعل * غيرُ معَدَّى، بل قياسُهُ فعل.
وأفعل فعلان، نحو أشر * ونحو صديان ونحو الأجهر.
وفعل أولى وفعيل بفَعُلْ * كالضَّخْمِ والجميل والفِعْلُ جَمُلْ.
وأفعل فيه قليل وفعل * وبسوى الفاعل قد يُغْنِي فَعَل[١٥].

(٣) صياغة اسم الفاعل من الثلاثى المعتل:-

أ: إذا كان اسم الفاعل من الفعل الأجوف نحو: قَالَ بَاعَ عَاشَ، قلبت ألفه همزة سواء كانت أصلها الواو أو الياء، فيقال فى اسم الفاعل، قائِل بائِع، عائِش، والأصل، قاوِل بايع عايش، ومنه قوله تعالى: {قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ}[١٦].

وهذا القلب خاص للأجوف الذي يعل عينه في الفعل وإن كانت لا تعل تبقى كما هي دون قبلها همزة، نحو: عَوِرَ، أَيِسَ، صَيِد، غَيِد، فيقال فى اسم الفاعل، عَاوِر، آيِس، صَايد، غَايد.

ب: إذا كان الفعل الثلاثى ناقصا، نحو، دعا، سعى هدى حذف حرف العلة، فيقال فى اسم الفاعل، داعٍ، سَاعٍ، هاد، والأصل، داعِيٌ، ساعِيٌ، هادِيٌ، فحذفت الضمة لثقلها على الياء ثم حذفت مع التنوين

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

فصار عوضا عنها في حالة الرفع والجر وتثبت الياء في حالة النصب [١٧].

❖ **ورود اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول:**

قد تأتى صيغة "فاعل" للدلالة على من وقع عليه الفعل لا من وقع منه، ويفهم ذلك فى سياق الكلام، ولكنه قيل كما ورد مثل ذلك فى قوله تعالى: { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ}[١٨]. أى مرضية، وقوله جل وعلا: {قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ } [١٩]. أى لا معصوم، وقوله عزوجل: {خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ} [٢٠] أى مدفوق[٢١].

ومثله قول الحُطيئة:

دَعِ الْمَكَارِمَ لاَ تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَـا * وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِى.

أَىْ الْمَطْعُوم الْمَكْسُوّ[٢٢].

❖ **مجيئ اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل:-**

قد يرد اسم الفاعل على صورة المفعول ويعتمد فى فهمه على السياق، ومن ذلك قوله تعالى: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا} [٢٣]. أى سَاتر [٢٤].

ثانيا: صياغة اسم الفاعل من غير الثلاثى:-

يصاغ اسم الفاعل من غير الثلاثى، سواء كان رباعيا أو خماسيا أو سداسيا، على وزن المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وكسر ما قبل الآخر، نحو: قَاتَلَ يُقَاتِل فهو مقاتل، تَعَلَّمَ يَتَعَلَّمُ، فهو مُتَعَلِّمٌ، أَكْرَمَ يُكْرِمُ، فهو مُكْرِمٌ، اِسْتَغْفَرَ يَسْتَغْفِرُ، فَهُوَ مُسْتَغْفِرٌ[٢٥].

وفى ذلك يقول ابن مالك:

وزنة المضارع اسمُ فاعـل * من غير ذى الثلاث كَالمُوَاصِل.

مَعَ كسر مَتْلُوِّ الْأَخِيرِ مُطْلَقًا * وضَمّ ميم زائِدٍ قد سبقـا[٢٦].

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

صور من اسم الفاعل في الديوان:-

أ:- سم الفاعل المشتق من الفعل الثلاثى الصحيح.

قال عنترة:

وَمُغِيرَةٍ شَعْوَاءَ ذَاتِ أَشِلَّــةٍ * فِيهَا الْفَوَارِسُ حَاسِرٌ وَمُقَنَّــعُ(٢٧).

حاسر: اسم الفاعل المشتق من مصدر الفعل الثلاثى المجرد الصحيح، من حَسَرَ يَحْسُرُ حُسُورًا، وهو على باب نصر، أى: انكشف، يقال: حسر الغُصْن حَسْرًا، أى قشره، الحاسر من الجنود، من لا درع له ولا مغفر(٢٨).

وقد استخدم الشاعر اسم الفاعل فى عجز البيت بقوله: "فيها الفوارس حَاسِرٌ ومقنع" على وزن "فَاعِل" واختار هذه الصيغة للدلالة على وجود من هو حاسر فى الجماعة المغيرة وصارت صفة واقعة منه، إذ لا يستر رأسه بما يُعدُّ ساترا من بيضة ولا غيره، بحيث يتقنع بعضهم بالمغفر زيادة على الإحتراس فى حالة لقاء المحاربين بميدان القتال، إن استخدم صيغة اسم الفاعل هنا أليق لدلالتها على اتسام الفارس بالشجاعة.

ب: اسم الفاعل المصوغ من الفعل الثلاثى الأجوف.

قال عنترة:-

شَكَتْ سَقَمًا كَيْمَا تُعَادُ وَمَا بِهَا * سِوَى فَتْرَةِ الْعَيْنَيْنِ سُقْمٌ لِعَائد(٢٩).

عائد: اسم الفاعل المشتق من مصدر الفعل الثلاثى الأجوف الواوي، من عَادَ العليل، يَعُوده عَوْدًا وعِيَادَةً وعِيَادًا، وهو على باب نصر لكونه واوي العين(٣٠). والأصل فى كلمة "العائد" عاوِد من عَادَ يَعُود، على وزن فَعَل يَفْعُل، تحركت الواو فى الماضى وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا فصار "عَادَ" ونقلت فى المضارع حركة المعتل التى هي الضمة إلى الصحيح الساكن فصار "يَعُود" على وزن يفعل، وقلبت الواو فى اسم الفاعل همزة لوقوعها عينا لاسم الفاعل فصار "عَائِد" على وزن فاعل.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وقد استخدم الشاعر صيغة اسم الفاعل فى عجز البيت بقوله "سِوَى فَتْرَةِ الْعَيْنَيْنِ سُقْمٌ لِعَائِدِ" على وزن فاعل للدلالة على وقوع العيادة التى قام بها العائد، وذلك لأن التى عزم الشاعر على عيادتها كانت كثيرة الحيل، وهي تدّعى السقم لتعاد ولكنها حقيقة خالية عن الحمى، بل اخترعتها وتسلحت بها لتميل إليها قلوب الرجال الزائرين لاغير، وإذا قاموا لعيادتها صاروا مرضى لفرط نظرهم إلى جمال عينيها، واستعماله بهذه الصيغة فى هذا المقام أليق لدلالتها على انقطاع وعدم استمرارها، كما هو واضح فى أن العائد يشعر بألم المرض وقت زيادتها ويصير صحيحا بعد مغادرة ساحتها.

ج: اسم الفاعل المصوغ من غير الثلاثى:

فال عنترة:-

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ أَهْلَ الْجُجُود * مَقَالَ فَتًى وَفِيٍّ بِالْعُهُود[٣١].

مُبْلِغ: اسم الفاعل المشتق من مصدر الفعل الثلاثى المزيد بحرف واحد، وهي الهمزة، إذ أنه مصوغ من الفعل أَبْلَغَ يُبْلِغ إِبْلاَغًا، أي: أوصل، يقال: بَلَّغ عنه الرسالة إلى القوم، أي: أوصلها إليهم.[٣٢]. ولما أريد من المضارع اشتقاق اسم الفاعل، قلبت حرف المضارعة ميما مضمومة وكسر ما قبل الآخر فصار مُبْلِغ، على وزن مُفْعِل.

وقد استخدم الشاعر صيغة اسم الفاعل فى صدر البيت بقوله "أَلاَ من مُبْلِغٌ أهلَ الجُحُود" على وزن مُفْعِل للدلالة على مناشدة المبلغ الذي يحمل رسالته المحتوية على صفاته الحميدة، ليوصلها إلى جماعته الذين ينكرون فضله، إذ كان معروفا بوفائه للعهود التي بينه وبين قومه، وتعبيره بهذه الصيغة أدل على المعنى المقصود، وهي استمرار المبلغ بتلك الرسالة بدون انقطاع حتى يسلمها لأهل الجحود. ومنه قوله:

فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِى وَكَأَنَّهَا * فَدَنٌ لِأَقْضِى حَاجَةَ الْمُتُلَوِّمِ.[٣٣]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

مُتَلَـوِّم: اسـم الفاعـل المشـتق مـن مصـدر الفعـل الثلاثـى الأجـوف واوى العـين، المزيـد بحـرفين، لأنـه مـأخوذ مـن مـادة لاَمَ يَلُـومُ لَومًـا، علـى بـاب نصـر لأنـه واوي العـين، فمزيـد بالتـاء والتضـعيف فصـار تَلَـوَّم يَتَلَـوَّمُ علـى وزن تَفَعَّـل يَتَفَعَّـل، يقال: تَلَوَّم فى الأمر: تأخر فيه وانتظر. الْمُتَلَوِّم: أى المنتظر لقضاء حاجته.(٣٤)

واشتق اسم الفاعل من مضارعه بقلب حرف المضارعة ميما مضمومة وكسر ما قبل آخره فصار مُتَلَوِّم، على وزن مُتَفَعِّل. قد استعمل عنترة صيغة اسم الفاعل بقوله "فَـدَنٌ لِأَقْضِى حَاجَـةَ الْمُتُـلَوِّمِ" للدلالة على وقوع الفعل من الْمُتَلَوِّم الذى عنى به الشاعر نفسه حيث صرّح بأنه حبس على تلك الربوع ناقته التي كالقصر في ضخامتها وكمال خلقتها ليقضى فيها حوائجه من البكاء والسؤال عن سكّانها ولا سيما محبوبته عبلة. ومنه قوله:

لَيْتَ الْمَنَازِلَ أَخْبَرَتْ مُسْتَخْبِـرًا * أَيْنَ اسْتَقَرَّ بِأَهْلِهَا الْأَوْطَـانُ.(٣٥)

مُسْـتَخْبِر: اسـم الفاعـل المصـوغ مـن مصـدر الفعـل الثلاثـى الصـحيح المزيـد بثلاثـة أحـرف، لأنـه مـأخوذ مـن مـادة خَبَـرَ يَخْبَـر خُبْـرًا، علـى بـاب نصـر، فزيـد عليـه الهمـزة والسـين والتـاء فصـار اسْـتَخْبَرَ يَسْـتَخْبِرُ، علـى وزن اسْـتَفْعَل يَسْـتَفْعِل. يقال: اسْتَخْبَرَه: أى سأله عن الخبر وطلب أن يُخْبِره(٣٦)

قد استعمل الشاعر صيغة اسم الفاعل بقوله "لَيْتَ الْمَـنَازِلَ أَخْبَـرَتْ مُسْتَخْبِـرًا" على وزن مُسْتَفْعِل، للدلالة على وقوع الفعل من الْمُسْتَخْبِرِ الذي عنى به عنترة نفسه حيث تمنى عن المنازل عن تخبره بالأوطان التي نزلت بها أهل حبيبته عبلة وذلك لما شغف به قلبه من حبها وبعدها عنه زمنا طويلا، وتعبيره بهذه الصيغة أليق لدلالتها على عدم وجود من يُجيب عنه واستمراره لاستحالة ذلك عن المنازل وعدم استطاعتها في المستقبل.

الخـاتمـة:-

فيمـا سـبق مـن الصـفحات عـرض مـوجز عـن صـور اسـم الفاعـل فى ديـوان عنتـرة بـن شـداد العبسـي، حيـث تنـاول الباحـث فيهـا نبـذة تاريخيـة عـن حيـاة عنتـرة، ثـم

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

دراسة نظرية عن اسم الفاعل، ثم عرض صور من اسم الفاعل الوارد فى الديوان.

وأخيرا أدرك الباحث أن الشاعر استعمل في صوغ اسم الفاعل بجميع أنواع الأفعال الثلاثية الصحيحة في سبعة وثلاثين موضعا، والمعتلة في أربعة عشر موضعا، واللازمة في ثلاثة مواضع. كما استخدم اسم الفاعل من الأفعال الثلاثية المزيدة بحرف واحد في عشرة مواضع، والمزيدة بحرفين في سبعة مواضع، والمزيدة بثلاثة أحرف، في أربعة مواضع، وهذه الصيغ مبثوثة في مواضع متعددة في أبيات الديوان.

الهوامش:

١- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج:١، ص:٢٣٤
٢- حنا الفاخورى، الجامع فى تاريخ الأدب القديم، ص:٢٠٤
٣- درويش الجويدى، تحقيق ديوان عنترة، ص:٦
٤- الأصبهانى أبو الفرج، كتاب الأغانى، تحقيق إبراهيم الأبيارى، ص:٢٩٨٤
٥- المرجع السابق، ص:١٩٨٤
٦- ابن قتيبة الشعر والشعراء، ص:٢٤٧
٧- الخطيب التبريزى، شرح ديوان عنترة، ص:٨
٨- المرجع السابق، ص:٨
٩- ديوان عنترة، تحقيق درويش الجودى، ص:١٠
١٠- أيمن أمين، عبد الغني، الصرف الكافى، ص:١٧٥
١١- عباس حسن، النحو الوافى، ج:٣، ص:١٨٠
١٢- المرجع السابق، ج:٣، ص:١٨٠-١٨١
١٣- الصرف الكافى، ص:١٧٦
١٤- المرجع السابق، ص:١٧٧
١٥- ابن عقيل عبد الله، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج:٣، ص:١٠٣-١٠٤
١٦- سورة يوسف، الآية:١٠
١٧- الصرف الكافى، ص:١٧٨

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

١٨- سورة الحاقة، الآية:٢١
١٩- سورة هود، الاية:٤٣
٢٠- سورة الطارق، الآية:٦
٢١- الصرف الكافى، ص:١٧٨
٢٢- أحمد الحملاوى، شذا العرف فى فن الصرف، ص:٥١
٢٣- سورة الإسراء، الآية:٤٥
٢٤- على أبو المكارم، الدكتور، التعريف بالتصريف، ص:٢٤٢
٢٥- الصرف الكافى، ص:١٧٩
٢٦- ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، م:٢، ج:٣، ص:١٠٥
٢٧- ديوان عنترة، تحقيق درويش الجويدى، ص:٧٣
٢٨- إبراهيم أنيس، الدكتور، وشركائه، المعجم الوسيط، ج:١، باب الحاء، ص:١٩٤
٢٩- ديوان عنترة، تحقيق درويش الجويدى، ص:١٥٥
٣٠- المعجم الوسيط، ج:٢، باب العين، ص:٦٦٦
٣١- ديوان عنترة، تحقيق درويش الجويدى، ص:١٩١
٣٢- المنجد فى اللغة والأعلام، ص:٤٨.
٣٣- ديوان عنترة، تحقيق درويش الجودي، ص: ١٦
٣٤- المعجم الوسيط، ج:٢، باب اللام، ص:٨٨٤
٣٥- ديوان عنترة، تحقيق درويش الجويدى، ص:٣٧٧
٣٦- لسان العرب، م: ٣ باب الخاء، ص: ١٢.

المصادروالمراجع:

القرآن الكريم

ابن عقيل: عبد الله بن عقيل العقلي الهمداني، **شرح ابن عقيل علي الفية بن مالك**" الكتاب ليس محققا، دار الفكر بيروت لبنان ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

ابن فودي: عبد الله بن محمد كتاب **الحصن الرصين في التصريف**" تحقيق وشرح محمد صالح حسين، الطبعة الأولى، مطبعة دار الفكر بيروت لبنان ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

ابن منظور: محمد بن مكرم الإفريقي، **لسان العرب**، دار صادر بيروت، بلا تاريخ.

ابن هشام الأنصاري: **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، الطبعة الخامسة، مطبعة دار إحياء التراث العربي بيروت ١٩٦٦م.

ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر مطبعة دار الحديث القاهرة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

إبراهيم أنيس "الدكتور" وشركاؤه، **المعجم الوسيط**، الطبعة الثانية مطبعة دار المعارف، ١٣٩٧هـ ١٩٧٢م.

أحمد هاشم "الدكتور" وشركاؤه، **مذكرات في النحو والصرف** مكتبة الملك فهد الوطنية الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

أحمد الحملاوي: "الشيخ" **شذا العرف في فن الصرف** مطبعة دار الأقصى القاهرة.

أيمن أمين عبد الغني: **الصرف الكافي**، الطبعة الخامسة، مطبعة دار التوفيقية للتراث القاهرة، ٢٠٠٧م.

الأزهري: خالد بن عبد الله، **شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك**، مطبعة دار إحياء الكتب العربية.

الأندلسي: محمد بن عبد الله بن مالك الطائي، **الكوكب الدرية شرح منظومة الألفية**، بلا مطبعة، ولا تاريخ.

الحضري: الشيخ محمد **حاشية الحضري علي بن عقيل**، مطبعة دار إحياء الكتب العربية.

الجويدي درويش: {الدكتور} تحقيق **ديوان عنترة**، الطبعة الأولى، المكتبة العصربية ٢٠٠٨م ١٤٢٩هـ

الرازي: محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، الطبعة الثالثة، مطبعة دار ابن كثير ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

الرازي: الطاهر أحمد، **ترتيب القاموس المحيط، على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة**، الطبعة الثانية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه.

الزيات: أحمد حسن، **تاريخ الأدب العربي**، الطبعة الحادية عشرة مطبعة دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

الزبيدي: محمد مرتضى، **تاج العروس**، دار صادر بيروت بلا تاريخ.

السيوطي: عبد الرحمٰن بن أبي بكر، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، الطبعة الأولى، مطبعة دار الكتب العلمية، بلا تاريخ.

السيوطي: عبد الرحمٰن بن أبي بكر، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرح وتعليق محمد أبو الفضل إبراهيم وشركائه، مطبعة المكتبة العصرية ٢٠٠٩م ١٤٣٠هـ

سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان، **كتاب سيبويه**، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية دار الكتب العلمية ١٤٠٢هـ ١٩٧٠م.

الصبان: محمد بن علي، **حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلي وشركائه بمصر، بلا تاريخ.

عباس حسن: **النحو الوافي**، الطبعة الخامسة، دار المعارف بمصر، بلا تاريخ.

عضيمة: محمد عبد الخالق (الدكتور) **المغنى في التصريف الأفعال** دار الحديث القاهرة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م

العيني: محمد بن أحمد، **شرح المراح في التصريف**، الشركة الدولية للطباعة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م

محمد عبد العزيزي النجار، **التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل**، الطبعة الأولى، مكتبة ابن تيمية ٢٠٠٤م ١٤٢٤هـ

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

المراغي: أحمد مصطفى **هداية الطالب**، قسم الصرف الطبعة الثامنة، المكتبة المحمودية التجارية ١٢٧٠هـ ١٩٥١م.

المعلوف لويس: **المنجد في اللغة والأعلام**، الطبعة الأربعون ٢٠٠٤م.

الهاشمي: السيّد أحمد، **جواهر الأدب**، الطبعة الأولى، مطبعة مؤسسة المختار ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

يعيش ابن علي يعيش، **شرح المفصل**، عالم الكتب بيروت.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م SN 1118 - 3365

أثر المقاربة التواصلية في تعلم اللغة العربية كلغة ثانية لدى طلاب كليات التربية الفدرالية في نيجيريا

Effect of Communicative approach on learning Arabic language as a second language among the students of Federal Colleges of Education in Nigeria

Aliyu Muhammad Sani

Federal University Dutsin-Ma, Katsina State Nigeria

Department of Educational Foundations

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى التعرف على أثر المقاربة التواصلية في تعلم اللغة العربية لدى طلاب كلية التربية الفدرالية زاريا. وقد استخدم الباحث المنهج التجريبي، وكان الاختبار هو الأداة التي تم استخدامها، والتي اشتملت على اختبار الكفاية النحوية والكفاية الاجتماعية وكفاية تحليل الخطاب والكفاية الاستراتيجية. وطُبِّق الاختبار على عينة من طلاب قسم اللغة العربية للعام الدراسي الثاني ٢٠١٥/٢٠١٦م بكلية التربية الفدرالية زاريا (FCEZ) البالغ عددهم (٩٠) طالبا وطالبة، والذين تم اختيارهم بطريقة قصدية، حيث مثل (٤٥) المجموعة التجريبية ومثل (٤٥) طالبا وطالبة المجموعة الضابطة. توصل البحث إلى نتائج أهمها: توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ٠،٠٥ بين متوسطي درجات طلاب المجموعتين الضابطة والتجريبية في اختبار الكفاية النحوية و الكفاية الاجتماعية. تكوين معلمي اللغة العربية تكوينا يؤهلهم لتطبيق المقاربة التواصلية ومتابعة هذا التكوين متابعة عملية؛ لأن هذه المقاربة أثبتت جدارتها في مجال تعليم اللغة العربية، وأخيرا أوصى الباحث بإرسال معلمي اللغة العربية بكليات التربية إلى حضور تدريبات وورش لتطوير أدائهم في مجال علم اللغة التطبيقي وفي المقاربة التواصلية على وجه خاص، وإشعار طلاب كليات التربية بأهمية المقاربة التواصلية وتوعيتهم على استخدامها عندما يصبحون معلمين في مراحل التعليم العام. كما

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م SN 1118 - 3365

أرصى بالاستفادة من المقاربة التواصلية في مختلف فروع مادة اللغة العربية، والتركيز على وضع مناهج وأساليب تدريس حديثة تعمل على تيسير التواصل باللغة العربية بين الطلاب.

الكلمات المفتاحية: المقاربة التواصلية، تعلم اللغة العربية، كلية التربية الفدرالية، نيجيريا.

المقدمة

تعد المقاربة التواصلية من أهم مقاربات تعلم اللغة الثانية وأحدثها، إذ إنها توفِّر البيئة اللغوية الواقعيَّة المناسبة للمتعلمين كي يتقنوا مهارات اللغة، وينغمسوا في ثقافتها، وتساعد هذه المقاربة في تسهيل اكتساب المتعلم للغة في وقت أقصر وضمن أنشطة لغوية أكثر إمتاعاً وتشويقاً؛ بحيث تحفِّز المتعلمين على التعبير باللغة المراد تعلمها، وذلك باستخدام عدة تقنيات، وأساليب تعليمية دون تركيز على الأخطاء؛ بخلاف ما يرى بعض المعلمين أن تعليم اللغة العربية هو معرفة القواعد والبلاغة وحفظ الكثير من الكلمات المعجمية وفهم معانيها. وهذا الرأي لا يتفق مع ما ذهبتْ إليه المقاربة التواصلية التي تولي أهمية أكبر لوظائف اللغة.

ويعتقد الباحث أن هناك عدم الاهتمام في أوساط معلمي اللغة العربية بأساليب تدريس اللغات الأجنبية، فأكثر معلمي اللغة العربية بكليات التربية – في رأي الباحث- مُلمّون بالمادة العلميّة للغة (من نحو، وصرف، وإملاء، وخط وغيرها) بصورة جيدة، وقد يكون لدى بعضهم حظ كبير في معرفة طرائق التدريس العامة أو حتى طرائق تدريس اللغة العربية؛ لكن نسبة قليلة يتخصصون في طرائق تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها، ولذلك تجدهم يُدرّسون اللغة العربية للناطقين بغيرها، وكأنهم يدرسونها للناطقين باللغة العربية، وهذا مما يجعل تعلم اللغة العربية عملا شاقا للمتعلم، بحيث يصعب عليه إتقانها بالسرعة والدقة المطلوبة.

وفي المقابل تجد أن هذه المشكلة لدى معلمي اللغة الإنجليزية في نيجيريا –مع وجودها- أقل مما لدى معلمي اللغة العربية، فكثير من معلمي اللغة الإنجليزية يُطبقون أحدث ما وصل إليه علماء اللسانيات التطبيقية في القرن الحادي والعشرين، بينما ما زال معلّمو اللغة العربية يستخدمون أساليب قديمة مضى عليها قرون، وقد علق(أبولاجي ٢٠١٤، ص: ٦) على هذه الحالة بقوله: "ويتعلق

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م SN 1118 - 3365

الأمر هنا بمدى المهنية التربوية لدى أغلب معلمي اللغة الإنجليزية على عكس معلمي العربية، وبدرجة الجودة المنهجية لمقررات تعليم اللغة الإنجليزية المواكبة للعصر على طرفي نقيض مع مقررات تعليم اللغة العربية ذات الطابع الكلاسيكي".

مشكلة البحث

تتلخص مشكلة هذا البحث في أن الباحث لاحظ بعض القصور في المقاربات التقليدية لتدريس اللغة العربية التي ما زالت تستخدم إلى الآن، والتي حوَّلت عملية التدريس إلى مجرد قواعد وأحكام مجزأة لا تؤهل الدارسين للتواصل باللغة المراد تعلمها، وهذه لا تناسب طبيعة اللغة التي تسعى إلى تمكين الدارسين من التواصل باللغة المراد تعلمها. وعلى هذا يرى الباحث أن الطرائق التقليدية المستخدمة في تدريس اللغة العربية بكلية التربية الفدرالية تعد من العوامل التي أدت إلى قصورها في تحقيق رسالتها وأهدافها التربوية مما يستدعي البحث عن مقاربات جديدة يمكن أن تحقق ذلك، ووقع اختيار الباحث على المقاربة التواصلية، لكونها من أفضل المقاربات في تدريس اللغات الأجنبية على مستوى العالم حاليا.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الآتي:

١. التعرف على مدى استخدام المقاربة التواصلية في تعلم اللغة العربية لدى طلاب كلية التربية الفدرالية زاريا.
٢. التعرف على فاعلية المقاربة التواصلية في تعلم اللغة العربية مقابل الطريقة التقليدية لدى طلاب كلية التربية الفدرالية زاريا.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م SN 1118 - 3365

فروض البحث

ما يلي مجموعة من الفروض التي سيتم اختبارها في نهاية هذا البحث:

١. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ٠,٠٥ بين متوسطي درجات طلاب المجموعتين الضابطة والتجريبية في اختبار الكفاية النحوية.
٢. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ٠,٠٥ بين متوسطي درجات طلاب المجموعتين الضابطة والتجريبية في اختبار الكفاية الاجتماعية.

أهمية البحث

من المأمول أن يشجع هذا البحث معلمي اللغة العربية في نيجيريا على استخدام المقاربة التواصلية كطريقة في تعليم اللغة العربية وتعلمها، كما أنه سيساعد على فتح آفاق جديدة للباحثين في مجال تعليم اللغات الأجنبية وتطبيقها على تعلم اللغة العربية، وتأليف كتب تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة، -وما أحوجنا إليها-، ويمكن كذلك أن يساهم هذا البحث في تقديم علاج لضعف التواصل باللغة العربية في أوساط طلابها، مع ما يمتلكون من ذخيرة لغوية هائلة.

وأخيرا يُتوقع من هذا البحث أن يفتح شهية التربويين في البلاد ليضعوا نموذجا تدريسيا لمعلمي اللغة العربية في المدارس وفقا للاتجاهات اللغوية الحديثة، كما أنه سيشجع مصممي مناهج تعليم اللغة العربية على وضع مقررات وكتب مدرسية تلبي حاجات دارسي اللغة العربية في نيجيريا وفقا للاتجاهات الحديثة.

منهج البحث

استخدم الباحث المنهج التجريبي، حيث اختار عينة الدراسة من (المجموعتين الضابطة والتجريبية) وكان اختيارهما بطريقة قصدية؛ حيث تمَّ تعريض المجموعة التجريبية للمتغير المستقل (المقاربة التواصلية Communicative Approach) بينما المجموعة الضابطة تلقت دروسها **بالطريقة العادية**.

مجتمع البحث

يتكون مجتمع هذا البحث من ١٦٣ طالبا وطالبة من طلاب قسم اللغة العربية بكلية التربية الفدرالية.

عينة البحث

تكونت عينة البحث من (٩٠) طالبا من طلبة قسم اللغة العربية بكلية التربية الفدرالية زاريا ، وذلك خلال السنة الدراسية الثانية (NCEII)، حيث تم اختيار (٤٥) طالبا ليمثلوا المجموعة التجريبية، و (٤٥) طالبا ليمثلوا المجموعة الضابطة.

المقاربة التواصلية نشأتها وتطوراتها:

اختلف الباحثون في تاريخ نشأة هذه المقاربة؛ فمنهم من يقول إن نشأتها ترجع إلى أولى الدعوات لتعليم اللغات من أجل أن يتعامل المتعلم مع المجتمع ويحقق الاتصال، وكان ذلك في القرن السابع عشر الميلادي. ومنهم من يرجع النشأة إلى القرن التاسع عشر الميلادي مع المناداة بالتعلم الطبيعي، والتعلم المباشر للغة والمحادثة. إلا أن(بلومفيلد Bloomfield L. ١٩٤٢م، ص: ٥٢) يرى بأن الحاجة إلى اتصال الشعوب بعضها ببعض خلال الأربعينيات من القرن الماضي، هي التي أسرعت ببيان الحاجة إلى إعداد برامج لتعليم اللغات لتلبي الحاجة إلى الاتصال، ولعل ذلك بدأ في الأربعينات من القرن المنصرم عندما قدم عالم اللغة بلومفيد عام ١٩٤٢ نقده لأساليب تعليم اللغات الأجنبية في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال كتابه "المرشد للدراسة التطبيقية للغات الأجنبية".

إلا أن أهم سبب أسهم في بزوغ هذا الاتجاه الاتصالي، هو النقد اللاذع الذي وجهه بعض اللغويين المعاصرين لتشومسكي انطلاقاً مما أطلق عليه "الكفاية اللغوية". فقد رأى هؤلاء اللغويون:

"أن الكفاية اللغوية التي نادى بها تشومسكي وأتباعه، ما هي في الحقيقة سوى كفاية نحوية Grammatical Competence مقصورة على معرفة القواعد؛

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م SN 1118 - 3365

لهذا نادى كثير منهم بما أسموه الكفاية الاتصالية Communicative Competence، وهذه الكفاية تشمل المعرفة بأصول الكلام وأساليبه، ومراعاة طبيعة المخاطبين، مع القدرة على تنويع الكلام حسب مقتضى الحال من طلب واعتذار وشكر ودعوة ونحو ذلك، بالإضافة إلى المعرفة بقواعد اللغة ومفرداتها. فهذه الكفاية إذن تعني المعرفة بقواعد اللغة وقوانينها النحوية والصرفية والصوتية، مع القدرة على استعمالها بطريقة صحيحة لغويا مقبولة اجتماعياً" (العصيلي ٢٠٠ ص: ٣٥٨).

وقد اختلف كذلك حول دوافع ظهور مثل هذه المقاربة، فهناك رأي يرى أنها نشأت بدافع تعليم اللغات لغير الناطقين بها إذ يرجع هووات A.P. Howatt، الدعوة إلى تعليم اللغات من منظور اتصالي إلى القرن التاسع عشر حين كتب جون لوك عن تعلم اللغة قائلا : "يتعلم الناس اللغة من أجل التعامل مع المجتمع، وتحقيق الاتصال بين الأفكار في الحياة العادية بدون تخطيط، أو تنظيم مقصود مسبق في استخدامهم للغة".

كان هناك إحساس بأن اللغة وظيفتها التواصل، وتحقيق التعامل مع أفراد المجتمع، وتمر سنوات حتى تصل إلى القرن التاسع عشر وعلى وجه التحديد ١٨٦٤ (أي منذ أكثر من ١٤٠ سنة).

والرأي الثاني يرى أنها لم تظهر لحاجات ودوافع تعليمية، وإنما -كما ذهب إلى ذلك الباحث محمد مكسي -"دخلت في البداية تفكيرا تقنيا وسياسيا لتحديد ووضع غايات وأهداف تعليم وتعلم اللغة، فالقدرة اللغوية عند بعض الشرائح الاجتماعية مرادفة للرأسمال المهني، ذلك أن المستعملين ينتظرون من التعليم أن يساعدهم على اكتساب قدرات ومهارات تكون قابلة للاستثمار ثانية في زمن محدد وحسب إيقاعات ملائمة لتدبر رأسمالهم الزمني، ولا شك أن هذه المتطلبات تعلل بشكل من الأشكال الضرورة الملحة لوضع طريقة واقعية يكون من مهامها تقليص تلك الهوة الشاسعة بين أساليب وطرائق التعليم المدرسية وأساليب الاستعمال الوظيفي لهذه اللغات" (طكوك ٢٠١٠م، ص: ١٠٠).

وتنطلق المقاربة التواصلية من مفهوم مفاده "أن الوظيفة الأساسية للغة هي الاتصال والتواصل، وأن الهدف من تعلم اللغة هو تطوير ما أشار إليه ديل هايمز(Dell Hymes) بالكفاية الاتصالية بدلاً من التركيز على الكفاية اللغوية ليس إلا". (الصديق ٢٠٠١م، ص:٥٥).

وعلى هذا يطرح الباحث ملامح المقاربة التواصلية كما يلي:

١. الإيمان بأن الوظيفة الأساسية للغة هي تحقيق الاتصال بمعناه الشامل، الذي لايقتصر على الاتصال الشفهي والتفاهم المحدود بين متحدث وسامع.
٢. الهدف من تعليم اللغة هو بناء الكفاية الاتصالية لدى المتعلم بجوانبها الأربعة: الكفاية النحوية، وكفاية الخطاب، والكفاية اللغوية الاجتماعية، والكفاية الاستراتيجية.
٣. بناء أساس لغوي إبداعي لدى المتعلم، ينطلق منه إلى توليد عبارات وتراكيب صحيحة لغويا ومقبولة اجتماعيا بناء على ما تعلمه من قواعد، و الابتعاد به عن الرتابة وحفظ الحوارات وتقليد الأنماط.
٤. الاهتمام بالقواعد الوظيفية، بوصفها الهيكل البنائي للغة، وتقديمها للدارسين بأساليب مباشرة أحيانا وغير مباشرة أحيانا أخرى. (العصيلي ٢٠٠٦م، ص:٣٥٨)
٥. الاهتمام بالطلاقة اللغوية بدلا من الدقة الشكلية، وتشجيع محاولات الطلاب الاتصالية وإن كانت متعثرة أو خاطئة.
٦. الاهتمام بالمعنى الذي هو هدف العملية التعليمية وأساس التواصل، من غير إغفال للشكل اللغوي.
٧. الاعتماد على الوظائف اللغوية في الحياة وربطها بأهداف المنهج، بدلا من تقديم قواعد اللغة بطريقة متدرجة تدريجا شكليا، كما كان يحدث في الطريقة السمعية الشفوية.
٨. حاجة الدارسين الاتصالية، وخلفياتهم اللغوية والثقافية والاجتماعية، هي التي تحدد أسلوب التدرج في اختيار محتوى المواد اللغوية وتنظيمه وتقديمه. (طعيمة ٢٠٠٦، ص:٢٨)
٩. تقدم اللغة الهدف بطريقة دائرية لا خطية؛ فتستغل جميع القنوات المتاحة والأنشطة المفيدة، ولا يقيد المتعلم بالسير على خط مستقيم واحد. وهذا يعني عدم التقيد بنمط واحد

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م SN 1118 - 3365

لتدريس لغة الهدف، بل البحث عن أي وسيلة تؤدي إلى الفهم الحقيقي والاستعمال السليم لها، ولو أدَّى ذلك إلى الخروج عن المنهج المحدد أو الاستعانة باللغة الأم للمتعلمين.

١٠. إن التعلم مسألة تفاوض وتفاعل بين أطراف المنهج وعناصره؛ بين معلم ومتعلم، وبين متعلم ومتعلم آخر، وبين متعلم وكتاب.

١١. الاهتمام بالمهارات الأربعة وتنميتها في وقت واحد وبشكل متكامل، فلا تقدم مهارة على غيرها من المهارات إلا لأسباب ظاهرة تخدم العملية الاتصالية.

١٢. الاهتمام بالأنشطة الصفيَّة، وتحويل الفصل الدراسي إلى بيئة اتصالية شبيهة بالبيئة الطبيعية العامة للغة الهدف، وتوجيه الدارسين إلى الاستفادة من الأنشطة خارج الفصل.

١٣. الاهتمام بالوسائل التعليمية؛ السمعية والبصرية، مع تحري الدقة في اختيار الوسيلة، والتأكد من ضرورتها للمادة المقررة وعلاقتها بها.

١٤. تعليم اللغة عن طريق المواقف اللغوية الحقيقية بأسلوب طبيعي حيّ يمثل ثقافة اللغات الهدف، بعد تحليل هذه المواقف تحليلا علميا دقيقا، والابتعاد عن تقديم المواقف التقليدية المصنوعة المتبعة في الطرائق الأخرى، وبخاصة الطريقة السمعية الشفوية.

١٥. الاهتمام بالتعلم الجماعي التعاوني (Cooperative Learning)، من خلال تقسيم الطلاب إلى حجرة الدرس إلى مجموعات تتنافس بينها في حل مشكلة أو مناقشة قضية.

هناك عدد من التصورات المختلفة لمفهوم تعليم اللغة تواصليا وفيما يلي عرض لأهمها كما أوردها (طعيمة والناقة ٢٠٠٦م، ص: ٥٤-٥٥):

١. يرى علماء اللغة أن تعليم اللغة تواصليا يعني جعل المقاربة التواصلية (Communicative Competence) الهدف الرئيسي من تعلم وتعليم اللغة.

٢. يرى البعض أن تعليم اللغة تواصليا يعني تنظيم الإجراءات المناسبة لتعليم المهارات اللغوية الأربع (استماع، كلام، قراءة، كتابة) في ضوء العلاقة الاعتمادية Interdependence بين اللغة والتواصل.

٣. يرى البعض أن تعليم اللغة تواصليا يعني شيئا أكثر من مجرد التكامل بين تدريس النحو وتدريس الوظائف اللغوية Language Functions، إن أحد الملامح الأساسية لتعليم اللغات

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م SN 1118 - 3365

تواصليا أنه يولي اهتماما منظما للأشكال الوظيفية والأشكال البنيوية أو التركيبية Structural Aspect.

٤. يرى البعض أن تعليم اللغة تواصليا يعني الإجراءات التي يقوم فيها الدارسون في جماعات (مثنى أو أكثر) بتوظيف المصادر اللغوية المتاحة في أداء المهام التي يكلفون بها.

ولقد وجد هذا التصور طريقه للتنفيذ من خلال مناهج تعليم اللغات الإنجليزية في المدارس الابتدائية Syllabuses for Primary Schools 1981، والمحور الأساسي في مثل هذه المناهج، ونقطة التركيز فيها هي الوظائف التواصلية التي يمكن أن تخدمها، أو تؤديها الأشكال اللغوية.

٥. يرى البعض أن تعليم اللغة تواصليا يعني انخراط الدارسين في محادثة شفوية يتفاعل فيها أطراف المحادثة (Conversational Interaction) وفي مثل هذا التصور تعطي المحادثة والاتصال المباشر أولوية على مختلف أشكال السلوك اللغوي الأخرى.

نلاحظ تعدد وجهات النظر هذه حول تعليم اللغة تواصليا ومدى التفاوت بينها، كما نلاحظ الخلط بين المفاهيم والإجراءات، فمن التصورات السابقة ما يمكن أن يمثل إجراءات وأساليب للمقاربة التواصلية، مثل تقسيم الدارسين إلى مجموعات، ومنها ما يمثل مبادئ عمل وأسسا ومنطلقات مثل تقدير حاجات الدارسين وبناء المناهج في ضوئها، ومنها ما يختص بالمواد التعليمية، وغير ذلك من تفاوت في وجهات النظر حول مفهوم تعليم اللغة تواصليا.

خطوات إجراءات الدراسة باستخدام المقاربة التواصليّة في تعليم اللغة:

١. تقديم حوار مختصر، ومناقشة الوظيفة، والموقف، والناس، والأدوار، ويسبق ذلك تحفيز للدارسين (بربط مواقف الحوارات بخبراتهم الاتّصاليّة المحتملة).
٢. التدرّب الشفويّ على كلّ عبارة في جزء الحوار الذي سيقدّم في ذلك اليوم (التكرار).
٣. أسئلة وإجابات مبنيّة على موضوعات الحوارات والمواقف نفسها.
٤. أسئلة وإجابات تتعلّق بخبرات الدارسين الخاصّة، غير أنّها تدور حول موضوع الحوار.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م SN 1118 - 3365

٥. دراسة أحد التعابير الاتصاليّة الأساسيّة في الحوار، أو أحد التراكيب التي تمثّل للوظيفة المدروسة، وقد يقدّم المدرّس عدداً من الأمثلة (مع استعمال الصور وأشياء حقيقيّة بسيطة أو التمثيل) لبيان معنى التعبير أو التركيب.
٦. اكتشاف الدارس القواعد الكامنة وراء التعبير أو التركيب الوظيفيّ.
٧. أنشطة الإنتاج الشفويّ، وتتدرج من الأنشطة الموجهة إلى تلك الأكثر حريّة.
٨. كتابة الحوارات أو النماذج، إذا لم تكن في الكتاب المقرّر.
٩. قراءة عيّنات من الواجب المنزليّ المكتوب، إن وجد.
١٠. تقويم التعليم (الشفويّ فقط)، مثلاً: كيف تطلب من صديق أن ينجز عملا ما (المدفير ٢٠١٢، ص: ١٨).

أساليب التقويم في المقاربة التواصلية

إن تطور فلسفة الاختبارات بغرض تقييم الأداء الاتصالي قد تأثر -إلى حد كبير- بالأفكار الحديثة عن دور اللغة في الاتصال وبصورة خاصة ما تضمنته هذه الأفكار عن تعليم اللغات واختبارها لأهداف خاصة؛ وبالذات الجدل الذي دار حول قوانين استعمال اللغة والاستعمال الفعلي للغة في عملية الاتصال المتبادل بين الأفراد. ففي حين يُعنى الاهتمام بقوانين الاستعمال بالتركيز بصفة رئيسة على الأنماط الشكلية للغة، نجد أن الاهتمام بالاستعمال نفسه يعنى في المقام الأول بالوظيفة الاتصالية للغة.

إن التمييز بين قوانين استعمال اللغة وبين استعمال اللغة ذاته أمر على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لعمليتي التدريس والاختبار، وهذا يعني أن الاختبار لا يمكن أن يقوم على أساس اختيار بنود تُنتقى من منطلق لغوي فحسب، وأنه لتصميم اختبار فعال وبنائه، يصبح من الأهمية بمكان تحديد الكيفية التي يريد بها الدارس استعمال اللغة الهدف، ولا يعتمد النجاح في ذلك على دقة استعمال قوانين اللغة، ولكنه يعتمد على فعالية الاتصال.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م SN 1118 - 3365

إن التحول من التركيز على قوانين الاستعمال إلى الاستعمال ذاته، يعني بالتالي تحول الاتجاهات المعنية بمواصفات الاختبارات من النظر إلى اللغة على أنها كيان موحد ذو قوالب نحوية ثابتة ووحدات معجمية (مفردات) يغلب استعمالها، إلى النظر إلى اللغة على أنها وسيلة للاتصال تختلف أنشطتها باختلاف المواقف، والأشخاص، والأماكن، والأزمنة في ضوء حاجات المتكلم. ويلخص ذلك القول المأثور (لكل مقام مقال). فالاستعمال السطحية التي توحدها باختلاف العوامل المذكورة أعلاه، وينبغي أن تدرس اللغة وتختبر طبقاً لحاجات المتعلم.

وفي أي حديث عن الاختبارات في البرنامج الاتصالي، يجب أن نضع نصب أعيننا مسألة مهمة تغفلها الاختبارات الأخرى، ألا وهي مطابقة الواقع. ولتطبيق هذا المبدأ تطبيقاً كاملاً وسليماً يجب أن يكون كل ما يختبر فيه الدارسون ذا صلة بأعمال مأخوذة من الحياة الواقعية وليست مصطنعة أو منقحة أو معدلة لغرض التيسير. ليس ذلك فحسب، بل يجب أن تقدم بكل مثالبها وحسناتها من ضوضاء مصاحبة للكلام، وهمهمات، وفترات الصمت للتفكير، ومقاطعة الحديث وما إلى ذلك من الأشياء التي لا تمت إلى اللغة بصلة والتي قلما يخلو منها حديث لتكون خلفية للمتكلم والسامع؛ كما في المطار مثلاً أو قاعة محاضرات أو السوق ... إلخ.

اختبار الفروض

ينص الفرض الأول على:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ٠,٠٥ بين متوسطي درجات طلاب المجموعتين الضابطة والتجريبية في اختبار الكفاية النحوية.

الجدول رقم (١) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة (ت) لاستجابات المجموعتين الضابطة والتجريبية في اختبار الكفاية النحوية

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م SN 1118 - 3365

وعة	.	سط الحساب	راف المعيار	ة المحسوبة	ة الحرجة	ى الدلالة ة
يبية	١٤	٢	٩			
طة	٩	١				

يتضح من الجدول (١) أن قيمة "ت" المحسوبة "Calculated t"(٩,٠١٧) قد تجاوزت قيمتها الجدولية "Critical Value"(١,٩٦) عند درجة الحرية"degree of freedom" ٨٣ ومستوى دلالة "Calculated P Value" ٠,٠٥ مما يدل على وجود فرق بين متوسطي درجات الطلاب المجموعتين التجريبية والضابطة لصالح المجموعة التجريبية، وبذلك يتم رفض الفرض الصفري "Null Hypotheses" وقبول الفرض البديل، وهو "توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ٠,٠٥ بين متوسطي درجات طلاب المجموعتين الضابطة والتجريبية في اختبار الكفاية النحوية".

هذه النتيجة دليل على فاعلية المقاربة التواصلية في تمكين الدارس على الكفاية النحوية أكثر من الطريقة الاعتيادية.

ينص الفرض الثاني على:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ٠,٠٥ بين متوسطي درجات طلاب المجموعتين الضابطة والتجريبية في اختبار الكفاية الاجتماعية.

الجدول رقم (٢) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة (ت) لاستجابات المجموعتين الضابطة والتجريبية في اختبار الكفاية الاجتماعية.

وعة	**د**	**سط الحساب**	**راف المعيار**	**ة المحسوبة t**	**الحرجة**	**ى الدلالة**
يبية	١٤	٢	١٣			

يتضح من الجدول (٢) أن قيمة "ت" المحسوبة (١٣,٦٨٩) قد تجاوزت قيمتها الجدولية (١,٩٦) عند درجات حرية ٨٣ ومستوى دلالة ٠,٠٥ مما يدل على وجود فرق بين متوسطي درجات الطلاب المجموعتين التجريبية والضابطة لصالح المجموعة التجريبية، وعلى هذا يتم رفض الفرض الصفري ويقبل الفرض البديل، أي أنه "توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ٠,٠٥ بين متوسطي درجات طلاب المجموعتين الضابطة والتجريبية في اختبار الكفاية الاجتماعية".

هذه النتيجة دليل على فاعلية المقاربة التواصلية في تمكين الدارس على الكفاية الاجتماعية أفضل من الطريقة الاعتيادية.

مناقشة نتائج البحث:

سعى هذا البحث إلى التعرف على أثر المقاربة التواصلية في تعلم اللغة العربية لدى طلاب كلية التربية الفدرالية زاريا، كما أنه سعى للوقوف على الفروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعتين: التجريبية والضابطة.

أظهرت نتائج الفرض الأول أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ٠,٠٥ بين متوسطي درجات طلاب المجموعتين الضابطة والتجريبية في اختبار الكفاية النحوية، كما أشار إليه الجدول رقم (١). وهذه النتيجة تتفق مع مفاهيم المقاربة التواصلية التي تؤكد بأن الكفاية النحوية يمكن تحصيله عن طريق تطبيق المقاربة التواصلية بشكل أفضل من الطريقة التقليدية، وهذا يتفق مع ما توصل إليه خواجة (٢٠٠٩م) ودراسة طكوك (٢٠١٠م).

وأما نتائج الفرض الثاني فقد نصَّت على أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ٠,٠٥ بين متوسطي درجات طلاب المجموعتين الضابطة والتجريبية في اختبار الكفاية الاجتماعية، كما أشار الجدول رقم (٢)حيثتم تدريس المجموعة الضابطة بالطريقة العادية، والمجموعة التجريبية على الضابطة بتطبيق المقاربة التواصلية، وتفوقت المجموعة التجريبية في القياسين: القبلي والبعدي، في معرفة حصيلة الكفاية الاجتماعية، وهذه النتيجة تتفق مع دراسةالبوشيخي

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م SN 1118 - 3365

(٢٠٠٩م) الذيجاء بحثهبعنوانالمقاربة التواصلية في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، كما اتفقت مع دراسةخواجة (٢٠٠٩م) حيث قام بالبحث عن مستوى تطبيق إجراءات تدريس مهارة التحدث باللغة الإنجليزية وفق المقاربة التواصلية وتوصلت النتائج إلى صلاحية استخدام المقاربة التواصلية في تدريس اللغة الإنجليزية.

وعلى هذا، يبدو للباحث أن سبب ذلك يعود إلى ما يلي:

١. مرونة المقاربة التواصلية في تعليم اللغة العربية مقارنة بالطريقة العادية، وبأن المقاربة التواصلية تجعل الطالب محورًا للعملية التعليمية، وهذا لا يتوفر في الطريقة العادية.
٢. إتاحة المقاربة التواصلية الفرصة الكافية للمتعلم للتفاعل بشكل جماعي ويعمل بروح الفريق الواحد وبنشاط متواصل حتى الوصول إلى الهدف المنشود، على عكس ما يحدث في الطريقة العادية فهي لا توفر الراحة للطالب ولا تسمح للطالب بالمشاركة بفعالية.
٣. قيامها على المناقشات الجماعية والحوارات المؤثرة جعلت النتائج إيجابية وبالتالي شجعت على توليد الكلمات و التراكيب المتنوعة والمبتكرة.
٤. شعور الطلاب بأن هذا الأسلوب جديد بالنسبة لهم، أسهم في إنجاح العملية الميدانية لهذا البحث من جهة، ومواجهة الصعوبات من جهة أخرى، لكن سرعان ما تغلب الباحث على هذه الصعوبات وانطلق العمل بكل نشاط وحيوية.

النتائج

بعد جمع البيانات وتحليلها وعرض نتائج هذا البحث يمكن أن يختم الباحث بالآتي:

١. كشف هذا البحث أهمية المقاربة التواصلية التي قلَّ تطبيقها في أوساط معلمي اللغة العربية في كليات التربية التي تمنح شهادة التربية الوطنية في نيجيريا، وأكدت نتائج هذا البحث أن المقاربة التواصلية قادرة على تلبية حاجات الدارسين التي عجزت عنها الطريقة التقليدية عبر السنين.
٢. توصل هذا البحث إلى أن المقاربة التواصلية تتمتع بمرونة فائقة تجعل الدارسين يتابعون عملية التعليم بنشاط وحيوية حتى الوصول إلى الغاية، مما يؤكد أن هذه المقاربة تصلح لجميع

المراحل التعليمية، ولعل هذا ما جعل المفوضية القومية لشهادة التربية الوطنية (NCCE) تدعوا إلى استخدام الكفاية التواصلية Communicative Teaching Learning (CLT) في تدريس اللغات الأجنبية في كليات التربية النيجيرية بما فيها اللغة العربية.

٣. توصل البحث إلى أن الطلاب الذين تم تدريسهم بالمقاربة التواصلية اختلفوا كثيرا مع أقرانهم الذين تم تدريسهم بالطريقة العادية على عدة مستويات؛ تفوقوا عليهم من حيث التحصيل، ومن حيث التفاعل مع الدرس، وهذا يعني أن هناك ضرورة لتبني هذه المقاربة من أجل تطوير وتحسين مستوى طلاب اللغة العربية في هذا البلد.

التوصيات

١. تكوين معلمي اللغة العربية تكوينا يؤهلهم لتطبيق المقاربة التواصلية ومتابعة هذا التكوين متابعة عملية؛ لأن هذه المقاربة أثبتت جدارتها في مجال تعليم اللغة العربية.

٢. إرسال معلمي اللغة العربية بكليات التربية إلى دول عربية –إن أمكن- لحضور تدريبات وورش وسمنارات لتطوير أدائهم في مجال علم اللغة التطبيقي وفي المقاربة التواصلية على وجه خاص.

٣. إشعار طلاب كليات التربية بأهمية المقاربة التواصلية وتوعيتهم على استخدامها عندما يصبحون معلمين في مراحل التعليم العام.

٤. الاستفادة من المقاربة التواصلية في مختلف فروع مادة اللغة العربية، والتركيز على وضع مناهج وأساليب تدريس حديثة تعمل على تيسير التواصل باللغة العربية بين الطلاب.

٥. الاستفادة من نتائج هذا البحث لبناء مناهج تدريس اللغة العربية لمراحل التعليم العام و التعليم العالي على أساس هذه المقاربة، فهي بلا شك ستعطي نتائج مرضية.

٦. بما أن المفوضية القومية لشهادة التربية الوطنية (NCCE) دعت إلى تطبيق هذه المقاربة في كليات التربية في نيجيريا، يرى الباحث أنه على بقية الجهات المسؤولة (NATAIS National Teachers of Arabic and Islamic Studies, NBAIS National Board for Arabic and Islamic schools, ASSAIS Association of Secondary School for Arabic and Islamic Studies) أن تحظو حظوها وتسارع إلى تطبيقها أيضا، بشرط أن يتم تدريب المعلمين على

أسسها قبل الانخراط في العملية التعليمية، ويكون عن طريق انعقاد دورات وسمنارات وورش عمل مكثفة.

المراجع العربية

أبولاجي، علي عبد الرزاق (٢٠١٤م)، **الازدواج اللغوي وانعكاساته على التعليم العربي في نيجيريا**، مجلة جامعة جازان- فرع العلوم الإنسانية، العدد:٣. ص: ١-١٤.

أديتنجي، عز الدين (٢٠١٥م)، **استراتيجية تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها: الجامعات النيجيرية نموذجا**، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، الإمارات العربية المتحدة، دبي. ص: ٤٧٢-٤٨٥.

إبراهيم، محمد الثاني (٢٠١١م)، **اقتراح مشروع كتاب مدرسي لتعليم العربية بالمدارس الابتدائية الحكومية بنيجيريا**، رسالة الدكتوراه مقدمة إلى جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب، غير منشورة.

إسماعيل، محمود صيني و عبد العزيز عبد الرحمن (١٩٩٠م) **مذاهب وطرائق في تعليم اللغات**. دار عالم الكتب الرياض المملكة العربية السعودية.

بوقربة، لطفي (د، ت) **محاضرات في اللسانيات الاجتماعية**،معهد الأدب واللغة بجامعة بشار الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

تشومسكي، نعوم ترجمة عدنان حسن (٢٠٠٠/٢٠٠٩م) **آفاق جديدة في بحث اللغة والعقل**، اللازقية، سوريا، دار الحوار.

الثاني، علي محمد (٢٠١٥م) **مناهج تدريس اللغة العربية في جامعات وكليات التربية النيجيرية- تحديات وآفاق**، المؤتمر الدولي للغة العربية الرابع، مجلد ١١، ص: ٥٠٩-٥١٥، دبي.

الجمعي، محمود بولعراس و إصفهاني، محمد خاقاني و فرفار، آمال (٢٠١٢م) **مبادئ تعليم اللغة العربية- الإسهامات الممكنة للمقاربات الحديثة**، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، (العدد ١١).

ابن جني، أبو الفتح عثمان(د، ت) **الخصائص**، الطبعة الثانية، الجزء الأول، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

حلس، مايسة يوسف، (٢٠١١م): **أثر استخدام أسلوب لعب الأدوار على التحصيل الدراسي لتنمية المفاهيم التاريخية لدى طالبات الصف السابع في محافظة غزّة**، رسالة ماجيستير، جامعة الأزهر غزّة، عمادة الدراسات العليا، كلية التربية، غزّة، فلسطين.

خرما، نايف و حجاج، علي (١٩٨٨م) **اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٢٦، من منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويتية.

خزنة، هاديا كاتبي (٢٠١٢م)، **اللغة العربية كلغة ثانية والتحديات التي تواجه دارسها الأجانب**، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٨، العدد ٢، ص: ٤٢٥-٤٥٥.

خلوي، سعاد (٢٠١٠م) **المقاربة التواصلية واكتساب مهارة التعبير الشفهي لدى تلاميذ السنة الخامسة ابتدائي**، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة فرحات عباس سطيف (الجزائر) كلية الآداب والعلوم الاجتماعية قسم اللغة العربية وآدبها، غير منشور.

الخليفة، يوسف أبوبكر(٢٠١١م)، **مدخل إلى علم اللغة والتحليل اللغوي**، غير منشور، الخرطوم، السودان.

دياب، سهيل رزق (٢٠٠٣م) **مناهج البحث العلمي**، جامعة القدس المفتوحة غزة، فلسطين.

الراجحي، عبده (١٩٩٥م) **علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية**، دار المعرفة الجامعية.

ربحي، مصطفى عليان، ومحمد عبد الدبس (٢٠٠٣م) **وسائل الاتصال وتكنولوجيا التعليم**، الطبعة الثانية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان – الأردن.

شحاتة، حسن، و النجار زينب، (٢٠٠٣م) **معجم المصطلحات التربوية والنفسية**، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى.

الشربيني، زكريا (٢٠٠٧م) **الإحصاء وتصميم التجارب في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية**، مكتبة الأنجلو المصرية.

الصديق، عمر، (٢٠٠١) **أثر استخدام الوسائل التعليمية في تدريس اللغة العربية للمبتدئين الناطقين بلغات أخرى**، رسالة دكتوراة (غير منشورة) كلية التربية، جامعة أفريقيا العالمية.

الصرامي، عبد الرحمن سعد (١٤٣٤هـ)، **تقييم مواقع تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها على الشبكة العالمية في ضوء المهارات اللغوية**، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية، معهد تعليم اللغة العربية، قسم علم اللغة التطبيقي، غير منشور.

صغير، خديجة سليمان، (٢٠١٥م) **مناهج اللغة العربية في كليات التربية النجيرية، كلية التربية ولاية كنو نموذجا**، مقالة منشورة في أعمال مؤتمر اللغة العربية وآدابها والتعليم العالي في نيجيريا، ج/٢ ص: ١٤٥-١٧٣.

طعيمة، رشدي أحمد (٢٠٠٤م) **المهارات اللغوية، مستوياتها، تدريسها، صعوباتها** الطبعة الأولى، دار الفكر، مصر، القاهرة.

طعيمة، رشدي أحمد والناقة، محمود كامل (٢٠٠٦م) **تعليم اللغة اتصاليا بين المناهج واستراتيجيات**، منظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو.

طعيمة، رشدي أحمد، (٢٠٠١م) **تدريس مهارات اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى المستوى المتقدم**، المنظمة الإسلامية، أيسيسكو.

طكوك، حياة (٢٠١٠) **نشاط القراءة في الطور الأول مقاربة تواصلية**، رسالة ماجيستير، غير منشور، جامعة فرحات عباس، الجزائر.

عبد السلام، أحمد شيخ (٢٠١٠م) **مقدمة في علم اللغة التطبيقي**، الطبعة الثالثة، المركز الإسلامي، الجامعة الإسلامية، ماليزيا.

عزالدين،البوشيخي (٢٠٠٩م) **المقاربة التواصلية في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها**،سجل المؤتمرالعالمي لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، المغرب، ص: ٤٢٦-٤٤٢.

العصيلي، عبدالعزيز إبراهيم، (٢٠٠٢م) **أساسيات تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى**، من منشورات مركز بحوث اللغة العربية وآدابها، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

العنزي، خلف خليل (٢٠٠٨م)، **أثر استخدام استراتيجيات التعلم التعاوني في تنمية بعض المهارات النحوية لدى الطلاب المعوقين سمعيا في الصف الأول الثانوي في مدينة الرياض**، رسالة ماجستير في المناهج وطرق التدريس، جامعة أم القرى، كلية التربية، المملكة العربية السعودية، غير منشورة.

فتحي، محمد (٢٠٠٣م) **٧٦٦ مصطلح إداري**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، القاهرة.

فقيه، خواجة بن عمر (٢٠٠٩م)، **مستوى تطبيق إجراءات تدريس مهارة التحدث باللغة الإنجليزية وفق المقاربة التواصلية- بحث ميداني على المدرسين المرسمين في السنة الرابعة متوسط بمدينة ورقلة**، رسالة ماجستير ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة الجزائر،غير منشورة.

الفوزان، عبد الرحمن إبراهيم (٢٠١١م) **إضاءات لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها**، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

الفوزان، عبدالرحمن إبراهيم وآخرون (٢٠٠٧)، **العربية بين يديك**، سلسلة في تعليم اللغة لغير الناطقين بها، الطبعة الثالثة، دار العربية للجميع، الرياض.

كنفان، أحمد علي، (٢٠١٢م) **اللغة العربية وتحديات المعاصرة وسبل معالجتها**، مؤتمر الدولي للغة العربية (العربية لغة عالمية)، بيروت.

المدفير، فيصل (٢٠١٢م) **تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها**، رسالة ماجيستير في علم اللغة التطبيقي، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، غير منشورة.

مدكور، علي أحمد (١٩٩١م) **تدريس فنون اللغة العربية**، الطبعة الأولى، دار الشواف،القاهرة.

مدكور، علي أحمد وهريدي، إيمان أحمد، (٢٠٠٦م) **تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها- النظرية والتطبيق**، القاهرة، دار الفكر العربي.

الناقة، محمود كامل، وطعيمة، رشدي أحمد، (٢٠٠٣م): **طرائق تدريس اللغة العربية لغير الناطقينها**، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- أيسيسكو.

الهويدي، زيد (٢٠٠٤م) **أساسيات القياس والتقويم التربوي**، العين، الإمارات العربية المتحدة، دارالكتاب الجامعي.

وافي، علي عبد الواحد (٢٠٠٣م) **نشأة اللغة عند الإنسان والطفل**، نهضة مصر، القاهرة.

المراجع الأجنبية

Bloomfield, L,(1942)**Out Line Guide for the Practical Study of Foreign Languages**, Baltimore: Linguistic Society of America.

Faryadi, Q (2007) **Techniques of Teaching Arabic as a foreign language through Constructivism Paradigm: Malaysian Perspective**, UITM Malaysia.

Federal Republic of Nigeria (2013), **Minimum Standard for Nigeria Certificate in Education**, (Languages) Abuja: NCCE.

Richard J,C & Rodger T,S, (2001),**Approaches and Methods in Language Teaching,**Cambridge University Press.

Richard, J, R (2006), **Communicative Language Teaching Today**, Cambridge University press.

Sirajuddeen, A & Adebisi, A(2012) **Teaching Arabic as a Second language in Nigeria**, the 8thInternational Conference for Specific Purpose (LPS) seminar, Aligning theoretical knowledge with professional practice P: 126-135.

Vongxay, H (2013) **The Implementation of Communicative Language Teaching (CLT) in anEnglish department in LAO Higher Educational Institution: a case study,** Master's thesis, New Zealand.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

نماذج من الأسماء الملازمة للإضافة إلى المفرد في ديوان أمير المؤمنين محمد بلّو

إعداد
الدكتور أبوبكر إبراهيم
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة ولاية صكتو

المقدمة

حمدا لله الذي تقدست أسماؤه، والذي ألزم على عباده البر والتقوى، وصلاة وسلاما على أفصح العرب لسانا، محمد بن عبد الله المنزل عليه القرآن، وعلى آله وصحبه الفصحاء، ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين

وبعد، فهذه مقالة بعنوان: "نماذج من الأسماء الملازمة للإضافة إلى المفرد في ديوان أمير المومنين محمد بلو"، وهي عبارة عن دراسة بعض الأسماء التي تتحتم إضافتها إلى المفرد من الأسماء في الديوان المذكور، وقد حاول الكاتب فيها وتتبع هذا النوع من الأسماء ذاكرا تفريعاته وما يتعلق بكل من أحكام.

المقصود بالمفرد

والمراد بالمفرد هنا: ما ليس جملة, وإن كان مثنى أو جمعا وهو أربعة أنواع:

أ- ما يضاف إلى اسم ظاهر أوضمير في الديوان
ب- ما يضاف إلى الظاهردون المضمر
ج- ما يضاف إلى المضمردون الظاهر
د- مايضاف تارة لفظا وتارة معنى

أما ملازم الإضافة إلى المفرد فهو أيضا نوعان:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

- ما يلازم الإضافة ولا يجوز قطعه عنها.
- ما يلازم الإضافة مع جواز القطع عنها تارة لفظا وتارة معنى, بأن يكون المضاف إليه منويًّا في الذهن.

أقسام الملازم للإضافة مع عدم جواز القطع عنها

من الأسماء الملازمة للإضافة إلى المفرد ولا يجوز القطع عنها: ما يضاف إلى الظاهر والمضمر, ومنها ما يضاف إلى الظاهر دون المضمر, أو المضمر دون الظاهر. وسيذكرها الباحث مفصّلة فيما يلي:

أ- **ما يضاف إلى اسم ظاهر أو ضمير في الديوان.**

(عند)

ومن نماذج إضافتها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته اللامية التي يمدح بها الغزاة والأبطال من أصحابه ويصفهم بالصدق والحزم, والمثابرة والصبر والشجاعة. والقصيدة من بحر اليسيط[١] يقول فيها:

وَالْخَيْلُ تَعْلَمُ وَالْأَعْدَاءُ أَنَّهُمُ ** عِندَ اللِّقَاءِ أُولُواْ بَأْسٍ وَتَنكِيلِ[٢]

الشاهد في البيت: عند اللقاء.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (عند) ظرفا للمكان, وملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى اسم معرّف بالألف واللام, (اللقاء) وجعله مجرورا وقد اكتسب المضاف التخصيص بواسطة الإضافة لأنه موغل التنكير, لايتعرف ولو أضيف إلى معرفة.

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته الدالية في مدح السيد المختار الكُنْتِي وقبيلته, حيث وصفه ببعض الصفات العقلية والخلقية والخصال الحميدة. كتبها الأمير وضمّنها في بعض رسائله التي أرسل بها إلى قبيلة "كُنْتَ" يمدحها بها ويذكر محاسنها وفضائلها ومزاياها, والأدوار الفعّالة التي لعبتها في دفع عجلة العلم والدين الاسلامي إلى الأمام في غرب إفريقيا. والقصيدة من بحر الطويل[٣] يقول فيها:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وَمَا هُم بَنِي ثَأْدَاءَ فِي الْعِلْمِ وَالتُّقَى ** فَكُلُّ عُلُومٍ عِندَهُمْ كَانَ مُتْلِدَا[٥]

الشاهد في البيت: عندهم.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (عند) ظرفا للمكان, وملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى ضمير الغائبين (هم) وهو في محل الجر وقد اكتسب المضاف التخصيص بواسطة الإضافة لأنه موغل التنكير.

(سوى)

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته الدالية في مدح السيد المختار الكُنْتِي وقبيلته, والقصيدة من بحر الطويل,[٦] يقول فيها:

وَعِلْمُهُمُ دامَا وَعِلْمُ سِوَاهُمُ ** قِيَاسًا إِلَى عِلْمٍ لَهُمْ كَانَ صَيْهَدَا;[٧]

الشاهد في البيت: سواهم.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (سوى) اسما ملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى ضمير الغائبِين (هم) وعاملا فيه, وقد صار المضاف معرفة لأجل الإضافة.

ومن نماذجها في هذه القصيدة قوله:

فَدَعْ وَزْنَهُم بِسِوَاهُمُ فِي الْعُلُومِ وَالْـ ** هُدَى كَانَ كُلُّ الْعِلْمِ فِيهِم مُتَلَّدَا;[٨]

الشاهد في البيت: بسواهمُ.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (سوى) اسما ملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى ضمير الغائبين (هم) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة.

(بين)

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته الرائية التي يذكر فيها وقعة جَاتَ الثانية, وهي من بحر الطويل,[١١]يقول فيها:

فَسَلْ عَن وَقَائِعَ بَيْنَنَا وَاقْتَنِعْ بِهَا ** عَلَى صُنْعِ مَوْلَانَا لَنَا حِينَ نَشْكُرُ[١٢]

الشاهد في البيت: بيننا.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (بين) ظرفا للمكان, وملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى ضمير المتكلمين (نا) وعاملا فيه, وقد تعرف المضاف التعريف بواسطة الإضافة.

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته التائية التي يرثي بها أختَه وبقية إخوانه الذين ماتوا قبله ولحقوا بالرفيق الأعلى, شاكيا الدهر الذي ما زال يطارقه ويفاجئه ويطالعه بالرزايا والبلايا ويقضي على أعز الناس إليه. والقصيدة من بحر الهزج,[١٣]يقول فيها:

فَإِنَّ الْمَوْتَ أَفْنَاهُمْ ** فَأَضْحَواْ بَيْنَ أَمْوَاتِ[١٤]

الشاهد في البيت: بين أموات.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (بين) ظرفا للمكان, وملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى نكرة (أموات) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة.

(مثل)

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته الرائية التي نظمها عقب انتهاء غزوة كنو, وهي من بحر الرمل,[١٥]والتي يقول فيها:

قَدْ تَرَكْنَاهُم بِهَا مِثْلَ الْهَبَا ** أَوْ كَأَحْطَامِ هَشِيمِ الْمُحْتَظِرْ[١٦]

الشاهد في البيت: مثل الهبا.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (مثل) اسما ملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى اسم معرَّف بالألف واللام, (الهبا) فانجر المضاف إليه تقديرا وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة.

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته الهائية التي يرثي بها عمَّه الأستاذ العلامة عبد الله بن فودي, وهي من بحر الرجز,[١٧]والتي يقول في مطلعها:

إِنَّ الرَّزِيَةَ لَا رَزِيَّةَ مِثْلَهَا ** رُزْءٌ غَدَا الْإِسْلَامَ مُنثَلِمًا بِهِ[١٨]

الشاهد في البيت: مثلها.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (مثل) اسما ملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى ضمير الغائبة (الهاء) وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة.

(ذوو)

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته الدالية التي يمدح فيها السيّد المختار الكنتي وقبيلته التي كتبها الأمير في بعض رسائله أرسل بها إلى قبيلة "كُنْتَ" وهي من بحر الطويل,[١٩]يقول فيها:

ذَوُو نُدْأَةٍ مِن كُلِّ عِلْمٍ فَكُلُّهُمْ ** سَبِيلُ نَجَاةٍ لِلْبَرَاسَا مِنَ الْوَدَا;[٢٠]

الشاهد في البيت: ذوو ندأة.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (ذوو) اسما ملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى نكرة (ندأة) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التخصيص لإضافتها إلى نكرة.

ومن نماذجها في هذه القصيدة قوله:

ذَوُو بُعْدَةٍ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ وَالتُّقَى ** فَغَيْرُهُمُ لِعُلُومِهِم كَانَ ذَا الصِّدَا;[٢١]

الشاهد في البيت: ذوو بعدة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (ذوو) اسما ملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى نكرة (بعدة) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التخصيص بواسطة الإضافة.

(وسط)

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته الهائية التي يستغيث بها اللهَ سبحانه وتعالى ويسغفره. والقصيدة من بحر المتقارب.[٢٤]يقول فيها:

وَيَجْعَلُهُ فِي شَفَاعَتِهِ ** وَيُسْكِنُهُ وَسْطَ فِرْدَوْسِهِ[٢٥]

الشاهد في البيت: وسط فردوسه.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (وسط) ظرفا للمكان, ملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى ما أضيف إلى معرفة (فردوس) وعاملا قيه, وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة.

(مع)

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قطعته الرائية التي يذكر فيها الحوادث التي مرّ المسلمون بها في غزوة بلاد غُورِي.عن بناء مدينة صكتو, ويصفها وصفا حسيّا. وهي من بحر الخفيف.[٢٦]يقول فيها:

بَلِّغْ تَحِيَّةَ مُشْتَاقٍ زَلَأَتِهِ ** الْغَوْثَ مَعْ أَقْطَابِهِ الْأَخْيَارِ[٢٧]

الشاهد في البيت: معْ أقطابه.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (مع) اسما ملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى معرفة (أقطابه) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة. ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته البائية التي يتحدّث فيها عن حسن بلاء جماعته في موقعة حربية. وهي من بحر الرجز.[٢٨]يقول فيها:

صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ** وَالْآلِ خَيْرَتِنَا مَعَ الْأَصْحَابِ[٢٩]

الشاهد في البيت: مع الأصحاب.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (مع) اسما ملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى اسم معرَّف بالألف واللام (الأصحاب) عاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة.

(سبحان)

ولها نموذج واحد وذلك في الرائية التي يصف فيها أمير المومنين الحوادث التي مرّ بها المسلمون في غزوة فافرا. والقصيدة من بحر الطويل. يقول فيها:

فَسُبْحَانَ مَن جَعَلَ الْعَدُوَّ ذَرِيعَةً ** إِلَى دَرْكِ مَأْمُولٍ لَنَا قَدْ تَعَسَّرَا[٣١]

الشاهد في البيت: فسبحان من جعل العدو ذريعة.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (سبحان) اسما ملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى الاسم الموصول, (مَن) وعامل فيه الجر محلا وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة.

ب- ما يضاف إلى الظاهر دون المضمر

وهي: أولو, أولات, ذو, ذواتا, ذوات, ذوا, قاب, معاذ.

(أولو)

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته الرائية التي يذكر فيها وقعة جَاتَ الثانية. وهي من بحر الطويل. يقول فيها:

وَقَدْ رَامَ أَهْلُ الْكُفْرِ أَن يَسْتَفِزَّنَا ** أُولُواْ طَوْلِهِمْ عَنْ أَرْضِهِمْ فَتَنَاصَرُوا[٣٣]

الشاهد في البيت: أولوا طولهم.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (أولوا) اسما ملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى ما أضيف إلى معرفة (طولهم) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة.

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته الرائية التي أنشأها في الدعاء والتضرع إلى الله تبارك وتعالى, وهي من بحر الطويل. يقول فيها:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وَبِالْأَنبِيَا وَالرُّسُلِ وَالْمَلْئَكِ الرِّضَى ** وَبِالْأَوْلِيَا وَالصَّالِحِينَ أُولِي الْأَمْرِ[٣٥]

الشاهد في البيت: أولي الأمر.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (أولي) اسما ملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى اسم معرَّف بالألف واللام (الأمر) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة.

(ذو)

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته اللامية التي يمدح فيها الغزاة والأبطال من أصحابه. والقصيدة من بحر البسيط,[٣٦] يقول فيها:

هَانَتْ إِتِيسَنْ وَهَانَتْ كِلْغِرَسْ ذَنَبًا ** وَذُو الِّلوَى أَيَّ تَصْغِيرٍوَتَذْلِيلِ[٣٧]

الشاهد في البيت: وذو اللوى أي تصغير وتذليل.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (ذو) اسما ملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى اسم معرَّف بالألف واللام (اللوى) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة. ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته اللامية التي نظمها عقب انتصاره في غزوة قَلَمْبَيْنَ. وهي من بحر الطويل,[٣٨] يقول فيها:

بِذِي لَجَبٍ لَّا يَخْفِضُ الرَّزَّ جَحْفَلٍ ** يُثِيرُ عَلَى الْآكَامِ إِن سَارَ قُسْطُلَا[٤٥]

الشاهد في البيت: بذي لجب.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (ذي) اسما ملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى نكرة (لجب) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التخصيص بواسطة الإضافة.

(ذات)

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في نتفته الهائية التي يرثي بها ابنَ عمّه محمدَ بن عبد الله بن فودي, وأخاه عبد القادر بن الشيخ عثمان بن محمد فودي رضي الله عنهما. وهي من بحر الطويل,[٣] يقول في مطلعها:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

رُمِيتُ بِسَهْمٍ ذَاتِ وَدْقَيْنِ فِي قَلْبِي ** فَيَا لِفُؤَادٍ سِيمَ كَرْبًا عَلَى كَرْبِ[٤٤]

الشاهد في البيت: ذات ودقين.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (ذات) اسما ملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى نكرة (ودقين) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التخصيص بواسطة الإضافة. ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته الحائية التي يحض بها نفسَه على القيام بالأعمال الصالحة. وهي من بحر الطويل, يقول في مطلعها:

لِمَن طَلَلٌ عَافٍ بِذَاتِ بِطَاحِ ** فَأَكْنَافِ دَارَاتٍ فَذَاتِ بَرَاحِ[٤٦]

الشاهد في البيت: بذات بطاح.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (ذات) اسما ملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى نكرة (بطاح) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التخصيص بواسطة الإضافة.

ج- ما يضاف إلى المضمر دون الظاهر

وهي: نوعان:

ما يضاف إلى ضمير المفرد مطلقا وهو (وحد).

ما يضاف إلى ضمير المخاطب خاصة وهي: لبيك, وسعديك, وحنانيك, ودواليك, وهذاذيك.

(وحد)

وله نموذج واحد في الديوان وهو قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته الرائية التي يبيّن فيها إنابته إلى الله وحده وتجرد له للعبادة. وهي من بحر الطويل, يقول في مطلعها:

وَلَمَّا تَنَبَّهْنَا ذَكَرْنَاهُ وَحْدَهُ ** وَلَمْ يَبْقَ أُنسٌ دُونَهُ وَحُضُورُ[٤٨]

الشاهد في البيت: ولما تنبهنا ذكرناه وحده.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (وحد) اسما ملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى ضمير الغائب (الهاء) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وأما ما يضاف إلى ضمير المخاطب، مثل: لبيك وسعديك.....إلخ, فلم يعثر الباحث على نماذج لها في الديوان المدروس.

د- مايضاف تارة لفظا وتارة معنى في الديوان:

وهي: قبل, بعد, تحت, فوق, أمام, قدّام, وراء, خلف, أسفل, دون, أول, من عل, من علو, وهي ظروف. وكل, وبعض, وغير, وجميع, وحسب, وأي, وهي غير ظروف.

(قبل)

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته الرائية التي يسرد فيها الحوادث التي مرّ بها المسلمون في غزوة فَافَرَا. وهي من بحر الطويل,[٤٩] يقول فيها:

وَكَانُوا قَدِيمًا يَعْرِفُونَ لِقَاءَنَا ** كَرِيهًا بَغِيضًا قَبْلَ غَزْوَةِ فَافَرَا[٥٠]

الشاهد في البيت: قبل غزوة.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (قبل) ظرفا للزمان, وملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى معرفة، وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة. ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته الرائية التي يهجو ويذم التوارق من أهل آدَرْ لسلوكهم السيّئ. وهي من بحر الطويل,[٥١]

لَئِن كَانَ غوْغَاءُ التَّوَارِقِ غَرَّكُمْ ** كَمَا غَرَّ قَوْمًا قَبْلَكُمْ ثُمَّ أَدْبَرُوا[٥٢]

الشاهد في البيت: قبلكم.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (قبل) ظرفا للزمان, وملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى ضمير المخاطبين, وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة.

(بعد)

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته الرائية التي يذكر فيها واقعة جَاتَ الثانية. وهي من بحر الطويل,[٥٣]

وَعَزَّزَ أَهْلَ الدِّينِ مِن بَعْدِ يَأْسِهِمْ ** فَهُمْ فِي بِلَادِ اللهِ أَقْوَى وَأَوْفَرُ[٥٤]

الشاهد في البيت: من بعد يأسهم.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (بعد) ظرفا للزمان, وملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى معرفة (يأسهم) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة. ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في مطلع قصيدته البائية التي يرثي فيها الأمير محمد بن السيّد المختار الكنتي. وهي من بحر الخفيف,[٥٥]

عَيْنُ جُودِي بِعَبْرَةٍ وَصَبِيبِ ** وَاسْكُبِي الدَّمْعَ بَعْدَ بُعْدِ الْحَبِيبِ[٥٦]

الشاهد في البيت: بعد بعد الحبيب.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (بعد) ظرفا للزمان, وملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى اسم معرَّف بالألف واللام (بعدِ الحبيب) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة.

(تحت)

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته اللامية التي يمدح بها العرب ويذكر مزاياهم ومحاسنهم وعاداتهم الطيبة, من حماية الجار, والسماحة, والوفاء بالعهد, وغيرها من الشيم الطيبة. والقصيدة من بحر الرجز,[٥٧]

جَارٌ لَّكُمْ عَافٍ وَتَحْتَ ضَمَانِكُمْ ** عَطْفًا عَلَيّ لِكَيْ أَنَالَ بِهِ الْأَمَلْ[٥٨]

الشاهد في البيت: وتحت ضمانكم.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (تحت) ظرفا للمكان, وملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى ضمير المخاطبين, وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

(فوق)

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته الميمية التي قرضها في ألقاب البيان يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم. والقصيدة من بحر الطويل,[٥٩]

وَكُلُّ نَبِيٍّ قَاسِمٌ فِي نَصِيبِهِ ** فَهَذَا أَبُوهُمْ جَادَ فَوْقَ غَمَامِ[٦٠]

الشاهد في البيت: فوق غمام.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (فوق) ظرفا للمكان, وملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى نكرة (غمام) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التخصيص بواسطة الإضافة. ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته الهائية التي يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم. والقصيدة من بحر الطويل,[٦١]

وَحَسْبُكَ فِي قَدْرٍ لَّهُ ذِكْرُ اسْمِهِ ** وَمَا نَالَهُ فَوْقَ السَّمَاءِ بِمَسْرَاهُ[٦٢]

الشاهد في البيت: فوق السماء.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (فوق) ظرفا للمكان, وملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى اسم معرَّف بالألف واللام (السماء) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة. ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته النونية التي يحنّ ويشتاق فيها إلى الوصول إلى سيّد الأنام محمد صلى الله عليه وسلم. والقصيدة من بحر البسيط,[٦٣]

وَلَيْسَ يَبْلُغُهُ مَدْحِي فَأَمْدَحَهُ ** مَنَاقِبٌ فَوْقَ سَعْدٍ أَمْرُهَا زُكِنَا[٦٤]

الشاهد في البيت: فوق سعد.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (فوق) ظرفا للمكان, وملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى علم (سعد) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة.

(وراء)

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته التائية التي يذكر إخوانه الذين ماتوا قبله ولحقوا بالرفيق الأعلى. القصيدة من بحر الهزج,[٦٥]

وَمَطْلَعُ مَا وَرَاءَ الْمَوْ * تِ مَنْ هَوْلِ الْعَظِيمَاتِ**[٦٦]

الشاهد في البيت: وراء الموت.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (وراء) ظرفا للمكان, وملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى اسم معرَّف بالألف واللام (الموت) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة.

(دون)

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في مطلع قصيدته الرائية التي يبيّن فيها إنابته إلى الله وحده وتجرد له للعبادة وانقطاعه إليه وإفاقته من نوم الغفلة. والقصيدة من بحر الطويل,[٦٧]

وَلَمَّا تَنَبَّهْنَا ذَكَرْنَاهُ وَحْدَهُ ** وَلَمْ يَبْقَ أُنسٌ دُونَهُ وَحَضُورُ[٦٨]

الشاهد في البيت: ولم يبق أنس دونه.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (دون) ظرفا للمكان مجازا، وملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى ضمير الغائب, وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة. ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته الميمية التي نظمها في ألقاب البيان يعشق بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وهي من بحر الطويل,[٦٩]

أَيَا مُنشِدًا فِي الشِّعْرِ قُلْ فِي مَدِيحِهِ ** بِإِطْنَابِ قَوْلٍ فِيهِ دُونَ مَلَامِ[٧٠]

الشاهد في البيت: دون ملام.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (دون) ظرفا للمكان مجازا، وملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى نكرة (ملام) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التخصيص بواسطة الإضافة.

(أول)

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته الهائية التي يمدح بها سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم. وهي من بحر الطويل,[٧١]

وَيَا أَوَّلَ النُّبَنَاءِ خَلْقًا وَءَاخِرًا ** لَهُم مَبْعَثًا يَا عَاقِبًا جَلَّ مَعْنَاهُ[٧٢]

الشاهد في البيت: ويا أول النبئاء خلقا.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (أول) حيث أضيف إلى اسم معرَّف بالألف واللام (النبئاء) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة.

ومن نماذجها في هذه القصيدة قوله:

فَإِنَّكَ أَوَّلُ شَافِعٍ وَمُشَفَّعٍ ** وَأَوَّلُ مَن تَنشَقُّ عَنْهُ بِأُخْرَاهُ[٧٣]

الشاهد في البيت: فإنك أول شافع.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (أول) حيث أضيف إلى نكرة (شافع) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التخصيص بواسطة الإضافة. وقوله (أول من تنشقّ عنه), فوجه الاستشهاد فيه مجيء المضاف (أول) مضافا إلى اسم الموصول (من) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة.

(كل)

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته الرائية التي أنشأها في الدعاء والتضرع والتواضع لله تبارك وتعالى. وهي من بحر الطويل,[٧٤]

لِتَكْفِيَنَا مِن كُلِّ سُوءٍ وَفِتْنَةٍ ** وَتَرْزُقَنَا رِزْقًا كَفَافًا مَدَى الْعُمْرِ[٧٥]

الشاهد في البيت: من كل سوء.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (كل) اسما ملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى نكرة (سوء) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التخصيص بواسطة الإضافة. ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته البائية التي هجا أهل غرس وهدّدهم وخوّفهم, وأوعدهم

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

بالخراب والدمار, ووصفهم بأوصاف الفسق والفجور والجبن, واستخفّ بشيوخهم. والقصيدة من بحر الوافر.[٧٦]

عَلِمْتُ وَفِي التَّجَارُبِ كُلُّ عِلْمٍ ** بِأَنَّ إِتِيسَنٍ أَعْلَى رِكَابَا[٧٧]

الشاهد في البيت: كلُّ علم.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (كل) اسما ملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى نكرة (علم) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التخصيص بواسطة الإضافة.

(بعض)

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته الكافية التي يمدح فيها النبيَّ محمد صلى الله عليه وسلم. والقصيدة من بحر الرجز.[٧٨]

فَأَتَى بِدِينٍ قَوْمَهُ فَتَفَرَّقُوا ** فَأَفَادَ بَعْضَهُمُ وَبَعْضٌ كَوَّكَا[٧٩]

الشاهد في البيت: فأفاد بعضهم.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (بعض) اسما ملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى معرفة ضمير الغائبين, وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة. **(غير)**

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته اللامية التي يحضّ فيها المسلمين على الهجرة من بلاد الكفار, ويهدد كذلك الكفار الذين ضيّقوا على المسلمين. والقصيدة من بحر الكامل.[٨٠]

وَإِذَا أُذِيتُ بِبَلْدَةٍ وَدَّعْتُهَا ** فَلَا أُقِيمُ بِغَيْرِ دَارِ حَلَالِ[٨١]

الشاهد في البيت: بغير دار.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (غير) حيث أضيف إلى نكرة (دار) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التخصيص بواسطة الإضافة. ومن نماذجها في هذه القصيدة قوله:

إِنَّ الْإِقَامَةَ فِي مَقَامِ مَذِلَّةٍ ** عَجْزٌ وَلُؤْمٌ غَيْرُ فِعْلِ كَمَالِ[٨٢]

الشاهد في البيت: غير فعلِ كمال.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (غير) اسما ملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى نكرة (فعل) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التخصيص بواسطة الإضافة.

(جميع)

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته الهائية التي يمدح بها النبيَّ محمدا صلى الله عليه وسلم. والقصيدة من بحر الطويل,[٨٣]

إِمَامُ جَمِيعِ الْأَكْرَمِ الْآمِرِ الَّذِي ** هُوَ الْأَمْنُ لِلْوَجِلِ الطَّرِيدِ وَمَأْوَاهُ[٨٤]

الشاهد في البيت: جميع الأكرم.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (جميع) ملازما للإضافة إلى المفرد, مضافا إلى معرف بالألف واللام, وعاملا للمضاف إليه (الأكرم) وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة. ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته الميمية التي يمدح بها محمد البوصيري صاحب البردة. والقصيدة من بحر البسيط,[٨٥]

لَمْ يَخْفَ بَيْنَ جَمِيعِ الْخَلْقِ مَشْهَدُهُ ** فِي الشَّاذَلِيَّةِ إِذْ يُعْنَى بِحُبِّهِمُ[٨٦]

الشاهد في البيت: جميع الخلق.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (جميع) حيث أضيف إلى اسم معرَّف بالألف واللام (الخلق) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة.

(حسب)

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته البائية التي يمدح بها النبيَّ محمدا صلى الله عليه وسلم. والقصيدة من بحر الطويل,[٨٧]

وَحَسْبُكَ فِي قَدْرٍ لَّهُ ذِكْرُ اِسْمِهِ ** وَمَا نَالَهُ فَوْقَ السَّمَاءِ بِمَسْرَاهُ[٨٨]

الشاهد في البيت: وحسبك.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (حسب) حيث أضيف إلى ضمير المخاطب, وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة.

ومن نماذجها في هذه القصيدة قوله:

وَحَسْبُكَ فِي مَدْحٍ لَهُ ذِكْرُوَصْفِهِ ** وَمَا قَالَ فِي تَنزِيلِهِ رَبُّنَا اللهُ[٨٩]

الشاهد في البيت: وحسبك.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (حسب) اسما ملازما للإضافة إلى المفرد, حيث أضيف إلى ضمير المخاطب, وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التعريف بواسطة الإضافة.

(أيّ)

ومن نماذجها في الديوان قول أمير المومنين محمد بلّو في قصيدته اللامية التي يمدح فيها الغزاة والأبطال من أصحابه. والقصيدة من بحر البسيط:[٩٠]

هَانَتْ إِتِيسِنْ وَهَانَتْ كِلْغِرَسْ ذَنَبًا ** وَذُو الِّلوَا أَيَّ تَصْغِيرٍوَتَذْلِيلِ[٩١]

الشاهد في البيت: أيّ تصغير.

وجه الاستشهاد: مجيء المضاف (أيّ) حيث أضيف إلى نكرة (تصغير) وعاملا فيه, وقد اكتسب المضاف التخصيص بواسطة الإضافة.

الخاتمة

الحمد الذي بنعمته تتم الصالحات، لقد ناقشت المقالة مسألة إضافة الأسماء إلى المفرد في ديوان السلطان محمد بلو، ودرست أنواعها وأحكامها، وأخيرا توصلت إلى ما يلي:

- أن هذا النوع من الإضافة متواجد بكثرة في ديوان السلطان محمد بلو رحمه الله تعالى
- أن الشاعر استعمل أسماء تلزم إضافتها إلى المفرد الظاهر والمضمر
- أن في الديوان أسماء متحتمة الإضافة إلى المفرد الظاهر فقط
- وكما أن فيه أسماء أخرى تجب إضافتها إلى المفرد المضمر فقط.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الهوامش:

[١] - محمد الثاني خامس درما. الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية, جامعة بايرو كنو, نيجيريا: إفادة الطالبين مسح عام وتقويم, ٢٠١٠م : ١٤٢.

[٢]- ابن محمد البخاري, الوزير جنيد: متن إفادة الطالبين ببعض قصائد أمير المومنين محمد بلّو. مخطوط بلا تاريخ: ٢١.

[٣]- إفادة الطالبين لأمير المومنين محمد بلّو مسح عام وتقويم: ٨٧.

[٤]- وما هم بني ثأداء: أي: وماهم بعاجزين. يقول ابن منظور: وما أَنا بابن ثَأْداءَ ولا ثَأْداء أَي لستُ بعاجز وقيل أَي لم أَكن بخيلاً لئيماً. الإفريقي المصري, محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب, الطبعة الأولى, دار صادر بيروت: ٣/ ١٠١.

[٥]- متن الإفادة: ٥١.

[٦] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ٨٧.

[٧]- الصهد: الصَّهْدُ شدّة الحَرّ قال أُمية بن أَبي عائذ الهذلي فأَوْرَدَها فَيْحُ نَجْمِ الفُرُو عِ من صَهْدِ الصَّيفِ بَرَدَ الشمال وقال أَبو عبيد الصَّهْد هنا السَّرابُ. لسان العرب: ٣/ ٢٦٠.

[٨]- متن الإفادة: ٥٠.

[٩]- المتلد: القديم, يقول ابن منظور: ومال مُتْلَد وخُلُقٌ مُتْلَد قديم. أَنشد ابن الأَعرابي:

ماذا رُزِينا مِنْكِ أُمَّ مَعْبَدِ * مِنْ سَعَةِ الحِلْم وخُلْقٍ مُتْلَدِ

وفي حديث عبدالله بن مسعود أَنه قال في سورة بني إِسرائيل والكهف ومريم وطه والأَنبياء "هنّ من العتاق الأُوَلِ وهن من تِلادِي" يعني السور, أَي من قديم ما أَخذتُ من القرآن. شبههن بِتلاد المال. لسان العرب: ٣/ ٩٩.

[١٠]- متن الإفادة: ٥١.

[١١] -- إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١١٣.

[١٢]- متن الإفادة: ٦.

[١٣] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ٨١.

[١٤]- متن الإفادة: ٣٠.

[١٥]- إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١١٧.

[١٦]- متن الإفادة:١٥.

[١٧] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١٦٢.

[١٨]- متن الإفادة: ٣٢.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

[١٩] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ٨٧.

[٢٠] - الودا: الودى كفتى: الهلاك, اسم من أودى إذا هلك: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس, المكتبة الشاملة: الإصدار الثاني: ١/ ٨٦٤٣.

[٢١] - متن الإفادة: ٩١.

[٢٢] - الصدا: صدى اشتد عطشه فهو صاد: المعجم الوسيط. تحقيق / مجمع اللغة العربية. المكتبة الشاملة, : ١/ ٥١١.

[٢٣]- إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ٨٧.

[٢٤]- إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١٥٩.

[٢٥]- متن الإفادة: ٤٨.

[٢٦] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١٧٦.

[٢٧]- متن الإفادة : ١٩.

[٢٨] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ٧٠.

[٢٩]- متن الإفادة:٦٦.

[٣٠] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١٠٤.

[٣١] - متن الإفادة: ١٢.

[٣٢]- إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١١٣.

[٣٣]- متن الإفادة: ٥.

[٣٤] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١٠٠.

[٣٥]- متن الإفادة: ٧.

[٣٦] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١٤٢.

[٣٧]- متن الإفادة: ٢٠.

[٣٨] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١٤٢.

[٣٩]- لجب: اللَّجَبُ ارتفاعُ الأَصواتِ واختِلاطُهَا ؛ قال زُهَيْرٌ :

عَزِيزٌ إِذا حلَّ الحَليفَانِ حَوْلَهُ * بِذِي لَجَب لَجّاتُه وصَوَاهِلُهْ

وهاذه المادّةُ ، كَيْفَمَا كانت حُرُوفُهَا ، لَهَا دِلالةٌ على الصِّيَاح والاضطِرَابِ ، وهو مختارُ ابْنِ جِنّي وشَيْخِهِ أَبي عليَ ، ووافقهما الزَّمَخْشَرِيُّ في أَمثاله . كذا قاله أَهلُ الاشتِقاق . تاج العروس: ٤/ ١٩٩.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

[٤٠]- الرز: الصوت أو الصوت الخفي أو الذي تسمعه من بعيد وصوت الرعد وهدير الفحل وقرقرة البطن. المعجم الوسيط: ١٣٤/١.

[٤١]- القسطل: القَسْطَلُ ، والقَسْطالُ ، والقَسْطَلانُ ، بفتحِهِنَّ ، والقُسْطولُ ، كزُنبورٍ ، زاد الأَزْهَرِيُّ : وكَسْطَلُ ، وكَسْطَنُ ، وقَسْطانُ ، وكَسْطانُ ، كلُّ ذلكَ بمَعنى : الغُبارُ السّاطِعُ ، والقَصْطَلُ ، بالصّادِ ، لُغَةٌ فيه. تاج العروس: ٢٥٠/٣٠.

[٤٢]- متن الإفادة: ٢٢.

[٤٣] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١٧٢.

[٤٤]- متن الإفادة :٣٥.

[٤٥] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ٨٤.

[٤٦]- متن الإفادة : ٤١

[٤٧] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١٢١

[٤٨]- متن الإفادة: ٨٣.

[٤٩]- إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١٠٤.

[٥٠]- متن الإفادة: ١١.

[٥١] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١٢٤.

[٥٢] - متن الإفادة: ١٧.

[٥٣] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١١٣.

[٥٤]- متن الإفادة: ٥.

[٥٥] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ٦٧.

[٥٦] - متن الإفادة: ٢٧.

[٥٧] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١٤٨.

[٥٨]- متن الإفادة: ٨٢.

[٥٩] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١٥٢.

[٦٠]- متن الإفادة: ٤٠.

[٦١] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١٦٥.

[٦٢]- متن الإفادة: ٦٤.

[٦٣] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١٥٥.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

[٦٤]- متن الإفادة: ٧٢.

[٦٥]- إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ٨١.

[٦٦]- متن الإفادة: ٣٠.

[٦٧] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١٢١.

[٦٨]- متن الإفادة: ٨٣.

[٦٩]- إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١٥٢.

[٧٠]- متن الإفادة:٣٩.

[٧١] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١٦٥.

[٧٢]- متن الإفادة: ٦٢.

[٧٣]- المرجع السابق والصفحة.

[٧٤] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١٠٠.

[٧٥] - متن الإفادة: ٧.

[٧٦] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ٧٣.

[٧٧]- متن الإفادة: ١٤.

[٧٨] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١٣٨.

[٧٩]- متن الإفادة: ٩٠.

[٨٠] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١٤٨.

[٨١]- متن الإفادة: ٥

[٨٢]- المرجع السابق والصفحة.

[٨٣] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١٦٥.

[٨٤]- متن الإفادة: ٦٢.

[٨٥] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١٤٩.

[٨٦]- متن الإفادة: ٣٧.

[٨٧] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١٦٥.

[٨٨]- متن الإفادة: ٦٤.

[٨٩]- المرجع السابق والصفحة.

[٩٠] - إفادة الطالبين مسح عام وتقويم: ١٤٢.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

[٩١] - متن الإفادة: ٢٠.

المصادروالمراجع

القرىن الكريم

١- أحمد الهاشمي, (السيد): القواعد الأساسية للغة العربية, ط:٢, ١٤٢٠هـ, ٢٨٢-٢٨٣. ٢- إفادة الطالبين مسح عام وتقويم : محمد الثاني خامس درما. الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية, جامعة بايرو كنو, نيجيريا. ٢٠١٠م.

٢- علي بن محمد بن علي الجرجاني: التعريفات, تحقيق: إبراهيم الأبياري, دار الكتاب العربي – بيروت, الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ.

٣ - ابن محمد البخاري, الوزير جنيد: متن إفادة الطالبين ببعض قصائد أمير المومنين محمد بلّو. مخطوط بلا تاريخ.

٤- الصحاح في اللغة للجوهري. موقع الوراق

- http://www.alwarraq.com

٥- الفيروزآبادي: محمد بن يعقوب: القاموس المحيط. المكتبة الشاملة.

٦- الجوهري, إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية, تحقيق أحمد عبد الغفور عطار, دار العلم للملايين ص. ب: ١٠٨٥ بيروت تلكس: ٢٣١٦٦ – لبنان, الطبعة الاولى, القاهرة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م.

٧- الإفريقي المصري, محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب, الطبعة الأولى, دار صادر بيروت.

٨- الاستراباذي, رضي الدين, محمد بن الحسن: شرح الكافية, تحقيق: د.إميل بديع يعقوب, ط: ١, دار الكتب العلمية, ١٩٩٨م.

٩- ابن هشام, عبد الله بن يوسف، جمال الدين: شرح شذور الذهب, ومعه منتهى الطلب بشرح شذور الذهب, دار الفكر, بيروت, ١٤٢٤هـ.

١٠- المعجم الوسيط. تحقيق / مجمع اللغة العربية. المكتبة الشاملة.

١١- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس, المكتبة الشاملة: الإصدار الثاني.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

عوامل وأسباب الاقتراض اللغوي بين اللغة العربية ولغة الهوسا

الدكتور إبراهيم عمر محمد
Flight Lieutenant & Chief imam of Sokoto Airforce Base

المقدمة:

تتناول هذه المقالة ظاهرة الاقتراض من اللغة العربية إلى لغة هوسا, وذلك من حيث التعريف وذكر عوامل وأسباب التي تؤدي إليها، وعرض جوانب الرئيسية التي تستمد منها لغة هوسا في حاجتها إلى الاقتراض عن طريق ضرب النماذج، ثم تبيان دلالاتها وما يحدث باللفظ بعد الاقتراض من تغيير النطق أو المعنى.

اللغة ظاهرة اجتماعية تنمو وتنشأ كما ينشأ غيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى في المجتمعات البشر المختلفة فتخلقها في صورة تلقائية وعفوية طبيعة اجتماع هؤلاء البشر وتنبعث من الحياة الجمعية المنظمة, وغير المنظمة وما تقتضيه هذه الحياة من شؤون، وهي أن اللغة في حقيقتها لا تعدو أن تكون وسيلة من وسائل تنظيم المجتمع الإنساني، تربط بين الأفراد وتربط بين الجماعات، وتربط بين الشعوب. وهذا يعني أن الأمة بصفة عامة تحتاج إلى بعضها البعض، لا تنفرد أمة وتجتمع كل ما تحتاج إليه إلا وتستعير من غيرها الأدوات التي لا تعيش إلا بها، وليس من الواجب أن تترجم كلما استعارته من قوم إلى لغتهم، وقد يستقرضونه مع لفظه في لغته الأصلى فأصبح من الضروري الاقتراض بين اللغات.

الاقتراض ظاهرة لغوية مشتركة لا تكاد تخلو منها لغة ما دام لها متحدثون لهم أدنى اتصال أو احتكاك مع متحدي لغة أخرى، ويدل تالاريخ البحث في اللغات على أنه لا توجد لغة تخلو تماما من الاقتراض.[١]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

مفهوم الاقتراض:

الاقتراض في اللغة مصدر من اقترض يقترض اقتراضا، يقال اقتضت منه، أي أخذت منه قرضا، وأقرضه، أي أعطيت إياه قرضا . والقرض ما تعطيه غيرك من مال أو نوحه على أن يرده إليك بعد حين.[٢] إذن فالاقتراض في اللغة العربية يعني ما تأخذه من غيرك أو تعطيه إياه سواء كان ماديا أو معنويا، ويشترط فيه الرد إذا كان ماديا.

أما في الاصطلاح اللغويين فقد عرفه الكثيرون ممن كتبوا حول عن هذا المجال، منها:

-"العملية التي توجد فيها إحدى اللغات بعض العناصر اللغوية في لغة أخرى.[٣]

- محلولة نسخ صور مماثلة لنمط لغوي لإحدى اللغات تعلم سابقا في لغة أخرى. ويقول فيه سِيرسنْ: فليس الاقتراض اللغوي في الواقع إلا تقليدا لا يختلف عن تقليد الأطفال لحديث آبائهم إلا أنه تقليد للبعض لا لكل.[٤]

- عملية التي تمتص بها لغة ما ألفاظا وتعبيرات، وربما أصواتا وأشكالا من لغة أخرى، وتكيفها في استخدمها مع أو بدون تكيف صوت ودلالي.[٥]

إن الاقتراض في اصطلاح اللغويين يختلف تماما عن معناه العام، لأن الاقتراض عند اللغويين لا يلزم المقترض أن يرد إليه ما اقترضه منه، بل لا يحتاج إلى المقترض، وقد يكون بدون معرفته.

ويفهم من تعريف pei Mario أن الاقتراض شائع في الألفاظ والتعابير مع احتمال حدوثه في الأصوات والأشكال القواعدية، وهذا يؤكد ما يشير إليه إبراهيم أنيس إلى أن لظاهرة الاقتراض نواح متعددة، وآثار متشبعة، إذ أن عناصر اللغة بصورة عامة تختلف في سرعة قبولها للتطور، فبعض هذه العناصر محل جدل وخلاف، والبعض الآخر موضع دراسة واختلاف في المذاهب.[٦]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الاقتراض عند القدامى والمحدثون:

إذا نظرنا إلى ما ألفه اللغويون القدامى نرى أنهم اختلفوا في وجود الفاظ الدخيل في لغة معينة، والشاهد على ذلك ما ذهب إليه بعضهم بأن كلمة القرطاس والسندس والدرهم والاستبرق والرقيم وأمثالها ليست كلمات عربية، بل إنما هي مأخوذة من الفارسية والسريانية والعبرانية وغيرها، ومنهم من يخالف ذلك على أنها ماهي إلا التوافق بين اللغتين، وقد ألف ابن حسنون كتابا وسماه "اللغات في القرءان" وأنكر فيه وجود الدخيل أو الأفاظ المقترضة في القرءان الكريم واستدل بتفسير ابن عباس عند قوله تعالى: "بلسان عربي مبين" الشعراء: ١٩٥. قال: بلسان قريش، ولو كان غير عربي ما فهموه، وفي ذلك قال تعالى: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم" (إبراهيم: ٤) وليس من الألسنة ما أوسع من لسان العرب, والقرءان الكريم ليس فيه إلا لغة العرب، وربما وافقت اللغة اللغات،[٧]وقد رتّب فيه بعض الألفاظ من سورة البقرة إلى سورة الناس وأتى بدلالاتها على حسب مختلف اللهجات العربية وقبائلها.[٨]

أما المحدثون فكان لهم الاختلافات في ذلك أيضا، وتقول الباحثة فريعة هَبو طَنْ يايا: "لقد سلك اللغويون في تصنيف المواد المعجمية لكل لغة إلى كلمات أصلية وأخرى دخيلة، واصطلح المحدثون على تسمية هذا الأخير بألفاظ المقترضة، إلا أن هذا المصطلح لم يفز بالقبول من جميع علماء اللغة، لذا وُجد من اعترض على اطلاق تسمية المقترض بالدخيل"[٩]

وإذا كان المر كذلك فهذا يعني أن المحدثين ما اتفقوا على تسمية الدخيل أو الألفاظ المستعارة بالاقتراض اللغوي، وعلى ذلك يقول هوجن: haujen فالمجاز المتضمن في كلمة الاقتراض مجازا بالتأكيد طالما أن الاقتراض يتم من غير موافقة المقترض (اللغة المعطية) وليس هنالك إلزام للمقرض (اللغة الآخذة) برد ما اقتُرض، فالعملية يمكن أن يطلق عليها بـ"التبني" وعلق سيرسن أيضا على هذا المصطلح بقوله إني أستعمل اصطلاحين: ألفاظ المقترضة وألفاظ المستعارة، لأن تعارف الناس عليها يجعلها أنسب لا لأنهما صحيحان[١٠]

اعتمادا على وجود نماذج كثيرة في قضية الاقتراض بعد الاستقراء والتتبع وتحليل طرق وصولها أنتج إلى أن الاقتراض يكون مباشرة من حيث اللفظ والمعنى، ومثال ذلك ما اقترضته اللغة

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

العربية من الانجلزية، نحو: جَاكيت، بَنْك، ميكروفون، ميكانك، ونحوها. وقد يكون غير مباشر وذلك بنتيجة عدم نطق الصحيح أو إلقائه على دلالة أخرى، نحو: بُهاري في بخاري، وأَلّو في اللوح، وسَلَّه في صلاة.

عوامل وأسباب اقتراض اللغوي بين لغة الهوسا والعربية

في الحقيقة أن لغة الهوسا اقترضت ألفاظ العربية قد لا تؤد ولا تحصى، وذلك لأن علاقتهما قوية ومتينة، وأدى ذلك إلى عوامل كثيرة، منها:

أولا- العامل الديني، إذ أن اللغة لا تأخذ من مفرادات أي لأغة إلا إذا كان هناك إتصال بينهما، فكانت الواسطة بين اللغة العربية والهوسا هي الدين الإسلامي، وله دور حضاري وثقافي واجتماعي وبفضله تعرف قبائل الهوسا على العالم الخارجي، وكما أن للغة العربية دور مميز في إيصال الدين الإسلامي والمعارف الجديدة إلى بالد الهوسا، لأنه تدخل أينما يدخل الإسلام، ولأنها هي وعاء الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية[١]فالمسلمون لا بد أن يتعلمو على الأقل ما يكفيهم لأداء الشعائر الدينية والفروض العينية من صلاة وصيام وزكاة وغيرها، ولأن الهوساويين أخذوا دين الإسلام من العرب فأخذوا معه مصطلاته واستعملوها حتى صارت جزء لا يتجزء من لغتهم الأصلية.

ثانيا-العامل التجاري، لا ينفصل الدين الإسلام عن التجارة من حيث الدخول إلى بلاد الهوسا، ولا يسبق أحدهما الآخر، لأن قافلة الداعية الذين أتوا بلإسلام هم التجار أنفسهم، وقد ساهم هذا على وجود مصطلات التجارية وآلات الحربية والمستعلة في البيت في لغة الهوسا، ومثال ذلك: تنورTanderu، شايshayi، أمانةAmana، مد mudu، حسابLissafi، البارودAlburushi، الحربHarbi ، البندقية bundiga، وهكذا.

ثالثا- العامل الإداري، من المعروف أن دين الإسلام لا يتماشى إلا مع الرئاسة، ولكل شيء هاد، في العبادة والمعاملة، وفي الأمن والغزو، وفي القعود والسفر. وقبائل هوسا بايعوا عن الإسلام بأكمله واستعملوه كقانونا لهم، واتبعوا شريعته ونظام مناصب الحكومية، وقد أدى ذلك إلى وجود

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

المصطلحات الإدارية كثيرة في لغتهم، ومن أمثلة ذلك: الوزيرWaziri، القاضيAlkali، المفتيMuhuti، الحكمHukunci، شورىshawara، الحاكمHakimi ، قُضيkuliya، وهكذا.

ومن الأسباب ما يلي:

أولا- الحاجة إذ أن الدافع الرئيس للاقتراض هو الحاجة إلى إيجاد ألفاظ موضوعات جديدة ومفاهيم جديدة وأسماء جديدة، فمن السهولة بمكان أن تقترض لغة ما مصطلحا موجودا في لغة أخرى من أن تبتدع مصطلحا جديدا[٢]ومثال ذلك أسماء الأطعمة والملابس التى جاءت بها تجار العرب إلى بلاد هوسا، فبدلا من أن تنادى بأسماء جديدة فسموها بألفاظها العربية، نحو: خبز Alkubus، الحرير Alharini، الحُلة Hula، القمح Alkama، القرنفلKananfari وهكذا.

ثانيا- المكانة prestig ، إذ قد يشعر المتحدثون للغة ما بالحاجة إلى الاقتراض ليس بسبب أن لغتهم لا تمتلك كلمة المناسبة للموضوع المعين، ولكن بسبب أنهم يعتقدون أن الكلمة المساوية في اللغة الواهبة أفضل وأعظم مكانة إلى حد ما[٣]وذلك مثل ما اقترضته لغة الهوسا في اللغة العربية من المصطلحات الدينية، نحو: القرءان Kur'ani، الصدقةSadaka، الزكاةZakka، الجنة Aljanna، القبرkabari، ونحوها.

ثالثا- النزعة إلى التفوق والامتياز، ومعنى هذا أنه قبل الإقدام على مثل هذا النوع من الاقتراض هو أن تشعر اللغة الآخذة بأن اللغة المأخوذة محسوبة في عداد الأمم التي ينظر إليها بأنها جديرة بالتقليد في كل المجالات بوجه عام أو في مجال معين على أقل تقدير[٤]وهو أقرب إلى السبب المذكور أعلاه. ومثال ذلك في كلمة شَاي Tea يسمى Ruwan bunu في لغة الهوسا إن صح التعبير، لكن جزبتهم النزعة إلى التفوق فسمونه باسمه العربي، ومثال آخر القثيفةkatifa ، الجبة Jabba، ونحوها.

وقد أدى هذا إلى التكلف في استعمال الكلمات الأجنبية في لغة هوسا، حيث ترى المثقف باللغة العربية أو الانجلزية يتكلم بلغتين مختلطين في آن واحد حتى لا تكاد تميز بأيهما يتكلم.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

رابعا- ما يسمى بالكلمات المدروسة، وهي الكلمات التي توجد في العلوم وأنظمة الأبحاث وكتب العلمية غالبا، ومثال ذلك مثل علم النوحNahawu ، الصرفSarfu، البلاغةBalaga، القافيةkafiya، ونحوها.

خامسا- الإعجاب باللفظ الأجنبي، وهو سبب مباشر من أسباب من الاقتراض، وذلك مثل أسماء الأشخاص حيث يسمون الهوساويون أبنائهم بأسماء العرب وإن كان هذا عامل ديني، ولكن لا عيب في ضرب المثل به.

ومجمل القول أن هناك أسبابا عديدة تساعد في عملية الاقتراض من اللغة العربية إلى لغة الهوسارتتداخل في كثير من الأحيان وتختلف في سعة انتشارها.

دلالات الألفاظ العربية المقترضة في لغة الهوسا:

نفهم أن لغة هوسا استعارت من اللغة العربية ألفاظا كثيرة، وقد بذل الباحث المشهور G.P Bargery جهدا كبيرا في البحث عن اكتشاف الألفاظ العربية المقترضة في لغة الهوسا، وجمع عددا كبيرا من الألفاظ، ويظهر هذا في مؤلفه القيم: A Hausa-English dictionary and English Hausa Vocabulary وجعل فيه رمز ar أمام ألفاظ العربية المقترضة في معجمه هذا.[١٥] ومن تلك الألفاظ ما اقترضته لغة الهوسا مباشرة بدون تحريف النطق أو الدلالة، ومنها ما استعارته غير مباشرة، قد تحذف فيه صوتا أو تبدله عن مخرجه الصحيح، أو تتغير دلالته الأصلية.

مثال ألفاظ المقترضة مباشرة بدون تبديل النطق: جامعة Jami'a،الجدالJidali، القلم Alkalami، نحوNahawu، الوعدWa'adi، والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها أسماء الأشخاص والأماكن، كبير صغير محمد، ونحوها.

مثال ألفاظ المقترضة مع تغيير النطق:وهي أكثرها فمنها: البصلAlbasa، الوقتLokaci، اللوحAllo، الصلاة Salla . ومما يعيننا على فهمها فهو أن لغة الهوسا لا تُنطق فيها الحروف الآتية: ح-خ-ث-ص ض-ظ-ذ-ع، فإذا كان لفظ العربي يحمل أحد هذه الحروف، ففي لغة

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الهوسا يُبدل بـ: الحاء بالهاء، والحاء بالهاء، والثاء بالسين، والصاد بالسين، والضاد بالدال أو اللام، والظاد بالزين، والذال بالزين، والعين بالألف.

مثال ألفاظ المقترضة مع تغيير دلالتها: ليس كل لفظ استعارته لغة الهوسا من العربية يأتي بدلالته، يستبدلون بعضها عن معانه الأصلي، ومثال ذلك: "اللقن"Lakani، واللقن في اللغة العربية من لقِن يلقَن لقنًا وهو استماع إلى الكلام أو الدرس أو المعنى وتعلم كيفية نطقه، يقال لقن الكلام، إذا أخذه وفهمه سريعا. أما في لغة الهوسا تغيرت هذه الدلالة، Lakani معناه الدواء لاسيما من الأدعية والأوراد وغيرها من الدواء التقليدي.

ومنها لفظ "قالوا بلي" Kalubale، فهذا اللفظ في اللغة العربية مركب من كلمتين، قالوا - بلي، ومعنى هذا اللفظ لا علاقة له بمعناه في لغة الهوسا إذ تعني به مشاكل أو مشكلات.

ومنها "الطب" Tsibbu في اللغة العربية هو معرفة حال المريض وكيفية علاجه، أما في لغة الهوسا فاختصت دلالة هذا اللفظ بمعنى السحر لا غير، وإن كانت من معانيها في العربية تعني ذلك أيضا.

ومنها "ولكن"Walaki وفي اللغة العربية حرف استدراك، كأن تقول: وقف الحاضرون لكن الإمام لم يقف، أما في لغة الهوسا تتغير المعنى إلى الشك مع الميل إلى الظن.

ومنها كلمة "السبب" Sababi في اللغة العربية لها معان كثيرة، منها القرابة والمودة، وتعني كل شيء يتوصل به إلى غيره، وفي محكم التنزيل" ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ" الكهف: ٨٤ والسبب هنا هو كل ما لا يتحقق الأمر إلا به. أما في لغة الهوسا فتختلف المعنى إلى الخصومة والزجر والقتال.

الخاتمة:

لقد اتضح خلال هذا البحث الوجيز مفهوم اللغوي للاقتراض ومفهومه عند علماء اللغة القدامى والمحدثين، واتضح أيضا أن ظاهرة الاقتراض بين اللغات ظاهرة عامة وشائعة الحدوث

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

بصفة عامة، وبين اللغة العربية ولغة الهوسا خاصة، وأن مستويات اللغة تختلف عند عملية الاقتراض، الأصوات والترتيب والدلالة، كما اتضح أيضا أن هناك أسبابا متعددة للاقتراض اللغوي يمكن حصرها في الحاجة إلى الموضوعات ومفاهيم جديدة، ثم المكانة المتميزة للغة المفترضة، بلإضافة إلى النزعة إلى التفوق، ثم ما يسمى بالكلمات المدروسة والإعجاب اللفظي. واتضح أيضا خلال البحث العوامل التي أدت إلى الاقتراض اللغوي بين العربية والهوسا منها العامل الديني، والعامل التجاري، والعامل الإداري. وفيما يخص الدلالة فإنه تناول الألفاظ العربية المقترضة في لغة الهوسا ودلالاتها، فمنها ما استعارته مباشرة من دون تحريف النطق أو الدلالة، ومنها ما تغير نطقه ولم تتغير دلالته، ومنها ما تغيرت دلالته.

الهوامش:

[١] - Langacker, R.W 1973 language and its structure: some fundamental linguistic concepts, new York, Harcourt brace and world INC. p 180

[٢] - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، دار إحياء تراث العربي، لبنان، ص: ٧٣٢

[٣] -Haujen E. The analysis of linguistics Browing journal of linguistic society of America, No: 26 1950, p19

[٤]-Haujen E. المرجع السابق ص:١٩

[٥]Pei Mario. Glossary of Linguistics terminology, 1966 New York, anckor books, p31

[٦] - إبراهيم أنيس من أسرار اللغة ١٩٧٢ مكتبة الأنجلوا المصرية، ص:١٠٩

[٧] - ابن حسنون اللغات في القرءان، د.ت http://wwwalwarraq.comغير مطبوع

[٨] - وهذه القبائل هي: قريش وهذيل وكنانة والأوس والخزرج وخثعم وقيس وسعد وجرهم واليمن وكندة وتميم وحضرموت وحمير وسدوس والحجاز وغسان وبني حنيفة وتغلب وطيء ومزينة وثقيف وجزام، وغيرها.

[٩] - فريعة هبو طن يايا, قانون التبدل الصوتي في الكلمات الهوسوية المقترضة من العربية ٢٠١٠, بحث قدم إلى جامعة بايرو لنيل شهادة الماجستثير في اللغة العربية، ص: ٣٢

[١٠]Haujen E. The analysis of linguistics Browing journal of linguistic society of America, No: 26 1950, p19

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

[١١] - فريعة هبو طن يايا, قانون التبدل الصوتي في الكلمات الهوسوية المقترضة من العربية، المرجع السابق ص:٣٩

[١٢]- Langacker, R.W 1973 language and its structure: some fundamental linguistic concepts, new York, Harcourt brace and world INC. p 181

[١٣]Rodford Andrew, 1999 op Cit, p255

[١٤] - إستسفين أولمان، دور الكلمة في اللغة ، ترجمة: كمال محمد بشير، ١٩٨٧، القاهرة- مكتبة الشباب ص: ١٦٢

[١٥] - ظهرت أول طبعة لهذا المعجم في ١٩٣٤، ثم أعيدت في ١٩٥١، وظهرت الطبعة الثالثة في ١٩٩٤، وتم نشرها في جامعة أحمد بللو زاريا.

قائمة المراجع:

١. مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط** ، دار إحياء تراث العربي، لبنان،
٢. إبراهيم أنيس **من أسرار اللغة**١٩٧٢، مكتبة الأنجلوا المصرية،
٣. ابن حسنون اللغات في القرءان، د.ت http://wwwalwarraq.comغير مطبوع
٤. فريعة هبو طن يايا, **قانون التبدل الصوتي في الكلمات الهوسوية المقترضة من العربية** ٢٠١٠, بحث قدم إلى جامعة بايرو لنيل شهادة الماجستثير في اللغة العربية، ص: ٣

المراجع غير العربية:

1. Langacker, R.W 1973 language and its structure: some fundamental linguistic concepts, new York, Harcourt brace and world INC. p 180
2. Haujen E. The analysis of linguistics Browing journal of linguistic society of America, No: 26 1950, p19
3. Pei Mario. Glossary of Linguistics terminology, 1966 New York, anckor books, p31
4. Langacker, R.W 1973 language and its structure: some fundamental linguistic concepts, new York, Harcourt brace and world INC. p 181
5. Rodford Andrew, 1999 op Cit,

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الصّفة المشبّهة: دراسة صرفية نحوية نموذجية

إعداد:
إبراهيم شعبان ود. أحمد عارفين بن صفر ود. مت طيب بن فا
قسم اللغة العربية ولغات الشرق الأوسط، كلية اللغات واللسانيات
جامعة مالايا، كوالا لومبور ٥٠٦٠٣، ماليزيا.

ملخص

فهذه المقالة تتضمّن دراسة " الصّفة المشبّهة " من الجوانب الصرفيّة والنّحويّة، وستتناول صيغ الضفة المشبهة وأوزانها المشهورة وغير المشهورة، وكذلك الأوزان القياسيّة والسّماعيّة مع مسح على اختلاف اللغويين في ذلك، واشتملت الدراسة - أيضًا – على شروط إعمال الصفة المشبّهة مع ذكر اختلاف البصريين والكوفيين؛ وكل ذلك في طريقة ميسّرة مبسّطة تقرّب المعنى وتسهل الوصول إلى إدراك هذه الأحكام النحويّة والصرفيّة لدى طلاب العربيّة خاصة وللناطقين بغيرها عامة.

الكلمات المفتاحية: الصّفة المشبّهة، دراسة، صرفيّة، ونحويّة.

مقدمة:

علم النّحو والصّرف علمان قديمان كتبَ فيهما كثير من الباحثين قديما وحديثا، وقد كانا قديما عِلْمَيْن مندمجين في محور واحد حيث إنّ الكتب القديمة لا تفرّق بين الدّراسات النّحوية والصّرفية بل تعتبرهما علما واحدا، وقد أسّس علي بن أبي طالب رضي الله عنه لعلم النّحو وأشار إلى أبي الأسود الدّؤلي إلى أقسام الكلام العربي ثلاثة أقسام:

١- اسم، ٢- وفعل، ٣- وحرف، وغيرها من جذور النّحو العربي، وقد أخذ علماء الصّرف معاني التّصريف من مشكاة القرآن الكريم كقوله تعالى: "وتصريف الرّياح" {البقرة:١٦٤} أي: تقليبها

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وتغييرها، ثم انفرد علم الصّرف كعلم مستقلّ قائم بذاته، وكتب فيه العلماء وألّفوا ودقّقوا وتبحّروا وصنّفوا، فالصّفة المشبّهة إحدى تلك الموضوعات القيّمة الّتي عني بها الباحثون الصّرفيّون والنّحويّون وخاصّة في دراسة المشتقّات العاملة، فهذه الدّراسة جامعة لما تبعثر نحوًا وصرفًا عن الصّفة المشبّهة من حيث التّعريف واتّجاهات العلماء في تنوّع التّعريفات وإدلاء كلٍّ بسهمه ودلوه مبيّنا دلالات الصّفة المشبّهة على الحاضر الدّائم دون الماضي المنقطع أوالمستقبل، وقد شملت كذلك ذكر علاقتها باسم الفاعل ورأي سيبويه في ذلك وذكر أوجه الإختلاف بينهما أيضا عند العلماء، ثم الوقوف على أقسامها من حيث التّشبيه عمومًا وخصوصًا واختلافًا وسبب تسميتها بالصّفة المشبّهة، والحديث عن صياغتها من الفعل اللازم دون المتعدّي وبيان أوزانها الغالبة بل وعدم قياسيّة هذه الأوزان عند الرّضي إلاّ ما جاء من الألوان والعيوب الظّاهرة، وأنّ الصّفة المشبّهة أدخل المشتقّات في باب اللّبس كما ذكر ذلك الدكتور تمام حسّان، وعملها لمشابهة اسم الفاعل وما صرّح به ابن عصفور في عملها معرفة كانت أو نكرة أو كون معمولها معرّفًا بالألف واللام أو مضافًا إلى فيه الألف واللام أو مضافًا إلى الضّمير، وكذلك يشترط لعملها ما اشترط لعمل اسم الفاعل وتكتمل الدّراسة ببيان أوجه أربعة إعرابيّة لمعمولها؛ رفعًا ونصبًا على وجهين ثم جرّه على الإضافة.

المطلب الأوّل: تعريف الصّفة المشبّهة:

لم يذكر اللّغويّون الأوائل كسيبويه والمبرد وغيرهما تعريفا للصّفة المشبّهة، فسيبويه ذكرها ذكرا وسمّاها الصّفة المشبّهة باسم الفاعل فيما عملت فيه، وتحدّث عن إعمالها.[١] ويعتقد أنّ أوّل من عرّفها تعريفًا كاملاً هو ابن الحاجب حيث قال: "الصّفة المشبّهة ما اشتقّ من فعل لازم لمن قام به على معنى الثّبوت".[٢] وقال ابن مالك في الألفيّة:

"صِفَةٌ اسْتُحْسِنَ جَرُّ فَاعِلِ # مَعْنًى بِهَا الْمُشْبِهَةُ اسْمَ فَاعِلِ".[٣]

وهي-أيضًا- اسمٌ مشتقٌّ يدلّ على الثّبوت، والدّوام، ويتميّز عن غيرها من المشتقّات باستحسان إضافتها إلى فاعلها في المعنى، نحو:حسن الوجه، وطاهر القلب، وهذا لايجوز في غيرها من المشتقّات؛ فلا تقول: زيدٌ ضاربُ الأبِ عمْرًا، والمقصود: ضاربُ أبوه عمرًا".[٤] وقال صاحب

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

المفصّل:"هي الّتي ليست من الصّفات الجارية، وإنّما هي مشبّهة بها في أنّها تُذكّر وتُؤنّث وتُجْمع، نحو: كريم وحسن وصعب"،[٥] وعلّق شارحه: الصّفة المشبّهة باسم الفاعل ضربٌ من الصّفات تجري على الموصوفين في إعرابها جري أسماء الفاعلين، وليست مثلها في جريانها على أفعالها في الحركات والسّكنات، وعدد الحروف، وإنّما لها شبه بها، وذلك من قِبَل أنّها تذكّر وتؤنّث وتدخلها الألف واللاّم، وتثنّى وتجمع بالواو والنّون".[٦]

وقال الأزهري:"هي الصّفة المصوغة لغير تفضيل لإفادة نسبة الحدث إلى موصوفها، دون إفادة الحدوث، وخاصّة أنّها استحسن فيها أن تضاف لما هو فاعل بها في المعنى، سواء كانت وصفًا لازمًا لا يمكن انفكاكه كطويل الأنف وعريض الحواجب، أم يمكن انفكاكه كحسن الوجه ونقيّ الثّغر وطاهر العرض فإنّ الحسن والنّقاية والطّهارة ممّا يوجد ويفقد.[٧]

وقد أسهب الغلاييني في توضيح المقصود بالصّفة المشبّهة حيث قال:" هي صفةٌ تُؤخَذ من الفعل اللاّزم للدّلالة على معنًى قائمٍ بالموصوف بها على وجه الثّبوت لا على وجه الحدوث: كحَسَن وكريم وصعْب وأَسْود وأَكْحل، ولا زمانَ لها لأنّها تدلُّ على صفاتٍ ثابتةٍ. و الّذي يطلب الزّمان إنّما هو الصِّفات العارضة، وإنّما كانت مشبّهة باسم الفاعل لأنّها تُثنّى وتُجْمَع وتُذَكَّر وتُؤَنَّث، ولأنّها يجوز أن تنصب المعرفة بعدها على الشّبه بالمفعول به، فهي من هذه الجهة مشبهةٌ باسمِ الفاعل المتعدّي إلى واحدٍ".[٨]

فالصّفة المشبّهة لا اعتبار فيها-إذن- للزّمان ولا للحدوث؛ لأنّها تدلّ على الدّوام والثّبوت، أمّا المشتقّات الأخرى كاسم الفاعل مثلا فيمكن أن تكون للماضي أو الحاضر أو المستقبل. فيتبيّن من هذه التّعريفات أنّ الصّفة المشبّهة: هي اسم مشتقٌّ من الفعل اللاّزم للدّلالة على الحدث وعلى من اتّصف به دلالة تفيد الثّبوت لا التّجدّد والطّروء.

المطلب الثاني: علاقتها باسم الفاعل:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ذكر سيبويه أنّ الصفة المشبهة شابهت اسم الفاعل في العمل النّحوي حيث أنّ كلاّ منهما يعمل عمل فعله، فيرفع فاعلا وينصب معمولا، يقول سيبويه في ذلك:" هذا باب الصّفة المشبّهة باسم الفاعل فيما عملت فيه، ولم تقوَ أن تعمل عمل الفاعل؛ لأنّها ليست في معنى الفعل المضارع، فإنّما شبّهت بالفاعل فيما عملت فيه".[٩]

ولكنّ أكثر اللّغويّين يرون أنّ بين الصّفة المشبّهة واسم الفاعل أوجه تشابه كثيرة غير العمل النّحوي، يقول عبّاس حسن:" إنّ الصّفة المشبّهة تشبه اسم الفاعل في أمور، ومن أجل هذه الأمور مجتمعة سمّيتْ "الصّفة المشبّهة باسم الفاعل المتعدّي لواحد" أهمّ هذه الأمور:

١= الإشتقاق.

٢= الدّلالة على المعنى وصاحبه.

٣= عملها النّصب في (الشّبيه بالمفعول به).

٤= قبول التّثنية والجمع والتّذكير والتّأنيث".[١٠]

ويجمع مُعْظم اللّغويّين المحدثين على أوجه الإتّفاق هذه بين اسم الفاعل والصّفة المشبّهة به.[١١] ومع كل هذا التّشابه بين اسم الفاعل والصّفة المشبّهة فقد ذكر العلماء-أيضا- أمورا يختلفان فيها عن بعضهما البعض، ومن هذه الأمور ما ذكره ابن هشام:

١= أنّها تصاغ من اللاّزم دون المتعدّي كحسن وجميل وهو يصاغ منهما كقائم وضارب.

٢= أنّها للزّمن الحاضر الدّائم دون الماضي المنقطع ولا المستقبل وهو يكون لأحد الأزمنة الثّلاثة.

٣= أنّها تكون مجارية للمضارع في تحرّكه وسكونه كطاهر القلب وضامر البطن ومستقيم الرّأي ومعتدل القامة، وهي غير جارية له وهو الغالب في المبنيّة من الثّلاثي كحسن وجميل وضخم وملآن ولا يكون اسم الفاعل إلاّ مجاريا له.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٤= أنّ منصوبها لايتقدّم عليها بخلاف منصوبه ومن ثمّ صح النّصب نحو: زيد أنا ضاربه وامتنع نحو: زيد أبوه حسن وجهه.

٥= أنّه يلزم كون معمولها سببيّا أي متّصلا بضمير موصوفها إمّا لفظًا نحو: زيدٌ حسنٌ وجْهُه، وإمّا معنى نحو: زيدٌ حسنُ الوجه.[١٢]

ووافق ابن هشام في هذا جلَّ اللّغويّين المعاصرين،[١٣] وأضاف بعضهم أوجه اختلاف أخرى،[١٤] مثل:

١= تعدّدتْ صيغ الصّفة المشّبهة القياسيّة وكثرت أوزانها المسموعة، بخلاف اسم الفاعل الّذي له صيغة قياسيّة واحدة من الثّلاثيّ وهي صيغة (فاعل)، وأخرى من غير الثلاثي على وزن مضارعه مع إبدال أوّله ميمًا مضمومة وكسر ما قبل آخره.
٢= تدلّ الصّفة المشبّهة على الثّبوت، بينما يدلّ اسم الفاعل على الحدوث.
٣=يستحسن إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها، ولا يجوز ذلك في اسم الفاعل.
٤= لايجوز الفصل بينها وبين معمولها، أمّا اسم الفاعل فيجوز ذلك.
٤= لا تتعرّف الصّفة المشبّهة بالإضافة، أمّا اسم الفاعل فيتعرّف بالإضافة إذا كان بمعنى الماضي أو أريد به الإستمرار؛ وذلك لأنّ الصّفة تدلّ على الحاضر، أمّا اسم الفاعل فيكون للماضي والحاضر والمستقبل.
٥= تأنيث الصّفة المشبّهة يكون بتاء التأنيث، نحو: طيّبة، أوبألف التّأنيث،نحو: بيضاء، واسم الفاعل لا يؤنث إلاّبتاء التّأنيث، ولا تدخله ألف التّأنيث.

المطلب الثّالث: أقسام الصّفة المشبّهة:

فالصّفة المشبّهة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: قسمٌ اتّفق النّحويّون على أنّه يشبه عمومًا.

الثاني: قسمٌ اتّفق النّحويّون على أنّه يشبه خصوصًا.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الثالث: قسمٌ فيه خلافٌ.

فالقسم الأول: الّذي يشبه باسم الفاعل عموما؛ هي: كل صفة لفظها ومعناها صالح للمذكّر والمؤنّث، والمراد بالعموم أن تجري صفة المؤنّث على المؤنّث، والمذكّر على المذكّر، والمذكّر على المؤنّث، والمؤنّث على المذكّر، مثال ذلك " مررْتُ برجلٍ حسَنِ الوجْهِ."

والقسم الثّاني: الّذي يشبه باسم الفاعل خصوصًا هي كلّ صفة لفظها ومعناها خاصٌّ بالمذكّر أو بالمؤنّث، والمراد بالخصوص أن تجري صفة المذكّر على المذكّر، والمؤنّث على المؤنّث.مثال ذلك:"عذراء" في المؤنّث و" ملتح"في المذكّر،تقول:" مررْتُ برجلٍ مُلْتَحِ الإبْن" و" بامْرأةٍ عذراء البنت". ولايجوز أن تقول:" مررْتُ برجلٍ أعذر البنت"، ولا " بامرأة ملتحية الإبن" لئلاّ تحدث لفظا ليس من كلام العرب.

والقسم الثّالث: الّذي فيه خلاف كل صفة لفظها صالح للمذكّر والمؤنّث ومعناها خاصٌّ بأحدهما، مثال ذلك: "حائض" في المؤنّث و " خصّي" في المذكّر، فتقول: " مررْتُ برجل خصّيّ الإبن وبامرأة حائض البنت."[١٥]

المطلب الرّابع: صياغة الصّفة المشبّهة:

تصاغ الصّفة المشبّهة من الفعل اللاّزم دون المتعدّي، و وزنها ثابت يدلُّ على الحاضر الدَّائم دون الماضي المنقطع والمستقبل، وهو يكون لأحد الأزمنة الثّلاثة، وقد تكون مجارية للمضارع في تحرّكه وسكونه كطاهر القلب" و" معتدل القامة" ولا يكون اسم الفاعل إلاّ مجاريًا له.[١٦]وسمّيتْ مشبّهة لأنّها تقوم مقام اسم الفاعل في المعنى، وتُذكَّر وتُؤنَّث وتُثنَّى وتُجْمَع.[١٧] وأوزانها الغالبة فيها اثنا عشر وزناً.[١٨]

ومن أشهر أوزانها / صيغها: **فَعِل، وفَعْلان، وأَفْعَل، وفَعِيل، وفَعَل، وفَعَّل، وفَعَال، وفُعَال، وفُعُل، وفِعْل، وفَيْعِل، وفُعْل، وفُعُول، وفَاعِلٌ.**[١٩]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وفي الحديث عن أوزان الصّفة المشبّهة لابدّ من الإشارة إلى أمرين هامّين يلفتان النّظر:

أولهما: اختلاف العلماء في صيغ الصّفة المشبّهة، أهي قياسيّة أم سماعيّة، واختلافهم -أيضا- في مسألة أصالتها.

الثّاني: كثرة الأوزان المستخدمة للدّلالة على الصفة المشبهة، وبعض هذه الأوزان يتفق مع أوزان مشتقّات أخرى وهذا الأمر يمكن أن يؤدّي إلى لبس في الدّلالة.

أمّا الأمر الأوّل وهو اختلاف العلماء في قياسيّة الصّفة المشبّهة وسماعيّتها، فإنّ النّاظر في كتب النّحو القديمة لايجد رأيا للعلماء القدامى في هذا الموضوع، حيث إنّ سيبويه لم يذكر في كتابه سوى بعض أبنيّة الصّفة المشبّهة دون ذكرٍ لكيفيّة اشتقاقها، وهذه الأوزان هي: أفْعَل، وفَعْلاء، وفَعَل، وفَعْل، وفَعِيل، وفَيْعِل، واسم الفاعل مضافاً ثلاثيًا أو غير ثلاثي.[٢٠]

وكذلك فعل من تلاه من العلماء، وقد ذكر ابن مالك بعض أبنية الصّفة المشبّهة من خلال حديثه عن اسم الفاعل، فقال:

" كَفَـاعِلٍ صُغِ اسْـمَ فَاعِـلٍ إِذَا *** مِـنْ ذِي ثَـلاَثَةٍ يَكُـونُ، كَـغَدَا
وَهْـوَ قَلِيلٍ فِي فَـعُلْتَ وَ فَـعِلْ *** غَـرَ مُعَـدّى، بَلْ قِيَـاسُهُ فَـعِلْ
وأَفْـعَلٌ، فَعْـلاَنَ، نَحْـوَ أَشِرِ *** وَنَحْـوَ صَـدْيَـانَ، وَنَحْـوَ الأَجْهَرِ
وفَعْـلٌ أَوْلَى، وَفَعِيلٌ بِفَـعُلْ *** كَـالضَّـخْمِ وَالْجَـمِيلِ، وَالْفِعْلُ جَمُلْ
وَأَفْعُـلٌ فِيـهِ قَلِيـلٌ وَ فَعَـلْ *** وَبِسِـوَى الْفَـاعِلِ قَدْ يُغْنِي فَعَـلْ".[٢١]

وفي رأي ابن مالك أنّ هذه الأوزان قياسيّة لاسم الفاعل، كما وافقه في ذلك ابن عقيل في شرحه،[٢٢] بينما خالفه آخرون ومنهم الأشموني،[٢٣] وابن هشام الّذي نبّه أنّ جميع هذه الصّفات صفات مشبّهة إلاّ فاعلاً كضارب وقائم. فإنّه اسم فاعل إلاّ إذا أضيف إلى مرفوعه، وذلك فيما دلّ على الثّبوت، كطاهر القلب، وشاحط الدّار: أي بعيدها.[٢٤]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وفي شرح الكافية نصٌ صريحٌ يشير إلى عدم قياسيّة الصّفة المشبّهة إلاّ إذا كانت من الألوان والعيوب الظّاهرة فهي على أَفْعَل، يقول الرّضي:"صيغ الصّفة المشبّهة ليست بقياسيّة كاسم الفاعل واسم المفعول، وقد جاءت من الألوان والعيوب الظّاهرة قياسيّة كأسود وأبيض وأدعج وأعور على وزن أَفْعَل.[٢٥]

ولم يتّفق المحدثون كذلك على رأي واحد في هذاالموضوع، فالحملاوي يذكر الأوزان الغالبة للصّفة المشبّهة وهي: أَفْعَل(أَحْمَر) وفَعْلان (عَطْشَان) من: فَعِل، وفَعَل (حَسَن) وفُعُل (جُنُب) وفُعَال (شُجَاع) وفَعَال (جَبَان) من فَعُل، وفَعْل (ضَخْمٌ) وفِعْلٌ (مِلْحٌ) وفُعْلٌ (صُلْبٌ) وفَعِلٌ (فَرِحٌ) وفَاعِلٌ (صَاحِبٌ) وفَعِيلٌ (كَرِيمٌ)، وهذه الصّيغ الأخيرة مشتركة بين البابين (فَعِلَ وفَعُلَ)، ويذكر أنّ قياسها من غير الثّلاثي مطّرد على زنة اسم الفاعل إذا أريد منه الثّبوت.[٢٦] وإن كان لم يصرّح أهذه الصِّيغ قِياسيَّة أمْ سُماعيَّة؟.

أمّا عبّاس حسن: فقد قسّمها إلى قسمين: قياسيّة سماعيّة، وقسّم القياسيّة إلى ثلاثة أقسام:

١= الأصيل:وهو أكثرها، وهو المشتقّ الّذي يصاغ من مصدر الفعل الثّلاثي اللازم ليدلّ على ثبوت الصّفة لصاحبها ثبوتًا عامًا، نحو: جميلٌ.

٢= الملحق بالأصيل، وهو المشتقّ الذي يكون على وزن اسم الفاعل أو اسم المفعول ويدلّ بقرينة على أنّ المعنى ثابتٌ لصاحبه ثتبوتًا عامًا،نحو: موفور الحظّ.

٣= الجامد المؤوّل بالمشتقّ، وهو الإسم الجامد الّذي يدلّ دلالة الصّفة المشبّهة مع قبوله التّأوّل بالمشتقّ، نحو: تناولنا شرابًا عسلًا طعمه أو عسليّا طعمه؛ فكلمة(عسل) اسم جامد يمكننا أن نؤوله بالمشتقّ (حلو).

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وذكر أشهر الأوزان والصّيغ القياسيّة للصّفة المشبّهة، ولكنّه بيّن أنّ هناك صيغًا قياسيّةً متناثرةً في الكلام العربي الفصيح، وجوّز استخدام الصّيغ المسموعة أو القياسيّة، ولكنّه فضّل استخدام الصّيغ المسموعة، ولا سيّما المشهورة منها.[٢٧]

ولم يتّفق من تبعه من العلماء على صيغ قياسيّة معيّنة للصّفة المشبّهة، وحتّى عند ما كانوا يذكرون بعض الأوزان القياسيّة، فقد كانوا يأتون بأمثلةٍ شاذّةٍ، ومنهم من اعتبرها سماعيّة.[٢٨]

وقد ذكر العلماء أوزانًا عديدةً للصّفة المشبّهة، ومن أشهرها مايأتي:
١= اسم الفاعل أو اسم المفعول مضافًا إلى الفاعل الأول في المعنى، ونائب الفاعل الثّاني في المعنى، سواء كان ثُلاثيًا مُجرّدًا أمْ فوق الثّلاثي، لازمًا أومتعدّيًا، ويشترط فيها- أيضًا- الدّلالة على الثّبوت نحو: طاهر القلب، مفتّحة الأبواب.

وقد ذكر العلماء أوزانًا عديدةً للصّفة المشبّهة، ومن أشهرها مايأتي:

١= اسم الفاعل أو اسم المفعول مضافًا إلى الفاعل الأول في المعنى، ونائب الفاعل الثّاني في المعنى، سواء كان ثُلاثيًا مُجرّدًا أمْ فوق الثّلاثي، لازمًا أومتعدّيًا، ويشترط فيها- أيضًا- الدّلالة على الثّبوت نحو: طاهر القلب، مفتّحة الأبواب.

٢= فَعِل، الّذي مؤنّثه: فَعِلَة، يصاغ للدّلالة على الأدواء الباطنة، نحو: دوٍ، عمٍ، جعٍ، والعيوب الباطنة،: نَكِد، شَكِس، وللدلالة على الهيجانات والإنفعلات والخفّة، نحو: فَرِح، طَرِب، أي أنّها تستخدم للدّلالة على الأمور العارضة التي تطرأ وتزول سريعًا فلا ترسخ ولا تستقرّ، وهي تستخدم عمومًا فيما يكره من الأمور.

٣= أَفْعَل، ومؤنّثه فعلاء: ويصاغ للدّلالة على الصّفات الظّاهرة، من الألوان،نحو: أحمر، والعيوب الجسميّة الظّاهرة، نحو: أعرج، والحلي، نحو: أكحل.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٤= فَعْلان، ومؤنّثه فَعْلى: ويدلّ على خلوٍّ،نحو: عَطْشَان، أوامْتِلاء، نحو: سَكْرَان، أَوْحَرَارَةٍ بَاطِنيَّةٍ، نحو: غَضْبَان، وممّا يلاحَظ في هذه الصّفات أنّها غالبًا ممَّا يزول ولايطول أثره، وهذا ما جعل بعض العلماء يميلون إلى أنّه من صفات المبالغة.

٥= فَعِيل، الّذي مؤنّثه فَعِيلة: ويأتي للدّلالة على الثّبوت في الصّفات الخَلْقِيّة، مثل: طويل، أو المكتسبة، مثل: شريف، ويكثر هذا الوزن في باب فَعُل، نحو: ظريف، وفَعَل المضعّف،نحو:عفيف، ويقلّ مجيئه من فَعِل، نحو: حريص.[٢٩]

وتعدُّدُ صِيَغِ الصِّفة المشبَّهة جعلها أَدْخَلَ الْمُشْتقّاتِ في باب اللّبس، فهي تصلح صياغةً ووزنًا من حيث المبنى مع أكثر المشتقّات لولا اختلاف معناها الّذي هو الدّوام والثّبوت عن معاني الصّفات.

فيوضّح الدّكتور تمّام حسّان أنّ هذه الصّيغة المعرضة للإلباس تنجو منه بفضل ما يفهم منها من معنى الثّبوت والدّوام، فالصّفة المشبّهة، تشبه في مبناها صفة الفاعل كـ"طاهر" والمفعول ك"موجود"(صفة من صفات الله تعالى)، أوالمبالغة كـ"وقح" أو التّفضيل كـ"أبرص وأشدق" فالمعنى يفرّق كل واحد من هذه الصّفات و بين الأُخْرَيات.[٣٠]

توضيح :-

١-إذا كان الفعل على وزن (فَعِل) فإنّ الصّفة المشبّهة منه تشتقّ على ثلاثة أوزانٍ:

أ- **فَعِل**: الّذي مؤنّثه فَعِلَة، وذلك إذا كان الفعل يدلّ على فرح أو أمر من الأمور الّتي تعرض وتزول وتتجدّد، مثل: فَرِحَ: فَرِحٌ وفَرِحَة، تَعِبَ: تَعِبٌ وتَعِبَة، طَرِبَ: طَرِبٌ وطَرِبَة، ضَجِرَ: ضَجِرٌ وضَجِرَةٌ.

ب- **أَفْعَلَ**: الّذي مؤنّثه فَعْلاء، وذلك إذا كان الفعل يدلّ على لونٍ أوعيبٍ أوحليةٍ، مثل:- حَمِرَ:أَحْمَر وحَمْراء، زَرِقَ: أَزْرَق وزَرْقآء، حَوِلَ: أَحْوَل وحَوْلاء، عَوِرَ: أَعْوَر وعَوْراء، حَوِرَ: أَحْوَروحَوْراء، هَيِفَ: أَهْيَف وهَيْفَاء.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

ج- **فَعْلان:** الّذي مؤنّثه فَعْلَى، وذلك إذا كان الفعل يدلّ على خُلوٍّ أو امتلاءٍ، مثل:- رَوِيَ: رَيَّانٌ ورَيَّى، عَطِشَ: عَطْشَانٌ وعَطْشَى، يَقِظَ: يَقْظَانٌ ويَقْظَى، ظَمِئَ: ظَمْآنٌ وظَمْآى.

٢- إذا كان الفعل على وزن (**فَعُلَ**) فإنّ الصّفة المشبّهة منه تشتقّ على الأوزان الآتية:-

أ. **فَعَل**: مثل: حَسُنَ: فهو حَسَنٌ- بَطُلَ: فهو بَطَلٌ.

ب. **فُعُل**: مثل: جَنُبَ: فهو جُنُبٌ.

ج. **فَعَال**: مثل: جَبُنَ: فهو جَبَانٌ.

د. **فَعُول**: مثل: وَقُرَ: فهو وَقُورٌ.

هـ. **فُعَال:** مثل: شَجُعَ: فهو شُجَاع.

٣- إذا كان الفعل على وزن (**فَعَل**) فإنّ الصّفة المشبّهة منه الّتي تختلف عن وزن اسم الفاعل وعن وزن من أوزان المبالغة، تأتي غالبا على وزن: (**فَيْعِل**)، مثل: ساد- سيّد، ومات- ميّت، وجاد- جيّد.

وهناك أوزان أخرى للصّفة المشبّهة، مثل:-

١- **فَعِيل**: وذلك إذا دلّت على صفة ثابتة مثل:كريم- بخيل- شديد.

٢- **فَعْل**:مثل: ضَخْم- سَهْل- صَعْب- فَحْل.

٣- **فِعْل**: مثل: رِخْو- صِفْر- مِلْح.

٤- **فُعْل**:مثل :صُلْب- حُرٌّ- مرٌّ.[٣١]

المطلب الخامس: عمل الصّفة المشبّهة:

قال الرّضي: "وإنّما عملت الصّفة المشبّهة وإن لم توازن صيغها الفعل، ولا كانت للحال والإستقبال- واسم الفاعل يعمل لمشابهته الفعل لفظاً ومعنًى- لأنّها شابهت اسم الفاعل، لأنّ الصّفة ماقام به الحدث المشتقّ هو منه، فهي بمعنى"ذو" مضافاً إلى مصدره، فـ" حَسَنٌ" بمعنى: ذو حسن، كما أنّ اسم الفاعل، ومنه ما حول عنها أعني:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

حَاسنًا،كذلك محل للحدث المشتقّ هو منه، فـ"ضارب" بمعنى ذوضرب، لا فرق بينهما إلاّ من حيث الحدوث في أحدهما بالوضع، والإطلاق في الآخر كما ذكر. وقيل: عملت لمشابهتها اسم الفاعل بكونها تثنّى وتجمع وتؤنّث، كما أنّ اسم الفاعل صفة يثنّى ويجمع ويؤنّث.[٣٢]

يقول ابن عصفور:" والصّفة في هذا الباب مشبّهة كانت أو غير مشبّهة لاتخلو أن تكون معرفة أونكرة فإن كانت نكرة فلا يخلو أن يكون في معمولها الألف واللاّم، أو يكون مضافًا إلى ما فيه الألف واللاّم، أو مضافًا إلى الضّمير.

فإن كان فيه الألف واللاّم، أوكان مضافًا إلى مافيه الألف واللاّم، مثل: مررت برجل حسن الوجه، ومررت برجل حسنِ وجه الأخ، جاز في المعمول ثلاثة أوجه: الرّفع، والنّصب، والخفض، وأجودها الخفض، ثم النّصب، ثم الرّفع.

وإن كان نكرة، جاز فيه ثلاثة أوجه: أجودها النّصب على الشّبيه بالمفعول به، ثم الخفض، ثم الرّفع، وإن كان مضافًا إلى الضّمير جاز فيه ثلاثة أوجه: الرّفع في فصيح الكلام، والنّصب والخفض في ضرورة الشّعر.

فإن كانت الصّفة معرفة، فلايخلو أن يكون في معمولها الألف واللام، أو يكون مضافًا إلى ما فيه الألف واللاّم، أومضافًا إلى الضّمير أو إلى نكرة؛ فإن كان فيه الألف واللاّم، أومضافًا إلى ما فيه الألف واللاّم، مثل قولك:"مررت بالرّجل الحسن الوجه، أو الرّجل الحسن وجه الأخ، جاز فيه ثلاثة أوجه: النّصب، والرّفع، ثم الخفض،أجودها النّصب، ثم الخفض ثمّ الرّفع.

وإن كان مضافًا تصوّر فيه ثلاثة أوجه: الرّفع، والنّصب، والخفض؛ الرّفع في فصيح الكلام، والنّصب في ضرورة الشّعر، والخفض ممتنع. وإن كان نكرةً تصور فيه ثلاثة أوجه: الرّفع، والنّصب، والخفض؛ النّصب في فصيح الكلام، والرّفع قليل، والخفض ممتنع.[٣٣]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وتعمل الصّفة المشبّهة عمل اسم الفاعل المتعدّي لواحد، ويشترط لعملها ما اشترط لعمل اسم الفاعل من اعتمادها على نفي أو استفهام أومخبر عنه أو موصوف، نحو:"محمّدٌ حسن الوجه" فمحمَّدٌ:مبتدأ مرفوع بضمّة ظاهرة، و"حَسَن" خبره مرفوع بضمّة ظاهرة، وفي حَسَن: ضمير مستتر هو الفاعل، و"الوجه" منصوب على التّشبيه بالمفعول به، ويستحقّ في عمل الصّفة المشبّهة أن تضاف إلى ماهو فاعل لها في المعنى، نحو: أنت حسن الخلق، نقيّ النّفس، وطاهر القلب.

المطلب السّادس: معمول الصّفة المشبّهة:

وفي معمول الصّفة المشبّهة أربعة أوجه:-

١-أن ترفعه على الفاعليّة، نحو:" عليٌّ حَسَنٌ خلقُه، أوحَسَنُ الخلقُ، أوالحَسَنُ خُلْقُهُ، أوالحَسَن خُلُقُ الأب."

٢-أن تنصبه على التّشبيه بالمفعول به إذا كان معرفة، نحو: علي حَسَنٌ خُلْقَه، أوحَسَن الخُلْقَ، أو الحَسَنُ الخُلْقَ، أوالحَسَنُ خُلُقَ الأب."

٣- أن تنصبه على التّمييز إذا كان نكرة، نحو:" عليٌّ حَسَنٌ خُلقًا، أو الحَسَنُ خُلقًا."

٤- أن تجرّه بالإضافة، نحو:" عليٌّ حَسَنُ الخُلقِ، أوالحَسَنُ الخُلقِ، أوحَسَن خُلقِه، أوحَسَنُ خُلقِ الأب، أوالحَسَنُ خُلقِ الأب."

واعلم أنّه يمتنع أن تكون الصّفة مقرونة بـ" أل" والمعمول مجرّدًا منها، مضافًا إلى ضمير الموصوف الخالي منها، نحو:" عليٌّ الحَسَنُ خُلُقُه،" بل الصّواب:" عليٌّ الحَسَنُ الخُلُق". كما يمتنع أن تكون الصّفة مقرونة بـ" أل" والمعمول مجرّدا منها خال من"أل" والإضافة، نحو: هذا العظيم شدّة بأس" بل الصّواب:"هذا العظيم شدّة البأس." كما يمتنع أن تكون الصّفة مقرونة بـ "أل"

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

والمعمول مجرّدًا منها مضافًا إلى مضاف لضمير الموصوف الخالي منها، نحو:" عليٌّ الحَسَن خُلُقِ والدِه" بل الصّواب:" عليٌّ الحَسَنُ خُلُقِ الوالدِ".[٣٤]

الخلاصة والخاتمة:

يجوز في معمول الصّفة المشبّهة ثلاثة أوجه:-

١-الرّفع على الفاعليّة، نحو:" يعجبني الرّجل العظيم نسبُه،"(٢)-النّصب على التّشبيه بالمفعول به إذا كان معرفة، نحو:"العظيمُ النّسبَ" أو على التّمييز إذا كان نكرة، نحو: "العظيم نسبًا."(٣)-الجرُّ على الإضافة، نحو:" العظيم النسبِ".[٣٥]

وهل تجوز الأوجه الثّلاثة في جميع الأحوال ؟

إذا كانت الصّفة المشبّهة مجرّدةً من" أل" جاز في معمولها الأوجه الثّلاثة أيًّا كان المعمول، وإذا كانت الصّفة مقترنة بـ"أل" جاز الرّفع والنّصب في جميع صور المعمول؛ أمّا الجرُّ فيجوز في صورتين فقط هما:

أ.أن يكون المعمول معرّفًا بـ" أل" نحو:"العظيم النّسبِ."

ب.أن يكون المعمول مضافًا إلى ما فيه "أل" نحو:"العظيم نسبِ الأصل".[٣٦]

والواقف على هذه الدراسة يدرك تباين التعريفات للصفة المشبهة وآراء العلماء من حيث الإتفاق والإختلاف وأنّ اللغويين القدامى الأوائل كسيبويه والمبرد لم يعرّفوها صراحة تعريفًا جامعًا ولكن قد ذكروها وسمّوها الصفة المشبهة دون الإفاضة في تعريفها، وتحدث سيبويه عن إعمالها، وأنّها تذكر وتؤنّث وتدخلها الألف واللام، وتثنى وتجمع بالواو والنون، وأمّا المحدثون فقد أفاضوا في تعريفها كما قد أسهب الغلاييني في توضيح المقصود بالصفة المشبهة وأنّها مشبهة باسم الفاعل المتعدي إلى واحد، وقد كشفت هذه الدراسة عن علاقتها باسم الفاعل وذكرت آراء العلماء اتفاقًا واختلافًا فيما بينهما، كما بسطت الدراسة عن أقسامها في التشبيه عمومًا أو خصوصًا أو اختلافًا، ويسرت طريقة الوصول إلى معرفة أوزانها الغالبة المشهورة وصياغتها من الفعل اللازم دون المتعدي، وبيّنت دلالتها على الحاضر الدائم كما أنّها قد تكون مجارية للمضارع في تحرّكه

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وسكونه: "كطاهر القلب" و"معتدل القامة" كما صرّح به ابن هشام،[٣٧] وتحدثتْ عن اختلاف العلماء في قياسيّتها والرضي لايرى قياسيّتها إلاّ ما جاء من الألوان أو العيوب الظاهرة كأسود وأعور على وزن أفعل،[٣٨] فهي أدخل المشتقات في اللبس، وصرّحت الدراسة أنّها تعمل لمشابهة اسم الفاعل، وتعمل رفعًا ونصبًا على وجهين وجرًا بالإضافة.

الهـــوامـــش:

١-سيبويه: الكتاب، ج: [١٩٤/٤].

٢- ابن الحاجب: الكافية في النحو: [٢٠٥/٢]، وشرح التصريح على التوضيح: [٨٢/٢]، والكامل في قواعد اللغة نحوها وصرفها، ص: [٤٦].

٣- شرح ابن عقيل م س، ص: [١١٥/٤].

٤-المفصل في علم العربيّة، ص: [٢٣٠]، و أوضح المسالك: [٢٦٨/٢].

٥- ابن يعيش، موفق الدين: شرح المفصل، بيروت: دار الكتب، ص: [٨١/٦].

٦- المصدر السابق، ص: [٨١].

٧- الأزهري، خالد بن عبد الله: شرح التصريح على التوضيح: [٨٠/٢].

٨- الغلاييني، مصطفى: جامع الدروس العربية، ص: [١٣٧/١].

٩- سيبويه: الكتاب، ص: [١٩٤/١].

١٠- حسن عبّاس: النحو الوافي، ص: [٢٢٩/٣-٢٢٨].

١١- ينظر: تصريف الأسماء والأفعال، ص: [١٦١-١٦٢]، والواضح في علم الصرف، ص: [٨٠].

١٢=الأنصاري، ابن هشام: أوضح المسالك، ص: [٨٧]، وشرح التصريح على التوضيح، [٨١/٢-٨٢].

١٣=ينظر: تصريف الأسماء والأفعال، ص: [١٦٢]، والمغني في علم الصّرف، ص: [٢٠٧]، والواضح في علم الصرف، ص: [٨١].

١٤= موقدة، سمير محمد عزيز: ٢٠٠٩م، الصفة المشبهة ومبالغة اسم الفاعل في القرآن الكريم (رسالة دكتوراه غير منشورة).جامعة عين شمس. القاهرة: مصر. ص: [١٢٧-١٣٣].

١٥- شرح جمل الزجاجي، ج: [٢٦/٢-٢٥].

١٦- ابن هشام، أوضح المسالك، ج: [٢٧٠/٢-٢٦٩].

١٧-- الخوارزمي: التخمة، ج: [١١٥/٣].

١٨- شذا العرف، م س، ص: [٥٦].

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

١٩- شرح التصريح على التوضيح، ج: [٧٨/٢]، وحاشية الصبان، ج: [٢٣٤/٢].

٢٠- الحديثي، خديجة: أبنية الصرف في كتاب سيبويه، ص: [٢٧٦-٢٧٩].

٢١- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج: [١٣٤/٣].

٢٢- المرجع السابق، ج: [١٣٦/٢].

٢٣- الأشموني، ج: [٢٤٢/٢].

٢٤- الأنصاري، ابن هشام: شرح التصريح على التوضيح، ج: [٢٤٤/٣-٢٤٣].

٢٥- ابن الحاجب: الكافية في النحو، م س، ج: [٢٠٥/٢]. وأدعج: شديد سواد العين مع سعتها.

٢٦- الحملاوي، أحمد، شذا العرف في فن الصرف، ص: [٨١].

٢٧- المعجم المفصل في علم الصرف، م س، ص: [٢٩٢].

٢٨- جامع الدروس العربية، م س، ص: [١٣-١٣٨].

٢٩- شذا العرف في فنّ الصرف،ص: [٨١]،وأبنية الصرف في كتاب سيبويه، ص:[٢٧٩-٢٧٥].

٣٠- تمام حسان/ الدكتور، اللغة العربية معناها ومبناها، ص:[٩٩-١٠٠].

٣١- عبده الراجحي/ الدكتور: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية. بيروت، ص: [٧٩-٨١].

٣٢-شرح كافية ابن الحاجب، م س، ج: [٥٠١/٣].

٣٣- شرح جمل الزجاجي، م س، ج: [٢٩/٢].

٣٤- محمود حسين، الدتور، ١٩٩٧م، النحو الشافي، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٥- ابن عصفور الإشبيلي، ١٩٩٨م، شرح جمل الزجاجي، ص: [ج٢/٢٩-٣٠].

٣٦- ابن عصفور، م س، ص: [ج٢/٢٩].

٣٧- الأنصاري، ابن هشام. شرح التصريح على التوضيح، [ج:٣/٢٣٤-٢٤٤].

٣٨-ابن الحاجب، الكافية في النحو، [ج:٢/٢٠٥].

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١- ابن عقيل. (١٩٦٤م). **شرح ابن عقيل، على ألفية ابن مالك**، تح :محمد محي الدين عبد الحميد، ط١٤، مطبعة السعادة، مصر.

٢- ابن هشام الأنصاري. (١٩٨٠م). **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط:٦ دار الندوة الجديدة، بيروت لبنان.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٣- ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن الإشبيلي، ١٩٨٢م، **شرح جمل الزجاجي**،تح: د. صاحب جعفر أبو جناح، مؤسسة دار الكتاب، الموصل.
٤- ابن يعيش. **شرح المفصل**، عالم الكتب، بيروت،د.ت. ومكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت.
٥- ابن الحاجب، ١٩٨٥م، شرح الكافية في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت.
٦- أحمد، علي الحملاوي. (١٩٦٤م). **شذا العرف في فن الصرف**، ط١٥، مط: مصطفى البابي الحلبي.
٧- تمام حسان، الدكتور، ١٩٧٩م، **اللغة العربية معناها ومبناها**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
٨- حامد، أحمد حسن، وجبر يحيى عبد الرؤوف، ١٩٩٩م، **الواضح في علم الصرف**، الدار الوطنية للترجمة والطباعة، نابلس.
٩- خديجة الحديثي، د. ١٩٦٥م، **أبنية الصّرف في كتاب سيبويه**، ط١، مكتبة النهضة،بغداد.
١٠- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر. (١٩٩٥م). **الكتاب**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
١١- قباوة، فخر الدين. (١٩٩٤م). **تصريف الأسماء والأفعال**، ط٢، مكتبة المعارف، بيروت.
١٢- موقدة، سمير محمد عزيز: ٢٠٠٩م، **الصفة المشبهة ومبالغة اسم الفاعل في القرآن الكريم** (رسالة دكتوراه غير منشورة).جامعة عين شمس. القاهرة: مصر.
١٣- الأزهري، خالد بن عبد الله، الجرجاوي. **شرح التصريح على التوضيح**، مط: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.
١٤- الأسمر، الراجي. (١٩٩٣م). **المعجم المفصل في علم الصرف**،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٥- الأشموني. **حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، دار إحيآء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، د.ت.
١٦- الراجحي، عبده، ١٩٩٩م، **التطبيق الصرفي**، ط١، مكتبة المعارف، الرياض.
١٧- الزمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر. (٢٠٠٤م). **المفصل في علم العربية**، ط١، دار عمار، عمان.
١٨- السمرائي، فاضل صالح، ١٩٨١م، **معاني الأبنية في العربية**، ط١، جامعة الكويت، الكويت.
١٩- الغلاييني، مصطفى. (٢٠٠٠م). **جامع الدروس العربية**، دار الحديث، القاهرة.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الصفة المشبهة ودلالاتها في ديوان إفادة الطالبين:

دراسة صرفية نحوية

إعداد:
عمر محمد
كلية الشيخ أبي بكر غومي التذكارية، صكتو.

الملخص:

أولعت هذه المقالة حياة الوزير جنيد بن محمد البخاري، الجامع بعض مشتات قصائد محمد بلو، المسميات بإفادة الطالبين ببعض قصائد أمير المؤمنين محمد بلو. ومن الجدير بالذكر أن للصفات المشبهات دورا هاما في تأدية المعنى من المعاني المختلفة، وأن لها أوزانا وقواعدا مستعملة عند إرادة معنى من المعاني الصرفية، فأوضح الباحث المواضع التي استعمل فيها أمير المؤمنين محمد بلو الصفات المشبهات، فسلط الضوء على دلالاتها وأصولها وإعلالها وإبدالها، وصحتها ومن حيث أوزانها المختلفة. وقيد الباحث نفسه أن يحلل محلا شاهدا واحدا، ثم يشير بذكر صفحته الواردة فيه في هذا البحث عند تكراره في الديون.

المقدمة:

حمدا لله الكبير الكريم الباسط الرزق على من يشاء، محي اللغات على العالم آثرا اللغة العربية على سائر اللغات، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد نبي العرب والعجم. وأصحابه الأتقياء السابقين الأولين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذه مقالة بعنوان: (الصفة المشبهة ودلالاتها في ديوان إفادة الطالبين، دراسة صرفية نحوية) وتحتوي على النقاط التالية:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

- نبذة عن حياة جامع القصائد.
- نبذة عن الديوان.
- دراسة نظرية للصفة المشبهة.
- نماذج للصفة المشبهة، في ديوان إفادة الطالبين.
- الخاتمة.

نبذة عن حياة جامع القصائد:

نسبه:

هو الوزير جنيد بن محمد البخاري بن أحمد بن غِطاطُ بن ليم الفلاني، الوزير الثاني لخلافة صكتو، ويرجع نسبه من جهة أبيه إلى غطاط بن ليم.[١] وأما أمه، فهي فاطمة بنت آمنة بنت العالم محمد يَرِيمَا ابن جُكَلُّ.[٢]

مولده ونشأته:

ولد الوزير جنيد بن محمد في مدينة صكتو نيجيريا، عام ١٣٢٥هـ الموافق ١٩٠٦م، وذلك بعد ثلاث سنوات من احتلال الإنجليز.[٣]

عاش الوزير جنيد يتيما ونشأ تحت رعاية عمه الوزير سَمْبُو ابن أحمد الملقب بـ " أمين " فلما توفي عمه عام ٩١١٢م تولى تربيته أخوه الأكبر الوزير عبد القادر الملقب بـ " مَثِطُّو " ابن الوزير محمد البخاري.٤ وكان جل همه تحصيل العلم، وكان يسافر إلى البادية للتعلم.

حياته العلمية:

تلقى الوزير جنيد العلم منذ أن كان صغيرا على أيدي عدد من شيوخ مدينة صكتو، فالتحق بأحد كتاتيب المدينة، وهو ابن ست سنوات تقريبا. كان ينتقل من شيخ إلى شيخ يدرس كتبا من فنون شتى.٥ وعاش الوزير جنيد في مسقط رأسه نيجيريا لكنه زار عديدا من الدول منها:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

السودان، ومصر، وليبيا، والمغرب، ونيجر، وغينيا، والسنغال، والعراق، وفلسطين، والحجار. وحضر مؤتمرات واحتفالات كثيرة في داخل نيجيريا وخارجها.٦

علماؤه:

تعلم الوزير جنيد من مشايخ كثيرين، ومن هؤلاء المشايخ:

إمام مسجد أمير المؤمنين محمد بلو عبد القادر بن أبي بكر، والأستاذ يحيى بن الوزير إبراهيم خليل. والشيخ يحيى النووي ابن أخيه عبد القادر مَثِطُّو.٧

تلامذته:

لما أصبح الوزير فحلا من فحول علماء مدينة صكتو افتتح مدرسة في داره، واجتمع عليه كثير من كبار طلبة العلم يتعلمون فنونا شتى من علوم اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وممن اشتهر من تلاميذه:

المعلم خضر غِطَاطَاوَا والأستاذ مي غَنْدِ يحيى قُوفَرْرِيني. والشيخ نَمَعَاذُ وكان من كبار تلاميذه وهو ساكن في حي غِطَاطَاوَا في مدينة صكتو. والبروفيسور سمبو ولي جنيد. وإبراهيم جنيد غَنْدِ، وغيرهم.٨

إنتاجاته العلمية:

يعدّ الوزير جنيد من الذين أسهموا في نشر التراث العربي في القطر الإفريقي عامة وخاصة في نيجيريا وله إنتاجات عديدة في ثلاث لغات؛ الفلاتية، والهوسا والعربية، وتربو إنتاجاته على أربعين ما بين مخطوط ومطبوع، ومن هذه المؤلفات م يلي:

١. إفادة الطالبين ببعض قصائد أمير المؤمنين محمد بلو. ٢. المبادئ الفردية في الدروس العروضية. ٣. شرح مقاصد المحب للأخ محمد ليم في السير. ٥. تعريب قصيدة أسماء في التوسل بأولياء الله. ٦. قصائد التوسلات وأدعية منظومة. ٩

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٢. وله رسائل كثيرة متنوعة: أدبية وتعليمية وإرشادية وإخوانية، ومن هذه الرسائل رسالته المشهورة التي أرسلها إلي أهل العلم والتدبر إثر ما جرى بينه وبين الإنجليز من الصلح.١٠ ومما يدل على تثقفه بالثقافة الغربية الأدبية ما نظم مزدوجا بين اللغة الإنجليزية والعربية. قوله:

وما الدنيا إلا تُدِي بعد يَسْتَدِي ** وكل امرئ ما سوف يلقاه وَزْرِدِي
وليس مقامي وسط لاغوس يسرني ** ولست أرى ممن تعوّدتُ سَمْبَدِي
ولولاك عبد الله ما طاب مسكني ** بلاغوس وصارت لي شبيها بِكُسْتُدِي
ولست أختار المقام بها ولو ** يكون عطائي ألف ألفٍ بها آدِي١١

مناصبه:

تولى الوزير جنيد مناصب كثيرة وسيذكر الباحث طرفا منها: أُرسِل في سنة ١٩٤٥م في وفد إلى السودان والحجاز للنظر في مسائل الحجاج النيجيريين، ثم بعد رجوعه من الحجاز نُقِل في عام ١٩٤٦م إلى مجلس أمير المؤمنين مستشارا في الشؤون الدينية وفي سنة ١٩٤٨م عُيّنَ وزيرا لخلافة صكتو أيام السلطان أبي بكر الثالث، وفي سنة ١٩٧٣م منحته جامعة أحمد زاريا الدكتوراه الفخرية.١٢ وكان عضوا في مجلس الأمراء والرؤساء بـكَادُونَا عاصمة الولايات الشمالية آنذاك.١٣

وفاته:

توفي الدكتور الوزير جنيد في مرض اشتد عليه خلال ثلاثة أيام، فوقع ذلك في يوم الخميس الفاتح لشهر رمضان في عام ١٩٩٧م.١٤

نبذة عن الديوان:

هذا الديوان المسمى بـ"إفادة الطالبين ببعض قصائد أمير المؤمنين محمد بلّو" مشتمل على مختارات من أشعار أمير المؤمنين محمد بلّو فيه اثنتان وأربعون قصيدة وسبع مقطوعات وثلاث نُتْفات، وجميعها ثمانمائة وثلاثون بيتا، ووردت في ثمانية أغراض من أغراض الشعر العربي، وهي: الحماسة، أي الجهاد والمدح، والوعظ، والتوسل، والرثاء، والمديح، والهجاء، والغزل، وتسع منها مساحات لتشطير، وتتميز قصائده بذكر أعلام عصره ورجال الإصلاح فيه.١٥ وقد تبع رتب

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الوزير جنيد الديوان حسب الأغراض الشعرية العربية فبدأ بفن الحماسة جمع فيه أربع عشرة قصيدة، وفي المدح ثمان قصائد، وفي الوعظ والإرشاد سبع قصائد، وفي الرثاء سبع قصائد، وفي التوسل ست قصائد، وفي المديح ست قصائد، وفي الهجاء قصيدتان، وفي الغزل قصيد واحدة.

دراسة نظرية للصفة المشبهة:

تعريف الصفة المشبهة:

عرّف علماء الصرف الصفة المشبهة: بأنها ما اشتق من فعل لازم لمن قام به على معنى الثبوت.١٦ وقال ابن هشام: الصفة المشبهة وهي الصفة المصوغة لغير تفضيل لإفادة الثبوت كـ حسن، وظريف، وطاهر، وضامر.١٧ وقال الغلاييني: صفة تؤخذ من الفعل اللازم للدلالة على معنى قائم بالوصف بها على وجه الثبوت لا على وجه الحدوث. كـ حسن، وكريم، وصعب، وأسود وأكحل.١٨

أوزان الصفة المشبهة:

للصفة المشبهة أربعة أوزان وهي:

فَعِل بفتح الفاء وكسر العين، ويصاغ من فعِل المكسور العين اللازم، للدلالة على الأدواء الباطنة. نحو: وجع، وعمي، من عمي قلبه. ومنه قوله تعالى: بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ

هُمْ مِنْهَا عَمُونَ} سورة النمل، آية، ٦٦.

أفعل: بسكون الفاء، وفتح العين، ويصاغ من فَعِل بكسر العين ومؤنثه " فعلاء " وجمعه فُعْل. مثل: كحل يكحل كحلا، فهو أكحل وهي كحلاء وهم كُحْل، ويكون وصف للألوان والعيوب الظاهرة والحلي من خلقة أو ما هو بمنزلتها.١٩ فمثال الألوان. نحو: أحمر. ومنه قول الله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ} سورة فاطر، آية،٢٧ ومثال العيوب الظاهرة. قوله تعالى:

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

{لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ

فعلان: ومؤنثه " فَعْلى " بسكون العين ويصاغ من فعل على وزن فَعِل يفعِل. مثل: عطش يعطش عطشا فهو عطشان، ويدل هذا البناء على الامتلاء والخلو وحرارة البطن، كريّان وسكران وشعبان وجوعان وغضبان وحيران وظمآن، ومنه قول الله تعالى: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ} سورة الأعراف، آية، ١٥٠.
فعيل: وتأتي الصفة المشبهة على وزن فعيل.[٢٠] كقوله تعالى: {إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا} سورة المزمل، آية، ٧.

دلالات الصفة المشبهة:

تدل الصفة المشبهة على الثبوت مما هو خلقه أو مكتسب. مثل: طويل، وقصير، وخطيب، وفقيه. وقال الخضري: وتقوي الصفة المشبهة إثباتها على الدوام في الأزمنة الثلاثة، لا خصوص الحال.[٢١] وقال ابن مالك:

وصوغها من لازم لحاضر ** كطاهر القلب جميل الظاهر[٢٢]

تدل الصفة المشبهة من حيث الأوزان على الأدواء الباطنة، وذلك فيما جاء على فَعَل، وتكون دالة على الألوان والعيوب الظاهرة والحلي مثل: أزرق، وأحول و"أبطل" على أوزان أَفْعَل. وتدل أيضا على الامتلاء والخلو وحرارة البطن، مثل: شعبان، وحيران، وجوعان. وأما ما جاء على وزن فعيل فإنه يأتي للدلالة على الثبوت.[٢٣]

عمل الصفة المشبهة:

لم تقو الصفة المشبهة أن تعمل عمل الفعل لأنها ليست في معنى الفعل المضارع في الحروف والحركات والسكنات وإنما شبهت باسم الفاعل في العمل فعملت فيما عمل فيه.[٢٤] ويثبت

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

للصفة المشبهة عمل اسم الفاعل المتعدي من رفع، ونصب، وجر.[٢٥] وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله:

وعمل اسم الفاعل المعدي ** لها على الحد الذي قد حدا[٢٦]

ولا تعمل الصفة المشبهة إلا إذا توفرت شروط عمل اسم الفاعل، وهذه الشروط هي اعتمادها على ما يأتي: ١. الاستفهام. ٢. النفي. ٣. الابتداء. ٤. منعوت. ٥. صاحب الحال. ٦. أن يكون معمولها سببا مذكورا بعدها.[٢٧] ومن أمثلة ذلك:

١. الاستفهام: أكريم أخوك. ٢. النفي: ما قبيح خلق أخويك. ٣. الموصوف: أعجبت برجل كريم خلقه. ٥. صاحب الحال: أعجبت بالرجل كريما خلقه. ٦. الابتداء: هؤلاء كريم خلقهم.

وتعمل الصفة المشبهة في الظرف والجار والمجرور والحال والتمييز وغيرها من الفضلات التي ينصبها الفعل اللازم والمتعدي على حد سواء، ويجوز تأخير وتقديم هذه المعمولات عليها ما عدا المفعول المطلق،[٢٨] فإنه يجب تأخيره، وقيل إنها لا تعمل في المفعول المطلق. نحو: هو حسن وجهًا، وكريم يدًا، وسعيد حظًا، وجميل في شمائله، وفيّاض في عطائه. لمعمول الصفة المشبهة ثلاث حالات وهي: ١. الرفع، ٢. النصب، ٣. الجر. وتكون الرفع في الصفة المشبهة على ضربين:

ضرْبٌ على أنها فاعل وهذا هو الأصل الذي اتفق عليه النحاة، حيث تكون الصفة خالية من الضمير، لئلا يكون للشيء فاعلان، نحو: زيد حسن وجهه، فالحسن للوجه لذا يكون فاعلا.[٢٩]

ضرْبٌ على البدلية من ضمير مستتر في الوصف.[٣٠] مثل: قوله تعالى: {جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ} سورة، ص، آية، ٥٠. والمراد مفتحة لهم الأبواب منها. وفي {مُفَتَّحَةً} ضمير الجنات، والأبواب بدل من الضمير، تقديره: مفتحة هي الأبواب، كقولهم: ضرب زيد اليد والرجل، وهو من بدل الاشتمال.[٣١]

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وباعتبار الصفة المشبهة يبلغ عددها إلى مائتين وثلاثة وأربعين بناء، وذلك أن معمول الصفة إما محلى بالألف واللام أو مضافا أو مجردا عن كل واحد منهما وكل واحد من هذه الثلاثة قد يكون مرفوعا ومنصوبا ومجرورا فهذه تسعة أحوال. والصفة قد تكون متضمنة ضمير المذكر وتثنيه وجمعه، ولضمير المؤنث وتثنيته وجمعه، وغير متضمنة لضمير إفراد ولا تثنية ولا جمع فهذه تسعة والصفة قد تكون مع كل واحد منهما معرفة بالألف واللام أو مضافة أو نكرة فهذه سبعة وعشرون باعتبار حال الصفة، وإذا ضربت في أحوال المعمول وهي تسعة تبلغ مائتين وثلاثة وأربعين بناء.[٣٢]

الفرق بين الصفة المشبهة واسم الفاعل:

تشبه الصفة المشبهة اسم الفاعل من وجوه، وتفارقه من وجوه وأما وجوه المشابهة فأربعة: التذكير، والتأنيث، والتثنية، والجمع. وأما وجوه المفارقة فكثيرة وتزيد على عشرين وجها.

أنها لا تعمل إلا في السببي دون الأجنبي. نحو: زيد حسن وجهه، ولا يجوز حسن وجه عمرو، كما يجوز ضارب وجه عمرو، لنقصانها عن مرتبة اسم الفاعل.

ألا يتقدم معمولها عليها، فلا يقال: زيد وجها حسن، كما يقال: زيد عمرا ضارب. عدم شبه الفعل ولذلك احتاجت في العمل إلى شبه اسم الفاعل.

أنها لا توجد إلا ثابتة في الحال سواء كانت موجودة قبله أو بعده فإنها لا تتعرض لذلك، بخلاف اسم الفاعل، فإنه يدل على الفعل، ويستعمل في الأزمنة الثلاثة ويعمل منها في الحال والاستقبال. ولذلك إذا قُصد بالصفة معنى الحدوث أُتي بها على زنة اسم الفاعل. فيقال: في حسن حاسن، فحسن هو الذي ثبت له الحسن مطلقا وحاسن الذي ثبت به الآن أو غدًا.[٣٣]

أنها لا تؤخذ إلا من فعل لازم.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

أنها إذا دخل عليها ألا وعلى معمولها كان الأجود في معمولها الجر، بخلاف اسم الفاعل فإن النصب فيه أجود.

أنه لا يجوز أن يعطف على المجرور بها بالنصب، فلا يقال: زيد كثير المال والعبيد. بنصب العبيدِ. كما تقول: زيد ضارب عمرو وبكرًا.[٣٤] وزاد ابن السراج فرقا ثامنا:

أن اسم الفاعل لا يجوز إضافته إلى الفاعل، لا يجوز أن تقول: عجبت من ضارب زيد وزيد فاعل، ويجوز في الصفة المشبهة إضافتها إلى الفاعل أنها إضافة غير حقيقية. نحو الحسن الوجه. والشديد اليد فالحسن للوجه والشدة لليد والمعنى حسن وجهه.[٣٥] وزاد ابن هشام فروقا أخرى:
منها أن اسم الفاعل لا يكون إلا مجاريا للمضارع في حركاته وسكناته، وهي تكون مجارية له لمنطق اللسان، ومطمئن النفس، وغير مجارية له وهو الغالب.

أنه لا يخالف فعله في العمل وهي تخالفه، فإنها تنصب مع قصور فعلها.
أنه يقبح حذف موصوف اسم الفاعل وإضافته إلى مضاف إلى ضميره. نحو: مررت بقاتل أبيه، ويقبح مررت بحسن وجهه.

أنه يفصل مرفوع ومنصوب اسم الفاعل عنه. نحو: زيد ضارب في الدار أبوه عمرًا ويمنع عند الجمهور، زيد حسن في الحرب وجهه. رفعت أو نصبت.

أنه يجوز اتباع معموله بجميع التوابع ولا يتبع معمولها بصفة.
أنه يجوز حذفه وإبقاء معموله، وهي لا تعمل محذوفة.[٣٦]

أنه تأتي الصفة المشبهة للدلالة على الثبوت واسم الفاعل يدل على صفة متجددة. حدوث اسم الفاعل في إحدى الأزمنة، والصفة المشبهة تحدث للمعنى الدائم الحاضر، إلا أن يكون هناك قرينة تدل على خلاف الحاضر، كأن تقول: " كان سعيد حسنا فقبح.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

تصاغ الصفة المشبهة من الفعل اللازم قياسا، ولا تصاغ من المتعدي إلا سماعا. نحو: رحيم، وعليم.[٣٧] وزاد الأندلسي: فروقا أخرى أيضا: فقال: الأمور التي ضارعت الصفة المشبهة اسم الفاعل ستة: الاشتقاق واتحاد المعنى والإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث. وأما الفرق بين الصفة المشبهة وبين اسم الفاعل فمن وجوه:

أن الصفة لا تؤخذ إلا حالا، واسم الفاعل يصلح للأزمنة الثلاثة.

أنه لا تعمل إلا فيما كان من سبب موصوفها أعني الاسم الذي تجري عليه إعرابها.

أن المنصوب بها ليس مفعولا به صريحا.

أل الألف واللام متى كانت فيها وفي معمولها كان الأصل الجر.

أنها تعمل مطلقا من غير تقييد بزمان أو ألف ولام.

أنها يقبح أن يضمر فيها الموصوف ويضاف معمولها إلى ضميره. أنها لا توافق الفعل عدة وحركة وسكونا.[٣٨]

نماذج للصفة المشبهة ودلالاتها في إفادة الطالبين:

يبلغ عدد الصفة المشبهة في الديوان سبعا وعشرين ومائة صفة، وفيما يلي نماذج منها، يقول أمير المؤمنين محمد بلو:

وبالمصطفى الهادي الرشيد محمد ** وأصحابه الآل والتابع الغر

والشاهد في البيت قوله: "الرشيد" وهو صفة مشبهة مشتق من الفعل الثلاثي اللازم "رشد" من باب فرح، وقد اشتق منه الصفة المشبهة على وزن فعيل للدلالة على الثبوت والدوام لا التجدد والحدوث.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

إعراب المحل الشاهد قوله: "وبالمصطفى الهادي الرشيد محمد وأصحابه والآل والتابع الغر" "بالمصطفى" الجار والمجرور متعلقان بالفعل المضارع " أنادي" في البيت السابق. "الهادي" نعت أول لـ"للمصطفى" مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة، "الرشيد" نعت ثانٍ مجرور. "محمد" بدل من "المصطفى" مجرور بالتبعية. "وأصحابه" "الواو" واو العطف. "أصحاب" معطوف على المصطفى مجرور بالتبعية، وهو مضاف. "الهاء" ضمير متصل مبني على الكسر في محل الجر مضاف إليه. "والآل" "الواو" حرف العطف. "الآل" معطوف على أصحاب مجرور بالتبعية. "والتابع" "الواو" حرف العطف. "التابع" معطوف على الآل مجرور بالتبعية. "الغر" نعت لـ"التابع" مجرور بالتبعية.

وقال أيضا:

وكانوا قديما يعرفون لقاءنا ** كريها بغيضا قبل غزوة فافرا

والشاهد في البيت قوله: "كريها، وبغيضا" و"كريها " صفة مشبهة مشتق من الفعل الثلاثي كره يكره، من باب فرح يفرح، و"بغيضا" أيضا صفة مشبهة مشتق من الفعل الثلاثي بغض يبغض من باب كرم يكرم، وكلاهما على وزن فعيل، واستعمل الصفة المشبهة للدلالة على الثبوت والدوام.

إعراب المحل الشاهد في البيت قوله: "وكانوا قديما يعرفون لقائنا" "الواو" واو الاستئناف. "كانوا" فعل ماض ناقص مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، الواو ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع اسم كان. "قديما" مفعول فيه ناب عن الظرف متعلق بالفعل المضارع "يعرفون". "يعرفون" فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة. وفاعله ضمير مستتر تقديره: "هم"، وجملة الفعل والفاعل في محل النصب خبر كان. "لقاء" مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وهو مضاف "نا" ضمير متصل مبني على السكون في محل الجر مضاف إليه. "اللقاء"، "كريها وبغيضا" حالان من "اللقاء". "قبل" ظرف زمان منصوب وهو

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

مضاف. "غزوة" مضاف إليه مجرور، والغزوة مضاف، "فافرا" مضاف إليه مجرور بالكسرة المقدرة على آخره، لأنه اسم أعجمي.

وقال أيضا:

وإني ماجد سمحٌ حييٌ ** وضرغامٌ إذا سِمْتُ الضرابا

والشاهد في هذا البيت قوله: "سمحٌ وحييٌ "وكلاهما صفة مشبهة مشتق من الفعل الثلاثي "سمح وحيي" من باب فرح يفرح، أولهما على وزن فَعِل، والآخر على فعِيل، وقد استعمل الشاعر الصفة المشبهة في البيت السابق للدلالة الثبوت والدوام.

إعراب المحل الشاهد في البيت قوله: "وإني ماجد سمحٌ حييٌ" الواو: واو استئناف. "إن" حرف نصب وشبيه بالفعل. "النون" نون الوقاية. "الياء" ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب اسم إن. " ماجد " خبر إن مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة. "سمح حيي" خبر إن الثاني والثالث مرفوعان.

وقال في بائية:

إذا ما تذكرت الحبيب الذي تولى ** تموج من عيني دموع وتكسب

والشاهد في البيت قوله: "الحبيب" وهو صفة مشبهة مشتق من الفعل الثلاثي "حب يحب" من باب ضرب وقد اشتق منه الصفة المشبهة على وزن فعيل، للدلالة على صفة يتصف بها الموصوف على وجه الثبوت والدوام.

إعراب المحل الشاهد قوله: "إذا ما تذكرت الحبيب الذي تولى" "إذا" ظرف للزمن المستقبل متضمن معنى الشرط في محل نصب متعلق بالجواب المقدر. "ما" زائدة "تذكر" فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير الرفع. "التاء" ضمير مبني على الضم في محل الرفع فاعل مرفوع. "الحبيب" مفعول به منصوب وعلامة رفعه الفتحة الظاهرة. "الذي" اسم موصول مبني على

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

السكون في محل النصب نعت للحبيب. "تولى" فعل ماض مبني على الفتحة المقدرة على الألف مع من ظهورها التعذر، وفاعله ضمير مستتر جوازا تقديره هو. والجملة من الفعل الماضي وفاعله صلة الموصول.

وقال أيضا:

ألا أبلغن مني المِنَنِّي رسالة ** وقد يحدث الأمر الكبير المحقرُ

والشاهد في البيت قوله "الكبير" وهو صفة مشبهة مشتق من الفعل الثلاثي اللازم كبر من باب كرم يكرم وفرح يفرح، وقد اشتق منه الصفة المشبهة على وزن فعيل، للدلالة على صفة يتصف بها الموصوف بها على وجه الثبوت والدوام.

إعراب المحل الشاهد قوله: "وقد يحدث الأمر الكبير المحقر" "الواو" واو الاستئناف. "يحدث" فعل مضارع مرفوع. "الأمر" مفعول به منصوب، "الكبير" نعت لـ"الكبير". "المحقر" فاعل مؤخر.

وقال:

أبلغ تحيتنا لِكُنْتَ جميعها ** لاسيما للسيد المختار

والشاهد في البيت قوله: "السيد" وهو صفة مشبهة وهو مشتق من الفعل الأجوف "ساد"، وأصله سَيْود، التقت الياء والواو في الكلمة الواحدة وجاءت الأولى ساكنة فقلبت الواو ياء وأدغمت مع الياء الثانية. وقد اشتق منه على وزن فَيْعِل، للدلالة على صفة يتصف بها القائم بها وعلى والثبوت والدوام.

وأيْ صدِّقْ تركناه صريعا ** وفي لحييه والقحت اِزْوَرَارُ

والشاهد في البيت قوله: "صريعا" وهو صفة مشبهة مشتق من الفعل الثلاثي اللازم صرع، من باب نصر ينصر، وقد اشتق من الصفة المشبهة على وزن فعيل، للدلالة على صفة يتصف بها الموصوف على وجه الثبوت والدوام. وجاء هنا بمعنى اسم المفعول، أي مصروع.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

إعراب المحل الشاهد: "وأي صدّقْ تركناه صريعا" "الواو" واو العطف. "أي صدّق" علم من أعلام وهو مركب تركيبا مزجيا مبني على السكون في محل الرفع مبتدأ. "تركنا" فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير رفع. "نا" ضمير متصل مبني على السكون في محل الرفع فاعل مرفوع. "الهاء" ضمير متصل مبني على الضم في محل النصب مفعول به. "صريعا" حال منصوب بالفتحة الظاهرة.

وقال:

رام شأو امرأين نالا فخارا ** وعلاء أَزْرى بكل حسيب

والشاهد في البيت قوله: "حسيب" صفة مشبّهة مشتق من الفعل الثلاثي اللازم، حسب يحسب من باب فرح يفرح، وقد اشتق منه الصفة المشبهة على فعيل، للدلالة على صفة يتصف بها الموصوف بها على وجه الثبوت والدوام. وهو بمعنى اسم الفاعل، أي المحاسب.

إعراب المحل الشاهد في البيت قوله: "أَزْرى بكل حسيب" أزري " وهو فعل ماض مبني على الفتحة المقدرة منع من ظهورها التعذر. "بكل" جار ومجرور متعلقان بـ"أزري" وكل مضاف. "حسيب" مضاف إليه مجرور بالإضافة.

وقال:

وذو الحرص ما إن يزل فقيرا ** وإن الحريص لئيم شقي

والشاهد في البيت قوله: "فقير وحريص ولئيم وشقيّ" وكل منها صفة مشبهة مشتق من الفعل الثلاثي اللازم، فقر يفقر من باب كرم يكرم، حرص يحرص، لئم يلئم وشقي يشقي من باب فرح يفرح، لئيم يعرف بلؤمه، وكلها على وزن فعيل، استعملت للدلالة على صفة يتصف بها الموصوف على وجه الثبوت والدوام. وهو بمعنى اسم فاعل.

وقال:

أإنك أنت فهلا نسيت ** كساني قبيلا رفيعا رفيض

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

والشاهد في البيت قوله: "رفيعا" وهو صفة مشبهة مشتق من الفعل الثلاثي اللازم، رفع من باب كرم يكرم، وقد اشتق منه الصفة المشبهة على وزن فعيل، للدلالة على صفة يتصف بها الموصوف على وجه الثبوت والدوام. وقد يكون مبالغة اسم الفاعل على فعيل من رفع يرفع باب فتح يفتح، أي رافع.

إعراب المحل الشاهد قوله: "أإنك أنت فهلا نسيت كسني قبيلا رفيعا رفيض" "الهمزة" حرف الاستفهام. "إنك" إن حرف توكيد ونصب وشبيه بالفعل. "الكاف" ضمير متصل للمخاطب مبني على الفتح في محل النصب اسم إن. "أنت" ضمير منفصل مبني على الفتح في محل الرفع خبر إن. "فهلا" حرف تحضيض. "نسيت" فعل وفاعل. "كساني" "كسا " فعل ماض مبني على الفتحة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر. "النون" نون الوقاية. "الياء" ضمير المخاطب مبني على السكون في محل النصب مفعول أول "رفيعا" مفعول ثان منصوب بالفتحة الظاهرة. وهو موصوف. "رفيض" صفة موصوف منصوب بالتبعية.

الخاتمة:

إن هذه المقالة ركزت على الحديث عن حياة جامع قصائد كتاب ديوان إفادة الطالبين من حيث ولادته ونسبه ونشأته وحياته العلمية واختصار أيضا على ذكر أربعة من علمائه، وأما من حيث حياته العملية فإنه ألف كتبا من فنون شتى ومن اللغات الثلاث العربية والإنجليزية والفلاتية، وأما الديوان فاشتمل على قصائد متنوعة يبلغ عددها اثنتين وأربعين قصيدة وسبع مقطوعات وثلاث نُتَف، وجملة أبياته ثمانمائة وثلاثين بيتا، ووردت في ثمانية أغراض الشعر العربي.

ثم انتقل الباحث إلى الحديث عن الصفة المشبهة من حيث التعريف والأوزان، والفرق بينها وبين اسم الفاعل. وأخيرا تطرق الباحث إلى التطبيق فتناول نماذج للصفة المشبهة في ديوان إفادة الطالبين، وحللها تحليلا صرفيا.

النتائج :

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

الصفة المشبهة الواقعة في الديوان بلغ عددها إلى مائة وخمس عشرة صفة مشبهة من بين المعلل بالحذف، وبالقلب والمبدل وذلك على التفصيل الآتي:

عدد الصفة المشبهة الواقع فيها الإعلال بالتسكين وبالقلب تسع صفات مشبهة.

التي يقع فيها الإعلال بالقلب فقط بدون التسكين، ثلاث عشرة صفة مشبهة.

فوقعت الصفة المشبهة سالمة من أي تغيير من الإبدال ولا الإعلال ولا القلب ولا الحذف، مائة و واحدة صفة مشبهة.

ولم يجد الباحث الإعلال بالحذف ولا الإبدال، ولو صفة مشبهة واحدة.

استعمل الناظم بعض أوزان هذه الأسماء الثلاثة المشتقة " اسم الفاعل اسم المفعول الصفة المشبهة " التي تشرك بعضها على بعض في المعاني والدلالة وبلغت إلى اثنين وعشرين صفة مشبهة وهي على الترتيب التالي:

عدد الصفة المشبهة التي تأتي بمعنى اسم الفاعل ست صفات مشبهة.

عدد اسم الفاعل الذي تدل على معنى اسم المفعول اثنان وثلاثون اسما فاعلا.

عدد اسم المفعول الذي تأتي بمعنى اسم الفاعل موضعان.

الصفة المشبهة التي تأتي بمعنى اسم المفعول أربع عشرة صفة مشبهة.

اسم الفاعل الذي يأتي بمعنى الصفة المشبهة موضعان.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

وتبين للباحث أن دلالات الصفة المشبهة الواردة في الديوان كلها دلالات تدل على معنى الحاضر فقط، كما ذهب إليه بعض النحاة كابن هشام وابن عقيل. وأما الخضري يقول إنها تأتي بمعنى تدل على الأزمنة الثلاث.

أورد الباحث مثل هذه الدلالات التي استعمله الناظم في هذه القصائد حيث يقول:

ومن راقب الله في أمره ** وجاهد فيه فذاك التقي

والدلالة هنا عند الشاعر دلالة وافقة بمعنى الحاضر: الماضي المتصل بالزمن الحاضر.

الهوامش والمراجع:

١ - محمد المبارك التكينة، الأبعاد الفنية في أشعار الوزير جنيد العربية، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، جلمعة أحمد بلو زاريا، بنيجيريا، سنة، ١٩٨٠-١٩٨١م، ص، ٣.

٢ - أغاك عبد الباقي شعيب، أ. ذ. أدب الصحوة والاستقلال لدى الوزير جنيد بن البخاري، مقالة قدمها بالجامعة الإسلامية ساي، جمهورية النيجر، بعنوان ندوة الوزير جيند المنعقد ما بين ٢٢-٢٣- المحرم، ١٤١٩هـ، الموافق: ١٠-مايو، ١٩٩٨م. ص، ١٧.

٣ - عبد السلام مرتضى الحقيقي، من مراثي الوزير جنيد دارسة أدبية تحليلية، بحث مقدم إلى كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية نيجر، سنة ١٤٢٣-١٤٢٤هـ، الموافق: ٢٠٠٢-٢٠٠٣م نقلا عن عبد الباقي شعيب أغاكا، المطارحة بين الوزير جيند بن محمد البخاري، ونجله الدكتور سمبو ولي جنيد، مجلة النهضة، مركز الدراسات الإسلامية جامعة عثمان بن فودي، ١٩٩٩م، ص، ١٤٨.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٤ - عمر أبوبكر الحاج، الوزير جنيد كناثر، بحث مقدم إلى قسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو، ١٩٨١م، ص، ٢.

٥ - عمر أبوبكر الحاج، الوزير جنيد كناثر، ص، ٣.

٦ - غزالي بلو، كتاب ضبط الملتقطات من الأخبار المتفرقة في المؤلفات، تحقيق وتعليق، بحث مقدم إلى جامعة عثمان بن فودي، لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، سنة ٢٠١٣م ص، ٢٠.

٧ - محمد المبارك التكينة، الأبعاد الفنية في أشعار الوزير جنيد العربية، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، ص، ٥.

٨- غزالي بلو، كتاب ضبط الملتقطات من الأخبار المتفرقة في المؤلفات، تحقيق وتعليق، ص، ١٤.

٩- غزالي بلو، كتاب ضبط الملتقطات من الأخبار المتفرقة في المؤلفات، تحقيق وتعليق، ص، ١٧.

١٠- عمر أبوبكر الحاج، الوزير جنيد كناثر، ص، ١٧

١١- غزالي بلو، كتاب ضبط الملتقطات من الأخبار المتفرقة في المؤلفات، تحقيق وتعليق، ص، ٢٠-٢٢.

١٢- غلادنثي شيخو أحمد، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص، ٢١٤.

١٣- غزالي بلو كتاب ضبط الملتقطات من الأخبار المتفرقة في المؤلفات، تحقيق وتعليق، ص، ١٦.

١٤- سمبو ولي جنيد، البروفيسو، فن المديح في مدنية صكتو بناؤه وأسلوبه، ص، ١٤٤.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

١٥ - عمر موسى غدن، أدب الرحلة في ديوان روائح الأزهار من روضة الجنان للوزير جنيد بن محمد البخاري، ص، ٣

١٦ - المرجع السابق، والصفحة ص، ٣.

١٧ - البركوي، نظم العوامل النحوية، المرجع السابق، ص، ٣٥.

١٨ - محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، دار الفكر المعاصر , دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، دمشق، سنة، ١٤١٠هـ، د، ١، ص، ٤٥٨.

١٩ - ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، المرجع السابق، ج، ١، ص، ٢٧٧.

٢٠ - الغلاييني، مصطفى بن سليم الغلاييني، جامع الدروس العربية، شركة القدس بيوت، الطبعة الثانية، سنة ٢٠١٢م، تحقيق: إسماعيل العقباري، ج، ١، ص، ٧٦.

٢١- الغلاييني، مصطفى بن محمد سليم جامع الدروس العربية، المرجع السابق، ج، ١، ص، ٧٦.

٢٢- يوسف المرعشلي، إعجاز القرآن والدلالات الصرفية، المرجع السابق، ص، ٧٠- ٧٤.

٢٣ - محمد مصطفى بن حسن الخضري الشافعي، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج، ٢، ص، ٨٣.

٢٤- ابن مالك محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي، ألفية ابن مالك

٢٥- يوسف المرعشلي، إعجاز القرآن والدلالات الصرفية، المرجع السابق، ص، ٧٦.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٢٦ - سيبويه عمرو بن عثمان بن قَنْبر، الكتاب دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة، ٢٠٠٩. تحقيق: إميل بديع يعقوب، ج، ١، ص، ٢٣٩.

٢٧ - ابن يعيش يعيش بن عبد الله بن يعيش النحوي، شرح المفصل، المرجع السابق، ج، ٦، ص، ٨١.

٢٨- ابن مالك محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي، ألفية ابن مالك،

٢٨- محمد عبد العزيز النجار، التوضيح والتكميل، المرجع السابق، ج، ٣، ص، ٩٢.

٣٠ - الصبان، محمد بن علي الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، المرجع السابق، ج، ٣، ص، ٤

٣١- ابن يعيش بن عبد الله بن يعيش، شرح المفصل، المرجع السابق، ج، ٦، ص، ٩.

٣٢ - ابن هشام الأنصاري، عبد الله دمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المكتبة العصرية شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا بيروت لبنان، سنة، ٢٠١٢م، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج، ١، ١٩١.

٣٣ - الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ، ج، ٦، ص، ٢٨.

٣٤ - السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال بن أبي بكر بن محمد، همع الهوامع شرح جمع الجوامع، المرجع السابق، ج، ٣، ص، ٤٨.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

٣٥ - السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال بن أبي بكر بن محمد بن سابق، الأشباه والنظائر في النحو، المكتبة العصرية شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا بيروت لبنان، سنة، ٢٠٠٩م، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، ج، ٢، ص، ٢٣٣.

٣٦- السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، المرجع السابق، ص، ٢٣٣.

٣٧- البغدادي، أبوبكر محمد بن سهل بن السراج النحوي ابن السراج، الأصول في النحو، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثالثة، سنة، ١٩٨٨م، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، ج، ١، ص، ٥٢.

٣٨ - ابن هشام الأنصاري، عبد الله دمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المرجع السابق، ج، ٢، ص، ٥٢٩-٥٣١.

٣٩- الغلاييني، مصطفى بن محمد، جامع الدروس العربية، المرجع السابق، ج، ١، ص، ١٧٠.

٤٠- يعيش بن يعيش، شرح المفصل، المرجع السابق، ج، ٦، ص، ١٢٣-١٣٤.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

تُحْفَةُ الْمَأْثُور مِنْ كُنُوزِ أَرْضِ التُّكْرُور

إعداد:
محمد عثمان علي
قسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو

سِـحْ يـا قَـرِيضُ بِنَـا فـي سـاحة الـدّهَر * أَوْ نَجْتَـلِي تُـحَفَ الـتَّذْكار والعِـبَر
واقْفِـزْ على جُـدُرِ الأزمـان سِـرْ قَصَصًـا * فـي عـالَم الأمـس فَـأْتِ اليـومَ بالـخبر
جِـيءْ بـالقوافي تُغَنِّيهـا لعالَمنـا * مُرَنِّمًـا مثـل الشّـحرور فـي السَّـحَر
أَفْصِـحْ وعَـرِّفْ بَنِـي التُّكْـرُور مَعْـدِنَها * ومـا حَـوَتْ أرضُـها السَّـمْراءُ مِـنْ دُرَر
واقْصُـصْ على عـالم الإسـلام والعـرب * والكـون مـا أنجَبَـتْ فـي دابـر الـدّهَر
بـالأمس مِـنْ رحْمِهـا نَجْـلانِ قـد طَلَعَـا * لـولاهـما ظلّـتِ الظُّلْمـاتُ فـي القُطُـر
فَـرْدانِ كَالفَرْقَـدينِ فـي هُـدَى الأمـم * لولاهمـا ضـلّ مَـنْ في البـدو والـحضر
عثمـان فَـوْدِي، عبـد الله غُونْـدُ هُـما * أَسّا حضارتَنا أسًّا على العفر
تـاريخ أُمَّتِنـا هـذا صـنيعُهما * لـولاهمـا هكـذا التّـاريخ لَـمْ يَصِـرِ
لـولا جهادُهمـا مـا نَحْـنُ نَحْـنُ وَلا * نَـدْرِي هُوِيَّتَنـا فـي عـالَمِ البشـر
ولَـمْ تَكُـنْ هـذه البُلْـدان قَـدْ عرفَـتْ * نُـورَ الْهُـدَى وصحيحَ الـدِّين مِـنْ كُفُـر
ولَـمْ تكُـنْ صُـكُّتُو بالنّـاس عـامرةً * بَـلْ قَـدْ تكـون عَـرِينَ الـذّئب والنّمـر
لِلّـه درُّهمـا! فـي القُطْـر قَـدْ صَنَعـا * بالقـاطنِينَ صَـنِيعَ القَطْـر بالشّـجر
سِـرْ يـا قَـرِيضُ بِنـا تِسْـيارَ راوِيـةٍ * لِلتَّـوِّ فَـاعْتَزِمِ التِّرْحـالَ وانْشَـمِرِ
مِـنْ فُـوتَ تُـورَ بِشَـطّ الغـرب لِلْـوَطَن * شَـرِّقْ تجـاه بـلاد الْهَوْسَـا واسْـتَقِرِ
أبْحِـرْ بِنَـا في محـيط القُطْـر نَحْـوَ طِغِـلْ * وامْـرُرْ بِهـا وبِسِـيفَاوَا ولا تَقِـرِ
صُـكُّوتُ، غُونْـدُ هُمَـا مَرْسـي سـفينتِنا * تَرْسـانَتَا الـدُّرّ والمَرْجـان فـي القُطُـر
شُـدَّ الحِـزامَ وشَـمِّرْ باتّجاهِهِمـا * فـي رحلـة بِحِـزَامِ السُّـودِ والسُـمُر
تَخَـطَّ سُـوجَ سُـجُونٍ سـمِّيَتْ دُوَلًا * وَسُـرْ حُـدُودَ حَدِيـدٍ حَوْلَهـا وَسِـرِ

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

جـــاوِزْ طُقُـــوسَ مَراسِـــيم المُـــرُورِ بهـــا * بِـــلا جـــوازٍ ولا تَأْشِـــيرةِ السَّـــفَر
أَصْـعِدْ وسِـرْ فـي عَنَـان الأُفْـقِ مُنْطلقـا * لَـــوْ إنْ لَمَسْـــتَ تُخُـــومَ الجـــوِّ لا تَـــذَرِ
واصِـــلْ مَسِـــيرَكَ بَـــيْنَ البُـــرْجِ والفَلَـــكِ * حتَّـــى تُعَـــرِّسَ عِنْـــدَ الشّـــمس والقمـــر
لا تَمْـضِ؛ أَلْـقِ عَصَـا التِّسْيارِ عِنْـدَهُما أَتْحِـفْ * وَابْسُطْ قَوافِيكَ فأْتِ الجيلَ بالصُوَر
طوائـــفَ جِيـــلِ اليـــوم والغَـــدِ مِـــنْ * لَـــدُنْ هنـــاكَ عَـــنِ النّجْمَـــيْنِ بالسِّـــيَر
* * * * * *

يـــا شِـــعْرُ لَجِّـــنْ بِمُوسِـــيقاكَ وَارْوِ لنـــا * عـــن رائـــد القُطْـــر مـــا ذا كـــان مـــن خبـــر
عثمـــانُ فـــودِيِ[1]بـــاني مجـــدِ أُمّتنـــا * لـــولاه عِشْـــنا مجاهيـــلا بـــلا أثَـــر
مَـــنْ جـــاء كالفجـــر والأقطـــار في غســـقٍ * مِـــنَ الضّـــلال يهـــيم النَّـــاس كالبقـــر
ليـــل الـــجهالة أرخـــى بالسُّـــدول علـــى * كـــلّ الـــورى أهـــلِ الأمـــصار والوبـــر
والـــدِّين يشـــكو خرافـــاتٍ بـــهِ امْتَزَجـــتْ * تَجْتاحُـــه تَـــلْبِسُ المعـــروفَ بالنُّـــكُر
والظُّلـــم مشتـــعلٌ فـــي الأرض مُلْتـــهِمٌ * لليابســـات مـــن الأشيـــاء والخُضَـــر
فـــي غَيْهَـــبٍ هكـــذا والـــحال ذا فـــإذا * نُـــورُ الزّمـــان ابـــنُ فـــودِيْ لاح للبشـــر
كالشّـــمس أَشْـــرقَ في البلـــدان فانقشـــعتْ * عَـــنِ الـــورى ظلمـــاتُ الوهـــم والغِـــرَر
أتـــى مُغيـــثا إلـــى الأجـــيال يُنقـــذها * غريقـــةً فـــي خِـــضَمّ الغـــيّ والسُّعـــر
فعـــلّم النـــاس ديـــن الحـــقّ فانـــدحرتْ * عوائـــدُ الشّـــرك عـــنهم شـــرَّ منـــدحر
نادى إلى العدل والإحسان مُنْتبِرًا * واسْـــتَنْفَرَ البغـــيَ والفحشـــاء بـــالزَّجَر
عُثْمـــانُ مَـــنْ عُـــوفِيَ الإســـلامُ فـــي يـــده * مِـــنْ بعـــد مـــا كـــان جُثْمانًـــا كمحتـــضر
جـــاء الـــورى مُنْجـــدًا والكُـــلُّ ينشـــده * في فـــارغ الصّـــبر والإســـلام في الـــوطر
يَسْعَـــى ومـــصحفه يُمْنَـــى وصارمـــه * يُـــسْرَى وغايتـــه الإصـــلاح فـــي القُطُـــر

١الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان فودي (١١٦٨هـ/١٧٤٤ – ١٨١٧م رحمه الله) هو زعيم حركة الإصلاح الإسلامي في إقليم ما كان يعرف سابقا بالسودان الغربي، وهو إقليم يضم اليوم عددا من الدول في غرب إفريقيا. وكان الشيخ قد أسس دولة ذات مرجعية إسلامية عرفت في تاريخ المنطقة بدولة صكتو، وكانت تضم المناطق التي تشمل اليوم نيجيريا والنيجر وأجزاء من مالي والكامرون وتشاد وبنين، وعاصمتها مدينة صكتو الواقعة حاليا في شمال دولة نيجيريا.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

أَوْفَى وآفاتُ دينٍ شاخَ شاخِصُها شابَ الكَبيرُ عليها شَبَّ ذُو الصِّغَر
فَاسْتَأْصلَ الكفرَ لَمْ تأخذْه رأفتُه * لِمَا لهُ مِنْ عظيم الشرّ والخطر
وأَوْجَع الجهلَ ضربًا قاسيًا فقَضَى * إِذْ أَنَّه ماثلٌ للكفر في الضّرر
واجْتَثّ مُبْتَدَعاتٍ أَعْرَقَتْ زَمَنًا * في الأرض وَاغْتَرَسَ المَسْنُونَ في الزُّمَر
فَصَقّلَ الدِّين مِنْ رَيْنٍ أَلَمّ به * فَارْتَدّ صَفْوًا وسِيمَ الوجه كالقمر
نالَتْ بِهِ السّنةُ الغرَّاءُ عافيةً * بعد الذُّبول فقد آلَتْ إلى النَّضَرِ
وَانْهارَتِ الْبدعةُ الشَّنْعاءُ في السّفُلِ * بعد العُلوِّ فقد صارَتْ إلى القَعَر
قادَ الجحافلَ في البلدان منتصرا * على الطّواغيت فيها أيّ مُنْتَصر
مَنْ كَبَّد البَغْيَ والطّغيانَ فادحةً * مِنَ الْخسائر فَوْقَ العَدِّ والحَصَر
وَالْجَوْر أوْجرَهُ رِمْحًا فأَعْدَمهُ * حتّى السّراحِين في الغابات لم تَجُرِ
في عهده وُلِدَتْ لِلسِّلْم دولتُه * بِكْرًا ومِنْ ثَمّ دَقّتْ ساعةُ الصِّفِر
شريعة الله تَرْوي تُرْبةَ الوطن * ودَوْحة العدل تَرْمِي النّاسَ بالثّمر
أَفْنانُهَا انْبَثَقَتْ في القُطْر باسقةً * يَأْوِي إلى ظِلِّها مَنْ فرّ مِنْ سَعَرِ
* * * * * *

يا شِعْرُ ذَكِّر بَنِي السُّودان بالعَلَم * علاّمةِ القُطْر عبدِ الله[٤]ذي الأثر
شيخ الشّيوخ إمام الزُّهد والأدب * بَحْرُ العلوم وسيفُ الدّين ذو الظّفر
وزيرُ عثمان فودِيْ حَبْرُ دَعْوَتِه * وحَرْبُ فَيْلَقِه[٥]القمّاع للكُفُر
وزارتا الحرب والتّعليم في يده * يغزو يُعلِّم حتّى منتهى العُمُر
مجاهدٌ صاحباه السّيف والقلم * بالسَّطْوِ يقمع طغيانا وبالسّطر
ضدّانِ: بَرْدٌ وحرٌّ عنده اجتمعا * في السّلم بردٌ وفي الهيجا كَمُسْتَعِر

---

[١] أوجره: أوجره الرمح أو به: طعنه به في فيه

[٤] عبد الله بن محمد بن عثمان فودي (١١٨٠هـ/١٧٦٦م رحمه الله) هو الأخ الأصغر والشقيق للشيخ عثمان بن فودي ووزيره في التربية والتعليم والدعوة والجهاد، العالم الورع الملقب بعلامة السودان له مؤلفات في شتى المواضيع والمجالات العلمية تزيد على المائة.

[٥] فيلقه: الفيلق الكتيبة العظيمة من الجيش. الكُفُر: بضم الكاف والفاء: جمع كفور.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

يـــومُ السّـــلام أليـــفٌ كالحَمـــام وفـــي * يـــوم العِـــراك ألـــيم الكـــرّ كالصّـــقَر
في السِّلْم سهلٌ بشوشٌ سالمٌ أنِسٌ * وفـي الـــوغى صَـــعَبٌ جَهْـــمٌ كَمُهتصـــر[٥]
أعطـــى مُجـــدِّدَ ديـــن الله نُصْـــرتَه * مُشمِّـــرا معـــه فـــي العُسْـــر واليُسُـــر
بالنّفـــس وازره والسّيـــف والقلـــم * علـى كفـاح جيـوش الجهـل والبطـر
فأمْحَقَـــا دولـــةَ الطّغيـــان والـــوَثَن * دَكّـــا عليهـــا ومـــا عاثَـــتْ علـى العفـر
وشـــيَّدا دولـــةً للعلـــم والأدب * وكادتِ الضّادُ تَغْدُو لهجةَ الزّمر
اَلْجاهليّـــة بـــادَتْ بانتصـــارهما * اَلْجَهْـل مـات وولّـى الكفـر عـن دُبُـر
وَالظُّلـــم دَوْلتُـــه دالَـــتْ بـــه فغـــدتْ * فـي الأرض مُجْتَـــثّةً صـــارتْ بـــلا أَثَـــر
والسِّـــلْم دوحتُـــه داحَـــتْ مُظَلِّلَـــةً * فَيْحـــاءَ راســـيةَ العَرْقـــاة والجَـــذَر
فـي صُـــكّتُو[١] جِزْعهـــا أغصـــانها ضَـــرَبَتْ * شـــرقًا وغربًـــا تَجُـــودُ الخلـــقَ بـــالثّمر
فَرَفْرَفَـــتْ رايـــةُ التوحيـــد راقصـــةً * في قِمَّـة العُـلْوِ كانـتْ قبـلُ في القعـر
ظَلّـتْ شِـعارَ الـوَرَى فـي القُطْـر خافقـةً * تحكـي هُوِيّتَنـا فـي الـرُّوح والفكِـر
حـــتّى إذا مـــا أتـــى بالحقـــد والطمـــع * والكيـد فـي أرضـنا مُسْـتَحْمِرُ البشـر
أبُـــو الحَوانِيـــتِ والثّـــالُوثِ والصُّـــلُب * أتَـى ليرعَـى بَنِـى التوحيـد فـي القُطْـر
بالمِدْفعيَّـــة والصّـــارُوخ فـــي زَحَـــفٍ * أتـــى يُســـوّي بُنَـى الأمجـاد بـالعَفَر
فاجْـــتاحَ دولـــتَنا واحْـــتَطَّ رايتَنـــا * واسْتـــاقَنَا كقطيـــع الحُمْـــر والبقَـــر
فأصـــبحَتْ فـي اتّجـــاه الغـــرب قِبْلتُنـــا * إيّـــاه نَرْمُـــق بَـــدْلَ الشّـــرق بـــالنَّظَر
قـــدْ رَدّنَـــا أُمّـــةً بعـــد العُـــلا أَمَـــةً * ألْغَـــى هُوِيَّتَنـــا بـــالحَظْرِ والهَـــدَر
أودَى بتاريخنـــا واحتـــلّ حاضـــرَنا * أَرْمَـى حضـارتَنا فـي المتحـفِ الأَثَـرِي
يـا شِـعرُ قِـفْ هاهنـا لا تَمْـضِ وارْثِ لهـا * ورائـــدَيْها مَـــدَى الآبـــاد لا تَـــذَرِ

[١] صكتو: مدينة صكتو هي عاصمة الدولة العثمانية التي أسسها الشيخ عثمان بن فودي في غرب إفريقا في القرن التاسع عشر الميلادي وكانت تضم المناطق التي تشمل اليوم نيجيريا والنيجر وأجزاء من مالي والكامرون وتشاد وبنين، تقع المدينة في شمال دولة نيجيريا حاليا. سقطت مدينة صكتو في أيدي القوات البريطانية عام ١٩٠٣ نتيجة الغزو البريطاني والفرنسي الكاسح للمنطقة، مما أدى إلى انهيار الدولة بالكامل وتم اقتسام مناطق نفوذها بين إنجلترا وفرنسا.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الأول، ٢٠١٨م ISSN 1118 - 3365

عــدِّدْ ثقافتَــنا يــا شــعر وابْــكِ علــى * أمْجادِهــا أبــدًا بــالنَّوْح والعبَــر
مَجْــد الجُــدود جــديرٌ بالــدُّموع فجُــدْ * جِــدًّا بهــا أو نَــرَى رُجْعــاه بالبصــر
واصْــرُخْ لِمِسْــيُو وسِــيْرْ قُــلْ:لاَ خُضُــوعَ فَلَــنْ * أَرْضَــى بِأَرْضِــي بتغْرِيــبٍ مَــدَى عُمُــري
هَيْهــاتَ تَنْســى قــوافِي صــفقَةً لكُمــا * مَرْدُودُهــا مُسْــتَطِيرُ الشّــرِّ والشّــرَر
"فَرِّقْ تَسُدْ" يا لها مِنْ فَعْلةٍ! شَؤُمَتْ[1] * علــى الــورى أَهْجُوهــا آخِــرَ الــدّهَر

كمهتصر: المهتصر: الأسد[4]

[1] شأم عليهم: جر عليهم الشؤم

2018
الترقيم الدولي(e) ٢٦٩٥-٢٣٤٣/(p) ١١١٨-٣٣٦٥
متوفرة على الموقع الإلكتروني: www.malamjournal.org

مالم

مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة)

يصدرها
قسم اللغة العربية
جامعة عثمان بن فودي صكتو، نيجيريا

مالم مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة)

2018
ISSN(e) 2695-2343/ISSN(p) 1118-3365
It is also available on: www.malamjournal.org

MALAM

A JOURNAL OF ARABIC STUDIES

NEW SERIES
VOL. I

DEPARTMENT OF ARABIC
USMANU DANFODIYO UNIVERSITY SOKOTO NIGERIA